

فلسطين الأم وابنها البار

عبد القادر الحسيني

عيسى خليل محسن

Ab'd Al-Qadir Al-Husseini: The Pious Son Of Palestine The Mother

By: Issa Khalil Mohssin

Published By:

Dar El-Jaleel For Publishing & Palestinian Research and Studies

Amman - Tel.: 667627 - P.O. Box 8972 - Telex 23031

All Rights Reserved For Dar El-Jaleel

1986

فلسطين الأم
وابنها البار
عبدالقادر الحسيني

الغلاف للفنان : خضر نعيم

الطبعة الأولى

١٩٨٦

حقوق الطبع محفوظة

دار الجليل للنشر

والدراسات والابحاث الفلسطينية - عمان

ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧

الأهداء:

الى أرواح كل الشهداء
التي ما زالت تهتف بالأحياء الأحرار
ان أزرعوا الراية الفلسطينية فوق جبل القسطل
وشيدوا على تلك القمة التاريخية نصبا تذكريا تحج الأجيال الآتية اليه
وترتوي من مناهله المجد والبطولة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

«من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» صدق الله العظيم.

الأمة العربية غنية برجالها، عريقة في تاريخها، مثابرة في نضالها، والامة العربية قد انجبت على ترابها ابطلا ونوابغ، لعبوا دورا رائعا في بنائها وجهادها..

والقضية الفلسطينية هي التي انبتت شهيد القسطل، المجاهد العربي عبدالقادر الحسيني، ذلك الجندي الذي مات في سبيل امته ومبادئه دون ان يكلف الناس بسماع آثام نزاعه، فاستشهد في سبيل فلسطين الأم، بعد أن أرضعته حنانها وقدسيتها..

فمن حقه علينا أن نغوص في أعماق القضية شارحين ومنقبين، لأن الشهيد عبدالقادر الحسيني هو تاريخ فلسطين منذ: (١٩١٠-١٩٤٨م) وما زال نبراسا يكشف للأجيال عظمة هذا المجاهد التاريخ...

عيسى محسن

الباب الاول

الفصل الأول

نشوء العقدة الفلسطينية

تقع فلسطين في قلب الوطن العربي الكبير، وهي عبارة عن الجسر الذي يربط آسيا العربية بأفريقيا العربية، كما هي الطريق الذي يصل جزيرة العرب بالبحر الأبيض المتوسط، وعلى هذا يمكننا أن نشبه فلسطين بالقلب الذي يوزع الدم إلى شرايين الجسم (أي الوطن العربي) الذي يقع في قلب العالم القديم بقاراته الثلاث: أوروبا (ميدان الصناعة) وآسيا (مهد المواد الخام) وأفريقيا.

وقد أطلق على فلسطين:

- ١ - سوريا الجنوبية: لأنها تُوِّلف جغرافيا الجزء الجنوبي من سوريا^(١)
- ٢ - أرض كنعان: لأنها كانت وطن الكنعانيين منذ فجر التاريخ^(٢)
- ٣ - فلسطين: وقد أطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى إحدى القبائل الكريزية التي نزلت شواطئها بين مدينة يافا ومدينة غزة قبل الميلاد بنحو ١٢٠٠ سنة.
- ٤ - أرض الميعاد: أطلق اليهود عليها هذا الاسم، زعما منهم أن الله وعدهم بها أيام إبراهيم وبعده.
- ٥ - الأرض المقدسة: سماها مسيحيو الغرب بهذا الأسم لتقدسها بمن ولد فيها وزارها من الأنبياء والرسل والصالحين، وكذلك لمكانتها المقدسة عند المسلمين خاصة القدس (بيت المقدس).

ومن الأهمية أن نقف هنا قليلا لنبحث في سبب تسمية هذه البقعة باسم فلسطين:

إن المراجع كثيرة ككثرة القائلين بأن تسمية فلسطين بهذا الاسم، إنما ترجع إلى اللغة^(٣)، نسبة إلى قبيلة أو قبائل هاجرت من جزيرة كريت في البحر المتوسط، واستوطنت جزءا من الشريط الساحلي الفلسطيني في الناحية الجنوبية الغربية لهذه البقعة على البحر.

(١) أطلق الشهيد عبد القادر الحسيني عام ١٩٣٦ اسم (سوريا الجنوبية) على قيادته.

(٢) الكنعانيون: قبيلة سامية نزلت من جزيرة العرب وسكنت فلسطين لغتهم القومية اللغة العبرانية التي اقتبسها أمة اليهود بعد أن تركت لغتها، وكانت مساكن الكنعانيين الأولى منخفضة الأرض، ولذلك سماوا بالكنعانيين لأن كلمة كنعان تعني الأرض المنخفضة، وقد حكموا من ٢٥٠٠ - ١٠٠٠ ق. م. ومن أهم مدنها: بيسان، أريحا، نابلس (شخيم) مجدو، وجازر (أبوشوشة).

(٣) للدكتور يونس عمرو: محاضرة القاها على طلاب كلية الآداب / جامعة الخليل سنة ١٩٧٩ باسم (فلسطين.

الأصل والمعنى)

وقد استند كافة القائلين بهذا الرأي إلى نص العهد القديم، ذلك النص الذي بقي الى
اواخر القرن الماضي، المصدر الوحيد للتاريخ القديم لهذه البلاد، بشعوبها وحضاراتها القديمة
المختلفة.

ومن خلال دراسة هذا الاسم (فلسطين) حسب الخصائص اللغوية للهجات السامية
التي تحدث بها اهل هذه البلاد، يمكننا إلقاء الضوء على أصل هذه التسمية. ففي نصوص
العهد القديم نقف على هذا الاسم، على الصورة التالية (فلستيم) بلفظ الفاء مشددا ثقيلًا، وعند
عرضه على نظام بنية الكلمة في اللغة العبرية، هذه اللغة التي تعتبر اصلا من اللغة الكنعانية
التي تحدث بها اهل هذه البلاد المحليون، قبل مجيء ابراهيم ونسله واستقراره فيها، نرى ان
هذا الاسم انما هو صيغة الجمع المختمة بالياء والميم، والجمع لا بد له من مفرد، الا اذا كان
اسما لجمع لا مفرد له من لفظه، ولكن مفرد هذا الجمع من لفظه هو الاسم (فلشت) بمعنى فلاح
او من يحرث الارض ويعزقها، وفي النظر في اشتقاق هذا الاسم نرى انه مشتق من الفعل (فلش)
بمعنى حفر حفرة او تمرغ في التراب، هذه الدلالة التي تعتبر دلالة عامة لهذا الفعل الذي يوجد
الى جانب العبرية في الارامية نرى انها كثيرة، وكثير منها يدور حول حرث الارض وعزقها، مما
يقطع القول بأنها مادة سامية أصلية، فضلا عن وجودها في اللغة الكنعانية اليهودية، التي
تعتبر لهجة السكان المحليين لهذه البلاد في عصور ما بعد التوراة، وبإلقاء نظرة على هذه المادة
نراها ما زالت تعيش في اللغة العبرية الحديثة ولكن بدلالات أخرى كطعن وحرق وقتل. ولعل هذه
الدلالات بما لها من ارتباط وثيق بالدلالات القديمة من الحفر والعزق والتمرغ في التراب، نراها
وقد تأثرت الى حد بعيد بما جاء في نصوص العهد القديم حول الفلسطينيين وجبروتهم في حربهم
لاسرائيل على ايام داود وسليمان ومن قبله ومن بعده.

ولهذا يمكن ان نخلص الى القول بان هذا الاسم فلسطين، كان علما على قبائل عملت في
الزراعة، بعد ان توطنت واستقر بها المقام على الارض الزراعية في هذه البلاد، ولعل هذه الارض
تمتد عبر المثلث الاوسط من ارض فلسطين، والذي يقع بين طبريا والكرمل من الشمال، وينحدر
على شبه رأس مثلث شمال صحراء النقب، ولا غرو ان هذه البقعة هي الارض الزراعية
المشهورة من ارض فلسطين منذ القدم، ويبدو ان هذه القبائل قد حظيت بقسط وافر من
الاستقلال والاستقرار والقوة، بحيث تعاقب على زعامتها رجال اشداء مخلصون كجالوت الذي
ذكرته نصوص العهد القديم والذي يعتبر من اشد الخصوم الذين واجههم بنو اسرائيل في
حروبهم على هذه الارض من سكانها المحليين عبر التاريخ^(١).

لقد كانت هذه البقعة من الارض مسرحا للطامعين ابتداء من الكنعانيين حتى الحملات
الصليبية، التي اکتوى العالم العربي والاسلامي بناها زهاء قرنين من الزمن ١٠٩٥-١٢٩١م،

(١) من محاضرة الدكتور يونس عمرو . مرجع سابق

والتي كانت فلسطين بالذات ميدانها الحقيقي. وما زالت تلك الاطماع تتوالى، حيث استطاع الاستعمار الاوروبي ان يخطط لتمزيق اوصال هذا الوطن، فوجد ضالته المنشودة في فلسطين.

لهذا فان القضية الفلسطينية لم تنشأ في عزلة عن الاحداث العالمية بل كانت جزءا لا يتجزأ منها، وهي لا تزال حتى اليوم تؤلف عقدة من العقد الدولية المترابطة عضويا بعضها ببعض. حيث التقت على الساحة الفلسطينية ثلاث قوى تفاعلت فيما بينها، كل بقدر طاقتها، وخلفت بصراعاتها القضية الفلسطينية وهذه القوى هي:

- ١ - الاستعمار البريطاني
- ٢ - الحركة الصهيونية
- ٣ - الحركة القومية العربية

ولهذا فلا بد عند بحث هذه القضية من رؤية ظروف تطورها في المدى التاريخي ليسهل فهم الحاضر فعندئذ يمكن اضاءة طريق المستقبل.

الاستعمار البريطاني

ابتدأت بريطانيا تبدي اهتماما خاصا بفلسطين منذ القرن السادس عشر، بسبب تجارتها البرية مع الهند والشرقين الأدنى والاقصى، ومع تلاشي الامبراطورية العثمانية، تخطت مصالح بريطانيا التجارية الى الامبريالية، فهي لا تريد ان ترى الدولة العثمانية مقطعة الاوصال، كما انها لا ترغب في ان ترى روسيا متمركزة على البسفور^(١).

يقول احد القادة الانجليز (الكولونيل تشرشل): (اذا كانت بريطانيا ترغب في الحفاظ على سيطرتها في الشرق فإنه ينبغي لها بشكل ما، ان تدخل سوريا ومصر في نطاق نفوذها وسيطرتها، بعد ان اعلن نابليون انه سيجعل من مدينة عكا مفتاحا للشرق، وكانت عبقريته العسكرية على صواب في تقديرها لاهمية هذه البلاد التي عبثا حاول الاستيلاء عليها، ليجعل منها مرتكزا ومنطلقا في اعماله الحربية ضد امبراطوريتنا الهندية، واذا كانت اسوار عكا تنطوي على مصير عظيم لاعداء بريطانيا، فمن يجرؤ على القول ان حلم نابليون كان وهما وخيالا)^(٢).

ان حملة نابليون المشهورة على مصر عام ١٧٩٨م، ومحاولته احتلال سوريا الطبيعية (فلسطين وسوريا ولبنان وشرق الاردن) هي التي أثارت بريطانيا، وأدركت الاخيرة خطر منافسة فرنسا لها، لأن نابليون كان يهدف من وراء ذلك الى أمرين:

- ١ - تهديد المصالح البريطانية في الهند
- ٢ - توسيع الامبراطورية الفرنسية.

وما ان شعرت بريطانيا بما يهدف اليه نابليون، حتى سارعت الى عقد سلسلة اتفاقات مع امراء ومشايخ دول الخليج العربي ابتداء من عدن حتى الكويت، كما احتلت المواقع الاستراتيجية والاقتصادية، التي يمكن ان تقطع الطرق على اية قوة تهدد الهند (درة التاج البريطاني)، كما عاونت قواتها العثمانية على اجلاء القوات الفرنسية عن مصر عام ١٨٠١م، وفي الوقت ذاته بدأت في وضع مخططات سياسية واجتماعية، في كل من مصر ولبنان لتحقيق اهدافها ومطامعها، منها: احتلال مصر وإثارة النعرات الطائفية في لبنان وانشاء دولة يهودية في فلسطين^(٣).

(١) فيليب حتي - تاريخ سوريا ص ٦٩٨

(٢) د . عمر عبد العزيز : تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٥٤٧

(٣) د . زاهية قدورة : تاريخ العرب الحديث دار النهضة العربية / بيروت ١٩٧٥ ص ١٨١

لقد اهتمت بريطانيا منذ بداية القرن التاسع عشر بالمنطقة، حيث اخذت الشركات البريطانية من الهند، تقوم بخدمة ملاحه منتظمة الى البصرة والسويس عام ١٨٠٩م، وفي البحر المتوسط بدأت شركة بواخر بريطانية ايضا بخدمة منتظمة الى مصر وسوريا^(١) كما اهتمت بريطانيا بالدولة العثمانية، وقبل ذلك كانت اكثر اهتماما بصداقة روسيا، الى ان جاءت وزارة (بت) فوجد هذا الوزير البريطاني ان في تقدم روسيا الى الجنوب، خطرا واضحا على مصالح بريطانيا السياسية والتجارية. وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر وقع حادث آخر غير الحملة الفرنسية على المشرق العربي، ألا وهو تعاظم قوة محمد علي العسكرية والانتصارات التي حققها في حروبه ضد السلطان محمود الثاني (١٨٣٠-١٨٤٠م) مما دفع الدول الاوروبية الكبرى الى تركيز اهتمامها على المشرق العربي.

وقفت بريطانيا تقاوم قوة محمد علي ومحاويلته اقامة الدولة العربية الكبرى بعنف ووضوح تامين، حيث راحت تتعاون مع الامبراطورية العثمانية والدول الاستعمارية الاوروبية الاخرى، لاجلاء القوات العربية المصرية عن سوريا واعادتها الى مصر، وحصر الدولة الفتية في حدود مصر فقط، فقامت قواتها البرية عام ١٨٤٠ والتي انزلت على الساحل السوري وقواتها البحرية، بقصف القوات المصرية التي تقهقرت وانسحبت تحت الضغط عن سوريا. وقد لحظ المؤرخ (جورج انطونيوس) ان مقاومة بريطانيا لمشروع هذه الدولة العربية الناشئة كان احد العوامل الجوهرية في اخفاقها حيث كتب:

(قد يكون الاصطدام بين محمد علي وانجلترا امرا لا بد من وقوعه، لأن نمو سلطانه في مصر ثم امتداده الى الجزيرة العربية والبحر الاحمر، يكسبه سيطرة قوية في تلك المناطق الواقعة على طريق من اخطر الطرق التجارية في العالم، وله في الوقت نفسه قيمة خاصة للتجارة الانجليزية^(٢).)

وتدعم الوقائع هذا التقرير فوزير خارجية بريطانيا (المرستون) كتب في رسالة الى سفير بلاده في نابلي بايطاليا بتاريخ ٢١ آذار ١٨٣٢م يقول فيها:

(ان هدف محمد علي الحقيقي هو اقامة مملكة عربية تضم جميع البلاد التي تتكلم العربية وقد لا يحوي هذا المشروع خطرا او ضررا ما في حد ذاته، وفضلا عن ذلك فلا نرى سببا يبرر احلال حكم عربي محل تركيا في السيطرة على طريق الهند)^(٣).

وفي رسالة اخرى كتبها الى السير (وليم كامبل) سفير بلاده في كابل، كتب بالمرستون في نفس الروح إلا انه كان احد وأشد، بتأكيد على عدم تسليم بريطانيا، بوجود دولة غير تركيا على

(١) برنارد لويس : العرب في التاريخ ص ١٦٩

(٢) (جورج انطونيوس / يقظة العرب / تعريب علي حيدر الركابي

(٣) المرجع السابق

طريق الهند، فهي خير من حاكم عربي يقوم على هذه البلاد ويكون نزاعا الى العمل كثير الحركة^(١).

لقد وضع بالمستون اساس السياسة البريطانية التقليدية، للدولة العثمانية عام ١٨٢٠ حيث اعلن ضرورة المحافظة على سلامتها، ودعمها بالقوة ضد روسيا، وذلك من اجل حماية المصالح السياسية والاقتصادية البريطانية. وعندما هزم محمد علي الجيش العثماني في شمال سوريا عام ١٨٢٩م قرر بالمستون التدخل، وأوضح بشكل قاطع ان بريطانيا لن تتردد في الدخول في حرب مع فرنسا، اذا استمرت في مناصرتها لمحمد علي، وأسفر ذلك التهديد عن اجلاء القوات المصرية عن سوريا كما اوضحنا، وعن استعادة سلطة السلطان على تلك الولاية. واقنعت الاحداث التي ادت الى معاهدة لندن عام ١٨٤١م^(٢)، القيصر الروسي (نيقولا) ان الدولة العثمانية بلد يحتضر، وقال لسانة بريطانيا اثناء زيارته لها عام ١٨٤٤م: (ان تركيا اشبه برجل يحتضر، وقد نسعى لابقائه حيا، ولكن مسعانا لن يكمل بالنجاح فانه سيموت، لابل ينبغي له ان يموت)^(٣). لكن الحكومة البريطانية لم تعتقد في ذلك الوقت ان الدولة العثمانية على وشك السقوط، وعندما عاد بالمستون الى وزارة الخارجية عام ١٨٤٦م، لم يكن مستعدا لقول مثل هذه الاقوال الروسية، بالرغم من محاولة توطيد الصداقة بينه وبين روسيا، ولذلك فرح الروس لسقوطه عام ١٨٥١م.

وفي ذلك الوقت أدى النزاع بين فرنسا وروسيا، على امور تتعلق بحماية الأماكن المقدسة في فلسطين، الى نشوب حرب القرم، فالقيصر الروسي وجد لزاما عليه حماية (الارثوذكس) في الدولة العثمانية، بينما رأى الامبراطور الفرنسي حماية رجال الدين (الكاثوليك) في الدولة العثمانية، ودخلت بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية الحرب ضد روسيا، ولكن بعد سنتين لم تجد روسيا جدوى من متابعة الحرب فقررت التسليم، ووقعت معاهدة باريس في ٣٠ آذار (مارس) ١٨٥٦م^(٤).

واذا كان الهدوء النسبي قد ساد مجال التنافس الاوروبي في الدولة العثمانية خلال العشرين سنة التالية. فقد وقعت احداث تاريخية، كان لها اثر عميق في تقرير مصير العالم العربي بالنسبة للاستعمار الاوروبي، ففي عام ١٨٦٩م افتتحت قناة السويس^(٥) وادركت

(١) امين سعيد / الدولة العربية المتحدة - ص ٩٥ الجزء الأول

(٢) اتفقت بريطانيا مع روسيا والنمسا وبروسيا وتركيا على توقيع معاهدة لندن ومنها تعهدت هذه الدول بإخراج قوات محمد علي من سوريا مقابل موافقة السلطان على جعل الحكم في مصر وراثيا في اسرة محمد علي .

(٣) محمد مهدي : محاضرات في الدراسات الفلسطينية : منشورات البيادر ص ٢٦

(٤) منحت هذه المعاهدة الدولة العثمانية مركزا اكثر امتيازاً من ذي قبل ونصت على حماية واحترام استقلالها ووحدة اراضيها ومنعت روسيا من الاستيلاء على القسطنطينية.

(٥) في عام ١٨٥٤ م منح سعيد باشا امتياز شق قناة السويس الى فرديناند دلسبس وبدأ الحفر عام ١٨٥٩م وقد مات ١٢٠ الف عامل مصري اثناء العمل وقد انفق مصر ١٦ مليون جنيه من مجموع تكاليف القناة البالغة ١٧

مليون جنيه

بريطانيا رغم ما أبدته من معارضة للمشروع أهمية هذا الطريق المائي لمواصلاتها مع الهند، واصبح من الضروري وقتذاك - اكثر من اي وقت مضى - الاتقع الاجزاء الاسيوية من الامبراطورية العثمانية في قبضة دول معادية لبريطانيا، كما انه اصبح من الضروري، الا تتحدى دولة قوية وخاصة روسيا قوة بريطانيا وسيطرتها على البحر المتوسط، ولذلك بادرت بريطانيا بشراء اسهم الخديوي اسماعيل في قناة السويس عام ١٨٧٥م، وارتبط مصير مصر والعالم العربي منذ ذلك الوقت ارتباطا وثيقا بمصالح بريطانيا، خاصة في الشرق الاوسط باعتباره منطقة استراتيجية للدفاع عن قناة السويس، وعن الطريق البرية المؤدية الى الهند.

كانت الدولة العثمانية في طريقها الى الانحلال حيث ساءت سمعتها المالية وقامت الثورة في البوسنة والهرسك، وثار الشكوك حول قدرتها على البقاء متماسكة امام المصائب والثورات المتلاحقة، فقدت عطف الحكومات والأفراد وفقدت كثيرا من انصارها في انجلترا وفرنسا والنمسا، ومما زاد في تعقيد الأمور التدخل الاوروبي السياسي والمالي والديني وقبول العثمانيين مرغمين، قيام نظام جديد يجعل لفرنسا التفوق في هذه المنطقة، وحاول الروس التدخل واثارة الشعوب المسيحية في البلقان ضد الحكم العثماني.

لقد غيرت الظروف التي مرت بها الدولة العثمانية السياسة البريطانية التقليدية ازاءها فهي لم تثبت في نظر بريطانيا واوربا صلاحيتها للبقاء، وكان لحملة جلاستون زعيم المعارضة في مجلس النواب البريطاني، من العوامل المهمة التي اطاحت بالسياسة التقليدية البريطانية^(١) وخاصة بعد حركة القمع التي قام بها الباب العالي في بلغاريا، فكتب عدة مقالات كان اهمها: الفظائع البلغارية، حمل فيها على العثمانيين وسياستهم حملة شعواء وشعرت حكومة المحافظين البريطانية، بانها لم تعد تستطيع الدفاع عن السياسة التقليدية القديمة فاعلن (داربي) وزير الخارجية البريطانية، ان الحكومة لا تستطيع الدفاع عن العثمانيين بالتدخل ضد روسيا، لكن موقف بريطانيا ازاء روسيا لم يتغير، لكن بريطانيا اتخذت فيما بعد موقفا حاسما ازاء روسيا والدولة العثمانية، خاصة بعد ان تولى (سالزبورج) وزارة الخارجية بعد داربي عام ١٨٧٨م، وكان سالزبورج يمقت الدولة العثمانية مققا شديدا ولم يؤمن انه بالامكان النهوض بها مرة اخرى، كقوة حقيقية يعتمد عليها ولذلك رأى ان الحل المناسب هو استبعاد الدولة العثمانية من شرقي اوربا، وتقسيم ممتلكاتها، وبذلك وضع حدا نهائيا للسياسة البريطانية التقليدية نحو الدولة العثمانية.

ايد المستشار الالمانى بسمارك هذه الفكرة لانه رأى في تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية الخير لاوروبا ولامانيا، وارضاء لشهوات الدول الاوروبية الاخرى.

(١) محمد مهدي - محاضرات في الدراسات الفلسطينية - منشورات البيادر

فكرت بريطانيا في احتلال مصر، لكنها رأت ان هذا التفكير قد يؤدي الى خسارتها صداقة فرنسا، ولذلك فكرت في كريت ثم قبرص، لان قبرص مفتاح غربي آسيا، واضطرت الدولة العثمانية سنة ١٨٧٨م، الى قبول احتلال الانجليز لجزيرة قبرص مقابل حماية بريطانيا للدولة وهكذا نفذت بريطانيا عمليا فكرتها في تقسيم الدولة العثمانية.

وعقب مؤتمر برلين ١٨٧٨م، فرضت فرنسا الحماية على تونس سنة ١٨٨١م، لكن بريطانيا خشيت ان يتحول البحر المتوسط الى بحيرة فرنسية، لذا تطلعت الى مصر على انها تعويض لها عن احتلال الفرنسيين لتونس، فضربت الاسكندرية واحتلت مصر سنة ١٨٨٢م، وبدأت المنافسة بين الدولتين تأخذ دورا خطيرا، كاد ينتهي باشغال الحرب بينهما، ولم تصبح العلاقات حسنة بين الدولتين الا حين وافقت بريطانيا على ان يكون لفرنسا حرية التصرف في مراكش في اتفاقية (لانزدون - كامبون) الشهيرة عام ١٩٠٤م.

لقد انقلبت الاوضاع رأسا على عقب بعد احتلال بريطانيا لمصر وقبرص، فمنذ ذلك الوقت اخذت بريطانيا تثبت مركزها في الشرق العربي، وتفكر جديا في تقسيم الدولة العثمانية ولهذا ساءت العلاقات بين بريطانيا والدولة العثمانية بعد احتلال مصر، ووضوح سياسة بريطانيا الحقيقية، ولذلك شهدت السنوات الاخيرة من القرن التاسع عشر تقاربا المانيا - عثمانيا واخذت سياسة القيصر الالماني (غليوم الثاني) التي كانت تعرف بسياسة (الزحف نحو الشرق) تغيرا واضحا في السياسة الالمانية نحو الدولة، وبعد ان ظل بسمارك سنوات بجانب التدخل في (المسألة الشرقية)^(١) واخذ التغلغل الالماني اشكالا متعددة: عسكرية واقتصادية وثقافية ونفسية، وواجست الحكومة البريطانية خيفة من المشروعات الالمانية التي أيدتها في اول الامر، كخط سكة حديد بغداد وتوسع الرأسمالية الالمانية في الدولة العثمانية، واهتمام الحكومة الالمانية بتقوية اسطولها التجاري والحربي، حتى اصبحت بريطانيا تخشى على سيادتها البحرية، والواقع ان النفوذ الالماني والتغلغل الاقتصادي في الدولة العثمانية، كانتا نقطة تحول هامة في تاريخ المسألة الشرقية في العصر الحديث، فزيارة القيصر الالماني للاماكن المقدسة في

(١) للمسألة الشرقية مفهومان : مفهوم عام ويقصد به الصراع في لعبة التحدي والاستجابة بين الشرق والغرب وبالذات منذ قيام الحرب الميدية بين أثينا (ممثلة للحضارة الغربية) والامبراطورية الفارسية (ممثلة للحضارة الشرقية) وهزيمة الامبراطورية الفارسية في معركتي المارثون البرية سنة ٤٩٥ ق . م وسلاميس البحرية سنة ٤٨٠ ق . م . ثم الرد عليها بغزوة الاسكندر الأكبر المقدوني للشرق الأدنى القديم وسيطرته عليه ٣٣٣ - ٣٣٢ ق . م . الى ان كانت اليقظة العربية الاسلامية بظهور الدولة العربية الاسلامية ، التي مدت حدودها الى البحر المتوسط وحولته الى بحيرة عربية - اسلامية ، والتي لم تكن الحروب الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي في ظاهرها الا استجابة لهذا التحدي . وبعد قيام الدولة العثمانية تطورت احداث لعبة التحدي بين الشرق والغرب حينما ظهرت هذه الدولة كقوة سياسية محركة للأحداث الدولية ومن ثم سيطرتها على اوربا عام ١٤٥٣م ليبدأ منذ تلك اللحظة المفهوم الخاص للمسألة الشرقية وهو كيفية تدبير أمر الدولة العثمانية او الصاعقة العثمانية بلغة (إدوارد غيبون) في اوربا المسيحية ، او كما عرفها ادوارد دريو : مشكلة القضاء على قوة الاسلام السياسية لأنها كما ادعى (ه . أ . ماريون) اصبحت كجسم غريب في جسد اوربا الحي ويجب القضاء عليه .

فلسطين سنة ١٨٩٨م، كانت مظاهر سياسية لظهور النفوذ الالمانى في الشرق العربي والتقرب الى العرب واستمالتهم، ولهذا اثارَت هذه السياسة مخاوف بريطانيا وفرنسا وروسيا فأدى ذلك الى التوفيق بين المصالح المتضاربة والمنافسات العنيفة بين الدول الكبرى بطريق التحالف، وكان من نتائج ذلك توقيع الاتفاقيات الودية بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٠٤ وبين بريطانيا وروسيا سنة ١٩٠٧م للتفرغ الى الخطر الالمانى.

ومن ناحية اخرى أدى استبداد السلطان عبد الحميد، وتفتت الامبراطورية العثمانية الى ظهور (تركيا الفتاة) وجمعيتها القوية (جمعية الاتحاد والترقي) وفي تموز ١٩٠٨م استسلم عبد الحميد للثوار واعلن اعادة دستور سنة ١٨٧٦م، لكنه كان يبيت النية على التخلص من تركيا الفتاة ومن الدستور والبرلمان، لكن هذا الأمل لم يتحقق، اذ خلع عبد الحميد في العام التالي ونفي الى سالونيك، ومنذ ذلك الوقت حتى قيام الحرب العالمية الاولى، كان الاتحاديون مسيطرين على الحكم في تركيا بزعامة (انور باشا) ثم دخلوا الحرب الى جانب المانيا.

وحتى عشية قيام الحرب العالمية الاولى، لم يبد أن بريطانيا قد رسمت خططا خاصة فيما يتعلق بمستقبل العالم العربي، ففي سنة ١٩١٣ ارسل (جراي) وزير خارجية بريطانيا الى سفيره في استنبول يقول: (هناك مسألة على جانب كبير من الخطورة تنطوي عليها سياستنا اذ ان سياستنا الوحيدة التي يمكن لنا ان نشترك فيها هي السياسة التي من شأنها ان تمنع انهيار تركيا الاسيوية وتقسيمها، واذا اتبعنا سياسة معاكسة فان اثرها في مساعي الهند سيخلق لنا حالة تذر بكارثة، هذا عدا التعقيدات التي ستخلقها هذه السياسة في علاقات الدول الاوروبية)^(١).

وفي العام التالي كان «جراي» يرى تأييد وتشجيع العرب على السيطرة على بلادهم، والاماكن المقدسة فيها، اذا ما اعلنت تركيا الحرب والوقوف الى جانب المانيا، وعندما دخلت تركيا الحرب بجانب دول الوسط (المانيا والنمسا والمجر) اتخذت الحكومة البريطانية الاجراءات اللازمة لحماية مصالحها، التي تهددت بسبب هذا التطور في موقف الدولة العثمانية، وكان من الطبيعي ان تهاجم بريطانيا الدولة العثمانية بواسطة رعاياها من العرب، ففي ١٤ ايلول ١٩١٤م وقبل دخول تركيا الحرب كتب السفير البريطاني في استنبول، معلنا موافقته على خطة تأييد وتنظيم حركة عربية ضد تركيا، اذا ما اتخذت الاخيرة موقفا عدائيا واضحا، واصبح حريها امرا لا مفر منه سواء اكان هذا التأييد للعرب مباشرا ام غير مباشر.

وفي ٧ تشرين الثاني ١٩١٤م، اصدر شيخ الاسلام في استنبول (خيرى بن عوني الاركوبي) فتوى يعلن فيها: ان الواجب المطلوب والمفروض على المسلمين بما فيهم الخاضعون لحكم بريطانيا وفرنسا وروسيا، هو الاتحاد ضد هذه الدول اعداء الاسلام، وان يرفضوا

(١) محمد مهدي - محاضرات في الدراسات الفلسطينية ص ٣٩ منشورات البيادر - القدس

مساعدة الحلفاء في هجومهم على الدولة العثمانية، كما اصدر العثمانيون نشرات تدعو الى الجهاد وحث المسلمين على ان يتحدوا ضد اعداء الاسلام، وكان هدف العثمانيين من ذلك ان يتأثر العالم العربي بدعوة الجهاد، فينحاز امير مكة والعرب مختارين الى صفوفهم ضد الحلفاء ولهذا ايقن الحلفاء عامة والانجليز خاصة اِزاء دعوة الجهاد، وازاء الدعاية العثمانية ضرورة البحث عن زعيم للمسلمين لمقاومة نفوذ السلطان العثماني.

كان الشخص المرشح للقيام بهذا الدور هو الشريف حسين بن علي شريف مكة، مما أثار غضبهم عليه.

شعر الشريف انه لن يستطيع مقاومة الدولة العثمانية بمفرده، وانه من الضروري الحصول على مساعدة دولة كبرى لتحقيق ذلك، واعتقد ان بريطانيا تستطيع ان تقوم بمثل هذا الدور، فتمت الاتصالات بينه وبين البريطانيين عام ١٩١٣م، عندما تمت اول مقابلة بين عبد الله (الابن الثاني للشريف حسين) امير شرقي الاردن وملك المملكة الاردنية الهاشمية فيما بعد، وبين اللورد (كتشنر) المعتمد البريطاني في مصر. وذلك اثناء مرور الامير عبد الله بمصر في طريقه الى الاستانة او العكس، حيث كان يتبادل الزيارات مع المندوب السامي البريطاني وبعض الموظفين البريطانيين، لا سيما السير (رونالد ستورز) السكرتير الشرقي بدار المندوب السامي بمصر، وفي اول الامر اطلع الامير عبد الله كتشنر، على توتر العلاقات بين والده والدولة العثمانية، وكان هذا الحديث ممتعا بالنسبة للبريطانيين الذين حاولوا جمع اكبر قدر ممكن من المعلومات حول امكانيات قيام العرب بالثورة ضد الحكم العثماني.

وتوالت الاتصالات بين ستورز وعبد الله، الذي تحدث بصراحة تامة عن خطورة الوضع في الحجاز، والاستعدادات التي يقوم بها والده لمواجهة الانفصال النهائي عن الدولة العثمانية.

لقد وجد هذا التفكير هوى وقبولاً في نفس كتشنر، الذي كان يحلم بفصل الجزء الممتد من حيفا وعكا على البحر المتوسط، وينتهي في خليج العقبة على البحر الاحمر عن تركيا، ووضعه تحت حماية بريطانيا لكي يؤمن امتداد النفوذ البريطاني من مصر الى الخليج العربي، وعندما قامت الحرب العالمية، كان كتشنر في بريطانيا، ولم يعد الى مصر، بل تولى منصباً أكثر أهمية وخطورة هو منصب وزير الحربية، بينما عاد رونالد ستورز الى القاهرة واستمرت الاتصالات بينه وبين الامير عبد الله، ولما اصبح من المؤكد ان الدولة العثمانية ستتنضم الى دول الوسط، كتب ستورز الى كتشنر يقترح التشاور مع امير مكة لضمان حياده ورد كتشنر برسالته الشهيرة في ٢٤ ايلول ١٩١٤ التي يطلب فيها من ستورز (ارسال رسول سري يجري اختياره بحذر الى الشريف حسين وولده عبد الله، للتأكد من وقوفهما وعرب الحجاز الى جانبنا او ضدنا).

وفعلا كانت هذه الاتصالات بين الشريف والانجليز تجرى بكتمان وسرية، وقد ظلت هذه المفاوضات تجرى بين الطرفين على هذا الشكل، الى ما بعد اندلاع الثورة في شبه الجزيرة العربية، بقيادة الشريف حسين، عندها انكشفت حقيقة الاتفاق الذي ضمنه الانجليز وعودا والتزامات نحو العرب، غايتها الاستقلال واقامة دولة الوحدة، غير ان هذه الوعود وتلك الالتزامات، كانت تعتمد على الفاظ وعبارات مطاطة تحتمل التأويل، ذلك ان الثورة العربية ما كادت تقترب من تحقيق غايتها، حتى انبرى الانجليز يزعمون ان الاتفاق بين الطرفين لا يعني ان سوريا وفلسطين سوف تكونان جزءا من الدولة العربية المنتظرة، كما زعم الانجليز ان فلسطين ليست ضمن المنطقة التي وعد الانجليز العرب باستقلالها^(١).

(١) د . زاهية قدورة تاريخ العرب الحديث ص ١٩٨

مراسلات الحسين - مكماهون ١٩١٥-١٩١٦م

كانت رسالة ٢٤ ايلول (سبتمبر) ١٩١٤ بداية العروض البريطانية الرسمية على الشريف حسين بن علي (شريف مكة)، ويمكن اعتبارها فاتحة اهتمام البريطانيين بقيام ثورة على الحكومة العثمانية بقيادة الشريف حسين، وبشرت وزارة الخارجية البريطانية اتصالاتها مع الشريف حسين بواسطة (آرثر هنري مكماهون)، وقد نجم عن هذه الاتصالات مراسلات جرت بين المندوب السامي البريطاني والشريف حسين، استمرت من ١٤ تموز (يوليو) سنة ١٩١٥ الى ١٠ آذار (مارس) سنة ١٩١٦م واصبحت تعرف بمراسلات الحسين - مكماهون، وبلغ مجموع الرسائل المتبادلة عشرا، منها خمس رسائل كتبها مكماهون وخمس كتبها الحسين.

رأى الحسين قبل الانضمام الى الحلفاء ان يتصل بزعماء العرب في سوريا ولبنان ليعرف منهم سرا ما كانوا يطلبونه من شروط لاشتراكهم في الثورة، فأرسل ابنه فيصل بدعوى الذهاب الى استنبول، لكنه توقف في دمشق واتصل بزعماء الحركة القومية العربية في الشام، ووضع الزعماء امام فيصل مخططا يتضمن المطالب التي ارادوا ان تكون اساسا لمفاوضات الشريف المقبلة مع بريطانيا، وقد عرف هذا المخطط باسم (بروتوكول دمشق)، حيث نص على حدود البلاد العربية التي يجب ان تعترف بريطانيا باستقلال العرب فيها^(١) وقد اورد الشريف حسين هذه الحدود كما وردت في بروتوكول دمشق وذلك في رسالته الاولى بتاريخ ١٤ تموز ١٩١٥م الى مكماهون^(٢).

ولما كان العرب باجمعهم قد قرروا في السنوات الاخيرة ان يعيشوا وان يفوزوا بحريتهم وان يتسلموا مقاليد الحكم، ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا، ان مصلحة حكومة بريطانيا العظمى ان تساعدهم وتعاونهم للوصول الى امانهم المشروعة، وهي الاماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم.

- ١ - ان تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية بحدود بروتوكول دمشق.
- ٢ - ان توافق بريطانيا على اعلان خليفة عربي للمسلمين
- ٣ - ان تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية بريطانيا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية

(١) في الشمال خط مرسين - ارضة الى خط عرض ٣٧ شمالا ومنه على طول خط بيرجيك أورفا - ماردين وجزيرة بن عمر وأماديا الى الحدود الايرانية في الشرق الحدود مع ايران حتى الخليج في الجنوب المحيط الهندي باستثناء عدن ومن الغرب البحر الاحمر والبحر المتوسط حتى مرسين.

(٢) عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية مكتبة يافا الجديدة/ يافا - ١٩٣٧ ص ١٠١.

٤ - ان يتعهد الطرفان بالتعاون في مجابهة كل قوة تهاجم احد الطرفين، وذلك حفظا لاستقلال البلاد العربية وتأمينا لافضلية بريطانيا الاقتصادية فيها، وانه اذا اعتدى احد الفريقين على بلاد ما، ونشبت بينه وبينها نزاع فعلى الفريق الاخر ان يلزم الحياد اما اذا اريد اشراكه، اجتمع الفريقان للاتفاق على شروط واضحة ولازمة.

٥ - ان توافق بريطانيا على الغاء الامتيازات الاجنبية في البلاد العربية، وان تتعهد بمعاونة حكومة الشريف بدعوة مؤتمر دولي لتقرير الغاء الامتيازات الاجنبية.

٦ - ان تكون مدة الاتفاق فيما يتعلق بالتعاون العسكري بين الطرفين خمس عشرة سنة، وعلى الفريق الذي يريد تحديد المدة، ان يطلع الاخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاق بسنة واحدة.

وقد المح الحسين للانجليز بان هذه المطالب نهائية ولا يقبل العرب المساومة عليها. وفي ٣٠ آب (اغسطس) ١٩١٥ بعث هنري مكماهون برده على رسالة الحسين، حيث اوضح في رسالته رغبة بريطانيا في استقلال البلاد العربية وموافقتها على ان يكون الخليفة عربيا، عندما تعلن الخلافة، وبعد إغرائه بمسألة الخلافة حاول مكماهون اقناع الحسين بارجاء الكلام في مسألة الحدود المقترحة، لأنه موضوع سابق لأوانه كما هو واضح في نص رسالته:

(نتشرف بإسداء الشكر الى سموكم، من اجل إفصاحكم عن شعوركم نحو انجلترا، وانه ليسرنا ان تكون المصالح العربية بريطانية، والبريطانية عربية في رأي سموكم، ورأي رجالكم، وبهذا القصد نثبت لكم ما جاء في رسالة اللورد كتشنر، التي وصلتكم عن يد (علي افندي) وهي الرسالة التي سطرت فيها رغبتنا في استقلال العرب والبلدان العربية، اما مسألة الحدود فيلوح لنا انها سابقة لأوانها وان وقتنا ليضيق عن البحث في مثل هذه التفاصيل، ونحن بعد في ابان الحرب، وفي حين ان التركي لا يزال هو المحتل احتلالا فعليا في كثير من الاقسام الواقعة ضمن تلك الحدود، لا سيما وقد بلغنا فعجبنا واسفنا، ان بعض العرب في هذه الاقسام غير مغتنمين لهذه الفرصة العظيمة السانحة لهم، بل هم عنها صادون، والى جانب الالماني والتركي بسلاحهم واقفون، وما الأول الـ سالبهم لجديد وما الثاني الاظلمهم العتيق^(١) ويقول جورج انطونيوس «بان رد مكماهون كان مثالا للمراوغات الرسمية، فقد ورد ذكر الضمانات العامة المتعلقة باستقلال العرب والخلافة العربية التي سبق ان اعطى مثلها للشريف باسم اللورد كتشنر، فلما أتى دور تعيين معنى هذه الضمانات وتحديد منطقة هذا الاستقلال، صرح بانه لم يحن بعد وقت بحثها، موضحا ان إثارة مثل هذه المواضيع في ظروف الحرب ضياع للوقت ولا سيما وان الترك ما زالوا يحتلون بعض المناطق في البلاد العربية» كما يعتقد انطونيوس بان الرد كان مثالا للحماقة، لا لبعده الملموس عن الاخلاص فحسب، بل ايضا لانه حاول التوفيق بين

(١) عيسى السفري - فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ص ١٠٢

امرين يستحيل جمعهما، فكان الخطاب يحاول من جهة استمالة الشريف ليصبح حليفا عاملا، ويسعى من جهة ثانية الى حرمانه من الوسيلة الوحيدة، التي تمكنه من جعل هذا التحالف فعالا، كما يفسر انطونيوس هذا التناقض بنقض معلومات مكماهون ومستشاريه عن نشاط الجمعيات العربية ومباحثات فيصل مع اعضائها في دمشق^(١).

ترك هذا الخطاب اثرا سيئا في نفس الحسين، فبادر على الفور بالكتابة الى مكماهون في ٢٩ شوال ١٣٣٢هـ الموافق ٩ ايلول ١٩١٥ (الرسالة الثالثة) وجاء فيها:

«ولكنكم يا صاحب الفخامة تصفحون وتسمعون ان اقول بصراحة ان ما بدا من التواني والتردد في مسألة الحدود، باعتبار البحث فيها في الوقت الحاضر مضیعة للوقت الخ... قد تتخذ دليلا على الفتور أو شيئا من قبيله. ان العرب اذا منهم احد باقيا تحت الامرة التركية او الالمانية، فما ذلك الا من آثار المطل والتأجيل في هذه المفاوضات^(٢)».

لقد تميز هذا الخطاب باظهار عزم الحسين على مواصلة السعي لتحقيق فكرته، كما لم تخف على الحسين عبارات المراوغة، التي وردت في خطاب مكماهون (الرسالة الثانية) فاعرب عن دهشته لما بدا من فتور وتردد، في تلقي اقتراحه المتعلق بتعيين حدود الدولة العربية المستقلة، كما اوضح بان مقترحاته لم تكن من عنده بل تقدم بها الشعب العربي كشرط اساسي، واطهر إنزعاجه من عودة مكماهون الى موضوع الخلافة، كأنه موضوع رئيسي لا يستغنى عنه، فقال بخشونة ظاهرة «إن الخلافة اصبحت شيئا منتهيا» وطالب الحسين بضرورة اعتبار مسألة الحدود مسألة جوهرية، كما اوضح بصورة لا تقبل الشك ان المفاوضات مع مكماهون تتوقف على امر واحد لا ثاني له، وهو هل يقبل بالحدود المقترحة ام يرفضها. كما ابان في خطابه عن اعتقاده بان مبعث مراوغة بريطانيا في انشاء دولة عربية مستقلة، هو حرصها على عدم ازعاج فرنسا بسبب ادعاءاتها واطماعها في بلاد الشام، وفي هذه المرة، كان لا مفر امام مكماهون من الاجابة على رسالة الحسين بنعم او لا، وفي هذه الفترة تلقى مكماهون ومستشاره بعض المعلومات التي زادت معرفتهم بالمسائل العربية، وأدت الى تعديل موقفهم من مقترحات الحسين.

اجاب مكماهون على رسالة الحسين هذه بكتاب مؤرخ في ١٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ الموافق ٢٤ تشرين اول ١٩١٥، ويعتبر هذا الكتاب أهم وثيقة دولية في حركة العرب القومية^(٣)، لان هذا الكتاب يحتوي التعهدات التي دخل العرب على اساسها الحرب الى جانب بريطانيا وحلفائها، ومن ناحية اخرى استند اليها العرب حتى يومنا هذا، في مهاجمة بريطانيا واتهامها

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٢ ص ٢٥٣

(٢) عيسى السفري - فلسطين بين الانتداب والصهيونية ص ١٠٢

(٣) د . عمر عبد العزيز تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٥٦٣

بنكت عهودها ووعودها التي قطعتها على نفسها. وفي بداية الكتاب يقول مكماهون (الرسالة الرابعة):

«اسفني انكم فهمتم من كتابي السابق اني اواجه مسألة الحدود بالتواني والتردد، فما كان الأمر كذلك، ولكنه لاح لي ان الوقت لم يكن قد حان للبحث فيها بحثًا يوفق الى اقصى حد من الفائدة، بيد اني ادركت من كتابكم الاخير، انكم ترون في هذه المسألة اهمية حيوية لا تحتمل التأجيل، ولذلك بادرت فأبلغت حكومة بريطانيا العظمى ما جاء في كتابكم، وانه ليسرني ان ابلغ اليكم عنها البيان التالي واني لو اثق من انكم تتلقونه بالرضى^(١).

١ - ان اقصية مرسين والاسكندرونة واقساما من سوريا، واقعة الى الغرب من اقصية دمشق وحمص وحماة و حلب لا يصح القول انها عربية بحتة، وينبغي اخراجها عن الحدود التي تشاؤونها.

٢ - وبهذه التعديلات وبدون اجحاف بمعاهدة معينة معقودة بيننا وبين بعض الامراء العرب نقبل بهذه الحدود.

٣ - بخصوص تلك الاقسام من البلاد الواقعة ضمن هذه الحدود، اعني الاقسام التي لبريطانيا العظمى فيها حرية التصرف من دون اجحاف بمصالح حليفتها فرنسا، فانني مفوض باسم حكومة بريطانيا العظمى، ان ادخل معكم في الميثاق التالي واجيب على كتابكم بما يلي:

(١) عيسى السفري ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤.

الميثاق البريطاني - العربي

١ - ان بريطانيا العظمى مع رعاية التعديلات المتقدم بيانها، مستعدة ان تعترف باستقلال العرب وان تؤيد ذلك الاستقلال في البلاد الواقعة ضمن الحدود التي اقترحها شريف مكة.

٢ - تضمن بريطانيا العظمى سلامة الاماكن المقدسة تجاه اي اعتداء اجنبي.

٣ - عندما تسمح الحال تسدي بريطانيا العظمى الى العرب مشورتها، وتساعدهم على اقامة ما يتبين انه هو الانسب شكلا من اشكال الحكم في هذه البلاد المختلفة.

٤ - ومن الجهة الاخرى فهو معلوم ان العرب قد قرروا ان يقتصروا في امر المشورة على بريطانيا العظمى دون غيرها، ومن قد يحتاج اليهم من مستشارين وموظفين في تأليف شكل صحيح من اشكال الادارة يكونون بريطانيين.

٥ - بخصوص ولايتي بغداد والبصرة: يعترف العرب ان ما لبريطانيا العظمى فيهما من مركز ومصالح يستدعي تدابير مخصوصة من الاشراف الاداري توصلنا لتأمين هذه الديار من الاعتداء الاجنبي، ورعاية لحسن حال السكان المحليين، وصيانة لمصالحنا الاقتصادية المتبادلة.

يتضح من رد مكماهون ان المنطقة المستثناء من حدود الدولة العربية المستقلة المقترحة (والتي تضمنها بروتوكول دمشق وخطاب الحسين المؤرخ في ١٥ تموز سنة ١٩١٥) هي المنطقة التي نتالف منها حاليا الجمهورية اللبنانية الواقعة غربي دمشق وحمص، كما ان الاستثناء يشمل جزءا من سوريا، وهو الجزء الواقع غربي حمص وحماة وحلب، وذلك بالاضافة الى منطقتي الاسكندرونة وميرين في الطرف الشمالي الغربي لسوريا، ومما ينبغي الاشارة اليه ان هذا الاستثناء الذي نص عليه مكماهون، لم يكن قطعاً يشمل فلسطين التي كانت تعرف باسم متصرفية القدس الشريف، وكانت تضم اربعة اقصية هي يافا وغزة وبئر السبع والخليل، وعلى ذلك فان الاستثناء الوارد في كتاب مكماهون كان لصالح فرنسا.

وجد الحسين ان ما جاء في رسالة مكماهون السابقة، يعتبر اساسا صالحا للمفاوضات، من اجل التقريب بين وجهتي النظر العربية والبريطانية، والوصول الى اتفاق نهائي يمهد لاعلان الثورة، وفي ٢٧ ذي الحجة ١٣٢٣ هـ الموافق ٥ تشرين الثاني ١٩١٥م رد الحسين الرسالة الخامسة:

«حبا في تسهيل الاتفاق، وفي تأدية خدمة للأسلام، نرجع عن اصرارنا على ادخال ولاية مرسين وارضنه في المملكة العربية، واما ولايتا حلب وبيروت وسواحلها البحرية، فانهما ولايتان

عربيتان صرفا، ولا فرق هنالك بين مسلم ومسيحي عربي، فكلاهما من الجذ الاعلى الواحد، اننا نعلم ان حظنا من هذه الحرب قد يكون نجاحا يضمن للعرب حياة تليق بماضيهم، او هلاكاً في سبيل ادراك هذه الغاية، ولولا ما اعده من توطد عزائم العرب على ادراك هذه الغاية، لاثرت العزلة على رأس جبل، ولكن العرب هم الذين الحوا ان اتولى توجيه النهضة الى هذه الغاية، والله المسؤول ان يطيل بقاءكم ويتولى نصركم وهو مأمولنا ورجاؤنا^(١)».

وفي ٨ صفر ١٢٣٤هـ الموافق ١٣ كانون اول ١٩١٥م كتب مكماهون ردا على رسالة الحسين السابقة (الرسالة السادسة):

(ييهجني انكم توافقون على اخراج ولاية مرسين واضنة، من حدود الاقطار العربية، وبخصوص ولايتي حلب وبيروت، فقد اخذت بريطانيا العظمى علما بملاحظاتكم، انما لما في الامر من مصالح لحليفنا فرنسا، فالمسألة تستدعي تبصرا دقيقا، وستوجه اليكم في حينه مذكرة اخرى في هذا الصدد^(٢)).

ولم ير الحسين في رده في الرسالة السابعة بتاريخ اول كانون الثاني ١٩١٦م، مفرا من التساهل بانشاء المنطقة الواقعة غرب خط دمشق - حمص - حماة - حلب، وكان تساهلا لا يتعدى مجرد تأجيل المطالبة بهذه المنطقة (لبنان)، الى ما بعد الحرب وذلك لتجنب ما يكدر صفو التحالف بين فرنسا وبريطانيا، ويعتبر هذا الخطاب خطوة فاصلة في اتمام الصفقة مع بريطانيا، على اساس التسليم بكل النقاط التي أثارها مكماهون في مراسلاته السابقة، واحتفاظ العرب بحقوقهم فيما يتعلق بالبصرة وبغداد ولبنان، حتى انتهاء الحرب وكان نص الرسالة كما يلي:

«واما الاقسام الشمالية وسواحلها، فقد ذكرنا في كتابنا السابق اقصى ما امكن من التعديلات، وذلك كله انما كان من اجل انجاز تلك الاماني التي يشوقنا نيلها باذن الله سبحانه وتعالى، وهو هودنك الشعور نفسه ما حدا بنا الى تجنب ما يخشى ان يضر بالتحالف بين بريطانيا العظمى وفرنسا، وبالاتفاق المبرم بينهما في هذه الحرب وولاياتها، ولكننا نرى من الواجب علينا ان نؤكد للوزير الخبير، اننا في اول فرصة تسنح بعد نهاية هذه الحرب، سنطلب منكم ما نصرف عنه الان عيوننا، اعتبارا من اليوم ونتركه الان لفرنسا في بيروت وسواحلها^(٣)».

وقد رد السير هنري مكماهون في الرسالة الثامنة في ٣٠ كانون ثان ١٩١٦ بما يلي:

(تلقيت امرا من حكومتى لاعلمكم ان جميع مطالبكم مقبولة، وان كل ما تطلبونه سيرسل اليكم (المقصود مال وعتاد)^(٤)).

(١) عيسى السفري / مرجع سابق ص ١٠٤

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٥

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٥ - ١٠٦

(٤) عيسى السفري - مرجع سابق ص ١٠٦

وهكذا انتهت المفاوضات بين الطرفين بعد اتمام الصفقة، وكانت الرسالتان التاسعة والعاشر، تتعلقان بالاستعداد لاعلان الثورة على الدولة العثمانية.

لقد تعرضت مراسلات الحسين - مكماهون للكثير من النقد والنقاش لان الاتفاق لم يكن واضح المعالم، او مبهما بالنسبة للمسألة الجوهرية، التي يهتم بها العرب وهي تحديد المنطقة التي تضمها اليها البلاد العربية المستقلة في الاقاليم المتحررة من السيطرة العثمانية، ومما اثار حدة النقاش موضوع فلسطين، فقال العرب إن فلسطين كانت جزءا لا يتجزأ من المناطق التي تتكون منها المنطقة العربية المستقلة حسب اتفاق الحسين مكماهون بينما ادعت الحكومة البريطانية عكس ذلك، على ان مكماهون لم يحدد قط الدولة العربية المستقلة، بل انه قبل مجموع الحدود التي اقترحها الشريف حسين مع مراعاة بعض التحفظات.

ويقول جورج انطونيوس (بان ذلك حتما، ان الاجزاء الواقعة ضمن المنطقة التي حددها الشريف حسين، والتي لم يرد عليها اي تحفظ كفلسطين او غيرها تشكل جزءا من المنطقة العربية التي وافقت بريطانيا العظمى عليها، ولكنها استثنت فلسطين بحدودها الحاضرة من المنطقة التي تعهدت باقامة حكومة عربية مستقلة فيها، تعترف بها وتؤيدها).

والواقع ان تحفظات مكماهون لم تشمل فلسطين، وانما اقتصرت على مرسين واطنة والاسكندرونة واجزاء من بلاد الشام الواقعة الى الغرب من دمشق وحمص وحماة وحلب.

ولو كانت فلسطين تدخل ضمن هذه الاجزاء المستثناة من منطقة الاستقلال العربي، لورد ذكرها صراحة في خطاب مكماهون، وان النص في هذا الخطاب على ذكر المدن الاربع دون تمييز بينها، رغم اختلاف وضعها الاداري، ليدل على ان المراد بالاستثناء هو المنطقة الواقعة الى الغرب من هذه المدن فحسب والتي عرفت بعد ذلك بالاراضي اللبنانية، مع جزء من ساحل سوريا الشمالي ولا صلة بجنوب الشام (اي فلسطين) على الاطلاق اذ لو كان المراد من كلمة دمشق ولاية سوريا كما ادعى تشرشل^(١) فيما بعد، لما كان مكماهون بحاجة الى ذكر حمص وحماة، لأنهما تدخلان ضمن ولاية سوريا، وكان يكفي ان يقتصر تحفظ مكماهون على الجهات الواقعة غربي دمشق وحلب. ولو كان المراد من لفظه دمشق (صنجد دمشق) لما كانت هناك ضرورة لذكر حمص لوقوعها في صنجد حماة، كما ان ذكر صنجد الكرك وعجلون وعمان، مثلما كانت حمص وحماة، يدل على ان القسم الواقع غربي الاردن لم يكن مقصودا بالاستثناء، والى جانب ذلك نصت رسالة مكماهون المذكورة على استثناء المناطق الواقعة غربي الاقضية الاربعة في الشمال وفلسطين تقع في الجنوب ولو اراد الانجليز استثناءها لنصوا على ذلك، ولهذا فمن المؤكد ان بريطانيا في مراسلات الحسين - مكماهون قد تعهدت باستقلال عرب فلسطين.

(١) محمد مهدي - محاضرات مرجع سابق ص ٤٦

اتفاقية سايكس - بيكو^(١)

كانت الحكومة الفرنسية قد احيطت علما، بطبيعة المفاوضات التي جرت مع الشريف حسين، ولكن الفرنسيين كانت تداخلهم رغبة في ان تلك المحادثات التي اجرتها بريطانيا مع العرب، كانت تخفى وراءها مطامع خفية، وايا كان الامر فقد آن للحلفاء ان يحلوا المسألة الشرقية حلا نهائيا، وذلك بالاتفاق على تجزئة الامبراطورية العثمانية، والواقع ان فكرة التقسيم قد اختمرت عندما توصلت بريطانيا وفرنسا الى عقد اتفاقية سرية مع روسيا في آذار (مارس) ١٩١٥م، تدعن بموجبها هاتان الدولتان الى مطالب روسيا، وهي انه في حالة انتصار الحلفاء فان استنبول والمضائق تضم الى ممتلكات القيصر، ومن ناحية اخرى اعترفت روسيا بحقوق بريطانيا العظمى وفرنسا، في الممتلكات العثمانية الاسيوية، ووافقت كذلك على ان تكون الاماكن الاسلامية المقدسة والجزيرة العربية، ضمن حكومة اسلامية مستقلة، كان ذلك بينما المراسلات دائمة بين بريطانيا والشريف حسين، لان بريطانيا كانت تضم عدم الوفاء للعرب. اذ كانت تفاوض غيرها من الحلفاء على تقسيم اراضي العرب بعد الحرب وذلك في معاهدة سايكس - بيكو^(٢).

في الوقت الذي لم تحدد فيه بريطانيا نهائيا ما كانت ترغب في الحصول عليه من ممتلكات الامبراطورية العثمانية وطالبت فرنسا بضم سوريا وخليج الاسكندرونة وقليقيا، فوافق القيصر الروسي على ذلك، وعلى الرغم مما بدا من ان الروس وافقوا على مطالب فرنسا فان الوثائق السرية الروسية، تشير الى ان قبول وجهة نظر الفرنسيين بخصوص فلسطين، لم يكن دون تحفظات من جانب روسيا التي اعلن وزير خارجيتها (سازانوف) في ١٨ آذار سنة ١٩١٥م ان روسيا لن تترك مناطق القدس والجليل والاردن وطبريا تحت حماية غير ارثوذكسية، كما تتضح اثناء هذه المباحثات حقيقة محاولة بريطانيا ابعاد الفرنسيين عن الشام فانه بعد تسليم بريطانيا بمطالب الروس في استنبول والمضائق، كتب سفير بريطانيا في (بتروجراد) الى سازانوف في ١٠ آذار ١٩١٥، يخبره بانه من السابق لأوانه بحث مسألة اقتسام العراق وسوريا وفلسطين بين بريطانيا وفرنسا، ولم تكن بريطانيا تخسر شيئا من جراء ذلك لان تأجيل مصير الشام يجعل آمال فرنسا في كفة القدر، ورهنا بمشيئة حليفها بريطانيا التي كانت عن طريق حملتها على العراق تحقق اطماعها في هذه المنطقة من الشرق العربي.

وازاء الحاح فرنسا، كان على بريطانيا ان تحدد اهدافها اولا قبل الدخول في محادثات مع فرنسا،، وكخطوات اولى لتحديد مطالب بريطانيا في الشرق، قرر (اسكوبت) رئيس وزراء بريطانيا في اوائل نيسان ١٩١٥م، تكوين لجنة وزارية لبحث طبيعة مطالب بريطانيا من املاك تركيا الاسيوية، ورسم سياسة بريطانيا المستقبلية في هذه المنطقة، اذا ما انتهت الحرب

(١) سميت باسم المفاوضات الانجليزي مارك سايكس والمفاوض الفرنسي جورج بيكو

(٢) زاهية قدورة - تاريخ العرب الحديث ص ١٩٢

بالنجاح، وأوصى اللجنة بمعارضة طلب فرنسا باذخال فلسطين ضمن منطقة نفوذها في الشام
وإذا ذهبت اللجنة الى فلسطين، فيجب ان يتقرر مصيرها بعد مفاوضات خاصة، يشترك فيها
المحاربون والمحايدون على السواء، وان كان التقرير لا يحبذ وضع فلسطين تحت سيطرة
بريطانيا المباشرة وغير المباشرة، كما كانت تطالب وزارة الحربية البريطانية آنذاك، وانما طالب
التقرير بان تقنع بريطانيا باسقاط ادعاء فرنسا في فلسطين، واصبح لا مفر امام بريطانيا من
تحديد مطالبها، فحصرتها وقتذاك في العراق الادنى والاوسط وميناء حيفا، وكانت هذه هي
المطالب التي واجهها (جورج بيكو) المفاوض الفرنسي، عندما ذهب الى لندن في تشرين الثاني
١٩١٥م للتفاوض بالتفصيل بشأن اقتسام املاك الدولة العثمانية في آسيا.

لم يقبل (مارك سايكس) المفاوض البريطاني، التسليم بمطالب فرنسا وفيها فلسطين،
ويتضح من اوراقه الخاصة انه آمن باهمية فلسطين الاستراتيجية واعتقد بإمكان خلق جيب في
القدس وتدويله وانه باستثناء هذا الجيب، فانه يجب على بريطانيا ان تضم لمنطقة نفوذها ذلك
الجزء الذي يقع جنوب خط يمتد بين البحر المتوسط عند عكا وبين الحدود المصرية، وكان هدف
سايكس توفير حاجز صحراوي لحماية مصر، وعلى كل حال فانه مما تجدر ملاحظته، ان تفكير
سايكس في مستقبل فلسطين لم يكن في ذلك الوقت مرتبطا بالصهيونية، التي لم يكن قد ابدى بها
اهتماما بعد، وقد استغرقت المفاوضات بين فرنسا وبريطانيا وروسيا اكثر من عام، وتبادلت
الحكومات الثلاث احدى عشرة مذكرة، تضمنت القواعد التي تم الاتفاق عليها، وتضمنت
معاهدة (سان بطرسبرغ) ٤ آذار ١٩١٦م^(١) تصفية الامبراطورية العثمانية، واقتسام املاكها
بين الحلفاء الثلاثة، وتأسيس مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية الى البلاد العربية الاسيوية على
النحو التالي:

- ١ - تتعهد فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا فيما بينهم، ان تعمل يدا واحدة في سبيل انقاذ
البلاد العربية وحمايتها، وتألّف حكومة اسلامية مستقلة تتولى بريطانيا مراقبتها
وادارتها.
- ٢ - تتعهد الدول المتعاقدة بحماية الحج وتسهيل سائر السبل المؤدية الى مرور الحجاج
وحمايتهم.
- ٣ - تقسيم البلاد العثمانية الى مناطق نفوذ بين الدول المتعاقدة على الوجه التالي:

اولا: بريطانيا:

١ - العراق.

(١) عرفت هذه المعاهدة كذلك باسم اتفاق سازونوف - بالبولوج . سازونوف وزير خارجية روسيا وبالبولوج سفير
فرنسا في بطرسبرغ . وقد نص الاتفاق على ان تمتلك روسيا ولايات ارضو وطربزون ودان وبلتيس (ارمينيا
التركية) ومقاطعة كردستان الجنوبية على طول خط موش - سر - جزيرة ابن عمر - عمارية (حدود ايران)

٢ - المناطق العربية التي تشغل الساحل الشرقي للبحر المتوسط، من حدود مصر على هذا الساحل جنوبا الى حيفا وعكا، وحتى الناقورة شمالا (اي فلسطين بحدودها الطبيعية وشرق الاردن والقسم الداخلي لفلسطين).

٣ - المناطق العربية التي تشغل الساحل الغربي للخليج العربي من البصرة شمالا الى الكويت والبحرين وقطر ومسقط وعمان وحضرموت والمحميات حتى حدود عدن، ونهاية البحر الاحمر من الجنوب (اي جميع سواحل الجزيرة العربية الشرقية والجنوبية، هذا بالاضافة الى مصر التي احتلتها بريطانيا عام ١٨٨٢م.

ثانيا: فرنسا:

اقتصت فرنسا بالمناطق التالية من الشرق العربي، وهي ايضا من المناطق التي اتفق على تحريرها ووحدتها، وهي بقية الساحل السوري على البحر المتوسط من الناقورة جنوبا الى صيدا فطرابلس فبيروت فاللاذقية فالاسكندرونة حتى الحدود التركية شمالا، وحتى الحدود العراقية شرقا.

وهكذا خرجت فرنسا باسلا ب كبرى شملت لبنان والقسم الاكبر من سوريا وكانت منطقة الموصل تعد جزءا من سوريا ولذلك كانت في هذه الاتفاقية من نصيب فرنسا.

ثالثا: تؤول من منطقة نفوذ بريطانيا وفرنسا دولة عربية مستقلة او اتحاد من دول عربية مستقلة وفقا لاتفاق خاص بين بريطانيا وفرنسا.

ولكن معاهدة سان بطرسبرغ اخرجت فلسطين من المنطقة المخصصة لتأسيس الدولة او مجموعة الدول العربية المستقلة، ونصت على اعتبار فلسطين والاماكن المقدسة خارجة عن الاراضي التركية، وطلبت وضع هذه المنطقة تحت ادارة خاصة، وفقا لاتفاقية تعقد بين روسيا وفرنسا وبريطانيا، ولكن اهم ما يخرج به الدارس لنصوص هذه المعاهدة انها لم تنكر عروبة فلسطين. حيث ان هذه المعاهدة قد نصت على ضرورة عقد اتفاق خاص بين بريطانيا وفرنسا بخصوص رسم حدود الدولة العربية المقترحة تأسيسها في المنطقة الواقعة بين الاقاليم التي اعطيت الى كل منهما، فقد تم تبادل المذكرات في ايار ١٩١٦م بين السير (ادوارد جراي) وزير خارجية بريطانيا، والمسيو (بول كامبون) سفير فرنسا في لندن، وهي المذكرات التي تكونت منها اتفاقية سايكس - بيكو واسفرت هذه المباحثات عن وضع خريطة لتعيين مناطق النفوذ الخاصة لكل من فرنسا وبريطانيا، وكانت هذه المذكرات المشتملة على مواد الاتفاق اثنتين: احدهما من كامبون الى جراي بتاريخ ٩ ايار ١٩١٦ والثانية من جراي الى كامبون بتاريخ ١٦ ايار ١٩١٦، وفي ٢٣ ايار ١٩١٦، اخطر جراي السفير الروسي (الكونت بنكدونوف) في لندن بتسلمه صور المذكرات المتبادلة بين فرنسا وروسيا في ٢٦ نيسان ١٩١٦، الخاصة بمعاهدة سان بطرسبرغ من بولي كامبون، ولقد اقر ادوارد جراي نصيب روسيا من املاك الدولة العثمانية كما جاء في

هذه المعاهدة، وهذه المعاهدة تقطع اوصال البلاد العربية وتحول دون قيام دولة واحدة في البلاد التي تحررت من الحكم العثماني^(١).

وقد نصت اتفاقية سايكس - بيكو اولا: على المناطق المخصصة لروسيا والتي ستنازلها بالاضافة الى الحدود التي سبق الاتفاق عليها بين سazanوف وباليلوج، ثم تناولت بعد ذلك نصيب كل من فرنسا وبريطانيا من املاك الامبراطورية العثمانية كما يلي:

١ - تخصص لفرنسا منطقة لونت باللون الازرق تشمل الشريط الساحلي لسوريا ، بما في ذلك لبنان ثم جنوب الاناضول بما في ذلك ولاية ارضة ومرسين والاسكندرونة وخول الاتفاق لفرنسا حق انشاء ادارة او مراقبة سواء بطريق مباشر او غير مباشر، وذلك حسبما يترأى لفرنسا، واذا كان الاتفاق لا ينص على ضم هذه المنطقة لفرنسا اذا ارادت، فانه لم يمنعها من ذلك، كما اعطيت لفرنسا منطقة اخرى بجانب المنطقة الزرقاء اشير اليها على الخريطة بحرف (أ) وتشمل شمالي العراق بما في ذلك الموصل ثم مدن دمشق وحمص وحماة وحلب وفرنسا في هذه المنطقة (أ) حق الاولوية في المشروعات والقروض المحلية، وتقديم المستشارين والموظفين الاجانب عند طلب الحكومة العربية او اتحاد الدول العربية المستقلة.

٢ - اما بالنسبة لنصيب انكلترا فاعطيت منطقة لونت باللون الاحمر واشتملت على اراضي ما بين النهرين، بما في ذلك البصرة على الخليج العربي ثم بغداد (العراق الجنوبي)، كما حصلت على ميناءي حيفا وعكا في فلسطين، وصار لها الحق في ان تنشئ ادارة او مراقبة بطريق مباشر او غيرمباشر بنفس الوسيلة التي كانت لفرنسا في المنطقة الزرقاء، والى جانب المنطقة الحمراء منحت انكلترا منطقة اخرى اشير اليها بحرف (ب) محصورة بين خط طبريا - ابو كمال - كركوك في الشمال، وبين حدود المنطقة الحمراء في الشرق والجنوب الشرقي والجزيرة العربية في الجنوب، وكان لانكلترا في المنطقة (ب) نفس الحقوق التي اعطيت لفرنسا في المنطقة (أ).

٣ - كما نص الاتفاق على ان تكون المنطقتان (أ) و (ب) الواقعتان بين المناطق الفرنسية والانكليزية، اتحادا من الدول العربية او الدولة العربية المستقلة، تحت رئاسة رئيس عربي، على ان تقسم هذه المنطقة بعد ذلك الى منطقتي نفوذ انكليزية وفرنسية وتشتمل منطقة النفوذ الفرنسي على الجزء الداخلي من سوريا، وولاية الموصل، اما منطقة الموصل فتشتمل على المنطقة الممتدة من فلسطين الى الحدود الايرانية واشترطت المعاهدة - كما اوضحت - على ان تكون للدولة صاحبة النفوذ - بريطانيا او فرنسا - الافضلية في

(١) اكرم زعيتر : القضية الفلسطينية دار المعارف مصر ص ٤٠

المسائل الاقتصادية وتقديم الموظفين والمستشارين الاجانب.

٤ - ونص الاتفاق ايضا على انشاء ادارة دولية في فلسطين لا يتقرر شكلها النهائي الا بعد استشارة روسيا وشريف مكة.

٥ - وتضمنت الاتفاقية الاشارة الى جعل ميناء الاسكندرونة حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية.

ويتضح من هذه المعاهدة، انها تهدف في الدرجة الاولى الى تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية في آسيا وبلاد العرب، والتي لم تكن من نصيب روسيا، ومن غريب ما نصت على كل من بريطانيا وفرنسا، قد رؤى ان تؤلف كل منهما حكومة عربية اتحادية تعترف باستقلالها كل من الدولتين، بشرط ان تتمتع كل منها بمميزات اقتصادية وسياسية، وعملت بريطانيا على ان يكون لها على ساحل المتوسط ميناء حيفا وعكا المتجاوران، لايصال البترول من العراق الى البحر المتوسط، وليكونا لها بمثابة قاعدتين تشرف منهما على شرقي البحر، اذا ما استقر الرأي على جعل فلسطين حكومة دولية.

اما وضع فلسطين تحت ادارة دولية، فقد كان بسبب اختلاف اهداف الدول الثلاث فقد اظهرت فرنسا رغبتها في ان تكون سوريا مشتملة على فلسطين في منطقة نفوذها، ولكن بريطانيا عارضتها لرغبتها اولا في ان تكون عكا منفذا للعراق على المتوسط وثانيا لعدم ارتياحها لاستقرار فرنسا او غيرها من الدول الاخرى بالقرب من مصر وقناة السويس، واما روسيا فقد كان لها في فلسطين معاهدة واديرة ونفوذ ارثوذكسي، تعمل على صيانتها، وتأبى ان تنفرد فرنسا او بريطانيا بالمنطقة، ولكل هذه الاعتبارات رئي حلا للاشكال ان تترك فلسطين مؤقتا على ان يكون نظام حكمها دوليا بعد الحرب.

لقد اسفرت مراسلات الحسين - مكماهون عما اصبح يعرف بالثورة العربية، ولكن اتفاقية سايكس - بيكو وثيقة مروعة، فليست هي فحسب وليدة الجشع في أسوأ صورته، حين يكون الجشع مقترنا بالريب فيؤدي الى الحماقه بل هي ايضا صورة مرعبة للمخادعة والمكر^(١).

ما الذي فعلته اتفاقية سايكس - بيكو؟ اولا: قطعت ذلك المستطيل بحيث تضع عراقيل مصطنعة في طريق الوحدة، وربما كانت هذه هي الغاية المتعمدة التي ارادها واضعو تلك الاتفاقية، اي كان عملهم هذا صدى لاشعوريا لمعاداة بالمرستون فكرة قيام دولة عربية مستقرة على الطريق البري الذاهب الى الهند، ولكن هذه النظرة مع ذلك، رجعية تتعارض والقوى الطبيعية المتفاعلة في بلاد العرب حينئذ، ذلك ان يقظة قد حلت منذ عهد بالمرستون واصبحت الحركة القومية قوة نامية وفي رأس اهدافها الوحدة العربية والاستقلال^(٢).

(١) جورج انطونيوس : يقظة العرب ص ٢٥٢

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٤

ان اتفاقية سايكس - بيكو تمثل نقضا للعهد، فقد جرت المفاوضات ثم عقدت الاتفاقية دون ان يدري بها الشريف حسين وهي تحوى نصوصا تناقض مناقضة صريحة الشروط التي ابرمها مكماهون معه.

ثار العرب بعد ان عرفوا تلك الاتفاقية، بعد ان اذاعها الروس البلاشفة عند قيامهم بالثورة الاشتراكية الكبرى في تشرين اول (اكتوبر) ١٩١٧، وذلك بعد ثمانية عشر شهرا من عقدها ليستنفروا الشعب العربي الى مكافحة الامبريالية البريطانية والفرنسية، دفاعا عن مصالحه وعلن الشريف حسين استنكاره لهذا الاتفاق، الذي عقد من وراء ظهور العرب، ولكن الحكومة البريطانية ارسلت للحسين تقول: (ان حكومة جلالته وحلفاءها تقف بثبات الى جانب كل حركة تهدف الى تحرير الشعوب المظلومة وهي مصممة كذلك على مساعدة الشعوب العربية في كفاحها، لانشاء عالم عربي جديد، تحل فيه الوحدة محل المنافسات والحزازات المصطنعة، التي كانت تثيرها سياسة الموظفين الاتراك، ان حكومة جلالته تؤكد مرة اخرى تمسكها بتعهداتها المتعلقة بتحرير الشعوب العربية^(١)).

وازاء التأكيدات البريطانية بالوقوف الى جانب العرب في كفاحهم، هدأت ثورة الحسين لانه كان لا يزال شديد الايمان بعهود الانجليز وحسن نواياهم نحو العرب، والواقع ان وعود وتصريحات الحلفاء لم تكن الا ستارا تخفي وراءه فرنسا وبريطانيا اطماعهما، التي ظهرت بشكل واضح في اتفاقية سايكس بيكو، وفي مؤتمر الصلح في ٢ تشرين ثان ١٩١٧ اصدرت بريطانيا وعد بلفور وذلك قبل دخول الجنرال اللنبي فلسطين باسابيع قليلة، ومع ان فلسطين كانت من نصيب القوات البريطانية الزاحفة من مصر بقيادة اللنبي، لم يسمح للقوات بالمشاركة في دخول القدس في ٩ كانون اول ١٩١٧م، فان مساهمة الشباب العربي في فلسطين لم تكن اقل نصيبا من اخوانهم في احداث الثورة العربية الكبرى^(٢)، وظن ابناء فلسطين بعد ان تحررت اجزاء كثيرة منها من الحكم العثماني قبل انتهاء الحرب، ان عهدا جديدا قد بدأ لممارسة حقهم في الاستقلال.

هكذا ظل اتفاق سايكس - بيكو سرىا عدة اشهر، الى ان كانت الثورة الروسية واستولى الحزب البلشفي على الحكم، فاذاق الوثائق السرية المحفوظة في وزارة الخارجية القيصرية، ومنها اتفاق سايكس - بيكو فضحا لتلك المؤامرة الاستعمارية، وقد بادر الترك الى ارسال الاتفاق الى الحسين ليروه خديعة حلفائه وليغروه بالصلح معهم^(٣). وصدر هذا العرض عن جمال باشا في الاسابيع الاخيرة من مقاومة في سوريا وقال: «انه يقدم نيابة عن الحكومة العثمانية ويؤيدها في ذلك حلفاؤها الالمان» وارسل جمال باشا في الاسبوع الاخير من تشرين ثان ١٩١٧ رسولا سرىا الى العقبة، ومعه رسالة منه الى الامير فيصل، تتضمن مغزى اتفاقية

(١) د . عمر عبد العزيز تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٥٧٨

(٢) اعلنت الثورة في مكة المكرمة في ١٠ حزيران ١٩١٦ الموافق ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ

(٣) اكرم زعيتر: القضية الفلسطينية ص ٤١

سايكس - بيكو، وانها برهان على ان العرب قد انخدعوا بالحلفاء، وان الحلفاء يضمرون اغراضا سرية تتناقض واستقلال العرب فمن اللائق بزعماء العرب ان لا يخدعوا انفسهم بعد، وان يدركوا ان التعاون مع الحلفاء، سيجر البلاد العربية - في الواقع - الى الاستعباد على يد فرنسا وبريطانيا العظمى وروسيا، وهم يتوهمون انه سيحرز لهم الاستقلال^(١).

لذلك اسرع الحسين الى مطالبة فرنسا بتفسير حكاية اتفاق سايكس - بيكو فاجيب رسميا:

(انها لا تمثل اتفاقا تم عقده) وابرق اليه وزير خارجية بريطانيا (بلفور) في ٨ تشرين الثاني ١٩١٨م ببرقية جدد فيها تعهد بريطانيا السابق للعرب، بالحصول على استقلالهم، ومما جاء فيها: (ان السبب الذي من اجله حاربت فرنسا وانجلترا في الشرق، هو رغبتهما في تحرير شعوبه من ظلم الترك واستعبادهم وخالصهم من عسف الالمان ومطامعهم، وميلهما الى تأليف حكومات وادارات وطنية حرة تنتخب حسب رغائب الامة وتستمد سلطتها منها، ولتأييد هذه المقاصد وابرازها على ان تساعدوا الاهلين في تأليف هذه الحكومات في سوريا والعراق وفي جميع البلاد التي حررها الحلفاء^(٢)).

وبعد ذلك تبلورت سياسة بريطانيا الاستعمارية ابتداء من وعد بلفور ثم الانتداب الى انسحابها في ١٥ ايار ١٩٤٨ بعد ان خلفت جريثومة ما زالت تتخربل تنهش جسم الامة العربية.

(١) جورج انطونيوس - يقظة العرب ص ٣٥٩ - ٣٦٠

(٢) اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ص ٩٤

الاتفاقية الانجليزية - الفرنسية - الروسية^١

لقد تم عقد اتفاقية سايكس - بيكو، على شكل مذكرات دبلوماسية تبادلتها حكومات الدول الثلاث، واعترفت فيها كل من الدولتين بحق الدولة الثالثة في اجزاء من الامبراطورية العثمانية بعد تجزئتها.

وقد جرى تبادل المذكرات التي تحدد الحصص الروسية في بيتروجراد في السادس والعشرين من نيسان ١٩١٦ بين وزير الخارجية (م. سazonوف والسفير الفرنسي م. باليولوج) وبعد اسابيع قليلة في لندن بين وزير الخارجية السير (ادوارد جراي) والسفير الروسي (الكونت بينكيندورف).

أمّا المذكرات التي تحدد الحصص البريطانية والفرنسية، فقد تبودلت في لندن في التاسع والسادس عشر من أيار بين السير ادوارد جراي والسفير الفرنسي م. كاميون. ان النص المدرج ادناه يقتصر على القسم الانجليزي الفرنسي من الاتفاقية الا ان هذا القسم وحده يعالج في مضمونه مستقبل الاقطار العربية.

نص الاتفاقية المعقودة في لندن

المادة الاولى: ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة، او حلف دول عربية تحت رئاسة عربي في المنطقتين:

(أ) داخل سوريا و (ب) داخل العراق، المبيتين على الخريطة الملحقة بهذا ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانجلترا في منطقة (ب) حق الاولوية في المشروعات والقروض المحلية، وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانجلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الاجانب، بناء على طلب الحكومة العربية او حلف الحكومات العربية.

المادة الثانية: يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سوريا الساحلية) ولانجلترا (شقة العراق الساحلية) من بغداد حتى خليج فارس (الخليج العربي)، انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة او بالواسطة او من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة او حلف الحكومات العربية.

المادة الثالثة: تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

(١) أخذ نص هذه الاتفاقية عن كتاب الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين (المجموعة الأولى ١٩١٥ - ١٩٤٦)

المادة الرابعة: تنال انجلترا ما يلي:

- ١ - ميناء حيفا وعكا
- ٢ - يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بان لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة اخرى للتنازل عن قبرص الا بعد موافقة الحكومة الفرنسية مقدما.

المادة الخامسة:

تكون اسكندرونة ميناء حرا لتجارة الامبراطورية البريطانية ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء، ولا تفرض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية، وتباح حرية النقل للبضائع الانجليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء، سواء كانت واردا الى المنطقة الحمراء او الى المنطقتين (أ) و (ب) او صادرة منهما، ولا تنشأ مباشرة او غير مباشرة على اي سكة من سكك الحديد او في اي ميناء من موانئ المناطق المذكورة، تمس البضائع والبواخر البريطانية. وتكون حيفا ميناء حرا لتجارة فرنسا ومستعمراتها، والبلاد الواقعة تحت حمايتها، ولا يقع اختلاف في المعاملات، ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسية، ويكون نقل البضائع الفرنسية حرا بطريق حيفا، وعلى سكة الحديد الانجليزية في المنطقة الحمراء، سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء، او المنطقة (أ) او المنطقة (ب) او واردا اليها، ولا يجرى ادنى اختلاف في المعاملة في الذات او بالتبع، يمس البضائع او البواخر الفرنسية في اي سكة من سكك الحديد ولا في ميناء من الموانئ في المناطق المذكورة.

المادة السادسة:

لا تمد سكة حديد بغداد في المنطقة (أ) الى ما بعد الموصل جنوبا ولا في المنطقة (ب) الى ما بعد سامرا شمالا الى ان يتم انشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب مارا بوادي الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

المادة السابعة:

يحق لبريطانيا العظمى ان تنشئ وتدير (وتكون المالكة الوحيدة) لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب) ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في اي وقت كان، على طول هذا الخط ويجب ان يكون معلوما لدى الحكومتين، ان هذا الخط يجب ان يسهل اتصال حيفا ببغداد وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال في المنطقة الحمراء مصاعب فنية، ونفقات وافرة لادارته، تجعل انشاءه متعذرا، فالحكومة الفرنسية تكون مستعدة ان تسمح بمروره عن طريق بربورة - ام قيس - ملقى - ايدار - غسطا - مغاير، قبل ان يصل الى المنطقة (ب).

المادة الثامنة:

تبقى تعريفه الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ) و (ب) فلا تضاف أي علاوة على الرسوم، ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة اخذ العين، الا ان يكون باتفاق بين الحكومتين.

ولا تنشأ جمارك داخلية بين اية منطقة واخرى من المناطق المذكورة اعلاه، وما يفرض من رسوم الجمرک على البضائع المرسله الى الداخل يدفع في الميناء، ويعطى لادارة المنطقة المرسله اليها البضائع.

المادة التاسعة:

من المتفق عليه ان الحكومة الفرنسية لا تجرى مفاوضات في اي وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولا تعطي مالها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة اخرى، الا للدولة او حلف الدول العربية، بدون ان توافق على ذلك سلفا حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسية بمثل هذا في ما يتعلق بالمنطقة الحمراء.

المادة العاشرة:

تتفق الحكومتان الانجليزية والفرنسية بصفتها حاميتين للدولة العربية على ان لا تمتلكا ولا تسمحا لدولة ثالثة، ان تمتلك اقطارا في شبه جزيرة العرب، او تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الابيض الشرقي، على ان هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن قد يصبح ضروريا بسبب عداء الترك الاخير.

المادة الحادية عشرة:

تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها، لتعيين حدود الدولة او حلف الدول العربية.

المادة الثانية عشرة:

من المتفق عليه عدا ما ذكر ان تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح الى البلاد العربية^(١).

(١) جورج انطونيوس - يقظة العرب ص ٥٧٨ - ٥٨٢

اليهودية العالمية واهدافها

ان الحركة اليهودية ليست بالحركة الحديثة، ولكنها حركة قديمة تمتد جذورها العنصرية الى مئات السنين، وهي تعمل بالكتمان الشديد والسرية التامة، لتصل الى اهدافها باساليب خبيثة وطرق ملتوية، ولقد عثر اخيرا على نص خطبة القاها الحاخام (ليشورن) في اجتماع سري عقده اليهود على قبر قدسيهم (سيمون ابن يهوذا) في مدينة براغ سنة ١٨٦٩م، ونشرت تلك الوثيقة مجلة (THE Keyttfhe mystery chistian nationalist missouri 1938 Gantamprian) بتاريخ ١/٧/١٨٨٠م، من قبل السير (جون رد كليف) وذلك قبل مجيء تيودور هرتزل رئيس المؤتمر الصهيوني الاول وقد ورد فيها ما يلي: (١)

(لقد وكل آباؤنا للنخبة من قادة يهوذا امر الاجتماع مرة على الاقل في كل قرن حول قبر استاذنا الاعظم الرابي المقدس (سيمون ابن يهوذا) الذي تعطى تعاليمه للصفوة من كل جيل سيطرة على جميع العالم، وسلطة على نسل يهود، وها قد مضى ثمانية عشر قرنا على حرب يهوذا، لقد ديس بالاقدام واهين من قبل اعدائه، وكان على الدوام مهددا بالموت والاضطهاد والاعتصاب، وجميع انواع الشدائد، فانه لم يستسلم، واذا كنا قد انتشرنا في جميع انحاء العالم، فذلك لان العالم كله ملك لنا، ومنذ قرون عديدة حارب حكماؤنا الصليب بشجاعة وعزيمة لا تغلبان، إن شعبنا يخطو شيئا فشيئا نحو القمة، وفي كل يوم تزداد قوتنا، نحن نملك إله عبدنا، والذي يعتبر اليوم إله العالم اجمع، ومنذ اللحظة التي نصبغ فيها المالكين الوحيدين للذهب في العالم فان القوة الحقيقية تصبح ملك ايدينا، وعندئذ نحقق الوعود التي قدمت لابراهيم، الذهب اعظم قوة في العالم، انه قوة وفي نفس الوقت هبة، انه يؤمن جميع انواع السعادة، تلك التي يخشاها المرء ويشتهيها هناك يكمن السر وعمق المعرفة بالروح التي تحكم العالم هناك نملك المستقبل.

كانت القرون الثمانية عشر الماضية لاعدائنا، ولكن القرن الحالي والقرون المقبلة ستكون لنا، ويجب ان تكون لنا نحن شعب يهوذا ومن المحقق ان تكون لنا. ان عصور الاضطهاد والعدوان والازمنة السود المؤلمة التي تحملها شعب يهوذا بصبر وشجاعة، قد مرت بسلام، وشكرا لتطور المدنية بين المسيحيين وتقدمها، وهذا التقدم هو الدرع الذي نختبيء من ورائه لنعمل بثبات وبسرعة خاطفة من اجل ازالة الفجوة التي ما زالت تفصلنا عن غاياتنا النهائية.

(١) زكريا هاشم - امريكا تتخلص من اليهود دار مصر العربية ١٩٧٥ ص ٢٨ - ٣١

شعبنا طموح فخور ومحب للرفاهية والسعادة، وحيثما كان النور لا بد من وجود ظل وليس عبثا ان الهنا قد اعطى شعبه المختار قوة الافعى وحيويتها، وحيلة الثعلب ومكره، وبعد نظر الصقر، وقوة ذاكرة الكلب، والتضامن الفطري لدى كلاب البحر.

قيل بان عددا من اخواننا اليهود تنصروا فماذا يضيرنا.. ان هؤلاء اليهود الذين يعتمدون باجسادهم، ستظل ارواحهم يهودية وسوف يكونون لنا مشعلا نستنير به في اكتشاف خبايا النصرانية، ومساعدين لنا على رسم الخطط التي تدمر المسيحية، وان الكنيسة عدونا الخطير ولنستمد من اخواننا الذين تنصروا في الظاهر لبث الفساد في الكنيسة واشاعة اسباب الخلاف والفرقة، والصراع بين المسيحيين ونشر الانباء المشوهة التي تسيء الى رجال الدين فيقل احترامهم ويزدريهم الشعب في كل مكان.

علينا ان نتسلل الى جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ولا بد ان نتسلم مناصب رئيسية في القضاء على الوزارات الرئيسية والجامعات واقسام الفلسفة منها والقانون والموسيقى والطب والاقتصاد السياسي والاداب والعلوم واهمها جميعا الطب، لان الطبيب يطلع على اسرار العائلات ويتغلغل في صميم الحياة لأعدائنا المسيحيين ويقبض على كل شيء لديهم (الصحة والحياة). وعلينا ان نشجع الزواج من المسيحيات ولن نخسر شيئا من جراء ذلك الاختلاط، بل لا بد ان نكون الراحين وقد توصلنا بمصاهرة الاسر المسيحية الكبيرة الى السلطة ومفاتيح النفوذ في جميع الدوائر، فنشجع الزواج العرفي يعقد امام السلطة المدنية، ولنحارب الزواج الديني الذي يعقد في الكنيسة.

اذا كان الذهب هو القوة الاولى فان الصحافة هي القوة الثانية، ولكن الثانية لا تعمل من غير الاولى فعلينا بواسطة الذهب ان نستولي على الصحافة، وان نبذل المال لمن نجد نفوسهم مفتوحة لتقبل الرشوة، وحينما نسيطر على الصحافة نسعى جاهدين الى تحطيم الحياة العائلية والاخلاق والدين والفضائل. شعبنا محافظ مؤمن متدين ولكن علينا ان نشجع الانحلال في المجتمعات غير اليهودية، فيعم الفساد والكفر، وتضعف الروابط المتينة التي تعتبر اهم مقومات الشعوب فيسهل السيطرة عليها وتوجيهها كيف ما نريد.

علموا ابناء يهود هذه التعاليم والمبادئ، التي ستجعل من شعبنا شجرة عظيمة مثمرة تحمل اعضاؤها ثمار السعادة والرخاء والقوة والثراء^(١).

بهذه الروح - ولا داعي للتعليق - اعطت الغالبية العظمى من حاخامات اليهود اساس العنصرية قداسة التعاليم الدينية، فتأصلت في نفوسهم وغلبت على تفكيرهم واسلوبهم في الحياة، بحيث اصبح مستحيلا ان يندمجوا مع غيرهم من الشعوب، فاحتفظوا بطابعهم

(١) زكريا هاشم - مرجع سابق ص ١١

الخاص، وغالبا ما يقطنون في احياء واحدة حتى يظلوا بعيدا عن التأثر بالبيئات التي يعيشون في وسطها، وظلوا يصبون في اذهان اجيالهم المتعاقبة (انهم شعب الله المختار)^(١) ولا بد ان يعودوا الى وطنهم القومي، وهكذا تأصل في نفوس اجيال اليهود طوال القرون الماضية، انهم شعب قدسه الله ووضعه فوق سائر البشر بل ان غلاتهم يعتبرون ان الجنس اليهودي اقرب الى الله من الملائكة ويقولون (ان هذا الجنس وحده هو الجدير بان يطلق عليه لفظ «انسان» اما ما عداه من البشر فهم انعام اي (غوييم) انحدروا من روح نجس، ويستحل هؤلاء الغلاة للجنس اليهودي ان يتحلل من كل القيم والاخلاقيات في معاملاته مع غير اليهود، فالوصايا العشر نزلت ليطبقتها اليهود فيما بينهم، اما في معاملاتهم مع الآخرين فلا حرج عليهم ان يتجاهلونها، وان يفعلوا نقيضها^(٢) (وان الاجانب - اي الذين لا ينتمون الى الدين اليهودي - ليسوا سوى حيوانات متوحشة، حقوقها لا تزيد عن حقوق الحيوانات الهائمة في الحقول)^(٣).

ومن النصائح التي قدمها احد اخبار اليهود لابتناء دينه:

(ان يتبعوا سياسة التوازن بين الحضارات حتى لا تسود حضارة وتبتلع بقية الحضارات، وتقف ندا للحضارة اليهودية، والتوازن بين الدول حتى لا تسود دولة هذا العالم، وتحول دون قيام الدولة اليهودية)^(٤).

لهذا ائتمر اليهود على العالم بقيادة (البارون روتشيلد) كما خلطوا لتدميره من النواحي الدينية والاخلاقية والاقتصادية، وطبقوا خططهم على فرنسا، واشعلوا فيها الثورة وحطموها، ولكنهم اعدوا صياغة خططهم بما يلائم الاحوال المتجددة، حتى يتسنى لهم تدمير العالم والاستيلاء عليه وحكمه حكما مطلقا من دولتهم التي يسعون لانشائها.

ومن اقوال اخبار اليهود:

(لكي نسود العالم، يجب ان نحطمه، سنلجأ الى كل ادوات التحطيم المادية والمعنوية ووسيلتنا، الى هذا: السياسة والعنف والارهاب والتخريب والحرب والرشوة والوقيعه والفتنة، وقانوننا: (الحق للقوة) وسنمنح القانون قوة الوحش الضاري، وبالذهب نشترى كل ما يباع وما يشتري، من حكام ومحكومين)^(٥).

(١) في المسيحية : شعب الله المختار هم جميع المؤمنين به وليس لله شعب معين بل كل الذين قبلوه اعطاهم

سلطانا أن يصيروا اولاد الله أي المؤمنين باسمه . يوا : ١٢

(٢) زكريا هاشم - مرجع سابق ص ١١ .

(٣) السير ريتشارد بورثن - اليهود الثوار .. والاسلام ١٨٩٨م ص ٧٣

(٤) زكريا هاشم - مرجع سابق ص ١١٦

(٥) زكريا هاشم - مرجع سابق ص ١٥٢

ويقول هرتزل:

(ومتى نصبح اسبيادا، فاننا لن ندع في الوجود غيرديانتنا، التي تنادي بالاله الذي يتعلق به مصيرنا، لاننا (شعب الله المختار) وان مصيرنا سيقدر مصير العالم ولهذا يجب علينا ان نزيل الاديان الاخرى عن طريق اقامة كفرة محدثين نجعلهم عبرة ودرسا لشعوب لا بد ان تخضع لدين موسى القوي، الذي يوصلنا الى سيادة مطلقة على الشعوب جميعا)^(١).

ولهذا تابع النورانيون في بريطانيا تنفيذ مخططاتهم الرهيبة، بايجاد معسكرات متناذرة في العالم، حيث رتبوا لها مخططا يحقق تصارعها باستمرار، واختاروا الزعيم الايطالي (مازيني) لكي يقوم بتنفيذه خطة اثاره الاضطرابات في العالم، واستطاعوا بوسائلهم المتبعة، ان يستولوا على الجنرال الامريكي (البرت مايك) واصبح واحدا من القادة النورانيين، حيث وضع هذا الجنرال ما بين ١٨٥٩-١٨٧٠م مخططا عسكريا مفضلا ينفذ في القرن العشرين، وفحوى هذا المخطط^(٢) اقامة ثلاث حروب عالمية وثلاث حروب كبرى يترتب على اثرها تحقيق هدف اليهود، الا وهو هدم الاديان وحكومات الشعوب غير اليهودية، واقامة حكومة عالمية تحت سلطان اليهود.

وطبقا لهذا المخطط، بدأ اليهود في تكوين الجمعيات والمنظمات التي تساعد وتحمي الذين يعيشون في بلاد العالم، لتعيث فسادا وتآمرا وتخريبا ومن هذه المنظمات:

١ - الماسونية:

قال الحاخام الدكتور اسحق دايز في مجلة (The Israelite of American) عدد ٣ اغسطس ١٨٦٦م، (الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها، وكلمات السرفيها، وفي ايضاحاتها يهودية من البداية الى النهاية)^(٣).

وذكرت دائرة معارف الماسونية الصادرة في فيلادلفيا سنة ١٩٠٦م: يجب ان يكون (المحفل) رمزا لهيكل اليهود وهو بالفعل كذلك، وان يكون كل استاذ على كرسيه ممثلا لملك اليهود، وكل ماسوني ممثلا للعامل اليهودي).

٢ - جمعية بناي بيرث (ابناء العهد):

وهي فرع من الماسونية تأسست في ١٣/١/١٨٤٣م، كونها يهودي الماني من هامبورغ

(١) المصدر نفسه ص ٢٧

(٢) كشف هذا المخطط بمحض الصدفة على يد البافاريين .

(٣) زكريا هاشم - فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم دار النهضة بمصر ١٩٧٠

وتختلف عن الماسونية في انها لا تضم الى محافظها الاخير اليهود، وهاجر رئيسها (هنري جونز) الى امريكا واتخذ نيويورك مقرا للجمعية.

لقد تأسست فروع لهذه الجمعية في جميع انحاء العالم، وفي مصر تأسس محفلان سمي احدهما (محفل بانمين دافيد) رقم ٤٢٦ وطبع قانونه باللغة العربية، والثاني محفل (ميوثيت) رقم ٣٦٥ وطبع قانونه باللغة الالمانية، وكان اخطر محافظ هذه الجمعية فرعها في امريكا وبريطانيا، لأنها تغلغت في صميم الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذين البلدين، كما انشأت هذه الجمعية في فلسطين اول محفل لها عام ١٨٨٨م، وكان من ابرز الشخصيات اليهودية فيها (فيليت كاوزنيك) رئيس الجمعية (وناجوم سوكلولوف) (وزنكوف حايم نحمان) (ودافيد بلين وحاييم وايزمن وجاد فرامكين)^(١).

استخدمت هذه الجمعيات كل اساليبها وخططها - طبقا لمخطط مايك - لتسهم في جميع الثورات والحروب التي وقعت في القرنين التاسع عشر والعشرين، فقد ثبت ان جمعية (بناي بيرث) والماسونية وراء الثورة الفرنسية، كما كان لها اصابع في إشعال الحرب العالمية الاولى، بالتعاون مع الصهيونية والماسونية ورجال المال من (آل روتشيلد) بسبب العلاقات بين المانيا وبريطانيا، وكان الهدف من هذه الحرب اتاحة الفرصة للقضاء على حكم القياصرة في روسيا لتمكن الحركة الشيوعية من ان تقيم محلها في روسيا^(٢).

كما كان لها اليد الطولى في شن الحرب على هتلر وحكمه، ومهدت كذلك للحرب العالمية الثانية التي خسر العالم كله من جرائمها وربحها اليهود في النهاية بازدياد سلطانهم السياسي واقامة دولة اسرائيل في فلسطين.

وتشاء الظروف ان تفضح المخطط اليهودي العالمي، لادخال العالم في حرب عالمية ثالثة، في مدينة بودابست عام ١٩٥٤م، حيث قام الحاخام الصهيوني (عمانويل رابي نوفيتش) خلال اجتماع سري، عقد في هذه المدينة، لتوضيح هذا المخطط ضم جميع حاخامات اوروبا، واستطاعت صحيفة (كومن سنس) الامريكية ان تحصل على نص هذا الخطاب الخطير الذي كشف النوايا الخبيثة للصهيونية الاستعمارية الدولية وفضح هذا المخطط السري الذي هدف الى:

- ١ - اشعال نيران حرب عالمية ثالثة.
- ٢ - تحريض امريكا ضد الاتحاد السوفييتي.
- ٣ - اعتبار زعماء الدولتين مجرمي حرب بعد ذلك.
- ٤ - القضاء على الاجناس الاخرى غير اليهودية.

(١) زكريا هاشم - امريكا تتخلص من اليهود ص ٩٦

(٢) مجلة الدعوة العدد ٨٢٢ فبراير ١٩٨٢ الرياض

وقد قال الحاخام عمانويل في هذا الاجتماع امام حاخامات اوروبا هذا الخطاب نقلا عن مجلة كومن سنس الامريكية^(١):

(لقد دعوتكم هنا لبحث المراحل الرئيسية لبرنامجنا، ونحن نرجو ان تنقضي عشرون عاما على الحرب العالمية الثانية، قبل نشوب الحرب العالمية الثالثة، لان هذه الفترة سوف تتيح لنا الجمع بين المصالح الكبرى التي حصلنا عليها في اعقاب الحرب الاخيرة، الا ان زيادة الاسرائيليين في بعض المناطق الحيوية من العالم، قد اثار ضدنا عدة حركات عدائية، ومن ثم يتعين علينا العمل على اشعال حرب عالمية ثالثة في غضون العشر سنوات القادمة وبعدها سيغدو كل اسرائيلي ملكا وغيرهم عبيدا. هل تذكرون حملاتنا الدعائية والنجاح الذي كلفت به سنة ١٩٣٠م، لقد اثارت هذه الحملات الحقد على الامريكيين وهذا هو ما ادى الى نشوب الحرب الثانية ولقد شرعنا في شن حملات مماثلة في سائر انحاء العالم لقد اثرتنا في الاتحاد السوفيتي موجة من الحقد والسخط ضد امريكا، كما اثرتنا في امريكا شعورا بالخوف والتوجس ازاء الشيوعية).

واستطرد الحاخام عمانويل في شرح طريقة اثاره الحرب العالمية الثالثة فقال:

سوف نرمي بهذه الحملات الدعائية الى دفع الدول الصغيرة السى تحديد موقفها بين الكتلتين، والمشكلة التي يتعين علينا مواجهتها اليوم، هي اثاره روح الحرب لدى الامريكيين ولدى روسيا والشعوب الاسيوية، ونحن نأمل في تحقيق هذه الغاية باثاره الروح المعادية، لاسرائيل، والتي سبق ان كانت السبب في نشوب الحرب بين امريكا والمانيا، ونحن اليوم بصدد جمع مختلف التقارير التي تتناول الحركات المعادية للاسرائيليين في الاتحاد السوفيتي وغيره كي نؤلب الرأي العام الامريكي على روسيا، وسوف ينفذ هذا البرنامج خلال مرحلة زمنية تنتهي بنشوب حرب عالمية ثالثة، تفوق في فظاعتها كل الحروب الماضية، وقد تدفعنا الظروف الى ان نعيش مرة اخرى تلك الايام العصيبة التي واجهناها في الحرب العالمية الثانية.

حينما سمحنا للعصابات النازية بقتل جزء كبير من شعبنا، الا اننا بعد ان يضعف الخصمان وتتضعف قواهما، فاننا سوف نتخذ ذلك ذريعة بعد انتهاء الحرب العالمية الثالثة، لمحاكمة زعماء الروس والامريكيين على السواء، باعتبارهم مجرمي حرب واني على يقين من انكم على استعداد لقبول هذا الواجب، وان بضعة الاف من الاسرائيليين ليس بالشيء الكثير بالنسبة للسيطرة على العالم، وسوف تضع هذه الحرب حدا لصراعنا مع غير الاسرائيليين، وسوف نوفد الى الدول المتحضرة مقدما بعثات للسيطرة عليها، وعندئذ سوف نكشف عن نوايانا الحقيقية، حيال الاجناس الاسيوية والافريقية، وفي وسعي وان اؤكد لكم، وانا واثق ان الجيل الحالي للجنس الابيض، انما هو الاخير، فسوف تعمل بعدا للسيطرة على مختلف الدول وعلى منع

(١) زكريا هاشم - امريكا تتخلص من اليهود ص ١١٠ - ١١٢

الزواج بين البيض، بحجة القضاء على العنصرية، وحرصا على اقرار السلام، ثم تشجيع البيض على الزواج من السود، والسود على الزواج من البيض . وعندئذ تبدأ فترة سلام تستمر عشرة آلاف سنة، يتمكن فيها الشباب الاسرائيلي من فرض سيطرته على العالم فان ذكائنا وتفوقنا سيصبحان لنا السيطرة على عالم يتألف من شعوب الجنس الاسود .

ولاقتناعكم بطريقة ما اقول فيما يختص بالسيطرة على العالم، حسبي ان اذكركم اننا وجهنا جميع مخترعات الرجل الابيض نحو فئاته ولا تكف صحافته ومحطات اذاعته، عن اعلان ذلك بل إن مصانعنا تمد آسيا وافريقيا بالاسلحة لاشعال حرب عالمية ثالثة، ونحن نتمتع بنفوذ ضخم بفضل النقطة الرابعة الامريكية، لكي يصبح الرجل الاسود، (بعد ان تكون الحرب الذرية قد قضت على الصناعات الامريكية)، ملكا لوسائل الانتاج الصناعي، بينما يكون الرجل الابيض عضوا مشلولاً لا حول له ولا قوة، وليس اسهل من فرض سيطرتنا على عالم يتألف من شعوب الجنس الاسود).

هذا هو الدليل على مخطط الصهيونية الاستعمارية، واليهودية العالمية لتدمير البشرية واشعال الحرب العالمية الثالثة وهو نفس المخطط الذي سبق ان قدمته صحيفة كومن سنس الامريكية عام ١٩٥٤، ليقراه العالم بما فيه احرار امريكا، وبقراه كل عضو في هيئة الامم المتحدة وفي مجلس الامن^(١).

وبعد البرت مايك عقد القادة النورانيون خمسة وعشرين مؤتمرا، في الفترة ما بين ١٨٩٧-١٩٦٠م بعد ان كونوا في العالم حكومة يهودية خفية، يديرها (٣٠٠) يهودي، واطلقوا على انفسهم (حكماء صهيون)، وينتخبون دائما شخصا يعدونه ملكا وارثا لداود وسليمان، ولا يعلنون عن اسمه وكلمات ملك عينوا بدلا عنه واحدا من بين احبار اليهود.

وقد اكد ذلك المليونير اليهودي (ولتر راشنوي) في جريدة المانية بتاريخ ٢٥/١٢/١٩٠٩م بقوله^(٢):

(هناك (٣٠٠) شخص كل منهم يعرف جميع زملائه، ويتحكمون في مصير اوروبا، وينتخبون خلفاءهم من الاشخاص المحيطين بهم، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على اية حكومة لا يرضون بها).

(١) مجلة النصر العدد ٣٥٤ اغسطس عام ١٩٦٨م

(٢) زكريا هاشم مرجع سابق ص ٢٨

نشأة الحركة الصهيونية وتطورها

رغم تعدد الآراء وتباينها حول نشأة الصهيونية وتطورها، فهي حركة حديثة اوروبية الاصول والنشأة، عاصرت عهود الاستعمار والاستغلال الحديثة، وفي بعض الفقرات عن موقف اليهود خلال العصور يقول ليونارد شتاين:

(فلسطين هذه التي كان اليهود يطمون بها، كانت قد تنحت لدى كثير الكثير منهم، او حتى معظمهم، عن ان تكون فلسطين الواقع المجسد، فكانوا لا يعرفون عن موقعها الجغرافي او عن شكلها المادي الا اقل القليل، او لا شيء على الاطلاق، ان لم تكن تربطهم بها رابطة من العواطف والمشاعر الشخصية، ولا تراود مخيلاتهم ذكريات عن مشاهدتها او عن اصوات فيها انها ليست في الواقع الافكرة مجردة، وسوف تكون عودة المنفيين بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة بكل تأكيد بيد انها لن تتحقق نتيجة للجهد الانساني، ستتحقق حين يشاء الله لها ان تتحقق مع ظهور المسيح من جديد^(١) .

وبمرور الاجيال واخفاق حسابات المتدينين، لتحديد موعد اليوم الاخر، ساد اقتناع الطوائف اليهودية ان معجزة قدوم المسيح المرتقب ستحل في موعدها بارادة الرب، ولذلك فمن التناول والتجديف السعي للاسراع بها. (وعد بلفور اصوله وخلفيته بقلم السيدة انجار دوغديل) ص ٨^(٢) .

كما لاحظ ابن هلبرن اعتمادا على تراث القرن التاسع عشر - ان الوعد بقدوم المسيح افترض ان لا يقوم اليهود باي عمل لاعادة سيادتهم (القومية)، فعليهم ان يواصلوا رسالتهم بين الامم على اعتبار ان الخلاص سيأتي من جراء تدخل الهي.

هذه النصوص تشير بكل صراحة ووضوح، ان صرخة اليهود من اجل فلسطين كانت حتى بداية القرن التاسع عشر صرخة دينية محضة، فلم يكن اليهود يفكرون في اي يوم من الايام بانهم سيحلون في فلسطين الا حين يأتي اليوم الذي ينتهي فيه الزمن فيعيدهم المسيح الى فلسطين.

والصهيونية نسبة الى صهيون، وهي ترمز الى ارض الميعاد - نسبة الى جبل صهيون بالقدس - فهي حركة حديثة كما اسلفنا ظهرت كحركة عنصرية قومية وكان تيودور هرتزل^(٣) اول من حمل لواءها وخطط لها.

(١) د . عمر عبد العزيز - دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٥٨٢

(٢) جذور القضية الفلسطينية - اميل توما ص ٢٤

(٣) يهودي نمساوي تزعم الحركة الصهيونية من سنة ١٨٩٧ - ١٩٠٤ م

ان الصهيونية لم تكن مستندة الى واقع تاريخي او قومي، بل هي مسألة خلقتها الظروف الاقتصادية السائدة في اوربا، وصلتها بأقلية لم تستطع الانصهار في المجتمعات الاوروبية، فيقول بذلك (الياهو جرانت) (ان الصهيونية ليست مسألة جنس او دين او سامي او لا سامي بل انها مسألة اقتصادية، مسألة ملكية، ملكية ارض ووطن، ثم تطورت واصبحت مسألة استعمارية وتوسعا اوروبيا، كان على العرب ان يتحملوا ضربة هؤلاء البرابرة الاوروبيين)^(١).

لقد سبقت الصهيونية بمعناها المذكور، حركة يهودية ترمي الى توطين اليهود المشتتين في العالم بمكان واحد، ولقد اذكت الاضطهادات التي نزلت باليهود في روسيا وبولونيا ورومانيا هذه الرغبة، على اثر المذابح الروسية في (كيشينوف) على يد وزير الداخلية (بهلفه) الذي عرف بمعاداته لليهود، وكان مسؤولا عن المذبحة، مما حفز احد زعمائهم ويدعى (اوديسا ليو بنسكر) وهو يهودي روسي الى تأليف كتاب (التحرر الذاتي) قال فيه^(٢):

(ان العالم يحتقر اليهود، لأنهم ليسوا امة ولأنهم اجانب في كل بلد يعيشون فيه والعلاج الناجع لهذا الداء المستعصي، هو ايجاد قومية يهودية لشعب يعيش في ارض الوطن).

لقد عالج اوديسا ليوبنسكر القضية اليهودية، فوضع استنتاجاته في كتابه المذكور، وقد اعتمد في بنائه الايديولوجي على ان اليهود (قوم شبح لا وطن لهم، وبما ان الانسانية تكره الاشباح، لذلك تنزل بهم الشعوب الاضطهاد والتعذيب والحل اذن يكمن في تحويلهم من قوم شبح الى قوم طبيعي، وهذا يتم اذا ما اقاموا لهم وطنا في مكان ما، فعندئذ يتوقف اضطهادهم حتى لو بقيت بعض طوائفهم في اقطار مختلفة)^(٣).

كما يقول بينسكر في معرض كتابه الثاني (كتاب اليهود) الذي نشره عام ١٨٨١م بدعم من نائب يهودي في مجلس العموم البريطاني: (بالنسبة للاحياء يعتبر اليهودي الحديث رجلا ميتا، وبالنسبة للسكان الاصليين يعتبر غريبا، وللمستوطنين يعتبر قاطع طريق، وبالنسبة للغني يعتبر فقيرا، وللفقير يعتبر مليونيرا ومستقلا، وبالنسبة للمواطن يعتبر رجلا بلا بلد وبالنسبة للجميع يعتبر منافسا قذرا)^(٤).

ولعل ما قاله ليوبنسكر في كتابه المذكور، يعتبر دليلا على ما كان اليهود يسببونه من اذى وضرر لكل طبقات المجتمع الذي يعيشون فيه، وانه لولا ذلك التدين العميق لدى الساسة البريطانيين وايمانهم المطلق بالتوراة، يضاف الى ذلك تفضيل الاوروبيين لليهود على العرب والمسلمين من جهة، وعملهم على لم شملهم في مكان واحد من جهة اخرى، بغرض خدمتهم

(١) محمد مهدي - محاضرات في الدراسات الفلسطينية ص ٥٥

(٢) محمد مهدي / محاضرات فلسطينية - مرجع سابق ص ٥٦

(٣) د . اميل توما - جذور القضية ص ٤٧

(٤) امريكا تتخلص من اليهود ص ١٤٩ - ١٥٠ - مرجع سابق

وخدمة اهداف الغرب في الشرق العربي، وكذلك بقصد التخلص من شرورهم وكراهية رجل الشارع الأوروبي غير المتدين لليهود، لولا ذلك لما امكن تحقيق الحلم الصهيوني في الانتشار في فلسطين.

واكبر دليل على هدف التخلص منهم ما قاله الرئيس الامريكى (بنجيامين فرانكلين) في المؤتمر الذي انعقد لاعلان الدستور سنة ١٧٨٩م، وهذا البيان محفوظ الان في معهد فرانكلين بفلادلفيا في ولاية بنسلفانيا.

(في يوم من ايام عام ١٧٨٩م، عقد في (كازولينا الجنوبية) مؤتمر وطني، حيث ادلى الرئيس الامريكى فرانكلين بالبيان التالي:

«إن هناك خطرا جسيما يهدد امريكا، وهذا الخطر الجسيم هو اليهود، ففي كل بلد حل فيه اليهود، عملوا على الهبوط بالمستوى الخلقي ودرجة الامانة التجارية، وقد ظلوا دائما جزءا مضطهدا لا يندمج في الوطن انذني يعيشون فيه، وهم يحاولون خنق الامم ماليا كما فعلوا في البرتغال واسبانيا، وما برحوا اكثر من ١٧٠٠ سنة يندبون حظهم السيء، بدعوى انهم طردوا من وطنهم، ولكن ايها السادة.. اذا اعطاهم العالم اليوم فلسطين، فسوف يجدون اعدارا قوية لعدم العودة اليها لماذا؟ لأنهم مصاصو دماء ومصاصو الدماء لا يمكنهم العيش على مصاصي دماء.. انهم لا يستطيعون العيش فيما بينهم، بل يجب ان يعيشوا على المسيحيين او غيرهم، ممن لا ينتمون الى عنصرهم، واذا لم يستبعد اليهود من امريكا دستوريا على مدى مائة سنة على الاكثر، فسوف يتدفقون على هذه البلاد باعداد كثيرة، تطوع لهم حكمنا وتدميرنا بتغيير نظام حكومتنا، الذي بذلنا - نحن الامريكيين - دماءنا، وضحينا بارواحنا وممتلكاتنا وحياتنا الشخصية في سبيله، واذا لم يستبعد اليهود خلال ٢٠٠ سنة فان ابناءنا سوف يعملون في الحقول لاطعامهم، في حين هم يرابطون في بيوت المحاسبة، يفركون ايديهم فرحين. اني احذركم ايها السادة، اذا لم تقصوا اليهود عن هذه البلاد الى الابد، فان ابناءكم وابناء ابناءكم سوف يلعنونكم في قبورهم ان مثلهم العليا ليست مثلنا، وحتى لو عاشوا بيننا اجيالا، فلن يتغيروا كما لا يستطيع الفهد ان يغير بقع جلده، انهم سيقضون على معاهدنا، فيجب اقصاؤهم بحكم الدستور»^(١).

وبعد ذلك تألفت جمعية (عشاق صهيون) هدفها: العمل على احياء اللغة العبرية، والدعوة الى الهجرة الى فلسطين واستعمار اراضيها، وقد عاشت هذه الحركة على الهبات - على امثال البارون ادموند روتشيلد - ولم تكن هذه الحركة ذات خطورة وهدف سياسي حتى ظهر على المسرح (ثيودور هرتزل) الذي يعتبر مؤسس الصهيونية الاولى.

(١) امريكا تتخلص من اليهود مرجع سابق ص ١٤٩ - ١٥٠

لقد صورت الصهيونية اليهود على انهم شعب فلسطين، وادعت ان اليهودية القديمة قد صبغت البلاد بالصبغة اليهودية، في العقيدة الدينية والتاريخ والحضارة واللغة وإذا كان اليهود قد نفوا عنوة من فلسطين، فقد ظل لهم كيان بقي فيها من (اليشوف)^(١) ولم يرد اي ذكر لفلسطين في اعلان قيام اسرائيل (ارض اسرائيل) اظهارا لدور اليهود الرئيسي في تاريخ البلاد، لكن الحقائق التاريخية تنفي المزاعم الصهيونية، في وجود حق تاريخي لليهود في فلسطين، وتنفي عنهم كذلك استمرار بقائهم وانتسابهم الى الشعب الفلسطيني، الذي تأكدت عرويته منذ قرون عديدة، وان العبرانيين الاوائل لم يكونوا اصلا في فلسطين، وان كانوا قد تمكنوا من اقامة دويلة لهم في القسم الداخلي الفقير من فلسطين، ولكنها كانت حدثا طارئاً في تاريخ البلاد، اذ سرعان ما اندثرت مثل غيرها من الامارات القديمة، دون ان تترك اثرا يعتمد عليه لا في فلسطين ولا في حضارتها.

وإذا كان اعلان قيام اسرائيل لا يعترف الا بأرض اسرائيل على انها اقدم تسمية للبلاد، فان ذلك يعتبر مغالطة تاريخية كبيرة، تفضحها التوراة، اذ ذكرت (ارض كنعان) وارض فلسطين او ارض الفلسطينيين على انهما اقدم تسميتين كانتا قائمتين قبل هجرة العبرانيين ولازمنا اقامتهم، فيها، واستمرت حتى بعد زوال الدولة اليهودية القديمة.

وكذلك يتضح لنا ان الغالبية العظمى من اليهود، قد هاجرت من فلسطين بمحض اختيارها، قبل حكم الرومان لها، وبهذا الخصوص فقد كتب الدكتور اميل توما^(٢):

«ان التاريخ ينسف اسطورة الشتات التي زعمت الصهيونية، ان القوى الظالمة فرضته على اليهود، وحالت عبر التاريخ دون عودتهم الى ارض الميعاد.. ويلاحظ ان اليهود رحلوا عن ارض الميعاد طلبا للرزق قبل ان يطاردهم احد.. واذا تركنا جانبا قصة هبوطهم الى مصر ايام يعقوب الذي تكنى باسرائيل هربا من الجوع من ارض كنعان، نجد انهم عادوا الى الهجرة بعد قيام ملك اسرائيل وقبل سبي بابل في القرن السادس قبل الميلاد...».

ويكتب ناتان اوسيبيل في كتابه (كتاب المعرفة اليهودية):

«ووجد الاسرى الذين نقلهم نبوخذ نصر الى بابل في ٥٨٦ قبل الميلاد.. في ارض سبيهم، طوائف يهودية كبيرة وعميقة الجذور، نشأت في القرن الثامن قبل الميلاد، ويمكن ان نفترض ان القادمين الجدد زادوا عدد هذه الطوائف، وحين عاد المنفيون من بابل الى القدس بعد قرن من الزمن، كان مدهشا ان نرى - حسب اقوال عزرا ونحميا - لاكثر من ٦٠ الفا يعودون فقط. بدهي ان اكثرية المنفيين اختارت ان تبقى في بابل». (ص ١٢٦-١٢٧).

(١) اليشوف : المالكثون أو الباقون وهو تعبير اطلقته الصهيونية على اليهود في فلسطين

(٢) جذور القضية : اميل توما ص ٢٦ - ٢٧

وقبل ان يقمع الرومان الثورة اليهودية في فلسطين، ويدمروا الهيكل سنة ٧٠م، كان اليهود قد انتشروا في مراكز الاقتصاد والتجارة في الامبراطورية الرومانية. ولم يمنعهم من التركيز في ارض الميعاد، سوى ارتباطهم الوثيق بتجارة واقتصاد تلك المراكز، مثل الاسكندرية، فأنداك لم تكن قد نشأت صعوبات للعودة الى صهيون، ومن المحتمل ان يكون اليهود قد تعاونوا مع اشقائهم الفينيقيين، الذين كانوا في ذلك العصر قد بدأوا ينتشرون في العالم المعروف ويتعاطون التجارة.

وكتب ناتان اوسيبيل في معرض الحديث عن الشتات قبل تدمير الحياة اليهودية المستقلة في سنة ٧٠ قبل الميلاد :

«والحقيقة الساطعة انه من قبل الكارثة، كان تشتت اليهود يتسع منذ وقت طويل» (كتاب المعرفة اليهودية ص ١٢٦).

لقد ظهرت اول دعوة علنية لانشاء وطن لليهود على لسان اليهودي الانجليزي (هنري فنش) في كتابه الذي نشره في انجلترا، في مطلع القرن السابع عشر، تحت عنوان (نداء اليهود)، لكن الفكرة بقيت جامدة حتى اطل القرن التاسع عشر، الذي حمل مبادئ الحرية والاخاء والمساواة والعدل، التي اكدتها الثورة الفرنسية، فتحرر اليهود في غرب اوروبا، قد ساعد على ظهور بعض الشخصيات التي دافعت عن الجماعات اليهودية وطالبت بتحسين اوضاعهم في اوروبا، ومع تكوين القوميات الحديثة في اوروبا في القرن التاسع عشر، تحمس بعض اليهود في الترويج بان اليهودية دين وقومية. ولهذا بدأ عدد من الساسة الانجليز وقسيسيهم وكتابهم يتبنون فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

الصهيونية السياسية

بعد ان اطل القرن التاسع عشر، وهو يحمل مبادئ الثورة الفرنسية من حرية وعدل واخاء ومساواة، تحمس بعض اليهود في الترويج بان اليهودية دين وقومية، لهذا راح ساسة الانجليز وكتابهم يتبنون فكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، فبعد ان تم طرد اليهود بالجملة من بريطانيا سنة ١٢٩٠م، راحوا يفدون اليها بالجملة ايضا مرة اخرى على عهد كرومويل سنة ١٦٥٠م، كما وفدت افواج اخرى من اليهود الذين تكتلوا في فرنسا والاراضي المنخفضة، (خاصة بعد طردهم وتشريدهم من اسبانيا والبرتغال) سنة ١٤٩٢م الى انكلترا مرة اخرى على اثر عودة الملكية في فرنسا في اعقاب الثورة الفرنسية، وامتهان اليهود فيها مرة اخرى وازدادت اعداد اليهود في انكلترا اثر الاضطهاد الروسي، وقيام الجمعيات الانجليزية اليهودية بالعمل على استقبالهم وتوطينهم في بريطانيا، او تهجيرهم الى الارجتين وغيرها من البلاد الامريكية برعاية اللورد (دي روتشيلد) والسير (موسى مونتفيوري)، وفي العقد الثالث من القرن التاسع عشر قام صراع داخل الرأي العام البريطاني، ازاء مطالبة اليهود بحمل الجنسية ورغبتهم في استصدار القوانين من اجل المساواة في الحقوق السياسية والمدنية بينهم وبين ابناء البلاد الاصليين^(١).

قدمت هذه المطالب المدنية والسياسية، على شكل مشروع الى البرلمان البريطاني سنة ١٨٢٠م ووافق عليه مجلس العموم البريطاني، لكن مجلس اللوردات رفضها مرتين سنة ١٨٢٣ وسنة ١٨٢٤م وعلى الرغم من وصول اليهود الى تولى عمادة المدن وممارسة اعمال البلديات وذلك بمقتضى قانون سنة ١٨٢٥م (Sharif's Decl.) فقد ظل مجلس اللوردات يعارض استصدار القوانين الخاصة بالحقوق والوظائف السياسية الكبرى، حتى سنة ١٨٤٦م، لكن يهود بريطانيا شددوا من حملتهم بزعامة اليهودي الثري (موسى دي مونتفيوري) عمدة مدينة لندن، وحمي يهود الشرق المعروف وذلك اثر تولى الملكة فكتوريا عرش بريطانيا سنة ١٨٣٧ وقد ظهرت اشاعة في ذلك الوقت ان الملكة فكتوريا كانت تتعاطف مع اليهود، لان نسبها يمت الى اسرة يهودية ففي سنة ١٩٠١ نشرت مجلة (Black & white) ان دوقة كنت (Kent) ام الملكة فكتوريا، تنتمي عن طريق امها الى اسرة يهودية باسم (Sealfeld) في منطقة ساكس وان ملامح الملك ادوارد، كانت تشهد باصله اليهودي^(٢) وهكذا استطاع (موسى مونتفيوري) بمساعدة الملكة فكتوريا، ان يحصل لليهود على المساواة في الحقوق المدنية والوظائف السياسية، باستثناء المناصب المعينة، كمنصب وزير المالية ومنصب نائب الملك في المستعمرات، وبهذا امكن للبارون

(١) عز الدين فودة : الصراع الدولي حول فلسطين - مجلة معهد البحوث والدراسات العربية العدد الأول اذار سنة ١٩٦٩ م ص ٩١ - ٩٢

(٢) محمد مهدي : محاضرات مرجع سابق ص ٥٧ - ٥٨ - ٥١ -

(ليونيل دي روتشيلد) ان ينتخب عضوا في مجلس العموم سنة ١٨٤٧م، مما أثار ثائرة مجلس اللوردات اذ لا يمكن لهذا اليهودي ان يقسم اليمين الدستوري المعتاد، وصاح في هذا الصدد مجلس اللوردات الصيحة المشهورة (No Jew) وطالبوا بالغاء الحقوق اللائحية السابقة مرة اخرى سنة ١٨٤٨م، حتى تمكن اللورد (جون رسل) رئيس الوزراء من التدخل لانقاذ صديقه (ليونيل دي روتشيلد) واجيز لليهودي ان يقسم اليمين الدستوري على العهد القديم سنة ١٨٥١م.

على اي حال فقد كانت الافكار السابقة، والاقتراحات والكتابات مقدمة للصهيونية السياسية، فقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نشوء المفاهيم الرومانتيكية من اجتماعية وسياسية داخل الفكر اليهودي، ورغم استمرار اعداد كبيرة من اليهود في تعلقها بفكرة التحرر والاندماج الكامل في بلاد الشتات، فقد بدأت تصاغ ايديولوجية جديدة صارت تعرف فيما بعد (بالصهيونية) نسبة الى كلمة صهيون التي اطلقت اصلا على احد جبال القدس، وتعكس حياة اليهودي الالماني (موسى هيس) واعماله سنة ١٨١٢-١٨٧٥، الانتقال من دور الاندماجية الى دور الحركة الصهيونية، ففي سنة ١٨٦٢م اصدر كتابا عن القدس وروما، بين فيه افكاره بشكل منظم، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر الاساسية في الفكر الصهيوني الحديث، قال هيس: (١).

«ان اليهود شعب صنع التاريخ وهم مدعون مصيريا لتحويل العالم، وسبب ذلك انهم (دون سواهم) قد حققوا في حياتهم الذاتية، مبدأ الوحدة بين الدائرتين المادية والروحية، وحث اليهود على اعادة بناء حياتهم القومية في فلسطين» وازاف: ان تطوير حركة قومية يهودية لا يشكل المفتاح الجوهرى لمستقبل اليهود فحسب بل لمستقبل البشرية جمعاء».

وعندما اضطرت اعداد كبيرة جدا من اليهود الى النزوح من روسيا، على اثر المجازر التي وقعت لهم في اعقاب اغتيال القيصر الروسي (الكسندر الثاني) سنة ١٨٨٢م، انهارت بذلك حركة (الهسكالا) (٢) انهيارا تاما وحلت محلها (حركة احباء صهيون) والتي تزعمها اليهودي الروسي (ليوبنسكى) ١٨٢١-١٨٩١م، حيث حلل في كتابه (التحرر الذاتي) مشكلة اليهود كما اسلفنا.. لكنه ترك حرية اختيار المكان للخبراء، اي انه استبعد اقامة دولة يهودية في فلسطين، على اعتبار ان ذكرياتهم المرتبطة بها قد تكون عاملا معرقلا، لكنه دعا الى عقد مؤتمر قومي وتكوين شركة للاستعمار والدعوة الى التبرع والبحث عن مكان.

ورغم كل ذلك فقد بقيت الحركة الصهيونية تفتقر الى التنظيم والتخطيط، حتى تطورت الى حركة سياسية على يد (ثيودور هرتزل) (٣) ١٨٦٠-١٩٠٤م حيث استغل هذا قضية الضابط

(١) محمد مهدي - محاضرات مرجع سابق ص ٦٠

(٢) هي الحركة التي دعت الى اندماج اليهود في المجتمعات التي عاشوا فيها .

(٣) يهودي نمساوي درس القانون في جامعة فيينا وعمل في الصحافة والأدب وعمل مراسلا في باريس لجريدة الصحيفة الجديدة الحرة النمساوية .

اليهودي الفرنسي (الفريد دريفوس)^(١) الذي اتهم بالخيانة وتسريب الاخبار العسكرية الى الالمان في تزكية دعوته، وقد تابع هرتزل بوصفه مراسلا لجريدة الصحيفة الجديدة الحرة، تلك المحاكمة حيث رأى هرتزل مظاهر الازدراء والاحتقار لدريفوس بوصفه يهوديا متهما بالخيانة، وسمع بأذنيه الصيحات المعادية لليهود، منادية (الموت لليهود) وشغلت الصحافة الفرنسية بهذه القضية سنوات طويلة، واهتزت بسببها اجهزة الدولة على اختلاف مستوياتها، وقد لعب اليهود دورا رئيسيا في تصعيد الازمات المتعاقبة، التي اثارها هذه القضية في الحياة السياسية في فرنسا، وادخلوا في روع الشعب الفرنسي، ان التهمة ملفقة ضد ضابط بريء وان مردها يرجع الى ازدراء الحركة المعادية للسامية.

شاعت الظروف ان ينجح المدافعون عن دريفوس في اثبات براءته بعد ادانته، فكان ان تمثل هرتزل وهو الكاتب والصحفي في تلك المسألة العامة، التي يعاني منها اليهود، حتى دفعته قضية الضابط دريفوس الى تأليف كتاب (الدولة اليهودية)^(٢) وتم نشره سنة ١٨٩٦م والذي بلور فيه الفكرة الصهيونية المعاصرة، وجسد فيه الايديولوجية الصهيونية وجاء مخططا لبناء الدولة اليهودية حيث عالج ادق تفاصيل البناء، ابتداء من اقامة (جمعية اليهود) التي ستشرف على المشروع، والشركة اليهودية التي ستنفذه اقتصاديا، حتى قضايا تهجير اليهود بطبقاتهم وتنظيم المدن في دولتهم، واختيار لغتهم وعلمهم وسن دستورهم، وركز في كتابه على ان المشكلة اليهودية لا حل لها بغير تجميع الشتات (شتات اليهود) في مركز واحد، فيقيمون دولتهم وتنتهي مشكلتهم، التي امتدت حوالي الفي سنة بعد ان شتتهم الرومان.

ان المشكلة اليهودية هي مشكلة قومية يجب ان تأخذ طريقها الى الحل، مثل بقية القوميات المضطهدة.

هكذا صاغ ثيودور هرتزل الافكار الصهيونية في حركة سياسية ذات طابع عالمي، ولهذا اصبح المنظم الفعلي للحركة الصهيونية، بعد ان انشأ سنة ١٨٩٧م مجلة اسبوعية باسم (العالم)، وهي الصحيفة الرسمية الناطقة باسم الحركة الصهيونية وفي ٢٩ اغسطس ١٨٩٧م عقد اول مؤتمر صهيوني في مدينة (بال) بسويسرا وضم (٢٠٤) من المندوبين اليهود^(٣) جاءوا من جميع البلاد الاوروبية.

وترجع اهمية الحديث عن هذا المؤتمر الذي عقد ما بين ٢١-٢١ آب ١٨٩٧م، إلى انه وضعت فيه الاسس الاساسية للحركة الصهيونية وحددت اهدافها، كما تقررت فيه ايضا خطة اليهود السرية، التي تقضي باستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود، وهذه الخطة

(١) زاهية قدورة - تاريخ العرب الحديث ص ١٨٢ ويوسف هيكل - القضية الفلسطينية ص ٢٥

(٢) الف هذا الكتاب باللغة الألمانية كما ظهر بلغات ثلاث: الانجليزية والفرنسية والعبرية مما ساعد على انتشاره في الاوساط اليهودية في جميع انحاء العالم.

(٣) زاهية قدورة - تاريخ العرب الحديث ص ١٨٨.

السرية هي التي تسمى (بروتوكولات حكماء صهيون) وان الفكرة التي تعتمد عليها دعوتهم من اجل الحضارة المستقبلية، تعتمد اساسا على نظريتهم القائلة: (ان الحضارة المسيحية في طريقها الى الانقشاع لكي تقوم مقامها حضارة اخرى يهودية اكثر امعانا في المادية وتسيطر على العالم).

ومن بين قرارات هذا المؤتمر: (تسعى الصهيونية لان تجد للدولة وطنا في فلسطين، تتمتع بحصانة من القانون العام). وكانت قراراته محاطة بالسرية التامة والكتمان، ومحصورة في اصحابها ولا تظهر لليهود من غير المؤتمرين، وكانت هذه السرية الشديدة سمة كل مؤتمراتهم اللاحقة، ولقد اثار كشف سر هذه البروتوكولات ضجة كبيرة في سائر انحاء العالم، وذلك بعد ان اختلست سيدة فرنسية في مستهل القرن العشرين، مجموعة من وثائق هذه المؤتمرات اثناء اجتماعها بواحد من كبار زعماء النورانيين، وقد ترجمت هذه الوثائق الى اللغة الروسية والانجليزية سنة ١٩١٧م، كما ترجمت الى اللغة العربية (اكثر من ترجمة) وبعد نشرها عرفت باسم (بروتوكولات حكماء صهيون) كما عرفت خطتهم لتنفيذها، كما ظهر ايضا ان هرتزل هو الذي قام بجمعها وصياغتها وترتيبها، كما تعتبر هذه البروتوكولات الهدف الاسمي الذي يسعون اليه، الا وهو تدمير العالم ثم الاستيلاء عليه وحكمه باسم الدين اليهودي والشعب المختار.

ولهذا حاول اليهود انكارها وانكار وجودها، ولكن بعضهم لم يلبث ان اعترف بها وهو المحامي اليهودي الامريكي (هنري كلين)^(١) الذي نشر عام ١٩٤٥م، في مقال له:

ان البروتوكولات هي الخطة التي وضعت للسيطرة على العالم، وهي امر حقيقي ثابت، وان زعماء الصهيونية يكونون مجلس (سانهدريم) الاعلى الذي يرمي الى السيطرة على حكومات العالم، ولقد طردني اليهود من صفوفهم لاني انكرت عليهم خطتهم الشريرة).

وتتكون هذه البروتوكولات من اربعة وعشرين بروتوكولا، وتهتم البروتوكولات الثلاثة عشر الاولى، بالحديث عن خطة تدمير العالم، كما تتحدث الباقية عن الكيفية التي ينبغي ان يدير اليهود بها العالم بعد الاستيلاء عليه وحكمه. ومما جاء فيها:

«حينما نمكن لانفسنا فنكون سادة الارض لن نبيع قيام اي دين غير ديننا، اي الدين المعترف بوحداية الله، الذي ارتبط حظنا باختياره ايانا، كما ارتبط به مصير العالم، ولهذا يجب علينا ان نحطم كل عقائد الايمان، واذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا، هي اثمار ملحدين فلن يدخل هذا في موضوعنا، ولكنه سيضرب مثلا للاجيال القادمة، التي ستصغي الى تعاليمنا على دين موسى، الذي وكل الينا بعقيدته الصارمة ووجب اخضاع كل الامم تحت اقدامنا، وسيفضح فلاسفتنا كل مساوىء الاديان الاممية (غير اليهودية). ولكن لن يحكم احد ابدا على ديانتنا من

(١) أمريكا تتخلص من اليهود مرجع سابق ص ١٢

وجهة نظرها الحقّة، إذ لن يستطيع احد ابدا ان يعرفها معرفة شاملة نافذة، الا شعبنا الخاص الذي لن يخاطر بكشف اسرارها».

« لقد نشرنا في كل الدول الكبرى ذوات الزعامة ادبا مريضا قدرا، يغطي النفوس وسنستمر فترة قصيرة بعد الاعتراف بحكمنا على تشجيع سيطرة مثل هذا الادب، كي يثير بوضوح الى اختلافه عن التعاليم التي سوف نصدرها من موقفنا المحمود، وسيقوم علماءنا بالقاء خطب ورسم خطط وتسويد مذكرات، متوسلين بذلك الى ان تؤثر على عقول الرجال وتجذبها نحو تلك المعرفة وتلك الافكار التي تلائمنا^(١) ومنها ايضا:

«سنلهي الجماهير بانواع شتى من الملاهسي والالعاب لملء الفراغ، وسندعو الناس للدخول في مباريات شتى في كل انواع المشروعات كالفن والرياضة وما اليها، واغراق المجتمعات في الشهوات واثارة النزعات المضادة لما الفه الناس، وخلق نظريات شاذة، والسعي الى التحول بشذوذها الى شيء مألوف حتى تستطيع اليهودية ان تنفذ بين ثنايا هذا التخلخل الاجتماعي الى تحقيق اغراضها^(٢)».

وقد خطب هرتزل في هذا المؤتمر قائلا^(٣):

«اننا اجتمعنا لكي نضع الحجر الأساس للمأوى الذي سينضم اليه الشعب اليهودي، وان العالم كانت معلوماته دائما غير صحيحة عن الشعب اليهودي، وان الشعور بوجود اتحادنا، ذلك الشعور الذي دفعنا اليه سائر البشر في مراحل عدة، وبحرارة كان في طريقه الى التحلل، حينما قامت في وجهنا اسلحة الاضطهاد العنصري تطاردنا، وقد بث فينا هذا الاضطهاد القوة من جديد، ان الصهيونية هي عودة اليهود الى حظيرة الفكرة اليهودية، المحضة، حتى قبل ان يحققوا عودتهم الى ارض الميعاد. ونحن الصهيونيين نعمل على احياء روح الشعب اليهودي، وبث الحماس فيه، كي يمد كل يد المساعدة للاخر، وعلينا ان ننشئ حالا والان هيئة منظمة وهذه الهيئة تصبح دائمة، وكان الشعب مفتقرا اليها الى اليوم...».

وقال ايضا: اذا حصلنا يوما على القدس وكنت لا ازال حيا وقادرا على القيام بأي شيء، فسوف ازيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها، وسأحرق الاثار التي مرت عليها قرون...»

وقال ايضا: «في بال أنشأت الدولة اليهودية، ولو قلت ذلك بصوت عال لضحك علي العالم، وربما في خمس سنوات او خمسين سنة سيعرف الجميع ذلك...»^(٤).

(١) مجلة الدعوة - مرجع سابق

(٢) أمريكا تتخلص من اليهود - مرجع سابق

(٣) (عمر عبد العزيز تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٥٩٧

(٤) مجلة العربي العدد/٢٧٨/١٩٨٢ م)

كما قال ناحوم جولدمان (الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية):

(كان يمكن لليهود ان يأخذوا أوغندا او مدغشقر او غيرها من البقاع، لتأسيس وطن يهودي، لكنهم لا يريدون شيئاً اطلاقاً الا فلسطين، لا لأن مياه البحر الميت يمكن بالتبخر استخراج منها ما قيمته الاف الملايين من الدولارات من المواد المعدنية والمعادن المسحوقة، ولا لأن طبقات الارض الفلسطينية تحتوي على مقادير من البترول تزيد على مجموع احتياط الامريكيتين معاً، ولكن لان فلسطين هي مفترق الطرق الاوروبية والاسيوية والافريقية، وانها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، والمركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم...)^(١).

وقد خرج المؤتمر بالنتائج التالية:

١ - تسعى الصهيونية الى بناء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين يضمنه القانون الدولي.

٢ - يرتأي المؤتمر استخدام الاساليب الاتية لتحقيق الهدف الاول:

- أ - تنظيم وتلاحم الصهيونية كلها بالمؤسسات الملائمة على الصعيدين المحلي والدولي
- ب - تنمية استعمار فلسطين بالعمال الزراعيين والصناعيين.
- ج - تقوية وتنمية الوعي ومشاعر القومية اليهودية
- د - اتخاذ اجراءات تمهيدية للحصول على الموافقة الدولية.

وقد اقر المؤتمر العلم الصهيوني والنشيد القومي، وقد قال ثيودور هرتزل عقب انتهاء المؤتمر: (اليوم انشأنا الدولة اليهودية) وتسهيلاً لنجاح الوسائل التي تبناها المؤتمر تم انشاء مؤسستين هما:

١ - لجنة العمل^(٢)

٢ - البنك الاستعماري اليهودي او الكيرين كاييمت^(٣) وقد اسسه المؤتمر الثاني ١٨٩٨ م. برأس مال قدره ٣ مليون جنيه استرليني.

(١) كتيب مطابع الكرمل - القدس تاريخ وصور - بيروت

(٢) كان لكل يهودي ذكر كان أم انثى ويبلغ من العمر ١٨ عاماً حق الانضمام اليها نظير اشتراك قدره شيكل

(عملة اسرائيلية قديمة ورد ذكرها في التوراة).

(٣) مهمته كانت جمع التبرعات والأموال والإعانات اللازمة للمشروع وحفظها في صندوق قومي.

التساوق الصهيوني - البريطاني

لقد كان تهديد محمد علي وولده، بمحاولتهما اقامة الدولة العربية الكبرى، نقطة بداية اللقاء بين الاستعمار البريطاني والصهيونية. كتب ناحوم سوكلوف - احد كبار مؤسسي الحركة الصهيونية «ونشأت بعد تدخل الدول الاوروبية لانقاذ الدولة العثمانية، واعادة قوات محمد علي وابنه ابراهيم الى مصر، نشأت مسألة مستقبل فلسطين. هل كانت ستبقى بيد تركيا؟ ام ان بريطانيا العظمى ستفوز بالامكن الهامة؟ وكان السائد في الرأي العام البريطاني ضم عكا وقبرص الى الامبراطورية البريطانية فبريطانيا بعد ان احتلت موقع عكا الحصين الذي لا يقهر، كانت لا تضطر الى السعي لضمان حرية الطريق الى الهند من أي دولة اخرى»^(١).

ثم اورد امثلة عديدة على لسان ساسة بريطانيين، نادوا باستيطان اليهود في فلسطين ومنها:

«انه في ٢٥ ايلول ١٨٤٠م، كتب (الاييرل سافنسري بالمرستون) وزير الخارجية البريطاني بشأن المسألة السورية: يقترح اقامة مستعمرة بريطانية (دومنيون)، واطاف ان المنطقة تحتاج الى المال والعمل، وان العبرانيين يترقبون العودة الى سوريا فاذا ضمنت الدول قوانين تحقق المساواة في سوريا، وتبدد شكوك العبرانيين، فعندئذ يستنفرهم النداء، فيخرجون بثرواتهم وصناعاتهم، واكد في النهاية ان استعمار العبرانيين سوريا، هو ارحص واطمن اسلوب لتزويد هذه المناطق القليلة السكان بحاجاتها»^(٢).

وبهذا الاسلوب الجهني راح الزعماء الصهيونيون يلوحون امام بريطانيا العظمى بمقترحاتهم، لهذا تنبه بالمرستون الى التلويح، ففي مقال كتبه عام ١٨٧٦م تحدث فيه عن اليهود بوصفهم تجارا بارزين وقال ان سوريا تحتاج الى رأس مال، كما تحتاج الى السكان واستنتج ان اليهود يستطيعون تزويدها بالامرین وسأل: او ليس لبريطانيا مصلحة في ذلك؟ واجاب: انها لضربة لانجلترا اذا ما استولى اي من منافسيها على سوريا، فامبراطوريتها ستقطع نصفين، يجب ان تصون انجلترا سوريا لنفسها.. الا تستدعي السياسة اذن ان تنمي انجلترا - وهي دولة تجارية بحرية عظمى - قومية اليهود؟ وان يرجع اليها فضل استيطانهم في فلسطين؟

وبين هذين التاريخين ١٨٤٠-١٨٧٦م عالج عدد من الكتاب والساسة البريطانيين

المسألة الشرقية واكدوا امرين مهمين:

(١) ناحوم سوكلوف : تاريخ الصهيونية المجلد الأول ص ١٠٤

(٢) ناحوم سوكلوف تاريخ الصهيونية المجلد ٢ ص ٢٢٩

١ - ضرورة سيطرة بريطانيا على الشرقين الأدنى والأقصى باحتلالها سوريا وبالأخص فلسطين.

٢ - استخدام اليهود او العبرانيين في استيطان فلسطين او سوريا، لتثبيت السيطرة البريطانية على المنطقة وحماية طريق الهند^(١).

وكان احد هؤلاء الكولونيل (شارلس هنري تشرشل) احد قادة الحملة البريطانية التي حاربت القوات المصرية في سوريا عام ١٨٤٠م، فقد كتب في مقدمة كتابه (جبل لبنان) بالانجليزية «اذا كنا نريد الاسراع في تقدم المدنية، وارادنا توطيد سياسة انجلترا في الشرق، فمن الواجب ان تقع سوريا ومصر تحت سيطرتها ونفوذها»^(٢).

كما دعا الى مثل هذا المستشرق البريطاني (اوستن هنري لايرد) الذي قال في احدي خطبه: (يجب ان لا ننسى انه اذا كانت مصر طريقا من الطرق الى الهند، فسوريا ووادي دجلة والفرات هي الطريق، والدولة التي تسيطر على هذين القطرين تتحكم في الهند)^(٣).

وبعد ذلك جاء (هوراس ماير كالن) وكتب في كتابه: (الصهيونية والسياسة الدولية):

«انتشرت فكرة بعث اسرائيل باعتبارها ممكنة التحقيق على صعيد السياسة العملية والمستوى الديني، وذلك بعد ان انتشرت فكرة دينية تقول ان عودة اليهود الى فلسطين، او بعث اسرائيل يقرب خلاص الانسانية، وعودة المخلص، وذلك يجب على المسيحيين الدعوة الى ذلك»^(٤).
كانت هذه التصريحات التي صدرت عن الكتاب والساسة - بعد ان نبههم الصهيونيون - بمثابة المحرك الذي دفعهم الى الدعوة الى بسط النفوذ البريطاني على سوريا (فلسطين) واستخدام اليهود في استيطانها».

كان واضحا ان تقوم بريطانيا بدور غاية في الأهمية في السياسة الصهيونية، فمنذ البداية كانت لندن مركز المنظمة الصهيونية العالمية ومحجة الصهيونية السياسية، ويحدد هذا الاتجاه الاهداف التي من اجلها انشأ بالمرستون قنصلية بريطانية في القدس سنة ١٨٢٨م، بفضل الكفاح الذي بذله الايرل شافترزبري ١٨٠١-١٨٥٥م، الذي اخذ على عاتقه اقناع بالمرستون على ضوء الاعتقاد الديني بوجود عودة اليهود الى فلسطين، فتقدم بهذا الشأن بمشروعه وللمرة الاخيرة الى بالمرستون في صيف ١٨٢٨م، فلاقى الفكرة حينذاك هوى وتأييدا وقبولا من وزير خارجية بريطانيا وكان شافترزبري مقتنعا بان إعادة توطين اليهود في فلسطين، لن تنطوي فقط على حسنات لليهود فحسب بل للسلطان العثماني (لان فلسطين كانت آنذاك جزءا من املاك الدولة العثمانية) ايضا بحيث يمكن الاعتماد على ولاء رعاياه الجدد، الذين سوف يعيدون في الوقت نفسه اقليما مهجوراً الى سابق عهده في الازدهار والرخاء.

(١) جذور القضية اميل توما ص ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ١٢

(٣ + ٤) جذور القضية - اميل توما مرجع سابق ص ١٢ - ٢٧

وعندما كانت الدول الكبرى عاقدة العزم على اجبار محمد علي على التخلي عن سوريا، لكنها ما فتئت غير واثقة من مستقبلها، لهذا جرت مناقشة المشروع الهادف الى خلق كومونولث يهودي في النصف الجنوبي من فلسطين، ويعود السبب في ان هذه المشروعات لم تسفر عن شيء، لأن اليهود الاوروبيين الغربيين، يخوضون بالدرجة الاولى كفاح تحررهم، والاندماج الذي نتج عن هذا التحرر، فلم يروا اهمية او صلة وثيقة لانشاء امة يهودية جديدة بالمعنى والشكل السياسي.

وقد حدد بالمرستون اهداف تلك القنصلية في رسائله المتتالية ١٨٤٠-١٨٤١م الى (وليم يونج) - اول قنصل بريطاني في القدس - والى (بونسنبي) السفير البريطاني في استنبول والى قناصل بريطانيا في غرب اسيا، يطلب فيها تأمين حماية اليهود، لأن الوقت قد حان لتحقيق عودتهم الى فلسطين، لأن حكومة لندن حينئذ اعتقدت ان في السياسة الصهيونية ما يؤمن لها البقاء في فلسطين، ويحفظ لها النفوذ في الشرق الادنى^(١).

واشتدت الحملة الصحفية من اجل تأييد هذه السياسة، على اثر الضجة التي افتعلها اليهود في دمشق في شباط ١٨٤٠م، بعد اتهامهم بخطف الاب الفرنسيكاني (توما) وذبحه ليعجنوا بدمه خبز عيد الفصح، وكانت الدول الاوروبية تتحين الفرص للايقاع بمحمد علي، وتحطيم امبراطوريته التي كونها في مصر والشام والسودان والحجاز، لان الدول الاوروبية كانت تخشى قيام اي شكل من اشكال الوحدة في الوطن العربي، وقد قام المحامي والزعيم اليهودي (ادولف كريميه) في فرنسا بتحريك الرأي العام الاوروبي من خلال الصحافة والدعاية، التي اشرفت عليها الاطراف اليهودية في الغرب، ورفع دعوى ضد محمد علي، متهما اياه بالمسؤولية عن ضحايا هذه الفتنة من اليهود، ودعا الانجليز الى الاجتماع في لندن لتأييد الشعور بالمسؤولية المشتركة تجاه الشعب اليهودي وامانيه وتطلعاته، في العودة الى فلسطين وقرروا ارسال بعثة تحقيق يهودية الى الشرق الادنى برئاسة (موسى دي منتفيوري) و (ادولف كريميه) اللذين وصلا الى الاسكندرية سنة ١٨٤٠ وقابلا محمد علي، ثم قاما بزيارة فلسطين، حيث قررا اقامة مدرسة زراعية باسم (مقويه اسرائيل) - اي امل اسرائيل - جنوب شرق يافا، لتخريج مهندسين زراعيين يهود لاستصلاح الاراضي واستملاكها من قبل اليهود، ورحل المبعوثان الى استنبول حيث مكث موسى دي منتفيوري طويلا محاولا شراء رضا الباب العالي للموافقة على تأسيس مستعمرات يهودية في فلسطين، غير ان السلطان عبدالمجيد اصدر فرمانا سنة ١٨٤٠ بشأن الاعتراف لليهود بحق ممارسة شعائرهم الدينية ومساواتهم مع غيرهم من مواطني السلطنة في الحقوق المقررة في خط كلخانة^(٢).

(١) يوسف هيكل القضية الفلسطينية - نقد وتحليل - مطبعة الفجر يافا - فلسطين ص ٤٩

(٢) محمد مهدي - محاضرات مرجع سابق ص ٥٩

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر توالفت كتابات جديدة، تشرح أهمية الأراضي المقدسة (أي فلسطين) الاستراتيجية والسياسية، في ضوء الصراع الدولي حولها، وتعددت المشاريع الداعية إلى إعادة توطين اليهود في فلسطين غير أن المشاريع البريطانية في هذا الصدد كانت أكثر عدداً وأكثر إفاضة في التعبير عن أهمية فلسطين السياسية والاستراتيجية، وهذا مما يؤكد أن الحكومة البريطانية لا توازر الصهيونية بكل قواها، لاعتقادها بحق اليهود التاريخي في فلسطين. كل يعلم أن حكومة لندن لا تتخذ النظريات ولا العواطف قاعدة لسياستها^(١) فلا يمكن أبداً، لأن الاعتقاد السائد هو انصاف اليهود من مظالم التاريخ التي ترجع إلى أكثر من عشرين قرناً وما هذه الإحجة باطلة يراد بها إخفاء الأسباب الحقيقية وتمويه يراد به تضليل الجماهير والباحثين السطحيين^(٢).

أرسل الكولونيل تشرشل القنصل البريطاني في بيروت في عهد محمد علي، مقترحاً على مجلس ممثلي اليهود في بريطانيا، تأسيس وطن قومي لهم في فلسطين، من أجل وضع حد للاوضاع غير المستقرة حينذاك وقد شاركه في هذه الفكرة الكولونيل (جورج جاوهر) حاكم جنوب استراليا حينذاك، حيث أعلن سنة ١٨٤٥م، بأن استقرار الاوضاع في آسيا العثمانية، لن يتحقق إلا بإنشاء مستعمرات لليهود في فلسطين، وتوالفت أثراً ذلك كتابات (ادوارد كازليت) سنة ١٨٢٧-١٨٨٣م (ولورنس اوليفانت) ١٨٢٩-١٨٨٨م (وايرل شافتزبري) حيث كتب هذا مقالا سنة ١٨٧٦م، أبرز فيه دور الأراضي المقدسة (فلسطين) في التجارة العالمية، ونوه مؤكداً أهمية العنصر اليهودي في جعلها مركزاً لهذه التجارة. وأضاف قائلاً: (مما لا شك فيه أن استيلاء أي من منافسي بريطانيا (فرنسا أو روسيا) على سوريا سيكون ضربة قاضية لبريطانيا، المراد هنا فلسطين لأن فلسطين بلاد ليست مستقلة بالمعنى الجغرافي بل هي إقليم من سوريا الكبرى) فالامبراطورية البريطانية التي تمتد من كندا في الغرب إلى كلكتا وأستراليا في الجنوب الشرقي، سوف تنقسم عراها وتنقسم إلى قسمين، ومن ثم يجب على بريطانيا أن تبقى على سوريا لنفسها، وأن يصبح على بريطانيا - بدافع العامل السياسي - أن تؤيد اليهود وتؤكد قوميتهم، كلما سنحت الفرصة لعودتهم عن طريق إقامة دولتهم القديمة، لأن انكلترا هي أكبر دولة تجارية وبحرية في العالم، وكذلك يقع على عاتقها مهمة تأييد توطين اليهود في فلسطين^(٣).

قلنا أن الصهيونية قد وضعت ضمن برنامجها كسب تأييد الحكومات المختلفة من أجل تحقيق أهدافها، وكانت حياة هرتزل سلسلة من المحاولات للحصول على موافقة الدول حتى وفاته في ٣ تموز ١٩٠٤م، فبدأت اتصالاته على الصعيد الدولي باجتماعه بالوزير العثماني قبل عقد المؤتمر في ٢١ حزيران ١٨٩٦م، لبحث الاستيطان الاستعماري في فلسطين، تحت رعاية السلطان تحت اغراء دفع مبلغ ضخ من المال، فرفض الوزير رفضاً قاطعاً، ولهذا اتجه إلى

(١) يوسف هيكل - القضية الفلسطينية ص ٤٧

(٢) المرجع السابق ص ٤٧

(٣) محمد مهدي / محاضرات ص ٦٠

المانيا التي احتضنت (مؤتمر السنهدين) الذي عقده نابليون في اواسط شباط ١٨٠٧م، وكان يهدف من وراء ذلك مساواة اليهود بالفرنسيين واعلان فرنسة اليهود، للاستفادة منهم خاصة في بولونيا لتزويد جيشه الذي كان يعده للزحف على روسيا من جهة، وكسب اخلاص اليهود الفرنسيين من جهة اخرى، فراح هرتزل يسعى لدى الزعماء الالمان فقابل المستشار الالمانى الامبراطوري بسمارك ليستشيريه في مشروعه، ويطلبه في ان يقرر مدى فائدته للامبريالية الالمانية الناهضة، وكانت مقابلته الثانية مع الدوق الكبير (دوق بادن) في كارلسرو، حيث كتب يصفها في يومياته، فذكر انه تكلم حول الفائدة^(١) العظمى التي تجنيها اوربا، من اقامة الدولة اليهودية. واذاف مستعرضا اقواله امام الدوق: (وسنبنى خطوط السكك الحديدية في آسيا، لنكون طريق الشعوب المثقفة، ولن تكون هذه الطريق في حوزة اي من الدول الكبرى). وقال الدوق:

«وستحل المشكلة المصرية، فبريطانيا تتمسك بمصر لان عليها ان تدافع عن طريقها الى الهند» ومع ذلك ركز هرتزل جهودا كبيرة لكسب تأييد الامبريالية الالمانية ففي مقابلاته الثلاث مع قيصر المانيا (غليوم الثاني) الاولى في استنبول ١٨/١٠/١٨٩٨ والثانية في فلسطين ٢٩/١٠/١٨٩٨ والثالثة في القدس ٢/١١/١٨٩٨ اكد على الفوائد التي ستجنيها المانيا في فلسطين برعاية المانيا ورعايتها، اذا ما تبنت المشروع..

لقد اضاء وجه القيصر - حسب تعبير هرتزل - حين تكشف امامه الرؤيا التي رسمها هرتزل بمخططه (يوميات هرتزل - المحرر مارفن لويينثال ص ٢٧٢).

لم تثمر المساعي في اقناع القيصر لوضع الاستعمار الصهيوني تحت حمايته، لاعتبارات دولية اهمها: العلاقات الالمانية - العثمانية، وعدم رغبة القيصر الالمانى في تعكيرها، ولان مشروعات هرتزل كانت تتجاوز القدرة الالمانية، ولهذا لم تحظ الحركة الصهيونية بتأييد الالمان، وظلت الحكومة الالمانية حتى سنة ١٩١٤م، لا تبدي اي اهتمام جدي بالحركة الصهيونية على الرغم من ان المنظمة الصهيونية ذات طابع الماني قوي، وتضم بين شخصياتها البارزة كثيرا من اليهود الالمان.

ونتيجة لهذا الموقف الالمانى فكر هرتزل الاتصال مباشرة بالسلطان العثماني، حيث عرض على السلطان عبدالحميد اموالا طائلة تساعده على انفراج الازمة الاقتصادية^(٢) وقابل السلطان سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢م لكن السلطان لم يقبل، ورفض حتى سماع توسلات هرتزل واقترحاته، وكان رده المحدد كما يلي:

(١) اميل توما: جذور القضية ص ٥٩

(٢) زاهية قدورة - تاريخ العرب الحديث ص ١٨٨

«انصحوا الدكتور هرتزل بالا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع انني لا استطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الارض، فهي ليست ملك يميني، انها ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، فاذا مزقت امبراطوريتي فلعلمهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن، ولكن يجب ان يبدأ ذلك التمزيق في جثتنا، فاني لا استطيع الموافقة على تشريح اجسادنا، ونحن على قيد الحياة»^(١).

وإذا نظرنا الى موقف السلطان عبدالحميد المشرف من العروض التي قدمها هرتزل، فاننا نجد انه كان واعيا لاطماع الحركة الصهيونية، وكان يفرق بين الصهيونية واليهودية، ولهذا عندما استقبل هرتزل، استقبله على اساس انه يهودي ورئيس لليهود وصحافي لامع، لا لكونه صهيوني. لقد نظر عبدالحميد الى اليهودي على انه واحد من الرعية، ان كان من المقيمين في الدولة العثمانية، وعلى انه واحد من البشر، له حق اللجوء ان كان غريبا مضطهدا، ونظر الى الصهيوني باعتباره خطرا يمثل الاستعمار والاعتصاب، ويتضح وعي عبدالحميد بخطر الحركة الصهيونية، من وضعه لقانون «الجواز الاحمر» لمنع اليهود من الهجرة الى فلسطين، او حتى الإقامة فيها، وذلك في ٥ تشرين الثاني ١٩٠٠م، مما ادى الى حنقهم عليه، وشروع منظماتهم بالتعاون مع الدول الاستعمارية بمناوآته وتم لهم ما ارادوا حيث خلع عن الحكم عام ١٩٠٩م^(٢).

وبعد هذا راح هرتزل يطرق باب القيصرية الروسية، فاجتمع بوزير الداخلية الروسي (بهلفه) الذي عرف بمعاداته لليهود، وكان مسؤولا عن مذابحهم في كيشينوف، وكانت هذه المقابلة في ١٠/٨/١٩٠٣م وفي ١٤/٨/١٩٠٣م حيث توصل الاثنان الى قدر كبير من التفاهم، فهرتزل تعهد بان تسلخ الصهيونية اليهود عن صفوف الاشتراكيين، كما تعهد «بهلفه» بتمكين المنظمة الصهيونية بالعمل، كما وعد بالتدخل مع السلطان لتسهيل الاستيطان الصهيوني في فلسطين..

ورغم هذا التجاوب فقد راح هرتزل يطرق ابواب لندن، فبدأت المفاوضات..

لقد كان تنفيذ مشروع هرتزل امرا مهما بالنسبة لبريطانيا، فعندما حمل قيام المذابح اليهودية في روسيا سيلا من اللاجئين الى بريطانيا، اعتبر قدومهم بمثابة تهديد لمستوى المعيشة في بريطانيا، لذلك عمدت الحكومة برئاسة (آرثر جيمس بلفور) الى تعيين لجنة ملكية، لدراسة قضية الهجرة الاجنبية.. ومع ارتفاع المطالبة بفرض القيود، استطاع اصدقاء هرتزل اقناع اللجنة الملكية بالاستماع اليه، على انه شاهد وصاحب خبرة وتمت الاستجابة لطلب هؤلاء سنة ١٩٠٢م، رغم الاعتراضات الشديدة من جانب اللورد روتشيلد «ابرز اليهود الغربيين»، ولهذا كتب هرتزل الى روتشيلد في ١٢ تموز ١٩٠٢م مؤكدا الصلة بين الصهيونيين والمصالح

(١) عمر عبد العزيز تاريخ العرب الحديث والمعاصر ٥٩٩

(٢) مجلة العربي العدد ٢٧٨/١٩٨٢م

الامبريالية البريطانية وقال^(١): (حتى الان ما زال لديكم مجال كبير للحركة لابل وتستطيع ان تحظى على تقدير عظيم من جانب حكومتك، لوقمت بتعزيز النفوذ البريطاني في الشرق الادنى عن طريق استعمار كبير يوطده شعبنا، عند تلك النقطة الاستراتيجية).

ولكن روتشيلد لم يقتنع بحجة هرتزل، الذي استطاع ان يتوصل الى (جوزيف تشمبرلين) - وزير المستعمرات البريطاني - ١٨٣٦-١٩١٤م، وابلغ هرتزل احد الوسطاء بانه يرغب في كسب تأييد المستر تشمبرلين لاقامة وطن يهودي على نطاق واسع، داخل مناطق النفوذ البريطانية. من المفضل ان يكون ذلك في قبرص او شبه جزيرة سيناء المصرية، وذلك بتاريخ ٢٢ تشرين اول ١٩٠٢م، الا ان تشمبرلين استبعد قبرص لانها تقع ضمن صلاحية وزارة المستعمرات ولان اليونانيين والمسلمين الاتراك سيرفضون ذلك، ولكنه نظر نظرة ايجابية الى مشروع استعمار سيناء (مشروع العريش) لان مصر من اختصاص وزارة الخارجية واقترح على هرتزل الاجتماع باللورد (لاندسون) من وزارة الخارجية لهذا الغرض.

احال لاندسون وزير الخارجية البريطاني، مقترحات هرتزل الى اللورد (كرومر) المعتمد البريطاني في مصر وعلى الاثر تكونت لجنة لدراسة المشروع، وغادرت القاهرة في اوائل سنة ١٩٠٢م لدراسة شبة جزيرة سيناء على الطبيعة، واختيار الاماكن المناسبة لتعميرها واستيطانها، وانتهت اللجنة الى ان الاقاليم صالحة للاستعمار، واوصت بان تكون العريش هي بداية المشروع الاستيطاني، شريطة السماح لليهود بجلب الماء من نهر النيل.. ولكن هذا المشروع لم ينجح لان كرومر لم يتجاوب مع هرتزل، وبسبب معارضة الدولة العثمانية ومصر، وصعوبة توفير المياه الكافية للمستوطنين اليهود في العريش، ولان اقامة اعداد كبيرة من اليهود في سيناء سيؤدي الى زيادة الصعوبات امام الادارة المصرية.

وفي ٢٣ نيسان ١٩٠٣م عرض تشمبرلين منطقة اخرى للاستعمار الصهيوني فاقترح اوغندا لكن هذا المشروع فشل لاسباب منها:

- ١ - مقاومة المستوطنين الانجليز اي استيطان يهودي واسع، لأن ذلك يهدد مواقعهم على اعتبار ان المنطقة ستتحول الى اقليم حكم ذاتي يهودي لو تم المشروع.
- ٢ - معارضة قسم من الصهيونيين اختيار اوغندا، اعتقادا منهم انها لن تحرك عواطف اليهود كما تحركها فلسطين، التي ترتبط بتقاليدهم وطقوسهم الدينية، وعلى رأسهم الدكتور (لوسيج).

وفي ٣٠ تموز ١٩٠٥م عقد المؤتمر الصهيوني السابع بعد وفاة هرتزل وفي هذا المؤتمر تقرر التخلي عن فكرة استعمار اوغندا، والعودة الى برنامج العمل الاصيل، الذي حدد فلسطين هدفا له وعلى الاثر انشق عن المؤتمر المذكور، فريق من كبار الصهيونيين

(١) محمد مهدي - محاضرات ص ٦٥

البريطانيين بقيادة (اسرائيل زانغويل) والفوا حزب (الاتحاد الصهيوني الاقليمي). وكان هدفه تنمية استيطان اليهود في اي جزء ملائم من العالم، ورغم انسحاب هذا الفريق فقد رفض المؤتمر استعمار اوغندا، وأكد على العمل في فلسطين لاستعمارها تحت العلم البريطاني، كما اختار المؤتمر (دافيد ولفسون) رجل المصارف الالماني رئيساً للمؤتمر ولكن اسرائيل زانغويل عاد وحل حزبه حين وعدت بريطانيا وعدها المعروف.

وبوفاة هرتزل دخلت الحركة الصهيونية مرحلة جديدة مع انجلترا، وكان من ابرز زعمائها في ذلك الحين الثري البريطاني الشهير روتشيلد والدكتور حايم وايزمن^(١) وناحوم سوكلوف السياسي المحنك وغيرهم من رجال الصحافة والسياسة، وانقسم دعاة الصهيونية الى فريقين:

الفريق الاول: يرى التمسك بمبادئ هرتزل، والمحافظة على الصفة السياسية للحركة، ومواصلة السعي بالطرق السياسية والديبلوماسية، لاقامة الوطن الصهيوني، وعرف هؤلاء بالصهيونيين السياسيين، وعلى رأسهم (اسرائيل زانغويل).

اما الفريق الثاني فكان يرى عدم التقيد بتلك الوسائل، وينادي بدخول فلسطين واستعمارها بشتى الوسائل العملية الفعلية، وعرف هؤلاء (بالصهيونيين العمليين).

ويجب ان نأخذ بعين الاعتبار، ان الفارق بين الفريقين ليس اختلافاً من حيث المبدأ، بقدر ما هو خلاف في التركيز على بند دون الاخر، وظهر العمليون اكثر قوة، ولهذا بدأت الصهيونية العملية في تركيز جهودها نحو الاستيطان الاستعماري العملي لفلسطين، كما استطاعوا بمساعدة المنظمة العالمية من افتتاح بنك (انجلو - فلسطين) سنة ١٩٠٣م^(٢) كما بدأ الصندوق القومي اليهودي في ابتياع الاراضي سنة ١٩٠٥م، وافتتح مكتب فلسطين في يافا سنة ١٩٠٨م، ثم تأسست شركة تطوير فلسطين سنة ١٩٠٨م.

وامتد نشاط الحركة الصهيونية الى الولايات المتحدة وبريطانيا واصبحت هذه البلاد مراكز القوى الرئيسية للنشاط الصهيوني وقبض حايم وايزمن على زمام الحركة وأنصرف على نحو منهجي، الى تكوين جماعة من اليهود وغير اليهود، الذين باستطاعتهم ان يحصلوا على الدعم والتأييد في الاوساط الحكومية، ومن ابرز هؤلاء (هربرت صموئيل الذي اصبح سنة ١٩١٦ وزيراً للدولة واللورد ليونيل فالتر روتشيلد، وجيمس روتشيلد ابن ادmond روتشيلد الباريسي راعي الاستعمار اليهودي في فلسطين، ونورمان بنتويش القانوني والميجر اورمزي جيوروس سكوت رئيس تحرير جريدة المانشستر جارديان ورئيس تحرير جريدة التايمز اللندنية.

(١) بولوني الاصل بريطاني الجنسية كان استاذاً في احدى الجامعات متخصصاً بالصناعات الكيماوية والمتفجرات

(٢) وانشى سنة ١٩٠٢م في لندن انشىء اول فرع له في القدس سنة ١٩٠٣م واليوم هو البنك الرسمي لاسرائيل

هكذا نشط زعماء الصهيونية، واتصلوا برجال السياسة الانجليز، والتقت الاغراض، وتم الاتفاق على المؤامرة، ولهذا تبلورت سياسة الاستعمار ازاء الشرق العربي، في تقرير خاص عرف باسم تقرير (كامبل - بانرمان) رئيس وزراء بريطانيا سنة ١٩٠٧م،، ومما جاف فيه: (١)

(ان الخطر ضد الاستعمار، يكمن في البحر المتوسط، فعلى الشواطىء الشرقية والجنوبية لهذا البحر، يعيش شعب واحد تتوافر له وحدة التاريخ والدين واللغة، وكل مقومات التجمع والترابط، هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعتة للتححرر، فلو اخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة وامكانيات الصناعة الاوروبية، وانتشر التعليم فيها، فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربي فيجب اذن على الدول ذات المصالح المشتركة ان تعمل على استمرار تجزؤ هذه المنطقة، وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر، وهذا يستلزم فصل الجزء الاسيوي عن الجزء الافريقي في هذه المنطقة، وتقترح اللجنة لذلك اقامة حاجز بشري قوي وغريب، يحتل الجسر البري الذي يربط آسيا بافريقيا بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان منطقتة).

وعلى هذا النحو تلاقت اهداف الاستعمار والصهيونية، وما ان علمت الصهيونية بتقرير كامبل - بانرمان حتى نشطت لتكون هي الدولة التي تفصل بين جناحي الوطن العربي (الافريقي والاسيوي) ولتكون ذلك الحاجز البشري القوي الغريب، الذي يحول دون وحدة شعوب الامة العربية، وتقدمها ويحمي الاستعمار من الزوال.

كانت أول صورة لهذه الجرثومة منذ مائة سنة وذلك عام ١٨٨٢م (٢)، عندما ابحرت سفينة تافهة اسمها (اصلان) من رومانيا، ورسّت بعد خمسة أيام في ميناء يافا، في الخامس من شهر آب ١٨٨٢ وعليها بضاعة من البشر، لم يأبه بها احد (ثلاثة عشر رجلا وامرأة واحدة) من حركة لم يسمع بها احد واسمها (البيلو) اي احباء صهيون - وقد نزلوا مهاجرين، فأسسوا اول مستعمرة زراعية عند عيون قارة جنوب يافا وهي التي عرفت باسم (ريشون ليتسيون) - اي الاول في صهيون -.

وقبل ذلك بربع سنوات كان نفر من يهود القدس المتدينين قد خرجوا لحرّاة الارض، فأسسوا اول مستعمرة يهودية زراعية في بلدة ملبس العربية التي صارت فيما بعد (بتاح تكفا) اي - عتبة الامل - وكان الممول لهذه الحركة هو البارون روتشيلد الرأسمالي اليهودي، الذي ظل يدفع لهذه الهجرة مدة خمسين سنة حيث وظف في هذه الحركة الاستثمارية حتى موته عام ١٩٣٤م ما مقداره (١٥٠) مليوناً من الفرنكات الفرنسية.

واليوم اصبحت ريشون ليتسيون تمتد من شرم الشيخ الى جبل الشيخ، ومن القنيطرة الى القنطرة فيما تفترس الصخرة والاقصى المبارك وقبر المسيح ومهده.

(١) عمر عبد العزيز / تاريخ العرب الحديث والمعاصر ٦٠٧ - ٦٠٨

(٢) مجلة العربي العدد ٢٩٠ كانون ثان ١٩٨٢

بريطانيا صاحبة وعد بلفور

(حين انفجرت الحرب على العالم، بدا مؤكدا ان البناء الصهيوني سيتحطم وتذروه الرياح)^(١) هكذا وصف (ابراهيم ليون ساخر) الوضع في الحركة الصهيونية، في بداية الحرب العالمية الاولى في كتابه تاريخ اليهود.. ولكن بريطانيا تدخلت في اللحظة الحاسمة وانقذت البناء الصهيوني بل ارسدت قواعده واعلت بنيانه ..

في سنة ١٩١٣م اختتم المؤتمر الصهيوني الحادي عشر اعماله معلنا وقوف المنظمة الصهيونية على الحياد بين المعسكرين المتنازعين في اوربا، وفي سنة ١٩١٤م واجهت المنظمة المذكورة موقفا صعبا بعد نشوب الحرب، فلم يكن المقر العالمي للمنظمة في برلين فحسب بل ان الصهيونيين الروس لم يتعاطفوا مع الجهود القيصرية لتمنع هزيمة روسيا، وباشر المجلس الصهيوني العام المسؤول عن رسم السياسة، الى فتح مكتب في كوبنهاجن بهدف التأكيد على موقف المنظمة الصهيونية على الحياد وبذل بعض الجهود من اجل تثبيط التأييد الذي نادى به وايزمن لقضية الحلفاء، غير ان وايزمن اخذ يراقب الاحداث حيث نجح في تكوين وحدات صهيونية مستقلة، وخاصة بعد تفكك المقر الرئيسي في برلين، وانضم اليه كثير من الصهيونيين الاوروبيين البارزين وفي مقدمتهم ناحوم سوكولوف وتشليتوف، بعد ان وصلا الى بريطانيا في تشرين الثاني ١٩١٤م، وقام وايزمن بدور فعال في اقامة اتصال وثيق مع الصهيونيين الامريكانيين^(٢)، وبذلك لم تقف الصهيونية موقف الحياد بل عملت في كل اتجاه لضمان تحقيق اهدافها، ايا كان المنتصر في الحرب، وكرسوا جهودهم في كل الولايات المتحدة وبريطانيا، للحصول على تعهد من الحلفاء، يعترف بفلسطين على انها كومونولث يهودي يفتح ابوابه امام هجرة غير مقيدة في حالة هزيمة الاتراك.

وجرت المحاولة الاولى للربط بين المصالح البريطانية والاطماع الصهيونية تجاه فلسطين، عندما قدم هيربرت صموئيل مذكرته الى ادوارد جراي في تشرين ثان ١٩١٤، تحت عنوان «مستقبل فلسطين»^(٣).

ورغم ذلك لم تنجح المحاولات التي بذلها الصهيونيون خلال العامين الاولين من الحرب، في التأثير على الحكومة البريطانية، فبريطانيا لم تتمكن خلال اتفاقات الحرب بفلسطين، حتى لا تثير عناد كل من فرنسا وروسيا^(٤) كما لم تسمح لاي واحدة منها ان تضع يدها على فلسطين،

(١) تاريخ اليهود / ابراهيم ليون ساخر الطبعة الخامسة نيويورك ص ٣٦١

(٢) عمر عبد العزيز - دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر دار النهضة بيروت ١٩٧٥ ص ٦١١

(٣) بهجت صبري فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما بعدها ١٩١٤ - ١٩٢٠ جمعية الدراسات العربية

القدس ١٩٨٢ ص ١٠٠

(٤) محاضرات في الدراسات الفلسطينية محمد مهدي ص ٧١

لهذا تقرر وضع فلسطين تحت حكم دولي في اتفاقية (سايكس - بيكو) يتمتع اليهود في ظله بالمساواة السياسية والدينية والمدنية.. لكن في سنة ١٩١٧م احرزت المحاولات الصهيونية بعض النجاح بفعل الدور الذي لعبه هربرت صموئيل، ولقد سبق له ان عرض على اللورد جراي مسألة انشاء دولة يهودية في فلسطين بمساعدة بريطانيا والولايات المتحدة خاصة مع ارتفاع عدد المنتسبين للمنظمة الصهيونية في امريكا (الاتحاد الصهيوني سابقا)^(١).

واصبح في الامكان اثارة الرأي العام والكونجرس للمطالب الصهيونية^(٢)، كما اتيح لصموئيل فرصة الحديث مع (لويد جورج) في نفس الموضوع في اليوم ذاته، وقد صاغ صموئيل افكاره وقدمها في مذكرة في آذار سنة ١٩١٥، الى (سكوبت) رئيس الوزراء البريطاني، وقد كانت هذه المذكرة نقطة تحول في تاريخ الشرق الاوسط والعالم وقد ذكر هربرت صموئيل في مذكرته هذه خمسة احتمالات لمستقبل فلسطين عندما يتم انهيار الامبراطورية العثمانية:

١ - الاحتمال الاول: افساح المجال امام فرنسا لتضع اقدامها في فلسطين، وهذا مما يشكل خطرا على المصالح البريطانية وخاصة في خطوط مواصلاتها.

٢ - الاحتمال الثاني: عودة فلسطين الى السيادة العثمانية لكي تقع من جديد وسط القذارة والفساد.

٣ - الاحتمال الثالث: التدويل.

٤ - الاحتمال الرابع والخامس: انشاء دولة يهودية وانشاء محمية بريطانية. وقد لعب هذان الاحتمالان دورا حاسما في صياغة السياسة البريطانية.

لكن صموئيل لم يؤيد اقامة الدولة اليهودية على الفور، لان ذلك قد يكلف الحركة الصهيونية ثمنا غاليا، وقد ينطوي على اخطار جسيمة بالنسبة لها، واختتم صموئيل مذكرته بالقول ان الاحتمال الوحيد والقابل للتحقيق في هذه المرحلة هو اقامة محمية بريطانية.

وبالرغم من ان هذه المذكرة ذكرت بوضوح المزايا التي قد تحصل عليها بريطانيا نتيجة لسيطرتها على فلسطين، الا انها لم تجد اذنا صاغية لدى رئيس وزراء بريطانيا، لأنه لم يكن يعطف على الحركة الصهيونية. لكن بعد استقالة وزارة اسكوبت في كانون اول ١٩١٦م وجد اقتراح هربرت صموئيل استجابة لدى لويد جورج رئيس الوزراء الجديد، والذي عين (آرثر جيمس بلفور) وزيرا للخارجية وقد عرف عنهما ميلهما الشديد الى الصهيونية بالاضافة الى (ملنر) وزير المستعمرات في وزارة لويد جورج وكان من غلاة المؤيدين للحركة الصهيونية.

(١) بهجت صبري فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ص ١٠٠

(٢) محمد شديد الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية - جمعية الدراسات العربية -

القدس ١٩٨٢ ص ٤٧ - ٤٨

وعلى الرغم من اعلان الاتفاق الودي سنة ١٩٠٤م، كان «ملنر» يعتقد ان بريطانيا لا تستطيع الافتراض لاستمرار علاقاتها الطيبة مع فرنسا الطامعة في المشرق العربي.

كان التغيير الوزاري البريطاني في مصلحة الصهيونية، وكذلك كان الوضع العسكري، بعد قرار الحكومة البريطانية القيام بهجوم واسع النطاق على فلسطين، ويلخص تقرير اللجنة التنفيذية الصهيونية خط سير الصهيونية الحاسم في بريطانيا بين عامي ١٩١٤-١٩١٧ على الشكل التالي^(١):

(لقد وضعت خلال الاشهر الاولى من الحرب اسس التفاهم الوثيق مع رجال الدولة، الذين يوجهون اقدار بريطانيا، ولم يكن الوقت قد اصبح مواليا بعد لاصدار اوتأكد رسمي من قبل حكومة بريطانيا، بالتأييد لكن جوا قد خلق وبات للمرء ان يأمل إذا ما توفرت ظروف مناسبة - الحصول على تأييد كهذا وخلال العامين التاليين، ازداد جو الصداقة والود حرارة، وكان للبذور التي بذرت سنة ١٩١٤ ان تؤتي أكلها، حين اصبح المستر لويد جورج رئيسا لوزراء بريطانيا، واصبح المستر آرثر جيمس بلفور وزيرا للخارجية).

هكذا وبعد مجيء وزارة لويد جورج الى دفة الحكم، جرت مفاوضات للمرة الاولى بين الزعماء الصهيونيين، ومندوب معتمد من الحكومة البريطانية، فقد كلفت السير (مارك سايكس) في ٧ شباط ١٩١٧ الدخول في مفاوضات مع الصهيونيين وقد عقد الاجتماع الاول في منزل (موسى جاستر) وهو صهيوني بريطاني، كما حضره اللورد روتشيلد وهربرت صموئيل وجيمس دي روتشيلد وبنيتش وحايم وايزمن وناحوم سوكولوف، وافتتح جاستر الاجتماع بعبارة مفادها ان الصهيونية ترى تحقيق اهدافها عن طريق السلطة البريطانية بمفردها^(٢)، وقد ساعد ذلك في طمأنة الحكومة البريطانية، على ان مصالحها الاستراتيجية في فلسطين ستكون جزءا اساسيا في اي اتفاق يتم التوصل اليه، بين بريطانيا وبين المنظمة الصهيونية.

وتحدث هربرت صموئيل معربا عن امله في ان ينال يهود فلسطين كيانا قوميا كاملا، وان يعتبر يهود المهجر شركاء في هذا الكيان القومي.

وتكلم حايم وايزمن في وجوب عدم القيام باي عمل من شأنه ان يحدد الهجرة اليهودية الى فلسطين ويبدو ان كل كلمة من هذه الكلمات كانت معدة ومدروسة قبل الاجتماع.

كما لخص سايكس في الاجتماع، العقبات التي قد تعترض المقترحات الصهيونية وهي:

شكوك روسيا، والمعارضة العربية المتوقعة، واصرار الفرنسيين على انشاء محمية تحت الانتداب الفرنسي في سوريا متضمنة فلسطين.

(١) محمد مهدي محاضرات في الدراسات الفلسطينية ص ٧٢

(٢) محمد مهدي محاضرات في الدراسات الفلسطينية ص ٧٢

وانتهى الاجتماع بتلخيص رغبات الصهيونيين الاساسية وهي:

- ١ - اعتراف دولي بحق اليهود في فلسطين .
- ٢ - خلق جنسية قانونية للجالية اليهودية في فلسطين .
- ٣ - انشاء شركة يهودية مساهمة في فلسطين تعطي حق امتلاك الاراضي .
- ٤ - توحيد فلسطين تحت ادارة واحدة .
- ٥ - اعلان المناطق المقدسة في فلسطين مناطق حرة .

كانت المواد الثلاث الاولى من هذه المجموعة تضم الاهداف الصهيونية اما المادتان الاخيرتان فقد وضعتا لطمأنة كل من انكلترا وروسيا .

يستدل من هذا، ان زعماء الصهيونية حددوا الدول الاوروبية، التي ستقف الى جانب الاطماع الصهيونية في فلسطين، لذا ركزوا نشاطهم السياسي لكسب تأييد بريطانيا لتحقيق اطماعهم في فلسطين^(١) ومن ناحية اخرى، كان سايكس يقدر اهمية الحصول على موافقة فرنسا بالنسبة للصهيونية، فاختر سوكلوف للاتصال بجورج بيكو في السفارة الفرنسية في لندن، وهناك تباحث الاثنان في المسألة اليهودية، ولم يلتزم بيكوباى التزام سوى انه وعد ببذل كل ما يمكن، لابلغ اهداف الصهيونية الى الحكومة الفرنسية، ثم تابع زعماء الصهيونية بذل المساعي في لندن. ففي آذار ١٩١٧م اتصل حايم وايزمن بأرثر جيمس بلفور وتباحثا في موضوع فلسطين والصهيونية وكانت النتيجة مرضية، وفي ٣ نيسان ١٩١٧م قابل وايزمن لويد جورج وتطرق الحديث خلال المقابلة، الى استخدام فصيل من اليهود الذين خرجوا من فلسطين، ضمن الحملة المزمع انفاذها الى فلسطين وقد عبر لويد جورج عن سروره وتقديره لاهمية هؤلاء في تزويد الحملة بالمعلومات الضرورية عن البلاد، والقيام باعمال، تجسس وفي نفس اليوم التقى لويد جورج وكيرزون بسايكس ليلة رحيله الى الشرق لينضم الى الحملة على فلسطين مستشارا سياسيا للقائد العام، وطلبا منه عدم اعطاء اي من التعهدات للعرب بخصوص فلسطين، وعدم القيام بما يؤدي الى الاضرار بالحركة الصهيونية، في حين كان سوكلوف في اوربا يعرض المسألة الصهيونية، ونتيجة لتلك المساعي اعلن وايزمن في ٢٠ ايار ١٩١٧ امام الاتحاد الصهيوني الانجليزي ان الحكومة البريطانية على استعداد لاعلان مسانقتها للصهيونية، وردد القادة الصهيونيون مع زعيم المنظمة الصهيونية حايم وايزمن «لولم تكن هناك صهيونية، لكان على الامبرياليين خلقها»^(٢).

وفي حزيران ١٩١٧ قام وزير الخارجية البريطاني بلفور، باستدعاء روتشيلد ووايزمن الى مقره بالوزارة، وبحث معهما الاهداف الصهيونية، وطلب منهما ان يقدموا مشروعات مكتوبة عن امانهم، وفي الحال تألفت لجنة سياسية تضم مشاهير المفكرين والسياسيين الصهيونيين،

(١) بهجت صبري فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ص ١٠١

(٢) اميل توما الصهيونية المعاصرة منشورات الاسوار عكا ١٩٨٢ ص ٢٦

وبدأت في الحال العمل لوضع مسودة لتصريح يؤيد وجهة النظر الصهيونية، حتى تتبناه الحكومة البريطانية، ووضعت اللجنة عدة صيغ للتصريح، ولكن اكثرها لم يلق تأييد الحكومة لانها كانت تفضل ان يكون التصريح مجرد موافقة اولية ومبدئية على الخطوط العامة^(١).

وفي تموز ١٩١٧ اتفق الصهيونيون في الولايات المتحدة وبريطانيا على نص مشروع اعتبرت فيه فلسطين باكملها وطنا قوميا يهوديا، مع اطلاق الهجرة اليهودية والحق باستملاك الاراضي وقد نص المشروع على ما يلي:

(بأن حكومة جلالة الملك بعد اطلاعها على اهداف المنظمة الصهيونية، تقبل مبدأ الاعتراف بفلسطين وطنا قوميا للشعب اليهودي وبحقوق الشعب اليهودي في اقامة حياة قومية له في فلسطين، في ظل حماية تنظم بعد احراز النصر، وعقد لواء السلام. ان حكومة جلالة الملك ترى ان تحقيق هذا المبدأ يجعل من الضروري منح استقلال ذاتي للقومية اليهودية في فلسطين، وحرية الهجرة اليهودية، وانشاء شركة يهودية قومية لاستعمار الاراضي، وتقوم باسكان المهاجرين وبتنمية اقتصاد البلاد.

كما ترى حكومة صاحب الجلالة، ان شروط الاستقلال الداخلي واشكاله وبراءة الشركة اليهودية القومية لاستعمار الاراضي يجب ان تهياً بالتفصيل ويبت فيها بالاتفاق مع ممثلي المنظمة الصهيونية.

ولكن ممثلي اليهود غير الصهيونيين، اثاروا عاصفة من النقد للمشروع لانهم تخوفوا من اطلاق الهجرة واقامة وطن قومي يهودي على هذا الشكل، ومن خلق قومية يهودية، قد تضطربهم الدول فيما بعد الى اعتناقها والى الهجرة الى فلسطين، وخشية ان يؤدي ذلك الى جعل اليهود غرباء في الديار التي يقيمون فيها، والى تهديد مركزهم الذي ظفروا به كمواطنين^(٢) وطلبوا مرارا من الحركة الصهيونية التخلي عن مبدأ القومية، ومبدأ الهجرة الحرة، في حين كان المبدأ القومي في نظر (وايزمن) وامثاله مصدر قوة للحركة الصهيونية، والهجرة الوسيلة الوحيدة المرجوة للتوسع.

لكن الحكومة البريطانية قامت بتعديل المشروع لكي يتلاءم مع اليهود غير الصهيونيين ونص المشروع المعدل على ما يلي:

- ١ - تقبل حكومة صاحب الجلالة مبدأ اعادة تحويل فلسطين الى وطن قومي للشعب اليهودي.
- ٢ - ان حكومة صاحب الجلالة ستبذل اطيب مساعيها لتحقيق هذه الغاية، وستتفاوض مع المنظمة الصهيونية في تحديد الطرق والوسائل الضرورية لبلوغها.

(١) محمد مهدي دراسات مرجع سابق ص ٧٥

(٢) أكرم زعيتر القضية الفلسطينية دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ص ٤٤

وافقت الولايات المتحدة على هذا التعديل، لان وعد بلفور لم يصدر الا بعد جهود بذلت لموافقة فرنسا والولايات المتحدة عليه،^(١) حيث لم توافقا على جعل فلسطين بأكملها وطنا قوميا لليهود، وادى الاكتفاء بانشاء وطن لليهود في فلسطين، وبعد مباحثات قبل الصهيونيين بالامر الواقع كما وافق الرئيس ولسون رئيس الولايات المتحدة على صيغة التصريح النهائية، ولم يدر العرب اي مصير كان الحلفاء قد اعدوه لهم^(٢).

وفي ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧ بعد احتلال القوات البريطانية لميناء غزة اصدر اللورد آرثر جيمس بلفور تصريحه المعروف باسمه وكان التصريح على صورة خطاب وجهه وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد وكان نصه كما يلي:
(عزيزي اللورد روتشيلد:

يسرني سرورا كثيرا ان انهي اليكم - نيابة عن حكومة جلالتة - التصريح التالي الذي يعلن العطف على المطامع اليهودية، وقد عرض هذا التصريح على الحكومة البريطانية فوافقت عليه.

ان حكومة جلالتة تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهودها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على ان يفهم جليا، انه لن يؤتى بعمل من شأنه ان يغير الحقوق المدنية والدينية، التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية، المقيمة الان في فلسطين ولا الحقوق او الوضع السياسي، الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى.

وأكون ممتنا لكم لو ابلغتم هذا التصريح الى الاتحاد الصهيوني^(٣)

وقد ظل هذا الوعد مكتوما عن العرب عموما، والشعب الفلسطيني خصوصا، حتى سنة ١٩١٨^(٤) هذا الوعد القاضي باغتصاب جزء من البلاد العربية، بل قلبها اذ هو مركز الاتصال بين الجزيرة العربية والعراق ومصر والمغرب العربي (فلسطين) الجزء الجنوبي من سوريا، وتحويل هذا الجزء الحيوي والحساس الى وطن قومي لليهود، ولإقامة الدولة الصهيونية، لتكون مانعا وحائلا دون توحيد البلاد العربية^(٥) حيث منحت بريطانيا ارضا لا تملكها، الى جماعة لا تستحقها، على حساب من يستحقها ويملكها، مما ادى الى اغتصاب وطن وتشريد شعب بكامله على نحو لا سابقة له في التاريخ^(٦).

(١) أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية ص ٤٤

(٢) مهدي عبد الهادي المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٩٧٥ ص ٢٠

(٣) عمر عبد العزيز تاريخ العرب الحديث والمعاصر ص ٦٢٠

(٤) عيسى السفري / فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ص ١٢

(٥) خليل البديري ستون عاما مع الحركة الوطنية منشورات صلاح الدين القدس ١٩٨٢ ص ٩

(٦) مهدي عبد الهادي المسألة الفلسطينية ص ٢٠

لماذا اصدرت بريطانيا وعد بلفور

ذكر المؤرخون عدة اسباب دعت بريطانيا الى اصدار وعد بلفور فقد كتب الصهيوني (كريستوفر سايكس) في كتابه (مفترق الطرق الى اسرائيل)^(١): «لا يعرف بالضبط دوافع الوعد فهناك اسباب عديدة عزيت اليه بحيث لم يعد ممكنا الايمان باي واحد منها منفردا».

وقال حايم وايزمن في خطابه الذي القاه في المعهد الملكي للشؤون الدولية في لندن، في ٩ حزيران سنة ١٩٣٦م^(٢): ان القول الذي ردد كثيرا، بان وعد بلفور صدر لاسباب استعمارية ولغيرها، من الاسباب الحقيرة، هو قول مكذوب، واعتقد ان حقيقة واحدة تستطيع محو هذه الخرافة وهي ان الحكومة البريطانية، عندما وافقت على اصدار وعد بلفور المشهور وضعت شرطا واحدا وهو ان لا تلقى مهمة حكم فلسطين على كاهل بريطانيا العظمى).

وقد عزا بعض المؤرخين صدور وعد بلفور، الى رغبة بريطانيا في دفع الولايات المتحدة دخول الحرب الى جانبها، ولا سيما ان الرأي العام الامريكي، يسيطر الى حد كبير على سياسة امريكا كما يسيطر عليها الصهاينة الى حد كبير ايضا، لأن هناك عاملا اساسيا اظهرته الحرب العالمية الاولى في الميدان، هو التنافس بين المتحاربين على كسب ود اليهودية العالمية، وان تكسب العناصر اليهودية القوية في المانيا والنمسا، حيث كانت تلك العناصر تفاوض فعلا الدول الوسطى، لكي تصدر وعدا تركيا مشابهها لوعد بلفور، فأرادت بريطانيا ان تصرف تلك العناصر الصهيونية الى انتصار الحلفاء^(٣).

ومن النظريات السخيفة حول دوافع بريطانيا لاصدار الوعد، والتي ساعدت على تشويه الرؤيا، والتشكيك بمحركات الوعد الحقيقية، ومن هذه النظريات ان بريطانيا اصدرت الوعد اعترافا منها بخدمات البحاثة (حايم وايزمن) على اختراعه واكتشافه مادة الاسيتون من الذرة، التي تدخل في صناعة المتفجرات في ادق مراحل الحرب. وتروى الاسطورة: ان لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني سأل وايزمن: بماذا يستطيع ان يكافئه. فاجابه وايزمن: (اصنع شيئا لشعبي) فتأثر اساطين الامبراطورية فاصدروا الوعد^(٤).

وهناك الاسطورة التي روجها صاحب الوعد نفسه (اللورد بلفور)، الذي علق على وعده المعروف قائلًا: «ان السياسة البريطانية في فلسطين، تسير وراء تجربة جريئة فذة في التاريخ

(١) كريستوفر سايكس مفترق الطرق الى اسرائيل الطبعة الخامسة نيويورك ص ٣٦١

(٢) جورج انطونيوس / يقظة العرب دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٢ ص ٣٧١

(٣) المصدر نفسه ص ٣٦٨

(٤) ميخائيل زوهر / النبي المسلح حياة ابن غوريون ص ٣٣

الانساني^(١) حيث زعم ان اليهود تعرضوا في اوربا للطغيان والتعذيب، ولذلك جاء الوعد تكفيراً عن الجرائم التي ارتكبتها اوربا بحقهم (خطابه في مجلس اللوردات البريطاني في ٢١ حزيران ١٩٢٢).

ومن المغالطات ايضاً، ان بريطانيا قد أصدرت وعد بلفور، لقاء وعود بتقديم اعانات كبيرة دفعتها المصادر اليهودية لشراء سندات ديون الحرب^(٢).

ورغم ذلك فانه من المؤكد ان بريطانيا حين أصدرت الوعد اخذت بعين الاعتبار إمكانات استخدام الصهيونية في مواجهة حركات التحرر القومي العربية، والتي كانت قد بدأت تتبلور بوضوح وتتحول الى حركة ذات جذور بين الجماهير العربية في سوريا الطبيعية والعراق، وكذلك فان مصالح الامبراطورية البريطانية عميقة جدا في المنطقة، ولهذا جعلها تصدر الوعد وتتمسك به كما ابرز (لويد جورج) في كتابه (الحقيقة حول معاهدات الصلح) بعض هذه الاسباب قائلًا: (ان بعض ما حفز بريطانيا الى اصدار الوعد، هي المعلومات التي وصلت الى الحكومة البريطانية، بان قيادة اركان الجيش الالماني سنة ١٩١٦م الحت على الاتراك ان يلبوا مطالب الصهيونيين، بشأن فلسطين، وان الحكومة الالمانية تبذل مساعي جدية للاستيلاء على الحركة الصهيونية).

ولكن السبب الجوهرى والوحيد، الذي دفع بريطانيا الى اصدار الوعد هو مصالحها في المنطقة. وهذا ما اكدته واعربت عنه الصحف البريطانية فكتبت جريدة (ساندي كرونيل):

(ولا يوجد جنس آخر في العالم، يستطيع ان يقوم بهذه الخدمات لنا غير اليهود انفسهم، ولدينا في الحركة الصهيونية القوة المحركة، التي ستجعل امتداد الامبراطورية البريطانية في فلسطين مصدر كبرياء وركن قوة).

ولقد صدق لويس جولدنغ في كتابه (المشكلة اليهودية) عندما قال:

(ان الصهيونية منذ البداية كانت حركة انجليزية لا حركة يهودية فحسب).

كما دعت الصحف الاخرى الى اعادة فلسطين لليهود، خوفا من ان تقع في ايدي مؤذية للامبراطورية البريطانية وكتبت جريدة (ايفننج استاندرد) (لقد اوضحت المصالح البريطانية منذ وقت طويل، قيام دولة حاجزة بين مصر وحكومة تركيا المعادية، والصهيونية تزودنا بالحل)^(٣).

كما ابرز لويد جورج اسبابا اخرى ديبلوماسية وعسكرية ملحة حققت اجماع الوزراء، حول موضوع الوعد، حتى ان السيد (مونتاجي) وزير الهند اليهودي، الذي عارض الوعد، وكان من اشد اصدقاء الصهيونية، استسلم وقبل التصريح بوصفه ضرورة عسكرية.

(١) محمد مهدي محاضرات مرجع سابق ص ٥

(٢) جورج انطونيوس يقظة العرب ص ٣٦٨

(٣) جذور القضية اميل توما ص ٨٤

اما كريستوفر سايكس فقد اعترف في كتابه (بان المسؤولين البريطانيين في الحكومة البريطانية رأوا في الصهيونية فرصة رائعة لمواجهة اي توطين فرنسي في سوريا).

ولهذا فمن الممكن تلخيص دوافع الوعد، فنقسمها الى دوافع جوهريه بعيدة المدى، والى دوافع ثانوية آنية.. فالاسباب الاولى هي رؤية ممكنات البرنامج الصهيوني، في توطيد مواقع الامبريالية في المنطقة وهذا يعني صد الحركة القومية العربية واجهاضها.

اما الاسباب الثانية فكانت تفويت الفرصة على المانيا لكسب الصهيونية، واستخدام الصهيونيين في المنافسة بين بريطانيا وفرنسا، ولكن هذا السبب تحول بعد الحرب الى عامل جوهري بعيد المدى.

واخيرا استطاعت الصهيونية في مؤتمر «سان ريمو» الذي عقد سنة ١٩٢٠م وعن طريق عصبة الامم، الحصول على حق الانتداب في فلسطين كما استطاعت بذلك ان تحول البلاد الى مستعمرة لها، وقد نجحت ايضا وفي نفس العام في حمل بريطانيا على ان تضمن في معاهدة سيفر المبرمة مع تركيا في ١٠ اغسطس ١٩٢٠، نصا يثبت تصريح وعد بلفور حيث نصت المادة (٩٥) من المعاهدة:

(على ان يتعهد بادارة فلسطين عملا باحكام المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم، والى دولة منتدبة تكون مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور)^(١).

وبهذا فقد ظهرت وتجسمت نوايا الاستعمار البريطاني في صيغة الوعد على مجابهة اليهود بغير اليهود (اي العرب) واقامة حكم (فرق تسد).

ومن الكتب التي صدرت حول هذا الموضوع كتاب (عربة اسرائيل) لهارولد ولسون رئيس وزراء بريطانيا، من عام (١٩٦٤-١٩٧٠م) ومن (١٩٧٤-١٩٧٦م) ومن يقرأ هذا الكتاب لن يحتاج الى تفكير طويل لمعرفة السبب وراء اختيار هذا العنوان للكتاب الذي يروي قصة اليهود والصهيونية واسرائيل قديما في عهد الفراعنة، وحديثا في عهد رجال من امثال تشرشل ولفور وترومان ووايزمن فتلك العبارة (عربة اسرائيل) وردت في التوراة (اصحاح الملوك) رقم (٢) اشارة الى مسيرة بني اسرائيل شعب الله المختار.

ففي مذكرات ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق، قال عن هارولد ولسن:

(انه من السياسة الاوروبية الذين انشغلت قلوبهم باسرائيل، وقد كان اخلاصه الشديد لاسرائيل ثم توليه رئاسة الحكومة اثناء حرب يونيو، ١٩٦٧، وقبلها كان قد تولى منصبا رفيعا في حكومة (اتلي) عندما اعلن قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨م كل ذلك كان سببا وراء اصداره هذا الكتاب الضخم (٤٠٠) صفحة من الحجم الكبير.

(١) امريكا تتخلص من اليهود مرجع سابق

في هذا الكتاب المليء بالمغالطات التاريخية، التي تستهدف التغطية على الحقائق المشوهة، والادانات الذاتية، والاعتراف بارتكاب الاخطاء يبدأ ويلسون باستعراض مفصل لاصل اليهود وهجرتهم الى فلسطين وعودتهم اليها ثم طردهم منها، وبعد ذلك راح يفسر الفكر الصهيوني قبل ان يروي ما حدث في العقود التي سبقت وعد بلفور واصرار تشرشل على تنفيذ هذا الوعد، ومشاركة الرئيس الامريكى (هارولد ترومان) في تحقيق احلام اليهود في العالم بعاطفة صادقة تجاه كل ما هو يهودي وصهيوني، ويقول هارولد في مقدمة كتابه (ان اعجابي بالاسرائيليين يرجع الى ايام الدراسة عندما كنت طفلا صغيرا) ويقصد بذلك دروس التوراة والتاريخ المليئة بقصص بطولات جيش الاسرائيليين وملوكهم وانبيائهم، مثل داود وسليمان وقصص شمشون ودليلة وجوليات الجبار، الذي استطاع داود الطفل ان يهزمه بذكائه بان رجمه بحجر من مقلاعه.

ويكشف ويلسون في كتابه انه لم يكن وحيدا في مدى تعلقه بالتوراة والصهيونية واسرائيل، بين السياسيين البريطانيين، فهناك من فعل اكثر منه من اجل ترسيخ اقدام اليهود في فلسطين، ويقول ويلسون: (ان اليهود كانوا يحلمون، ولكن السياسيين البريطانيين هم الذين حولوا الحلم الى حقيقة واول هؤلاء واهمهم (ارثر جيمس بلفور) وزير الخارجية الذي وعد اليهود في ٢ نوفمبر ١٩١٧ باقامة وطن لهم في فلسطين. وترجع اهتمامات بلفور باليهود وتاريخهم الى الطفولة ايضا فبالاضافة الى نشأته الاسكتلندية كانت امه تتمسك بالتوراة وكلما كبر بلفور ازداد اعجابه بالفلسفة اليهودية، وتعاطفه مع كل ما هو يهودي، ثم اصبحت مشكلة اليهود في العالم المعاصر، تمثل جزءا هاما في حياته الى ان قال لهم ذات يوم:

(ان الدين المسيحي، والحضارة العالمية يدينان بالكثير لليهودية، ومن العار ان هذه الديون لم تسدد بعد) حيث نقلت عنه هذا الكلام ابنة اخته (بلانس دوغان).

وأورد ويلسون مقتطفات هامة في حديث دار بين بلفور وحاييم وايزمن، يقول ويلسون:

(في بادىء الامر، عرض بلفور اوغندا على اليهود، ولكن وايزمن المعروف بشدة دهائه قال بسرعة: ماذا لو عرضنا عليكم باريس بدل لندن.. فرد بلفور: ولكن لدينا لندن.. فقال وايزمن: هذا صحيح ولكن القدس كانت معنا عندما كانت لندن مستنقعا..).

هذه المحاوره - يقول ويلسون وغيره - كانت الشرارة التي جعلت اعجاب بلفور باليهود يتضاعف حتى انه تحدث بعد لقائه بوايزمن، عن الحماس والوطنية اليهودية، بحيث انهم رفضوا اي بديل عن العودة الى فلسطين.

وبعد ذلك يورد الكاتب بعض الفقرات التوراتية، بالاضافة الى السرد التاريخي الذي ساقه مغلوطا لنسج قصة توحى للقارىء بان فلسطين يهودية. تقول احدى فقرات التوراة:

(سيمد الله يده مرة ثانية لاستعادة بقايا شعبه، وسيقيم راية للشعوب وسيجمع منبؤذي اسرائيل وسيلم شمل المشتتين من يهوذا من زوايا الارض الاربع).

كما يورد نص الوعد المزعوم الموجود في سفر التكوين الاصحاح ١٥ الايات ١٨-٢١ والذي حاكته احبارهم بعد ايام موسى بستمائة سنة او تزيد، ونسبوه اليه بالزور، ويقول النص: (قطع الرب مع ابرام ميثاقا، لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير (نهر الفرات))^(١).

وإذا كان الوعد حقا فان الله اعطى الارض لنسل ابرام (ابراهيم) ونسل ابراهيم هم العرب، اما هؤلاء فنعرف انهم من نسل الخزر ولا شأن لهم بابراهيم ونسله. كما يقول ويلسون: (ان الشعب اليهودي هام على وجهه اكثر من ٢٥ قرنا وتعرض للمعاناة). وتحدث عن هجرتهم الى مصر، واضطهاد الفراعنة لهم، ثم عودتهم بقيادة موسى لاحتلال اجزاء من فلسطين، ولكن الكاتب لا يشير في معرض حديثه هذا الى الفلسطينيين ابدا على انهم السكان الاصليون لفلسطين، ولعل اكبر مغالطة تعمدتها هارولد هنا القول بان اليهود كانوا يشكلون اغلبية في مدينة القدس يوم سقوط فلسطين في يد الجنرال^(٢) اللبني بعد سبعة ايام من وعد بلفور (يوم ٩ نوفمبر ١٩١٧م) علما بان عدد اليهود لم يزد عن بضعة الاف ويومها نزل اللبني عن حصانه، ودخل القدس من احدى بواباتها مترجلا وقال: (هكذا عادت الامم المسيحية الى القدس بعد ٧٣٠ سنة) ثم يضيف ويلسون: دخول اللبني الى القدس كان دليلا جديدا على مدى الدعم والتعاطف البريطاني مع الصهيونية).

ولا بد من الاشارة هنا.. الى دور ونستون تشرشل^(٣) رئيس الوزراء البريطاني، الذي كان قد ساهم بفعالية في تحقيق الحلم اليهودي، ودفع الموضوع الى البرلمان البريطاني ليصبح قضية قومية بريطانية، ففي عام ١٩٢١م عندما كان تشرشل وزيرا للمستعمرات، زار فلسطين وزرع شجرة ثم قال كلمة امام مؤتمر صهيوني:

(١) ولكن الصهيونيين حرفوه وجعلوا صورته كالتالي : (وهبتك يا اسرائيل ما بين دجلة والنيل)

(٢) لقد تجاهل هارولد ويلسون ما قاله ابن غوريون : (لسنا عميانا .. اننا على علم أكيد بأن فلسطين ليست بلدا خاويا ، بل اننا نعرف ان ملايين العرب يسكنون على ضفتي نهر الأردن (الشرقية والغربية)، كما أن هناك ملايين وملايين العرب الذين قطنوا فلسطين منذ الوف السنين ، وانهم يعتبرون أنفسهم بحق ابناء فلسطين ولكن شاء العرب أم أبوا ، فان فلسطين هي حلم اليهود منذ ثلاثة الاف سنة) من كتيب القدس - تاريخ وصور - مطابع الكرمل - بيروت .

(٣) لقد امتدح حايبم وايزمن هذا الرجل بقوله : (رجال مثل بلفور وتشرشل كانوا متدينين بعمق ويؤمنون بالتوراة ويفضلهم أمكن تحقيق حلم عودة اليهود الى فلسطين) .

(انا شخصيا، قلبي يمتلئ بالعطف على الصهيونيين، وهذا العطف موجود منذ زمن طويل، منذ ١٢ سنة عندما كنت على اتصال بيهود مانشستر، واعتقد ان انشاء وطن قومي لليهود، سيكون بركة للعالم كله، وبركة لبريطانيا العظمى، واعتقد بقوة انه سيكون بركة لجميع سكان هذه البلاد بدون تمييز بعرق او دين، وهذه البركة الاخيرة تعتمد عليكم، ووعدنا لكم مزدوج لقد وعدنا بمساعدة الصهيونية ووعدنا السكان اليهود الا يعانون بعد اليوم، وكل خطوة ستتخذونها يجب ان تكون ذات فائدة اخلاقية ومادية لجميع الفلسطينيين، واذا فعلتم ذلك فان فلسطين ستصبح سعيدة ومزدهرة وستتحول الى جنة وستقول الكتب كما ورد في التوراة: (انها ارض الحليب والعسل)^(١).

(١) مجلة العربي العدد الممتاز يناير ١٩٨٢ م .

الفصل الثاني

الحركة القومية العربية

استيقظت الحركة القومية العربية في الولايات العربية العثمانية في وقت مبكر، على أخطار الصهيونية، التي اقتصر نشاطها آنذاك على الاتصال بالدول الأوروبية، لتدعم مطامعها، وتعود بوادر هذه الحركة الى القرن التاسع عشر، الا ان جذورها قد نمت في سوريا الطبيعية مع مطلع القرن العشرين، وتجسمت في شكل نواد وجمعيات تألفت في الآستانة^(١).

لقد ظهرت هذه اليقظة العربية باثارة النائبين (شكري العسلي - نائب دمشق -) و(وروي الخالدي - نائب القدس)، قضية النشاط الصهيوني في فلسطين في مجلس النواب العثماني (المبعوثان)، حيث قال شكري العسلي في احدى خطبه امام المجلس:

(وهم يودون شراء الارض المشرفة على سكة حديد الحجاز، ويرمون الى التوسع في سوريا حتى العراق) واستشهد روي الخالدي بتصريحات احد الزعماء الصهيونيين، (مناحيم اوسيتشكين) وقال: (ان امانى الصهيونية هي نيل الميزة والافضلية في فلسطين، وانفاق الاموال لتأليف امة يهودية في فلسطين واستيطان ارض الميعاد)، كما حذر الخالدي من الهجرة اليهودية وخطرها قائلاً: (ان عدد اليهود في متصرفية القدس بلغ مائة الف وان اغنياء اليهود قد ابتاعوا نحو مائة الف دونم، وقد اسسوا بنكا باسم (بنك الاستعمار اليهودي لاستيطان البلاد)، كما اضاف الخالدي في معرض تأكيده على هذا الخطر: (ان نسبة العثمانيين من اليهود المهاجرين بلغت ١٠ بالمائة والباقي من يهود اوربا)^(٢).

ويقول توفيق علي البرو «ان النائب اليهودي (نسيم مزلياح) قد استهجن الأمر، وطالب بالتحقيق دفعا للشكوك، واكد تمسك اليهود العثمانيين بعثمانيتهم»^(٣).

ولعل اجمل تعبير عن الوعي القومي العربي الباكر، قد جاء في اهداف (المنتدى الادبي) الذي تأسس عام ١٩١١م في الآستانة، ويدعى (جمعية الشبيبة العربية) بزعامة الشهيد (عبدالكريم الخليلي) وعمل هذا المنتدى من اجل توثيق عرى الاخاء بين العرب على اختلاف اجناسهم واديانهم وعناصرهم وطوائفهم، حتى لا يذكر الواحد منهم في السياسة والوطنية غير عروبتة الشريفة^(٤).

(١) يزعم الصهيونيون ان الحركة الصهيونية (باعتبارها) حركة البعث القومي اليهودي (قد استنفرت القومية العربية ، وكتب احدهم على سبيل المثال : (ان عملية خلق الأمة اليهودية في اسرائيل (فلسطين) اسهمت في خلق الأمة العربية الفلسطينية) . (كتاب اهداف اسرائيلية جديدة - اريه الياف ص ٧)

(٢) جذور القضية الفلسطينية / اميل توما ص ٩٢

(٣) العرب والترك في عهد الدستور العثماني / توفيق علي البرو ص ٢١٦

(٤) المرجع السابق ص ٢١٦ .

كما تأسس حزب (العربية الفتاة) سنة ١٩٠٩م في باريس، للعمل من اجل النهوض بالامة العربية الى مصاف الامم الحية، وكان من ضمن قادة هذا الحزب:

(محمدرستم حيدر ومحمد المحمصاني (لبنان) وعوني عبد الهادي ورفيق التميمي (فلسطين) وجميل مردم بك (سوريا) وتوفيق السويدي (العراق).

كما تأسس ايضا حزب العهد العسكري الذي يرجع الفضل الاول في تأسيسه الى السيد (عبد العزيز علي المصري).

كما عالجت الصحف العربية الوضع في فلسطين آنذاك، ومن بين هذه الصحف:

(صحيفة الكرمل) وكان قد بدأ باصدارها (نجيب نصار) في حيفا سنة ١٩٠٨م، وصحيفة فلسطين التي كان يصدرها (عيسى العيسى) في يافا سنة ١٩١١م، ودعت هذه الصحف خلال ذلك الى مجابهة الخطر الصهيوني، وفي مقال لصحيفة الكرمل (مواقف عربية) وصفت الدكتورة (خيرية قاسمية) جو المجابهة فكتبت:

(وتكررت حوادث الاشتباكات وكانت اعترافا بان حياة المستوطنات لم تكن آمنة، وعمد الصهيوينيون بمساعدة السلطة العثمانية الى اسكات الصحافة المناوئة للصهيونية، فوجهت في ديسمبر (كانون اول) سنة ١٩١٢م، الى صاحب الكرمل تهمة ملفقة، ولم يتم الافراج عنه الا بعد هياج الاهالي ومطالبتهم بالافراج عنه).

مجلة الشرق الاوسط الانجليزية ١٩١٣/١٢/١٩

واضافت الصحيفة ان الحكومة العثمانية اغلقت في نيسان ١٩١٤ جريدة فلسطين، بسبب دعوتها المستمرة للوقوف في وجه الغزو الصهيوني، وحاكمت صاحبها عيسى العيسى، ولكن كان لحدث التعطيل صدى عميق على الرأي العربي في فلسطين، وغصت قاعة المحكمة في يافا بالمئات، الذين اخذوا يتابعون باهتمام بالغ وقائع المحكمة، التي اتخذت شكل مقاضاة بين الصهيونية وخصومها وشهدت القاعة تظاهرة ضخمة حين اصدرت هيئة المحكمة حكمها ببراءة صاحب جريدة فلسطين^(١).

ولم تكثف الصحف العربية الصادرة في فلسطين بالتحذير والاشارة الى خطر ضياع فلسطين، بل استتفرت القوميين العرب الى العمل، ودعت الكرمل مثلا الى عقد مؤتمر في نابلس، يبحث في اهداف الصهيونية ويحدد الطرق لاحتباطها^(٢).

وفي الوقت ذاته ناشد القوميون العرب في فلسطين، سائر القوميين العرب في سوريا ليقفوا الى جانبهم في هذه المعركة واعلنوا:

(١) جريدة فلسطين ٦ حزيران ١٩١٤

(٢) جريدة الكرمل ٢٥ تموز ١٩١٣

(نحن اخوانكم الفلسطينيين، شاطرناكم في كل مواقفكم انواع المحن، فلماذا لا تشاطروننا على الاقل بشيء من الشعور بالمصائب التي تنصب على رؤوسنا؟ نحن في وسطناك نفنى فيه، ونجلى عن بلادنا ويحق علينا ما حق على يهود امريكا ازاء المهاجرة الاجنبية^(١))

كما عالجت الصحف في الاقطار العربية مثل: (الاهرام والمقطم وفتى العرب والمؤيد) اخطار الصهيونية، وتصورت جريدة الاهرام خطر نجاح المشروع الصهيوني على الوحدة العربية.

وانعكس نمو الحركة القومية العربية في المؤتمر العربي، الذي عقد في باريس في حزيران ١٩١٢م من اجل بعث الحياة الوطنية، ومناهضة الاحتلال والمطالبة بحقوق العرب في الولايات العثمانية والمطالبة بالاصلاح على قاعدة (اللامركزية) كما اوضح جدول اعمال هذا المؤتمر ثلاث حقائق:

١ - ان الحركة قد استيقظت على اخطار الاستعمار الاوروبي الذي كان قد تقاسم عددا من الاقطار العربية (الجزائر وتونس ومصر وليبيا) وبدأ يتطلع الى الولايات العربية العثمانية (سوريا الطبيعية).

٢ - لم تطالب الحركة الخروج من ركب الامبراطورية العثمانية، اعتقادا من قادتها ان ذلك سيردع المستعمرين الاوروبيين، ويردهم عن الولايات العربية العثمانية.

٣ - طالب المؤتمر بضرورة انشاء ادارة لامركزية (حكم محلي) في كل ولاية عربية، واعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المبعوثان وفي الولايات العربية.

كما اتخذ التيار القومي الفلسطيني، اطارا تنظيميا حين الف عدد من الفلسطينيين (جمعية النهضة الفلسطينية) لمناصرة القضية، واسماع صوت فلسطين، ثم عادوا وانشأوا في اول حزيران ١٩٢٠م جمعية باسم (الجمعية العربية الفلسطينية) تعمل في سبيل جمع كلمة الجمعيات الفلسطينية وتوحيد غاياتها، وتسعى الى مقاومة الهجرة الصهيونية وابقاء فلسطين في اطار الوحدة السورية وبرز من بين اعضائها:

«ابراهيم القاسم العبد الهادي والحاج امين الحسيني وسليم عبد الرحمن ومعين الماضي وعزة دروزة وعارف العارف»^(٢).

ولكن الحركة القومية العربية اصيبت خلال الحرب العالمية الاولى بضرية قاسية بسبب اجراءات القمع الدموية التي اتخذها حاكم سوريا (السفاح جمال باشا) وذهب ضحيتها مئات

(١) جريدة الكرمل ١٢ حزيران ١٩١٤م

(٢) اميل توما - ستون عاما على الحركة القومية العربية عكا - ١٩٨٣م

من القوميون العرب، بعضهم علق على المشائق، والبعض الآخر اعتقل او شرد في الاناضول، ولكنها اعدت تنظيمها بعد سنوات القمع التركية في ظل الادارة العربية التي قامت في سوريا، وفعلا تنادت القوى الوطنية في سوريا الطبيعية (فلسطين وشرقي الاردن وسوريا ولبنان) وبلورت برنامجها السياسي في المؤتمر السوري الاول، الذي عقد في دمشق في ٨ حزيران ١٩١٩م وكان من بين اعضائه:

(موسى كاظم باشا الحسيني والحاج محمد امين الحسيني وخليل بيدس وعارف العارف ورشيد الحاج ابراهيم عمر الصالح البرغوثي وبندي الشبر والفريد روك وجمال الحسيني وحسين فخري الخالدي وفؤاد سابا ويعقوب الغصين واحمد حلمي عبد الباقي) وغيرهم.

موسى كاظم باشا الحسيني

(موسى كاظم) بن سليم الحسيني ، شيخ مجاهدي فلسطين ، شغل المناصب العالية في عهد الدولة العثمانية ، منتقلا في عمله في بعض انحاء الامبراطورية العثمانية ، فعمل في اليمن والعراق ونجد واستنبول ذاتها ، بالإضافة الى فلسطين ، ونظرا لخدماته الجليلة ، أنعمت عليه الحكومة العثمانية (لقب باشا) .

ولما وقعت فلسطين في قبضة الاستعمار البريطاني ودخول جيوشها القدس في ١٢/٩/١٩١٧م كان يشغل منصب رئيس بلدية القدس .

كان اول من لبي دعوة العرب في مؤتمهم الاول ، الذي عقد في دمشق ، حيث انتخب رئيسا لهذا المؤتمر ، ورئيسا للجنة التنفيذية ، التي انبثقت عنه ، وظل في هذين المنصبين قائدا لزاما الحركة الوطنية في فلسطين منذ عام ١٩١٩-١٩٣٣م ، عندما أصيب في احدى المظاهرات التي جرت في يافا يوم الجمعة ٢٧ تشرين اول ١٩٣٣م وكان عمره (٨٣) عاما فاضطرت حالته الصحية بعد ان فقد النطق لفترة ، إلى الاعتكاف في مدينة اريحا ، حيث انتقل الى الرفيق الاعلى عشية يوم الجمعة ٢٦ آذار ١٩٣٤م ، مخلفا وراءه فراغا رهيبا في الزعامة العربية في فلسطين ، وبموته خسرت الحركة القومية قائدها وزعيمها ، كما خسرت الامة العربية علما شامخا وركنا عظيما ، فلا غرو وهو الذي كانت شخصيته الفذة - كما يقول اميل الغوري - (تفرض نفسها على الجميع ، وتحملهم على الاجماع على زعامة صاحبها وقيادته) .

كان - رحمه الله - اول من رفع صوته في وجه الانتداب البريطاني ، وأول من دعا اهل فلسطين الى الاحتجاج والتظاهر ، وإعلان السخط والغضب ضد وعد بلفور ، حيث تجسم هذا الوعي القومي ، في مؤتمر حيفا (المؤتمر الثالث) الذي عقد في ١٤ كانون اول ١٩٢٠م ، والذي يعتبر بداية التنظيم القومي الفلسطيني ، وفيه تقرر رفض الوعد المشئوم ، ووقف الهجرة اليهودية ، وانشاء حكومة وطنية في فلسطين تتخذ مع سوريا ولبنان . كما رغبت اللجنة التنفيذية المنتبقة عن هذا المؤتمر ، أن تعترف بها حكومة الانتداب ، حتى تتمكن من مفاوضتها نيابة عن الشعب ، ولكن السكرتير العام (ويندهام ديدس) ، رفض ذلك ، وفي رسالة وجهها الى رئيس اللجنة (موسى كاظم باشا) زعم فيها ان اعضاء المؤتمر الثالث ، قد عينتهم جماعات صغيرة ، لا تمثل الأهالي بحال من الاحوال . كما افصح المندوب السامي البريطاني (هربرت صموئيل) ، عن الاسباب الحقيقية لهذا الموقف ، حين اعلن في لقاءه الاول مع ممثلي اللجنة : (إن الحكومة لا تعترف بهيئتهم بسبب ماهية القرارات التي اتخذها المؤتمر ، لأنها تتعارض مع الانتداب وسياسة حكومة جلالتة (بريطانيا) المعلنة) .

واردف المندوب السامي ان حكومته توافق على الاعتراف بهيئة عربية تمثيلية ، بشرط أن لا تصادق على قرارات تتعارض مع الانتداب ، وتقتصر في نشاطها على الامور الداخلية .

لقد تبين للعرب ان الانتداب ما جاء إلا ليضع البلاد تحت ظروف سياسية واقتصادية ، تمكن من اقامة دولة يهودية فيها ، ومن هنا بدأت المقاومة العربية والهجوم على المستوطنات اليهودية ، حتى ان الثوار تمكنوا من عزل منطقة الجليل عن منطقة يهوذا لمدة سنة كاملة ، كما تم ابتداء من صيف ١٩١٨ تأسيس جمعيات اسلامية - مسيحية ، تحولت الى مراكز للتحريض ضد الصهيونية ، وكذلك تنظيم المظاهرات والاضطرابات ، وتأسيس النوادي الادبية لتوجيه الجماهير وتنقيفها ، وعمل هؤلاء على جمع السلاح والتدريب عليه .

وهبت اول مظاهرة جماهيرية في ٣٠ آذار ١٩١٩ في القدس ، طالب فيها المتظاهرون بالغاء وعد بلفور ، وفي السنة نفسها ، حدثت اشتباكات وهجمات ضد المستعمرات في طبريا وسمخ وتل عدس مما ادى الى مقتل العديد من الصهاينة ، وقد بلغت المقاومة العربية أشدها في الهجوم على المستعمرات اليهودية في الجليل ، حيث كانت هناك اربع مستعمرات وهي (المطلة وكفار جلعادي وتل حاي وحمارة) ، وفي يوم ١٢ كانون اول ١٩١٩ ، قام الثوار العرب بمهاجمة تل حاي ، ثم توالت عليها الهجمات رغم الحراسة . وفي ١ كانون ثان ١٩٢٠ ترك المستوطنون هذه المستعمرة بعد ان اتضح لهم عدم امكان الصمود ، الأمر الذي أدى الى احراقها من قبل العرب ، في منتصف كانون ثان ١٩٢٠ ، حيث بدأوا باخلاء مستعمرة المطلة وهربوا الى صيدا وحيفا .

وفي ٢ آذار ١٩٢٠ هرب المدافعون عن كفار جلعادي والمطلة والتجأوا جميعا الى بيت الزعيم كامل الاسعد في قصره بقرية (الطيبة) في جنوب لبنان^(١) .

وعلى اثر ذلك استدعى (كوكس) حاكم الجليل المدعو (يوسف نحمانى) في نيسان ١٩٢٠ م ، وحذره من عمليات هجوم مقبلة ، وقام بتسليمه (٢٠٠) بندقية وبعض الرشاشات والذخيرة ، وجرى تجنيد العديد من ابناء هذه المستوطنات في الشرطة الخاصة^(٢) .

انفجرت البلاد عام ١٩٢٠ في مظاهرات معادية للصهيونية ، على أثر إعلان الجنرال (بولز) في ١٨ شباط ١٩٢٠ عن وعد بلفور ، وإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين ، حيث قامت مظاهرة في القدس ، اشترك فيها ما يزيد عن ٤٠ ألف مواطن ، بقيادة شيخ القضية (موسى كاظم باشا) .

لقد وقف هذا الشيخ المجاهد وقفة الأسد الهصور في وجه الانتداب ، وطافت المظاهرة شوارع القدس ، احتجاجا على التجزئة الامبريالية أولا ، والاحتلال الذي جرد الشعب من

(١) جذور القضية - مرجع سابق

(٢) كتاب الهاغاناه - دينور بن تسيون مجلد ١ ج ٢ ص ٥٧٩

استقلاله ثانيا ، وعلى وعد بلفورثالثا ، وقدمت الجمعية (الاسلامية - المسيحية) في القدس ، احتجاجا شديدا للهجرة ضد وعد بلفور والوطن القومي اليهودي ، وأذرت السلطات العسكرية البريطانية بقولها :-

« اننا - نحن الفلسطينيين - لا نتخلى عن مطالبنا المنحصرة في استقلال سوريا المتحدة ، من طوروس الى رفح ، ونرفض الهجرة الصهيونية رفضا باتا ، ونرفض فصل فلسطين عن سوريا لأن ذلك يضر بمصالح البلاد الاقتصادية والعمرانية ، وبمصالح الوطنيين القومية والمحلية »^(١)

واضافت المذكورة (لا تستهينوا بنا ، واعلموا أن إرادة الشعب من إرادة الله ، وان البعوضة تدمي مقلّة الاسد) وختمتها بالعبارة التالية : « وفي الختام .. نؤكد جميع مطالبنا التي قدمناها للجنة الامريكية ، وهي استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية من طوروس الى رفح ، وعدم فصل فلسطين عنها ورفض المهجرة الصهيونية ، التي نحن على استعداد تام لمقاومتها حتى اخر مرق من الحياة »^(٢)

وكانت جريدة الأخبار الصادرة في يافا قد اوردت يوم ١٨ كانون الثاني ١٩٢٠ م ، بأن العصابات قد هجمت على قرية المطلة (مستوطنة يهودية اسست عام ١٨٩٦م في اقصى شمال الجليل بفلسطين) فعاشت فيها فسادا ، وقتلت عددا من أهاليها ، بعد أن نكلت بهم اشنع تنكيل ، ومن بقي منهم اضطر الى الفرار الى صفد وطبريا وعكا وحيفا ، وأنه يوجد منهم في عكا وحدها ما يقرب من (١٠٠) نفس^(٣) .

كان عمر الشيخ (موسى كاظم باشا) يناهز السبعين عاما ، ورغم ذلك لم يحل عمره ولا وظيفته (رئيس بلدية القدس) ، دون قيامه بواجبه المقدس فتولى قيادة هذه المظاهرة غير مبال بقيود مركزه الرسمي ، بل نزل الى ميدان العمل والجهاد ، وقاد حركة أمته ، ولما حاول الانجليز اقناع الزعيم بالاحتفاظ بكرسي الرئاسة ، وعدم التدخل في السياسة ، رفض بكل اباء ، واختار ميدان الشرف وسبيل العزة .

ازعجت هذه البادرة سلطات الانتداب فهددت الشيخ وتوعدته فلم يكثر للتهديد ، ولم يعبأ للوعيد ، واستمر في نضاله الوطني ، مستمدا القوة من الله ثم من ايمانه وايمان شعبه ، بعدالة مطالبه ، ولما يسست السلطات منه ، عمدت الى عزله عن رئاسة البلدية ، وعينت مكانه راغب النشاشيبي ، ومع ذلك لم يكثر وقال :-

(وأنا بحمد الله ممن ضحى ويضحى بجميع الكراسي ، والمنافع الخاصة في سبيل

(١) جذور القضية - مرجع سابق

(٢) ذكر اميل توما ان المظاهرة وقعت يوم ٢٧ شباط ١٩٢٠

(٣) جريدة الأخبار / يافا ١٨/١/١٩٢٠

البلاد ، وليس لنا من غاية في هذه الحياة ، إلا أن نرى الامة أرفع شأنًا وأعرّ جانبًا ، وأن تصل الى حقها المشروع باخلاص ابنائها واتحاد كلمتها (١) .

واصل الزعيم المؤمن قيادة الموجة الثورية وزمام الدفة الوطنية في البلاد ، بعد ان منحته الجماهير الفلسطينية مطلق ثقتها وتقديرها .

واشتدت نقمة العرب عندما تبين لهم ان الحلفاء مستمرين في سياستهم ، وأنهم لا يقيمون وزنا لاحتجاجات العرب ، فانفجر الشعور الوطني انفجارا عنيفا في اليوم الرابع من نيسان ١٩٢٠م حيث كان اصطدام (موسم النبي موسى) .

كان العرب - كعادتهم - يحيون هذا اليوم من كل عام ، باحتفالاتهم التقليدية في النبي موسى (مقام النبي موسى - جنوب اريحا) ، تتقدمهم حملة الاعلام في زفة فلوكورية شعبية . كتب احد المؤرخين الصهيونيين فقال :

« ان المحرضين العرب أعدوا مجزرة اليهود في موسم النبي موسى في ٤/٤/١٩٢٠م بوحى من السلطات البريطانية أو من بعض المحافل فيها » ويستشهدون على ذلك بأن الذين هاجموا اليهود في القدس القديمة في ذلك اليوم ، كانوا يصرخون « الحكومة معنا » ويؤيدهم في ذلك الكتاب البريطانيون ، الذين يدافعون عن وعد بلفور ، وعن السياسة البريطانية التي انتهجها الانتداب في فلسطين ، ولكن الحقيقة ترسم صورة اخرى لهذه المزامير :

ففي ظروف الموجة القومية الثورية في العالم العربي وخاصة في سوريا ، وتصارع القوى القومية مع الزحف الفرنسي ، فقد تحول موسم النبي موسى الى مظاهرة قوية خاصة ، (بعد ان تعرض بعض غلاة اليهود لمحاولين خطف العلم الفلسطيني) (٢) .

فالوفود التي توافدت الى المقام من القدس والخليل ونابلس وقراها ، كانت تنادي بالوحدة العربية ، وترفض الهجرة الصهيونية ، واشتد حماسها الوطني وهي تصغي الى خطابات القوميين العرب امثال موسى كاظم باشا وعارف العارف وخليل البيديس ، فدارت رحى معركة بين العرب واليهود (٣) ، وتدخل افراد الجيش البريطاني ، ولجأوا إلى اعمال البطش والتنكيل للقضاء على الموجة الثورية ، ولحماية اليهود من بطش العرب فكانت حصيلة الاصطدام :

(١) مجلة فلسطين ايلول ١٩٧٣ عن صحيفة الجامعة العربية ايلول ١٩٢٧ القدس

(٢) قضية فلسطين في سيرة بطل - نبيل خالد الاغا

(٣) ذكر الدكتور اميل توما في كتابه : ستون عاما على الحركة القومية العربية انه تم انشاء منظمات سرية تدعو الى الكفاح المسلح ومن هذه المنظمات التي تركت اثارها (منظمة الكف الأسود) والتي اصبحت فيما بعد منظمة فدائية ونشطت بين عام ١٩١٩ - ١٩٢١ وارتبطت بالنادي العربي (

استشهد ٤ من العرب وقتل ٥ من اليهود وجرح العشرات من الطرفين . وعلى اثر هذه الحادثة اصدر الجنرال البريطاني (بولز - حاكم البلاد العسكري) بيانا حانقا قال فيه :

(ان في هذه البلاد حكومة واحدة فقط ، وهذه الحكومة هي أنا ، وإني مجهز بقوة عسكرية هائلة ، لسحق كل من يعكس صفو الامن ، وسأستخدمها في المستقبل دون قيد)^(١) .

وبعد ذلك قام بولز بالقاء القبض على زعيم الحركة القومية (موسى كاظم باشا) ومعه ثلة من زعماء البلاد وزج بهم في السجن ، اما سماحة الحاج امين الذي كان يومها رئيسا للنادي العربي في القدس ، فقد فرّ من وجه السلطة ، فأصدرت المحكمة العسكرية حكما غيابيا بسجنه (١٥) عاما بتهمة تورطه في الأحداث الدامية .

كما صرح بولز بقوله (إن بريطانيا قبلت الانتداب على البلاد ، وانها ستحافظ على الحريات الدينية وتسمح للمهاجرين بدخول البلاد قدر حاجتها الى النمو ، وان حكومة بريطانيا هي التي ستسيطر على الهجرة ، ولا يخرج أصحاب الاملاك الحاليون عن املكهم ، ولا تنزع منهم امتيازات اقتصادية لافراد او جماعات اذا كان معها ضرر لغيرهم ، لان الحكم في هذه الامور سيكون للحكومة ، ولا يسمح بحال من الأحوال ، لأقلية أن تسيطر على الاكثرية من السكان)^(٢) .

كما يعترف (جوزيف شختمان) في كتابه (متمرّد وسياسي) :-

« ان امر تدريب الجنود اليهود كان علنا تعرفه السلطات » وأضاف :-

« وقبل ايام من العيد الاسلامي (النبي موسى) قامت فرقة الدفاع عن النفس ، بمناورة عسكرية على سفح جبل الزيتون بالقدس وتحت اقدامه ، أمام مركز الحكومة البريطانية واستعرض الضباط البريطانيون حركتنا بمناظيرهم ، ولم يكن الموقف الرسمي تجاه منظمة الدفاع الذاتي غير سلبي فحسب ، بل كان أبويا إلى حدّ ما »^(٣) .

وهكذا كان بعض القادة الصهيونيين وعلى رأسهم الزعيم المتطرف (جابوتنسكي) ، كانوا يعدون قوة عسكرية ، ويقومون بمناورات عسكرية منظمة ، عشية موسم النبي موسى ، مما ينفى صورة الحمل الوديع (اليهود) والذئب الكاسر (العرب) .

وعلى اثر هذا الاحتراب وضعت لجنة تحقيق عسكرية ، كانت الأولى من سلسلة اللجان المختلفة ، فوضعت تقريرا عن ملابسات الاصطدام ، ولم تكن لجنة التحقيق نزيهة في كل ما ذهبت اليه ، ذلك لأن بريطانيا كانت تقصد بلجانها الموجهة الى الساحة الفلسطينية ، تخدير الجماهير الهائجة اولا ، وكسب الوقت ثانيا ، والدس المغرض ثالثا .

(١) جريدة الأهرام ٩ نيسان ١٩٢٠

(٢) جذور القضية - مرجع سابق ص ١٠٩

(٣) عن كتاب متمرّد وسياسي ص ٣٢٥

وما ان اطل يوم ١٩٢٠/٧/١ ، حتى وضعت نهاية الادارة العسكرية في فلسطين ، وبداية الحكم المدني الذي دشنته المندوب السامي الاول (هيربرت صموئيل) - الذي كان وزيرا للداخلية البريطانية سنة ١٩١٦م - باستلام مهام منصبه الجديد في البلاد ، وكان هذا المندوب على الرغم من انتسابه للطائفة اليهودية وعطفه على الصهيونية يرى مصلحة بريطانيا في المكانة الاولى ، فجاءت سياسته تجمع بين الولاء لوعده بلفور وسياسة إقامة الوطن القومي من ناحية ، ومهادنة قيادة الحركة القومية العربية من ناحية اخرى . فبعد شهر من توليه ادارة البلاد في ٢١ آب ١٩٢٠ اصدر تشريعا يسمح بدخول (١٦٥٠٠) مهاجر يهودي في السنة الاولى ، وخلال الاشهر الاولى من حكمه عفا عن المتهمين بإثارة نار موسم النبي موسى ، وعلى رأسهم موسى كاظم باشا وأخرجهم من السجن ، وعفا عن الحاج امين الذي عاد الى فلسطين ليستأنف الجهاد .

وفي نفس الوقت صرح علنا أمام وفد صهيوني :-

(وقفت على الاحتجاجات التي قدمها الأهليون العرب على الصهيونيين ، وعندي .. إنها احتجاجات لا خطر منها ، لأنها مبنية على قضايا فاسدة وجعل بالمسألة الصهيونية)^(١) .
كما ابرز هذا المندوب مهمته فقال :

(يجب اتخاذ التدابير لضمان انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بالتدرج)^(٢)

كان الزعيم موسى كاظم باشا ، يعلم علم اليقين بما يحاك من دسائس ضد فلسطين ، وبما تقوم به الادارة البريطانية من سياسة مطاطية ، إثر تزايد الهجرات اليهودية وخطرها ، وما ان حل اول ايار ١٩٢١م ، حتى انفجرت اضطرابات يافا (اضطرابات عيد العمال العالمي) ، اما الشرارة الاولى فكانت اصطداما ما وقع بين متظاهرين يهود ، فالعمال الهستدروتيون اصطدموا بالعمال الذين ساروا تحت شعار (حزب العمال الاشتراكي - موبس) الخارج على الصهيونية ، ويبدو ان المواطنين العرب في يافا ، اعتقدوا ان المتظاهرين الذين اصطدموا في تل ابيب - بالقرب من منشية يافا - يريدون لهم الشر، فتصدوا لهم ووقعت الواقعة، وامتدت الى منطقة يافا كلها، ومرة اخرى تدخلت القوات البريطانية لتبسط بالعرب، وكالمعتاد وقعت الضحايا من الطرفين، وكان حصاد المصادمات الثلاثية الجوانب: سقوط ٤٨ شهيداً عربياً و ٤٧ قتيلاً يهودياً وجرح العشرات من الجانبين.

وفي هذه المرة اتهمت القيادة الصهيونية ، سلطات الأمن بالاهمال ، وروجت الاسطورة التي تقول : ان الافندية العرب هم الذين يحرضون المعدمين على اليهود ، بسبب فقدانهم

(١) جذور القضية - مصدر سابق ص ١١٢

(٢) ستون عاما على الحركة القومية العربية - اميل توما عكا ١٩٨٣

لامتيازاتهم ، وتظاهرت بأن القضية لا تعدو قضية الحمل الصهيوني ، الذي يريد أن يبني البلاد والذئب الكاسر « العرب » الذي يصر على بقاء البلاد في المستنقعات .

وعلى الاثر ألفت الحكومة لجنة تحقيق جديدة ، ترأسها قاضي القضاة (توماس هيكرافت) لتبحث في اسباب الانفجار ، وجاء تأكيدها نافيا للتأكيد الصهيوني القائل : « بأن الأفندية العرب هم الذين يحرصون المعدمين » ، كما أنها توصلت إلى أن الجماهير العربية قلقة من سياسة الوطن القومي اليهودي ، وتعتبر المهاجرين خطرا اقتصاديا عليها ، ومما زاد الأمة حدة ، تصريحات الصهيونيين حول اهدافهم النهائية ، حتى أن جريدة (كرونيل البريطانية) كتبت في ٢٥ ايار ١٩٢١ :

(ان الحل الوحيد لمسألة فلسطين هو اعطاء اليهود كيهود ، تلك الحقوق والامتيازات في فلسطين التي تمكنهم من جعلها يهودية ، كما ان انجلترا انجليزية وكندا كندية) (١) .

كما رافق هذا الاضطراب الناجم نشاط سياسي ، إتخذ شكل وفد قومي تألف من : (موسى كاظم باشا وتوفيق حماد وامين التميمي وابراهيم شماس ومعين الماضي وشبلي الجمل) ، وزار هذا الوفد بريطانيا ، ليعرض قضية البلاد على المسؤولين ، كما طالب بتحقيق الوعود البريطانية باستقلال فلسطين والغاء وعد بلفور ، كما اتصل اثناء وجوده في أوروبا ، بوفد الاتحاد السوري في جنيف ، وعقدا مؤتمرا قررا فيه مطالبة عصبة الامم (٢) الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسوريا وفلسطين ولبنان ، والاعتراف بحق فلسطين في الاتحاد مع باقي الدول العربية ، والغاء الانتداب ووعده بلفور ، واجلاء الجيوش الغازية عن سوريا الطبيعية .

وهكذا وجدت بريطانيا نفسها أمام وضع لا تدري إذا كانت قد توقعته منذ البداية ، لقد وجدت نفسها امام : (١) حركة قومية عربية تنمو باستمرار وازدياد ، وتتضامن معها الحركات القومية في العالم العربي ، وتتاضل من أجل الاستقلال والاتحاد مع الاقطار العربية . (٢) منظمة صهيونية ترتبط بالاستعمار البريطاني بأوثق رباط ، وتخدم الاستراتيجية الاستعمارية في المنطقة والقارة الآسيوية عامة أجل خدمة .

فما كان من ونستون تشرشل إلا ان اقترح على الوفد ، مشروع إقامة حكومة ذاتية واسعة ، وكان الاقتراح قد نصّ على تأليف مجلس تشريعي مؤلف من (١١) عضوا من موظفي الحكومة و (١٢) عضوا منتخبا منهم (١٠) عرب ويهوديان ، برئاسة المندوب السامي الذي يتمتع بصوتين ، اما صلاحيات المجلس فكانت صفرا تقريبا .. فليس من حقه النظر في اية نقطة تخالف سياسة حكومة الانتداب الاساسية ، او نصوص الانتداب ، كما ان هذا المجلس لا

(١) جذور القضية - مرجع سابق ص ١١٦

(٢) قال اليهودي الماسوني (لينهوف) في جريدة واينرفريمور زراتينج عدد ٦ تاريخ ١٩٢٧ (لقد صدق الذين يربطون بين عصبة الامم والماسونية لان عصبة الامم كما هي اليوم مشتقة من تعاليم الماسونية وافكارها) وقال الزعيم الصهيوني (ناحوم سوكولوف) في المؤتمر اليهودي الذي عقد في كارلسباد بتاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٢٢ ونشرته جريدة نيويورك تايمز في اليوم التالي : (ان عصبة الامم فكرة يهودية . لقد خلقناها بعد كفاح دام (٢٥) سنة (امريكا تطرد اليهود) مرجع سابق - زكريا هاشم ص ٩٨ .

يتمتع بأية سلطة تنفيذية .

وتحت ضغوط الحركة القومية العربية وفي سبيل تأكيد وتحقيق الموازنة بينها وبين الصهيونية ، وتأكيد سياسة فرق تسد ، أصدرت الحكومة البريطانية (الكتاب الابيض الاول) في حزيران ١٩٢٢ م ، أذاعه وزير المستعمرات البريطاني (ونستون تشرشل) وجاء فيه :

(يعود التوتر في فلسطين الى مخاوف جالت في خواطر العرب واليهود ، أما مخاوف العرب فتعود الى التفاسير المبالغ فيها لعدي بلفور ، اذ ظهرت تصاريح غير رسمية تقول : إن الغاية من ذلك هو جعل فلسطين يهودية ، غير أن حكومة جلالة الملك تنظر الى هذه الآمال ، على أنها غير قابلة للتحقيق ، وأنها لا تفكر في وقت من الأوقات بإخضاع أو محو السكان العرب أو قتل لغتهم أو آدابهم في فلسطين)^(١) .

أما فيما يتعلق بالسكان اليهود ، فالظاهر أن بعضهم خامره الشك في أن حكومة جلالة الملك قد تتخلى عن سياستها التي تضمنها وعد بلفور ، ومن الضروري التأكيد أن لا أساس لهذه المخاوف . وفسر هذا الكتاب الابيض معنى الوطن القومي اليهودي ، ونفى أن يفرض الجنسية اليهودية على العرب ، او يحرم سكان البلاد عملهم ، فالقصد ان يصبح لليهود في فلسطين مركز يكون موضع اهتمامهم وفخرهم من الوجهتين الدينية والقومية ، كما أعلنت الحكومة في هذا الكتاب نيتها إقامة حكومة ذاتية واسعة ، وذلك بتأسيس المجلس التشريعي الذي سبق ذكره .

ولكن الوفد والحركة القومية العربية رفضته ، وعلى إثر ذلك اصدرت اللجنة التنفيذية بيانا في ٢ ايلول ١٩٢٢ جاء فيه :

(أجمعت الامة العربية الفلسطينية ، على رفض الانتداب ومشروع انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وذلك بعد أن تجلت لها نتائج هذه السياسة الرهيبة على حياتها القومية والاقتصادية ، وأن من مقتضيات رفض الاصل ، أن نرفض الفرع لذلك الاصل ، ورفض الدستور الجديد لفلسطين بمقاطعة الانتخابات المقبلة لهذا المجلس التشريعي ، لأنه وجد بعد البحث الدقيق ان الاشتراك في تلك الانتخابات، انما هو قبول محسوس بالانتداب وبوعد بلفور)^(٢) .

ورغم ذلك فقد الفت ادارة الانتداب في ايار ١٩٢٣ هذا المجلس وكان من بين اعضائه :-
(اسماعيل الحسيني وعارف الدجاني وراغب النشاشيبي وحمود ابو خضرة وسليمان طوقان وعبد الفتاح السعدي وسليمان ناصيف والدكتور حبيب سالم) ولكن زخم الحركة القومية العربية اضطرهم الى الاستقالة^(٣) .

(١) جذور القضية - مرجع سابق ص ١١٩

(٢) فلسطين بين الانتداب والصهيونية - عيسى السفري صفحة ٨٦

(٣) ستون عاما على الحركة القومية العربية - مرجع سابق.

نظام الانتداب | أ

استطاعت الصهيونية في مؤتمر (سان ريمو) الذي عقد سنة ١٩٢٠م ، وعن طريق عصبة الامم الحصول على حق الانتداب في فلسطين ، كما نجحت ايضا في حمل بريطانيا على ان تضمن في معاهدة (سيفر) مع تركيا في ١٠ آب ١٩٢٠م نصا يثبت تصريح بلفور ، وما ان حل يوم ٢٤ تموز ١٩٢٢ حتى صادق مجلس عصبة الامم على نظام الانتداب ، وفي ٢٩ ايلول ١٩٢٣م سرى مفعول هذا النظام رسميا على البلاد ، وبهذا اصبح في وسع بريطانيا ان تمارس وعد بلفور باعتباره جزءا لا يتجزأ من نظام الانتداب . وبهذا الشكل اصطدم الانتداب البريطاني والمشروع الصهيوني اصطداما مباشرا مع امني الشعب العربي في فلسطين ، في التحرر والاستقلال ، مما عجل نشوب الاصطدامات الدامية وخاصة عام ١٩٢٩م وما أعقبها .

جاء في المادة الثانية . من نظام الانتداب :- اخذت بريطانيا على عاتقها وضع البلاد في ظروف سياسية واقتصادية ، من شأنها إقامة الوطن القومي اليهودي ، وتطوير مؤسسات الحكم الذاتي وسيادة حقوق سكان فلسطين المدنية والدينية .

وقد اكد البند (ج) من المقدمة مسؤولة بريطانيا (الدولة المنتدبة) على وضع وعدها في تشرين ثان سنة ١٩١٧ موضع العمل ، تنفيذاً لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وبذلك يتم الاعتراف بما للشعب اليهودي من الصلة التاريخية في فلسطين .

ولم يكتف نظام الانتداب بهذه المقدمة بل دعا في الفقرة (٤) الى الاعتراف بوكالة يهودية تنصح ادارة فلسطين وتتعاون معها ، فيما قد يؤثر في إنشاء الوطن القومي ومصالح السكان اليهود كما اكد في الفقرة (٦) ان على ادارة فلسطين أن تسهل الهجرة اليهودية في احوال مناسبة ، وان تشجع بالتعاون مع الوكالة اليهودية ، استقرار اليهود على الأرض ومنها (ما لا يحتاج اليه للمقاصد العامة من اراضي الحكومة وراضي البور) .

كما منح الانتداب في الفقرة (٢٥) بريطانيا سلطة استثناء الاراضي الواقعة شرقي نهر الاردن من سريان وعد بلفور - لأغراض استراتيجية في المنطقة - وبقيامها بذلك استنفرت احتجاج المنظمة اليهودية التي اعتبرت ذلك تعليقا إقليميا لبرامجها^(١) .

وما ان سرى مفعول نظام الانتداب حتى وقفت الحركة القومية العربية ، بزعامة موسى كاظم باشا في وجه التحديات الاستعمارية ، فعقدت المؤتمر الخامس ٢٢ آب ١٩٢٢م للاستماع

(١) فلسطين بين الانتداب والصهيونية - عيسى السفري القدس ١٩٢٧
(أ) اخذت نصوص الانتداب مترجمة الى العربية من كتاب وديع البستاني (الانتداب الفلسطيني، باطل ومحال)

الى بيان الوفد ومقترحات بريطانيا وقد تقرر في هذا المؤتمر :-

- ١ (مقاطعة الاشتراك في انتخابات المجلس التشريعي .
 - ٢ (رفض القرض الذي تنوي الحكومة عقده لمقاصد القيام بمنشآت وتطوير البلاد .
 - ٣ (مقاطعة اليهود مقاطعة تامة .
 - ٤ (وضع ضريبة على جميع ابناء العرب في فلسطين للقيام بالدفاع عن قضية البلاد .
- كما وضع المؤتمر ميثاقا بقي دستور الحركة القومية العربية في مسيرتها وجاء فيه :-

(نحن ممثلي فلسطين اعضاء المؤتمر العربي الخامس نقسم امام الله والامة والتاريخ، بأن نواصل المساعي المشروعة لتحقيق الاستقلال والاتحاد العربي، ورفض الوطن اليهودي والهجرة الصهيونية)^(١).

ثم كان اشتراك المرأة العربية في الحركة القومية ، حيث قذف بها زخم الحركة الثورية المعادية للاستعمار والصهيونية ، إلى ميدان المعركة ، وسجل التاريخ اقتحامها الميدان عام ١٩٢٩م ، حيث عقدت النساء أول مؤتمر لهن في ٢٦ تشرين اول ١٩٢٩ في القدس ، وأيدن مقررات المؤتمرات العربية الفلسطينية ودعون الى تنشيط الصناعة والتجارة الوطنية ، وتعزيز الروابط الاقتصادية مع سوريا وغيرها من الاقطار العربية .

كما اشتركت جماهير فلسطين عام ١٩٢٥ ثم عام ١٩٢٦ بإضرابين عامين رافقتهما المظاهرات الشعبية تأييدا للكفاح الشعب العربي في سوريا ضد الانتداب الفرنسي عام ١٩٢٥ ، وكان الاضراب الثاني احتجاجا على زيارة مندوب السامي الفرنسي في سوريا ولبنان (م . دي . جوفنيل) للقدس زيارة رسمية^(٢) .

(١) عيسى السفري مرجع سابق ص ٩٥

(٢) تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧

حوادث عام ١٩٢٩م الدامية

لا جدال في ان العرب والمسلمين يؤكدون ان حائط البراق ، ليس جزءا من الحائط الخارجي للسور الغربي التابع للاقصى فحسب ، بل هو جزء من الحرم القدسي الشريف ايضا ، وهم بذلك يحترمون ويقدسونه ، وان حائط البراق هو ملك للمسلمين منذ الفتح الاسلامي ، وهم يحتفظون بصكوك بهذا المعنى تخولهم حق ادارة المكان ، وخلال السنين والاتفاق غير المكتوب ما زال قائما بين ادارة الوقف الاسلامي واليهود المتدينين ، من حيث الزيارة والصلاة بالقرب منه ، وينص الاتفاق على ان « لا يقيم اليهود اي بناء بالقرب من الحائط أو ان يضعوا اي شيء في باحته » ، كما أن الادارة البريطانية قد حظرت - بطلب من الوقف الاسلامي - على المسؤولين اليهود وضع مقاعد في باحة البراق لان ذلك يغير الوضع القائم ، ويعتبره المسلمون تجاوزا على حقوقهم ، كما أمرت البوليس في أيلول ١٩٢٨م رفع الستار الذي وضعه اليهود في عشية عيد الغفران ، على الرصيف المحاذي للبراق ، بعد أن شكوا المسلمون ذلك .

اما اليهود فانهم يعتبرون البراق (المبكى) ، الأثر الباقي من هيكل سليمان ، وتبعاً لذلك قدسوه ، ففي آب ١٩٢٩ (عشية يوم الصوم) واستذكارا بخراب الهيكل ، تظاهر اليهود في تل ابيب وهتفوا (الحائط حائطنا) (العار من نصيب كيث روش) - حاكم القدس الذي امر برفع الستار - وفي اليوم التالي ١٥ آب ١٩٢٩ جاء وفد من شباب تل ابيب الى القدس ، وسويا مع يهودها مظاهرة صاخبة اخترقت شوارع القدس العربية في اتجاه البراق ، وهم يرددون نفس الهتافات .

وفي اليوم التالي قام المسلمون بدورهم في مظاهرة صاخبة ، وصلت الى باحة البراق ، وهناك قلبوا طاولة الشماس ، وأخرجوا الاسترحامات التي يضعها المصلون اليهود عادة في شقوق الحائط ، ومزقوا ثياب الشماس وتفرقوا الى بيوتهم .

وهكذا مرت هذه المظاهرات الثلاث بسلام ، ولكنها شحنت الجو بالتوتر ، وأشاعت مزيدا من الشكوك والريبة بين العرب واليهود ، وما أن وقعت حادثة (البخارية) ليلة ١٧ آب ١٩٢٩ حيث طعن احد العرب يهوديا بسكين فأرداه قتيلا ، حتى اشتعل الجو وبدأت سلسلة الاصطدامات بين الطرفين في مختلف انحاء البلاد ، وفعلا .. في ليلة حادثة البخارية وقعت مشاجرة عامة بين العرب واليهود جرح فيها ١٥ عربيا و١١ يهوديا .

وفي ليلة ٢٣ آب سرت إشاعة مفادها أن اليهود قتلوا عربيين ، فهاجت خواطر العرب ، وما لبث ان سرى الهياج الى معظم انحاء فلسطين ، ففي القدس نشبت معركة عنيفة بينهم وبين

اليهود عند ممر البراق وقد نتج عنها جرح ١٠٧ اشخاص من الفريقين ومقتل ٢٨ من اليهود و١٣ من العرب^(١) .

وكانت المعركة تدور في شوارع القدس من ركن الى ركن ، كما تحولت الاضطرابات في الخليل الى مذبحة يهودية عمومية ، حيث اعلن رسميا (عن مصرع ستين يهوديا وجرح خمسين آخرين)^(٢)

وخلال هذه الاضطرابات ، هجم اليهود على العرب في اكثر من موضع ، وقتلوا بدورهم بعض العرب ومن بينهم (امام مسجد سكنة ابو كبير في يافا) وستة من أفراد عائلته^(٣) كما نشبت معركة اخرى في مدينة صفد قتل فيها تسعة من اليهود وجرح ٢٨ شخصا ، كما حدثت هجمات على كافة المستعمرات اليهودية المحيطة بمنطقة القدس ، وكانت أشد المعارك تلك التي نشبت في يافا ، حيث اشترك فيها اكثر من الف شخص ، ولكن السلطات البريطانية كانت قد سلمت أعضاء الهاغاناة هناك اسلحة ، مما أدى الى صمودهم ، وعدم تمكن الثوار العرب من اقتحام الأحياء اليهودية^(٤) .

وفي مدينة حيفا ، كان الوضع يختلف عنه في القدس ويافا وتل أبيب ، فقد حدثت كما تقول المصادر الصهيونية - (معارك عنيفة بين العرب واليهود ، وأخذت طابع الحرب الأهلية ، لكن اليهود انتقلوا فيها وللمرة الاولى من الدفاع الى الهجوم ، وأما في صفد فقد وقع الهجوم العربي يوم ٢ ايلول ١٩٢٩ على الأحياء اليهودية وتم قتل ١٨ وجرح حوالي ٨٠ يهوديا ، كما قام الفلاحون العرب في اليوم نفسه ، بمهاجمة مستعمرة (عين زيتيم) في الجليل)^(٥) . وانتهت تلك الاحداث الدامية بمقتل ١٣٣ يهوديا وجرح ٢٣٩^(٦) . كما سقط من العرب ١١٦ شهيدا و٢٣٢ جريحا^(٧) .

(اما الضحايا من العرب فقد كانت نتيجة الاصطدام بالبوليس والجيش البريطاني ، الذي استنفر امدادات وصلت اليه من مصر خلال ايام الاضطرابات الاولى)^(٨) . وعلى اثر ذلك قامت قيامة اليهود ، وراحوا يتجمعون على الحاكم البريطاني (كيث روش) ويتهمونهم بالضعف والتراجع امام العرب ، مما شجعهم على التمادي في تجاوزهم حقوق اليهود في المبكى (البراق) ، وان العرب قد قتلوا اليهود العزل ، وأنهم يحملون المسؤولين البريطانيين مسؤولية خاصة في الخليل ، التي لم تتخذ احتياطات كافية ، دفاعا عن المواطنين

(١) صالح بويسير - جهاد شعب فلسطين بيروت ١٩٦٨ ص ١٢٦

(٢) كتاب الهاغاناه - دينور بن تسيون مجلد ٢ جزء ١ ص ٢٢٧

(٣) جذور القضية - مرجع سابق ص ١٦٠ .

(٤) صالح بويسير - جهاد شعب فلسطين ص ١٢٦ .

(٥) الهاغاناه مجلد ٢ جزء ١ ص ٣٢٨ - ٣٢٩

(٦) دافيد نيف - معارك المنظمة العسكرية القومية تل أبيب ١٩٦٥ ج ١ ص ١٤٤ وأيد ذلك عيسى السفري في كتابه ص ١٦

(٧) جذور القضية ص ١٥٧ - ١٥٨

(٨) عيسى السفري ص ١٢٤ - ١٢٧

اليهود هناك على الرغم من تحذيرهم مندوبي السلطة ، وهناك من يضعها على الحكومة نفسها في لندن^(١)) والى تأمر بعض المسؤولين البريطانيين مع الهيئة العربية العليا ، للقضاء على المشروع الصهيوني بكامله (٢)

ولما رجع المندوب السامي (جون تشانسلور) الى القدس ، كان وقت الحوادث في لندن - راح يجسم الموقف البريطاني ، حيث أصدر بيانه الذي جاء ليتفق مع ادعاءات اليهود وجاء فيه :- (عدت من المملكة المتحدة ، فوجدت بمزيد من الأسى أن البلاد في حالة اضطراب ، وأصبحت فريسة لاعمال العنف غير المشروعة ، وقد راعني ما علمت من الأعمال الفظيعة التي اقترفت بها جماعة من الاشرار ضد افراد من الشعب اليهودي خلوا من وسائل الدفاع ، بغض النظر عن عمرهم ، عما إذا كانوا ذكورا او اناثا ، والتي صاحبها - كما وقع في الخليل - أعمال همجية لا توصف وحرقت المنازل في المدن والقرى ونهب وتدمير أملاك ، فواجبي أن أعيد النظام الى نصابه في البلاد ، وان اوقع القصاص الصارم بأولئك الذين يثبت إدانتهم على أنهم ارتكبوا اعمال عنف)^(٣).

وفعلا حكم على ٢٣ عربيا بالسجن المؤبد ، ونفذ الأعدام بثلاثة شهداء في سجن عكا وهم : (محمد مجوم وعطا الزير وفؤاد حجازي) كما حكمت المحكمة على ١٨٧ عربيا بالسجن مددا تتراوح بين ثلاثة اعوام وخمسة عشر عاما ، كما فرضت غرامات مالية باهظة على عدد من القرى^(٤).

لقد تحدى هذا المندوب بكل صلف إرادة الشعب العربي الفلسطيني ، مما دعا الزعيم موسى كاظم الى الرد على تحديه بكل عنف وابعاء في البيان الذي سلمه للمندوب نفسه وقال فيه :- (ان اضطرابات فلسطين السابقة والحالية ، إنما هي ناشئة مباشرة عن السياسة البريطانية الصهيونية ، التي ترمي الى اخفاء القومية العربية في وطنها الطبيعي ، لكي تحل محلها قومية يهودية لا وجود لها ، كما تعلمون أن عرب فلسطين قد تكبدوا كل شيء عظيم في سبيل حقوقهم ، وهم لا يترددون في أن يتكبدوا أكثر من ذلك) . و اضاف :

(إن أكثر اليهود كانوا مسلحين وإن الحكومة قد سلحتهم ، وقد قتلوا مع الجنود النظاميين النساء والاطفال والرجال العرب ، وكانوا البادئين في معظم الحالات)^(٥).

(١) ولیم ل. هل (سقوط اسرائيل ونهوضها ص ١٥٨ - ١٥٩)

(٢) صالح بويصير - مرجع سابق

(٣) نص البيان في كتاب عيسى السفري ص ١٢٩ ، بالاضافة الى كتاب محاضرات في تاريخ فلسطين احمد طربين - القاهرة ١٩٥٨ م.

(٤) كتيب القدس / مطابع الكرمل

(٥) كتاب عيسى السفري ص ١٣٠

وبالرغم مما اقدم عليه المندوب السامي ، فقد (قرريوسف هخط احد رؤساء الهاغاناة ، في اجتماع عقده مع كبار القادة ، وفي اجتماعه معهم ، أشار إلى عدم اهتمام اللجنة التنفيذية للهستدروت وعلى رأسها بن غوريون ، بشؤون المنظمة مثل وقوع الاحداث)^(١) بالاضافة إلى تأمر بعض المسؤولين البريطانيين ، سواء كانوا في الإدارة البريطانية في فلسطين او في لندن نفسها ، للقضاء على المشروع الصهيوني بكامله

وهنا يجب أن نؤكد حقيقة في تاريخ الصهيونية ، وهي أنها اعتمدت في بنائها عناصر الدين اليهودي ، وبذلك سهلت ان تتحول مشكلة دينية مثل صلاة اليهود في باحة البراق - المبكى - الى قضية سياسية ، تحرك جماهير تل أبيب والقدس ، وهذا ما اعترفت به لجنة التحقيق التي وصلت الى البلاد (برئاسة ولترشو) التي عزت اسباب التوتر في علاقات الشعبين والحوادث الدامية الى مخاوف العرب من المهاجرين وقالت :-

(واشتدت هذه المخاوف بالتصريحات الصهيونية السياسية الاكثر غلوا ، مما جعل العرب يرون في المهاجر اليهودي ليس خطرا على مصدر معيشتهم ، بل سيدا قد يسيطر عليهم في المستقبل)^(٢) .

(١) كتاب شلوموليف عامي - في النضال والثورة - تل ابيب

(٢) تقرير اللجنة الملكية لعام ١٩٢٧ ص ٦٨ - ٦٩

الفصل الثالث

الكتاب الأبيض ١٩٣٠م

بعد انتهاء تلك الاحداث التي قتل فيها ١٢٢ وجرح ٣٣٩ ظهرت بوادر حملة عنيفة ضد الادارة البريطانية والحركة الصهيونية على السواء ، فقد اتهموا (اي اليهود) بريطانيا بمحاولة القضاء على المشروع الصهيوني ، والتخلي عن وعد بلفور ، كما وجهوا نقدا شديدا للإدارة الصهيونية وحملوها مسؤولية احداث ١٩٢٩م وكان على راس هذا الجانب زئيف جابوتنسكي (١).

وعلى الأثر جاءت لجنة (شو) ، لتحقق في أسباب الحوادث الدامية ، وبعد أن قامت بتقصي الحقائق أوصت :-

(١) ان توضح الحكومة البريطانية سياستها في فلسطين بأقل ما يمكن من التأجيل ، وتحدد معنى الفقرات التي وردت في نصوص الانتداب ، بشأن حماية الطوائف (غير اليهودية) .

(٢) ان تعيد النظر في امر تنظيم الهجرة ، وأن تتشاور في هذا الشأن مع ممثلي غير اليهود .

(٣) التحقيق العلمي الفني لإدخال أساليب زراعية حديثة وانتهاج سياسة زراعية ، ووفقا لذلك تؤدي الى زيادة الأراضي المزروعة .

ومع ان اللجنة قد اعترفت بمخاوف الجماهير العربية الحقيقية وكشفت عن أسرار الاستيطان ، فقد عكست سياسة بريطانيا الاستعمارية القائمة على سياسة (فرق تسد) ، حتى أن وايزمن نفسه لاحظ ذلك فكتب « إن تقرير لجنة شولم يقل شيئا بشأن بيانات الحكومة البريطانية في فلسطين ، التي وصفت المظاهرات والاضطرابات ، وكأنها اصطدامات بين العرب واليهود ، فهذه البيانات اظهرت ان شعبي يتحاربان في فلسطين ، وأن الادارة البريطانية تقف حارسا محايدا على النظام والقانون (٢) .

وما ان انتهت لجنة شو من عملها ، حتى ألفت الحكومة البريطانية في لندن لجنة (جون هوب سمبسون) تنفيذا لتوصية (لجنة شو) بشأن التحقيق العلمي الفني ، وأصدر (جون) تقريره في تشرين أول ١٩٣٠ حيث أكد :-

(١) وجود أزمة زراعية في البلاد .

(١) يمافاك وبميرد (في النضال والثورة) شلوموليف عامي - مرجع سابق

(٢) حايبم وايزمن - التجربة والخطأ - ص ٣٢٢

٢) استنتج أن الاراضي الزراعية حتى لو وزعت بين الأهلين بالتساوي ، فلا يمكن ان تؤمن للعائلات الريفية الحياة المقبولة ، فإذا لم يجر تطوير الاراضي ويتم تنظيم الري ، ويستخدم العرب اساليب زراعية افضل ، فلن يكون هناك مكان آخر لمستوطن آخر ، ولا مكان للاستيطان على الأراضي الاميرية ما لم يجر تطويرها .

٣) ان احتلال الهيئات الصهيونية للأراضي العربية لا يعني خسارة في الملكية فحسب ، بل هو خسارة في العمل ايضا .

٤) وجود بطالة خطيرة في الميدان العربي (١) .

وما أن رفع سيمبسون تقريره الى الدولة البريطانية ، حتى تجسمت سياستها في الكتاب الابيض الجديد الذي صدر في ٢٤ تشرين اول ١٩٣٠ وأذاعه وزير المستعمرات البريطاني (اللورد تاتسفيلد) ، بعد أن استرشد واضعوه بتقرير (شووسمبسون) ، وفي هذا الكتاب أكدت بريطانيا على بعض الملامح السياسية ، التي بدأت تستخدمها في مواقعها ، فلم تعد تكفي بالقول انها حكم فصل بين الشعبين ، بل أصبحت تضع عليهما ضرورة الوصول الى تفاهم بينهما ، في وقت كانت تخلق الظروف لتباعدهما وتناحرهما .

وجاء في هذا الكتاب « إن توطيد السلام والرفاهية في البلاد في المستقبل ، يتوقف على تحسين العلاقات بين العرب واليهود ، وأن الحكومة البريطانية تشعر أنه في الإمكان الوصول الى ذلك ان تعاون كلا الفريقين معها ومع إدارتها في فلسطين » (٢).

كما صرح هذا الكتاب علانية ، رفضه للمطالب العربية الاستقلالية حين أعلن واضعوه :- (إن المطالب العربية بشأن إيجاد شكل دستوري نيابي ، يتنافى مع التزامات الحكومة البريطانية) ومع ذلك فقد كان محاولة لاقناع الجماهير العربية ، برغبة الحكومة في تسوية القضية الدستورية . وبالإضافة الى رفضه للمطالب العربية فقد أضاف وعدا جديدا جاء فيه :-

(ان الوقت قد حان للسير في مسألة منح فلسطين درجة من الحكم الذاتي ، لمصلحة جميع السكان الى الامام بدون تأخير) (٣) .

وراحت الحكومة البريطانية تكثف محاولاتها - في الوقت نفسه - لكسب عطف الجماهير العربية ، فاعلنت في كتابها هذا ، أنه لا توجد أية أراض ميسورة لاستيطان المزارعين من المهاجرين اليهود الجدد ، وان البيانات تحمل على الاعتقاد بأن درجة البطالة بين الاهلين العرب ، وصلت حدا خطيرا ، ولذلك يجب تخفيض الهجرة أو وقفها ما دامت هذه الهجرة تسبب حرمان السكان العرب ، الحصول على الاشغال الضرورية لمعيشتهم (٤) .

(١) تقرير لجنة فلسطين الملكية لعام ١٩٣٧ ص ٧١ - ٧٢

(٢ + ٣ + ٤) عيسى السفري - مرجع سابق ص ١٦٠ - ١٦٤

كان هذا الكتاب على ما يبدو ، أقرب الى المواقف العربية ، وهنا هبت المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية الى مقاومته ، لانه كما لخص ذلك (حاييم وايزمن) (ان الكتاب يهدف الى جعل عملنا مستحيلا) (١) . فاستقال من رئاسة الوكالة اليهودية ليستفز قوى الصهيونية ، مع انه لم يتوقف عن العمل لحظة واحدة ، وكان يتنقل في محافل لندن السياسية مستنفرًا كبار الصهيونيين البريطانيين الذين مارسوا ضغوطهم عن طريق نوابهم في البرلمان ، بينما راح بن غوريون يعالج مقترحات المجلس التشريعي التي جاءت في هذا الكتاب فقال :-

(نصادق على تغييرات دستورية تهدف الى إعطاء السكان قسطا من الادارة ، ولكننا نرفض بلا هوادة المجلس التشريعي ، الذي اقترحه الكتاب الابيض ، ونعد الصهيونية والعمال اليهود والامة العربية ، أن لا نقبل ابدا ، بأن يسيطر فريق قومي واحد في فلسطين على الآخر ، الآن والى الأبد ، واذا كنا لا نقبل فكرة دولة يهودية حيث يحكم اليهود العرب ، كذلك لا نقبل ازدواجية القومية) (٢).

وما ان شعرت الحكومة البريطانية بتأزم الموقف ، حتى عمدت الى إرسال خطاب ، بعثت به الى حاييم وايزمن في ١٣ شباط ١٩٣١م وفيه فسرت معنى الكتاب الابيض ، ووصفه العرب (بالرسالة السوداء) .

وراح الكتاب البريطانيون ينفون أن تكون الرسالة قد ألغت الكتاب الابيض ، ويصرّون في اكثر الحالات على انها غير لهجة الكتاب الابيض لا غير (٣) .

ولكن الواقع يختلف تماما عن هذا الزعم ، فالرسالة فعلا قد ألغت مفعول الكتاب الابيض ، وخاصة في أهم قضية فيه ، قضية تطوير الحكم الدستوري ، وتقليص الحكم الامبريالي المباشر .. ثم ان (الرسالة السوداء) أعلنت عن وجود أراض للاستيطان اليهودي ، ووافقت على استمرار سيل هجرة العمال اليهود للعمل في منشآت راس المال اليهودي (٤) .

واستنفرت هذه التطورات تشديد عداة الشعب العربي الفلسطيني ، لمبادئ الانتداب والحكم البريطاني ، الذي وقف سدا منيعا أمام طموح الأهالي نحو الاستقلال .

(١) جذور القضية ص ١٧٥

(٢) ولادة اسرائيل مجددا ومصيرها - دافيد بن غوريون - مجموعة خطابات ومقالات ١٩٥٤ ص ٢٨

(٣) تقرير الحكومة البريطانية ١٩٤٥ للجنة التحقيق الانجلو - امريكية ص ٢٩

(٤) المصدر ذاته ص ٢٩

هبة عام ١٩٣٣م

استنفرت هذه التطورات على الساحة الفلسطينية تشديد عداة الشعب العربي - كما ذكرنا - لمبادئ الانتداب والحكم البريطاني ، وساعدت على ايقاظ اعداد كبيرة من القوميين ، على حقيقة السياسة البريطانية ، ففي تلك الفترة أجلت السلطات فلاحية (عرب الحوارث) بالقوة ، عن (٤١) الف دونم من مرج بن عامر وبذلك شردت (١٥٠٠) مزارع ، بعد أن أدت المعركة التي دارت بين الشرطة والفلاحين ، إلى سقوط عدد من القتلى^(١) وبعد ذلك تم إجلاء (عرب الزبيدات) عن اراضيهم في (الحارثية) قرب حيفا وفي هذه الحادثة استخدم البوليس العنف وقتل مزارع اثناء اطلاق البوليس النار على المزارعين^(٢)

وهكذا انفجر الموقف بهبة عام ١٩٣٣ بعد ان اعلن رئيس اللجنة التنفيذية (موسى كاظم باشا) بيانا حذرفيه من خطر الهجرة ، وانتقال الأراضي الى المؤسسات الصهيونية ، ثم جاء المؤتمر السادس (٢٦ آذار ١٩٣٣) الذي اشترك فيه ممثلون عن مختلف فئات الشعب من المدن والقرى ، وقرر عدم التعاون مع السلطات البريطانية ، ومقاطعة الهيئات الحكومية والبضائع اليهودية والبريطانية ، كما ابرز (حمدي الحسيني) في هذا المؤتمر (أن الانتداب هو علة صهيونية ، وان الصهيونية هي فرع لأصل هو الانتداب) .

وهكذا فقد طرح هو ورفاقه الوطنيون ، القضايا الجوهرية على بساط البحث ، في الميدانين السياسي والتنظيمي ، كما استخدموا منبر المؤتمر ، ليدعوا الى نشوء نقابات صحيحة وجمعيات قوية ولجان عاملة ، تتجه جميعها نحو تحقيق مبدأ استقلال البلاد التام ، وتأليف حكومة جمهورية في فلسطين على أساس الحق العربي^(٣) .

ومرة اخرى قاد الشيخ موسى كاظم باشا المعركة ، بعد أن أصدر بيانا في بداية تشرين اول ١٩٣٣ واطن فيه دعوته الجماهير الى :

(اعلان سخط الامة العربية في فلسطين ، على عبث الحكومة البريطانية ، بحقوق اصحاب البلاد ، وتحديها لعواطفهم الوطنية ، واستهتارها بكيانهم الوطني ، ومصالحهم الاقتصادية والاجتماعية ، بفتح ابواب البلاد للهجرة الصهيونية ، وتسهيلها انتقال اراضي العرب الى ايدي اليهود ، واستبدادها بالحكم المباشر ، كما دعا الشعب الى اعلان سخطه بالظاهرات)^(٤) .

(١) القضية الفلسطينية - يوسف هيكل ص ١٤٦

(٢) عيسى السفري - مرجع سابق ص ٢٣٨

(٣) ستون عاما على الحركة القومية العربية - اميل توما عكا ١٩٨٣

(٤) عيسى السفري - مرجع سابق ص ٢١١

وفعلا إجتاحت البلاد موجة من المظاهرات الشعبية ، التي امتازت بالثورية ، وتحدي قوى القمع الاستعماري ، فقد جرت هذه المظاهرات على الرغم من الحظر الحكومي ، واصطدمت في كل مرة بقوات الامن ودفعت ثمن ذلك ضحايا عزيزة .

وكانت هذه المظاهرات تعبيراً مجسداً عن نضالية الشعب والجماهير ووعيها ، كما اشتركت النساء في النضال على نطاق واسع ، وان وفوداً من سوريا ولبنان والاردن اشتركت في مظاهرة يافا .

مظاهرة القدس ١٣ تشرين اول ١٩٣٣

لم يكن امام اللجنة التنفيذية من سبيل ، إلا اللجوء الى اساليب الكفاح المسلح النشط ، ولهذا قررت امام ضغط القوى الوطنية ، وفي اجواء الغليان الشعبي ، القيام بمظاهرة في القدس وأخفقت محاولات السلطات لمنع هذه المظاهرة الضخمة ، بقيادة اللجنة التنفيذية ، فكانت حدثا قوميا كبيرا حيث عكست نضالية الشعب واستعداده الكفاحي ، كما شارك في هذه المظاهرة ابناء المدينة والقرية والرجال والنساء اللواتي خضن المعركة القومية على نطاق واسع .

وما ان حل يوم الجمعة ١٣ تشرين اول ١٩٣٣ - وهو موعد تلك المظاهرة ، التي دعا اليها شيخ القضية (موسى كاظم باشا) حتى تقاطرت الوفود والجماعات الى باحة المسجد الاقصى للصلاة ، وما ان انتهى المصلون من أداء الصلاة ، حتى اشتعلت المظاهرة ، التي ساهم فيها الكثير من زعماء البلاد واعيانها وهي تهتف ضد الاستعمار وسياسته وضد وعد بلفور والهجرة اليهودية .

كما هتفت الجماهير بحياة فلسطين وعروبيتها واستقلالها ، وهنا استخدمت السلطة الانتدابية العنف في تفريق المظاهرة ، أملا في أن يؤدي ذلك الى وقف الموجة الثورية الصاعدة ، وراحت تبطش بالعرب مما ادى الى سقوط ٣٥ جريحا عربيا ونفر من رجال الامن^(١) .

لقد كان لهذه المسيرة الشعبية الأثر الكبير في نفوس الجماهير الثائرة ، حيث أنها لم تتعود ان ترى زعماء البلاد وصفوة رجالها ، وهم يسرون في المظاهرات ، وكان لاشتراك الزعماء والعلماء معنى قوي أكسبها تلك المهابة والرهبة^(٢) .

مظاهرة يافا ٢٧ تشرين اول ١٩٣٣م

اجتمع زعماء البلاد واعيانها وكبار علمائها ، وأعضاء اللجنة التنفيذية في بيت الشيخ الزعيم ، وتدارسوا شؤون الوطن ، وما يتعرض له من مؤامرات ومخاطر ، واتفقوا على القيام بمظاهرة يوم الجمعة ٢٧ تشرين اول ١٩٣٣ في مدينة يافا وبدون إذن حكومي .

كما أعرب الزعيم عشية المظاهرة وقال « لم يسبق لنا (وقد اللجنة التنفيذية) أن لجأنا الى المظاهرات السلمية ، ولكننا نجد الآن انفسنا مدفوعين إليها بواسطة الشعب نفسه ، ولقد كنا نأمل ونحن نواجه هذا المأزق ، أن تقوم الحكومة بمساعدتنا ، بدل أن تكرهنا إلى قيادة الشعب الى اضراب أشد خطورة »^(٣) .

(١) فلسطين وجهاد شعب فلسطين - محمد دروزة

(٢) المرجع السابق

(٣) تاريخ فلسطين الحديث عبد الوهاب الكيالي بيروت ١٩٧٠

ويأبى الشيخ أن يريح جسمه ، ويركن الى الدعة في بيته بالقدس ، فاتجه الى يافا ليكون اول المتظاهرين الذين وفدوا الى يافا ، من القدس والخليل وحيفا وغزة وغيرها ... ، وأمام الجامع الكبير بالمدينة وقع الصدام المرتقب بين المتظاهرين وبعض القطاعات العسكرية البريطانية ، من البوليس والجيش والمدعمة بالمدركات والخيالة ، وفي هذه المظاهرة استخدم البوليس النار مما ادى الى سقوط عدد من القتلى في ساحة البوابة ، التي اطلقت عليها الجماهير فيما بعد (ساحة الشهداء) حيث سقط اثنان وثلاثون شهيدا و١٦٧ جريحا^(١) .

كانت هذه المظاهرة يوما مشهودا في تاريخ الحركة القومية العربية في فلسطين ، لقد اشترك فيها الآلاف من أبناء الشعب ، وبرز فيها العمال والفلاحون الذين استعدوا لمجابهة قوات الانتداب البريطاني ، التي احتشدت لضرب الكفاح القومي وإغراقه في الدماء .

لقد ظهرت هذه النوايا الامبريالية في استخدام قوات البوليس (المشاة والخيالة) النار في تفريق المتظاهرين، ولم تستعمل الهراوات التي استعملتها في مظاهرة القدس . وفي الوقت ذاته تميزت هذه المظاهرة بالتفاهم العربي ، إذ اشتركت فيها وفود من سوريا وشرق الاردن ، التي جاءت خصيصا ، وفعلا حول الانتداب ذلك اليوم إلى (يوم الدم) فهجوم قواته على المتظاهرين ، اتخذ شكل مجزرة رهيبة ، سقط خلالها القتلى والجرحى ، كما قام بعدها بحملة اعتقالات شملت بعض القادة وعدداً كبيراً من المتظاهرين والقوميين .

لقد ابدت الجماهير بطولة رائعة وصفها بعض الكتاب المعاصرين في صحف ذلك التاريخ وفي الكتب فيما بعد ، وجاء في احدها :-

وما كاد المتظاهرون يقتربون من الأسلاك الشائكة ، التي أقامتها السلطات حول مبنى الحكومة في يافا ، حتى فتح البوليس والجيش النار عليهم ، ولكن طلقات الرصاص لم تستطع تفريق المتظاهرين الذين سحب بعضهم نفرا من افراد البوليس والجيش من على الأحصنة ، وطرحوهم أرضا ، واقتحموا مواقع فرق البوليس والجيش ، بالرغم من السيارات والمصفحات والرشاشات والاسلاك الشائكة ، لكن النار الكثيفة اجبرتهم على التراجع ، وهم يهتفون بسقوط الاستعمار البريطاني ، والحكومة البريطانية ، وتحولت شوارع يافا الى ساحة حرب استمرت حتى الساعة الرابعة بعد الظهر ، وأعلنت الحكومة حالة الطوارئ في المدينة^(٢) .

كان الشيخ الزعيم البالغ من العمر (٨٢) عاما ، يمشي أمام المتظاهرين وهو يتوكأ على عصاه ، ويهز بها في وجه رجال البوليس ، وهو يهتف ويخطب ويشجع الجماهير ، ويحرك في قلبها المشاعر الوطنية والقومية ، وسرعان ما راحت قوى الاستعمار الظالم القاتل تبطش بالعرب العزل ، بالعصي والهراوات واعقاب البنادق والرصاص ،، ولم يرحموا الشيخ الذي

(١) عيسى السفري ص ٢١١ مرجع سابق

(٢) فلسطين والانتداب البريطاني كامل محمود خلة ص ٢٤٦

اصيب بضربات هراوات قاسية على رأسه وعلى انحاء متفرقة من جسمه ، وسقط على الأرض وذرعه تحتضن أحد المواطنين الذين اصيبوا برصاصة قاتلة « وبالله أقسم .. لقد شاهدت بعيني الشعب الاعزل يترامى على الشيخ ليحميه من النيران ، وشاهدت الشيخ يدفع عنه الشعب ، ليتلقى عنهم الرصاص .. وخرج الشيخ من المعركة وقد صبغت ثيابه بدماء أبنائه الذين استشهدوا في الدفاع عنه »^(١)

ولم تطل الايام به .. فلقد تهدم الشيخ وانتقل الى الرفيق الاعلى عشية ٢٦ آذار ١٩٣٤ بعد ان خلف وراءه فراغا رهيبا في الزعامة العربية ، وأحدثت وفاته ثغرة واسعة في صفوف اللجنة التنفيذية ، ودفن في السور الغربي للمسجد الاقصى ، ما بين الباب الجديد وباب القطنين .

(١) جريدة المصري ١١ نيسان ١٩٤٨ مقال يوسف حنا

الباب الثاني

الفصل الاول

صورة الوضع في فلسطين بعد رحيل الزعيم

لقد كانت هناك شخصيتان من آل الحسيني في القدس ، ولهما كانت القيادة ، شخصية شيخ القضية موسى كاظم باشا ، رئيس المؤتمرات الوطنية ورئيس الوفود العربية الى لندن ، وشخصية الحاج محمد امين الحسيني (المفتي الاكبر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى) ، في نحو السادسة والعشرين من عمره ، بينما كان موسى كاظم باشا في سن عالية جاوزت السبعين .

لقد كان الزمام الوطني في أيديهما ، رغم وجود المعارضة وعلى رأسها (راغب النشاشيبي) ، رئيس بلدية القدس سنة ١٩٢٠م وشتان ما بين منصب المفتي ورئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، وبين رئاسة بلدية القدس .

نشأ الحاج أمين منذ الصغر في الحي الحسيني بالقدس ، أو في الساحات التي يلعب بها الاولاد عادة ، حيث كان يسيطر على أترابه وأنداده ، ويأخذ في ملاعبتهم على طريق الفروسية ، وممارسة جميع ما كان معروفا في تلك الايام من ضروب الرياضة البدنية ، المقرونة بالشتم والاباء وعزة النفس ، وقصده بكل هذا ، استنهاض همم الشبان وحملهم على التخلق بأخلاق العروبة والعرب الموروثة .. تلقى علومه الأولى في مدارس فلسطين ، ثم انتقل بعد الحرب العالمية الاولى الى مصر للدراسة في الأزهر ، وتلمذ على الشيخ (محمد رشيد رضا) صاحب المنار الاسلامي ، في مدرسة دار الدعوة والارشاد ، التي كان السيد رضا قد أنشأها سنة ١٩١٢م وكان هدفه من إنشاء هذا المعهد ، هو تخريج الدعاة المختارين للانتشار في العالم الاسلامي ، وبث الدعوة فيه بين المسلمين ، فشرب الحاج امين آراءه الاسلامية من نبعه الأزهر ، ومن مدرسة دار الدعوة والارشاد حتى ارتوى .

ولم يكتف الحاج بذلك ، بل راح يستقي وهو في مصر ما يتعلق بالعروبة ، فاتصل بحزب اللامركزية المطالب بحقوق العرب عامة^(١) .

قصد سماحته الديار الحجازية للحج عام ١٩١٤م مع والدته ، ومنذ ذلك الوقت صارت كلمة الحاج تسبق اسمه فينادى بالحاج امين وكفى .. كان هو ذلك الشاب العربي المسلم ، ريق الشباب النضروله العقل الرزين وصفاء خاطر ، والمستعد لركوب المخاطر ، متفتح الذهن ذو رسالة في حياته .

إن وفاة الشيخ (كامل) مفتي القدس وشقيق الحاج أمين ، قد سببت مشكلة للمندوب السامي (هربرت ضموتيل) فكيف عليه أن يجمع بين الصهيونية الكارهة للعرب ، وبين الأمر

(١) مجلة العربي العدد ٢٩٠ يناير ١٩٨٣ عجاج نويهض

المتعلق بالافتاء ؟ فراح هذا الصهيوني القح^(١) يجيل بنظره في صفوف العرب ، فلاحظ أن ذلك الشاب الحسيني الذي يبلغ ٢٤-٢٥ سنة من العمر ، هو وجه شباب العرب ، ولاحظ أيضاً ان الرأي العام العربي يميل اليه لخلافة اخيه المتوفى ، وهذا الميل يقوى يوماً بعد يوم ، بعد أن لبس العمامة والجبّة ، فوقع هربرت في حيرة ، ولعلها أشد قضية رآها مستعصية على دهائه واتساع حيلته ، وصار ينادي في المساجد - وفي الاقصى خاصة - بأن الحاج امين فقيهننا ، مناداة لا تلفت النظر ، بل يخشى أن تتولّد منها شرارات غضب جماهيري يؤدي الى ما هو أصعب .

وانقادا للموقف استجاب للرأي العام العربي الثائر ، فرشح للافتاء اربع شخصيات فيهم الحاج امين ، ففاز بالنجاح وأصبح (المفتي الاكبر) وظن صموئيل أن انتخاب ذلك الشاب للافتاء ، فيه مرضاة للعرب ونسي ان هناك قضية قومية عربية ، وما جاء هذا الشاب للافتاء بعد اخيه إلا ليجعلها اكثر اتقادا ، وما كاد هربرت صموئيل يلتقط أنفاسه ، حتى راح عرب فلسطين يطالبون برفع يد الحكومة عن الاوقاف الاسلامية ، وعن إدارة المحاكم الشرعية سواء أكانت ضمن حدود الحرم الشريف او في الاراضي الزراعية .

كان عدد المحاكم الشرعية ١٦ محكمة ، وعلى رأسها محكمة استئناف القدس ، فقام الرأي العام الاسلامي يطالب بأن تكون هناك هيئة اسلامية رسمية ، تشرف على إدارة الاوقاف والمحاكم الشرعية ، مما وضع هربرت في وضع متأزم حرج ، ولما رآها - رغم نزعته الصهيونية - أنها مطالب محقة ، اذ كيف يطبق المسلمون أن يتحملوا أن تكون أوقافهم ومحاكمهم الشرعية ، تحت ادارة حكومية تدّعي انها منتدبة لترقية البلاد ، ويتولى إدارة هذه المحاكم يهودي صهيوني متعصب اسمه (نورمان بنتوش)^(٢) ولهذا رأى إنشاء هيئة اسلامية تنتخب انتخاباً شعبياً ، وتتألف من اربعة اعضاء ورئيس يمثلون فلسطين جميعاً ، ولكنه أمر بأن تتم الانتخابات تحت مراقبة الحكومة ، لسلامة الانتخاب فكانت النتيجة انتخاب الحاج امين رئيساً دائماً لا يتغير ولا يتبدل ، وكان أعضاء هذه الهيئة (المجلس الاسلامي الاعلى) في كانون ١٩٢٢ هم :

١) الحاج امين الرئيس الدائم للمجلس الاسلامي الاعلى - القدس

٢) الشيخ محمد مراد - مفتي حيفا

٣) القانوني/ عبد اللطيف صلاح يمثل مقاطعة نابلس .

٤) القانوني سعيد الدجاني يمثل مقاطعة يافا .

٥) الحاج سعيد الشوا/ يمثل منطقة غزة وبئر السبع .

وحاول هربرت صموئيل بحيله الخبيثة أن يجعل اكثرية اعضاء المجلس من المعارضة

(١) وصفه بهذا صديقه الحميم (ونستون تشرشل) .

(٢) مجلة العربي يناير ٩٨٣ عجاج نويهض

للحاج امين ، فلم يوفق ، رغم أنه وضع من المعارضين (عبد اللطيف صلاح وسعيد الدجاني) ، إلا أنهما انضموا للحاج امين قلبا وقالبا^(١) ، وازدادت سمعة الحاج امين لما يقوم به من تأسيس المشروعات المهمة ، كتأسيس مدرسة الروضة ودار الأيتام الاسلامية بالقدس ، ووضع مشروع إصلاح قبة الصخرة والاقصى . وفي عام ١٩٣١ عقد سماعة المفتي (المؤتمر الاسلامي العالمي) في ٧ كانون اول ١٩٣١ حيث اجتمع ممثلون من اكثر من ٢٠ قطرا ، وتركزت جميع قراراته على تنمية التعاون بين المسلمين ، وحماية المصالح الاسلامية ، وصيانة المقدسات خاصة بعد حوادث البراق عام ١٩٢٩ م .

وفي ٢٥ كانون ثان ١٩٣٥ عقد المؤتمر الاسلامي المحلي في القدس ، وحضره أكثر من ٤٠٠ شخصية من القضاة ورجال الإفتاء ، وأئمة المساجد والوعاظ والمدرسين والخطباء ، من جميع انحاء فلسطين ، وفيه تقرر إصدار فتاوى دينية (لتحريم بيع أي شبر من أراضي فلسطين لليهود ، واعتبار الباعة مارقين من الدين ، كما قرر المطالبة بوقف الهجرة اليهودية ومنع بيوع الاراضي)^(٢) . وتمكين الراغبين في وقف أراضيهم وقفا نريا او خيريا ، وطالب المؤتمر ايضا بتسهيل هجرة العرب الراغبين في دخول فلسطين ، كما ناشد المؤتمر ملوك المسلمين والعرب ، مساعدة اهل فلسطين ، كما طالب المؤتمر مساعدة المشاريع الاقتصادية وتأسيس الشركات الوطنية ، وحض الاهالي على شراء المنتوجات الوطنية .

وفي غمرة التوثب السياسي والاضراب العام الذي بدأ يوم ١٩ نيسان ١٩٣٦ ، واستمر ستة اشهر كاملة اجتمعت قيادات الاحزاب القومية العربية في ٢٥ نيسان ١٩٣٦^(٣) وهي :-

- ١ (حزب الدفاع برئاسة راغب النشاشيبي وقد تأسس عام ١٩٣٤ .
- ٢ (حزب الاستقلال برئاسة عوني عبد الهادي آب ١٩٣٢ .
- ٣ (حزب الاصلاح - حسين فخري الخالدي ١٨ حزيران ١٩٣٥ .
- ٤ (الحزب العربي - جمال الحسيني ٢٤ نيسان ١٩٣٥ .
- ٥ (حزب الكتلة الوطنية - عبد اللطيف صلاح ٤ تشرين اول ١٩٣٥ .

(١) كان يطلق على جماعة الحاج امين (المجلسيين) وعلى جماعة النشاشيبي (المعارضين)

(٢) وعلى اثر ذلك اسس بنك الأمة (البنك الزراعي سابقا) برئاسة الحاج امين واحمد حلمي عبد الباقي ، عن طريق المساعدات المالية لايقاف مثل هذا العمل .

(٣) كان قبل ذلك قد تأسس (الحزب العربي الوطني) ٩ تشرين اول ١٩٢٣ برئاسة سليمان التاجي الفاروقي وسكرتارية عبد الله مخلص ، وكان من بين المؤسسين : عارف الدجاني وفخري النشاشيبي وبولص شحادة (محرر جريدة مرآة الشرق) وعمر الصالح البرغوثي كما تأسس حزب الزراع برئاسة موسى كاظم باشا والشيوخ سليمان التاجي الفاروقي وعضوية عوني عبد الهادي وعزة دروزة وآخرين .. (ستون عاما على الحركة القومية) د . اميل توما .

والفوا (اللجنة العربية العليا) برئاسة الحاج أمين ، وأمانة سر عوني عبد الهادي
وعضوية سائر قادة الأحزاب ، وكان من أهم شعارات هذه اللجنة :-

١) وقف الهجرة اليهودية .

٢) منع بيع الاراضي .

٣) إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي .

كما قررت اللجنة أن تستمر البلاد في الإضراب ، حتى تقرر الحكومة تغيير سياستها ،
وعلى أن تكون أول بادرة لذلك التغيير ، وقف الهجرة اليهودية ، ولكن الانجليز رفضوا مرة
أخرى أن يستمعوا الى صوت الأمة ، واستمروا في الابتعاد عن جادة العدل والانصاف ، حيث
قرر المندوب استمرار تدفق الهجرة ، فنارت نائرة الأمة لهذا التحدي السافر ، واشتدّ عزمها ،
وصممت على الاستمرار في الإضراب مهما كلف الامر .

ولجأت بريطانيا الى مناوراتها ، ودعت العرب الى وضع السلاح ، والدخول في مفاوضات
لحل القضية ، فلم يوافق العرب ، فاتصلت بملوك العرب وامرائهم ، وطلبت اليهم التدخل مع
عرب فلسطين لاقتناعهم بوقف الثورة وفك الاضراب ، متعهدة لهم بإنصاف عرب فلسطين
وضمن حقوقهم ، وكان من نتيجة تلك المساعي ان وجه الملك عبد العزيز ال سعود والملك غازي
الاول والامير عبد الله النداء التالي :-

(الى ابنائنا عرب فلسطين لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين ، فنحن
بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ، ندعوكم للاخلاق الى السكنية حقنا للدماء ،
معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وثقوا
بأننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم^(١) .

وعلى إثر اصدار البيان ، دعت اللجنة العربية العليا اللجان القومية في فلسطين ، لعقد
مؤتمر في القدس فأصدرت اللجنة العربية العليا البيان التالي :-

(قررت اللجنة العربية العليا بالإجماع ، وبعد استشارة مندوبي اللجان القومية ،
والحصول على موافقتهم باتفاق الآراء ، أن تلبي نداء اصحاب الجلالة ملوك العرب وسمو
الامير ، وان تدعو الامة العربية الكريمة في فلسطين ، للاخلاق إلى السكنية وإنهاء الاضراب
والاضطرابات ابتداء من صباح يوم الاثنين المبارك ٢٦ رجب ١٣٥٥ هـ الموافق ١٢ تشرين اول
١٩٣٦ م ، وأن يبكر أفراد الامة العربية في صباح ذلك اليوم الى مساجدهم ، لإقامة الصلاة على
أرواح الشهداء ، ورفع الشكر لله تعالى على ما الهمهم من صبر وجلد ، ثم يخرجون من المساجد
لفتح متاجرهم وحوانيتهم ومزاولة اعمالهم المعتادة)^(٢) .

(١) حول الحركة العربية الحديثة - محمد درورة ج٣

(٢) حياة عبد القادر الحسيني / مخطوط - نخبة من اخوانه المخلصين لمبادئه

وعلى اثر هذا القرار عاد العرب الى مزاوله أعمالهم بعد اكبر إضراب شامل شهدته المنطقة في تاريخها ، واستمر ستة اشهر ، وأعنف ثورة عرفتها فلسطين .

وساد الهدوء ، وانقضت فترة من الهول والفرع قدم فيها عرب فلسطين أعظم التضحيات ، وبذلوا في سبيل بلادهم اقصى ما يمكن لشعب اعزل أن يبذله ، لا وزر لهم إلا ايمانهم بحقهم ، ولا عون الا فيضا من القوة يستمدونه من أرواح شهدائهم الابرار ، وبدأت البلاد تستعد لاستقبال لجنة بيل الملكية .

لجنة بيل الملكية

وما أن وصلت لجنة بيل الملكية برئاسة (ايرل بيل) في ١١ تشرين ثان ١٩٣٦ ، بعد أن قررت بريطانيا إيفادها الى فلسطين ، حتى تقنع ملوك العرب وشعوبهم ، بأنها جد معنية بحل قضية فلسطين ، حتى أحاطت بريطانيا لجنتها بدعاية هائلة ، وقامت وكالات الأنباء تسبغ عليها هالة من الاكبار والاحلال ، فاعتقد الكثيرون أن هذه اللجنة هي في الحقيقة مؤلفة من رسل الحق والعدل . لقد جاءت هذه اللجنة لتثبت - كما جاء في براءة تعيينها - من الأسباب الاساسية للاضطرابات التي نشبت في أواسط نيسان ، ولتحقق في كيفية تنفيذ صك الانتداب في فلسطين ، وإزاء التزامات الدولة المنتدبة نحو العرب ونحو اليهود .

وعندما وصلت اللجنة الملكية حتى بدأت تحقيقاتها في جو مكهرب ، خاصة بعد أن أعلن وزير المستعمرات في ١١/٥/١٩٣٦ ، أن الحكومة البريطانية وافقت على استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين ، وأصدر (١٨٠٠٠) شهادة رسمية للسته أشهر التالية^(١) .

كان هذا الاعلان خروجاً عن كل منطق وعدل ، فكيف تسمح باستمرار الهجرة والهجرة نفسها من مواضيع بحث اللجنة وتحقيقاتها ؟ وعلى إثر صدور هذا البيان ، ثارت ثائرة العرب ، وارتفع صوتهم بالاجتجاج ، حيث قررت اللجنة العربية العليا بياناً أصدرته يوم ١١/٦/١٩٣٦ ، اعلنت فيه مقاطعة اللجنة الملكية .

لم يرق هذا العمل للحكومة البريطانية ، فسعى مندوبها السامي لحمل اللجنة العربية العليا عن العدول عن قرارها ، فلم يوفق ، فتوسلت الحكومة البريطانية بجلالة الملك عبد العزيز والملك غازي الاول للتدخل ، ولما توسط الملكان قررت اللجنة العربية العليا النزول مرة اخرى عند نصيحة الملوك العرب وقبلت التعاون مع اللجنة ..

وتقدم سماحة المفتي يدافع عن وجهة النظر العربية وحقوق العرب أمجد دفاع حيث قال : « ان القضية العربية في فلسطين ، هي قضية قومية استقلالية ، لا تختلف في جوهرها عن قضايا العرب عامة » ، كما طالب بحل القضية على الأسس التي حلت عليها قضايا العراق وسوريا ولبنان ، بإنهاء الانتداب ، وعقد معاهدة مع بريطانيا ، تقوم بموجبها حكومة مستقلة وطنية ذات حكم دستوري ، تتمثل فيها جميع العناصر الوطنية ، ويضمن للجميع فيها العدل والتقدم والرفاهية^(٢) .

(١) حياة عبد القادر الحسيني - مخطوط

(٢) عيسى السفري - مرجع سابق ص ١٨٢ - ١٩٠

اما الموقف الصهيوني ، فقد عرضه أكثر من شاهد أمام اللجنة الملكية ، ولكن الشاهدين الرئيسيين كانا (حاييم وايزمن) زعيم المنظمة الصهيونية - (وزئيف جابوتنسكي) - زعيم الاصلاحيين - حيث طالب الاخير بدولة يهودية في فلسطين ، وحدد فلسطين بالاقاليم القائمة على ضفتي نهر الاردن ، وفي النهاية قال مخاطبا لجنة التحقيق :-

« واخيرا يجب اتخاذ اجراءات لتأمين الأمن ، إن امة مثل امّتكم تمتلك خبرة استيطان كولونيالي هائلة ، تدرك بالتأكيد أن الاستيطان لا يتم بدون نزاعات مع السكان المحليين ، ولذلك فلا بد من حماية البلاد »^(١) .

اما وايزمن فقد قسم شهادته الشاملة الى قسمين ، عالج في احدهما (مبادئ الحركة الصهيونية) وفي القسم الثاني عالج (مطالب القضية اليهودية) ، كما لخص تفسيره لوعده بلفور امام اللجنة الملكية ، فأعلن أن القصد منه يوحي بأن :-

بلاد العرب للعرب ويهوذا (اي فلسطين) لليهود وأرمينيا للأرمن كما أضاف :-

(أعرف أن الله وعد بفلسطين أبناء اسرائيل ، ولكني لا اعرف الحدود التي رسمها ، انني أوّمن أنها أوسع من الحدود المقترحة ، ومن المحتمل أن تشمل شرقي الاردن ، ومع هذا فقد غضضنا النظر عن هذا القسم الشرقي ، ويطلب منا أن نتنازل عن بعض القسم الغربي ... وإذا كان الله سيفي بوعدده لشعبه في الوقت الذي يقرره ، فواجبنا - نحن بني البشر - الفقراء اليه تعالى ، الذين يعيشون في عصر صعب ، أن ننقذ - وبقدر الامكان - ما يمكن انقاذه من اسرائيل)^(٢)

اما اهداف الصهيونية الحقيقية : فتهدف إلى اقامة دولة يهودية في ارض اسرائيل التاريخية ، وعلى ضفتي الأردن (فلسطين وشرق الأردن) وذلك بعد ان يصبح اليهود اكثرية في تلك المناطق ، وقد درج الصهيونيون اليمينيون على التشديد كثيرا على حقوق اليهود في شرق الاردن ، فكتب جابوتنسكي في أحد اشعاره بيتا يقول :-

(ضفتان للأردن هذه لنا وهذه ايضا) وأصبح هذا الشعار شعار اكثر من منظمة صهيونية يمينية)^(٣) .

وبعد ان استمعت اللجنة الى مطالب العرب ومزاعم اليهود ، راحت تقسم تقريرها الى قسمين : (قسم ضمنته اقتراحاتها العينية في حالة بقاء الانتداب ، بشأن الهجرة والحكم المحلي وسائر القضايا القومية ، والقسم الثاني دعت فيه الى حل جذري ، اعتقادا منها أنه لا سبيل آخر للخروج من هذه الازمة . أما الحل الجذري فكان التقسيم على اعتبار أنه من غير

(١) جذور القضية - مرجع سابق ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٢) جذور القضية - مرجع سابق ص ٢٢٧

(٣) مؤلفات جابوتنسكي تل ابيب ١٩٥٢ ج ١١ ص ٢٢٥

الممكن لأي من العنصرين حكم فلسطين بأسرها ، وليس هناك ما يمنع اي عنصر منهما من تولي الحكم في قسم منها ، إن كان ذلك ممكنا ، لأن التقسيم يفسح المجال لتوطيد السلام في النهاية الامر ، الذي لا يتيح أي مشروع آخر .. وتلخص مشروع اللجنة :-

(١) إنهاء الانتداب البريطاني . ٢ .) إقامة دولتين في فلسطين (عربية ويهودية) وباقتطاع اجزاء من البلاد ، ووضعها تحت سلطة الانتداب لحمايتها بوصفها أماكن مقدسة . وكانت أبرز ملامح التقسيم :

(١) إقامة الدولة اليهودية في مناطق ساحل فلسطين حيث احتشدت المستوطنات .

(٢) إقامة الدولة العربية في القسم الفلسطيني المخصص للعرب المتاخم لشرق الاردن .

(٣) وضع الاماكن المقدسة (القدس ومنطقتها والناصره ومنطقة طبريا وما جاورها) تحت اشراف الدولة المنتدبة ، للمحافظة على قداستها وحرية الوصول اليها .

وفي عشية اصدار توصيات التقسيم ، انسحب ممثلو حزب الدفاع من اللجنة العربية العليا ، بعد أن احتج الحزب في البيان الذي أصدره يوم ١٩٣٧/٧/٣ ، على الاغتيالات السياسية التي بدأت تنفث في البلاد ، وعلن أنها تقسم الجماهير ، وكان واضحا أن حزب الدفاع كان يتهم اللجنة العربية العليا ، وخاصة الحاج امين بتنظيم تلك الاغتيالات ، التي قضت على معظم رجالات الحزب . ولكن هناك دلائل عديدة منها : توقيت الانسحاب ونشاط رجال الحزب إبان الثورة ، قد اوحى ان قادة حزب الدفاع كانوا على علم بتوصيات التقسيم ، وبوصفهم مهادين للإدارة البريطانية ، فقد استعدوا للسير معه في مخطط إقامة دولة عربية جديدة ، من شرق الاردن والقسم المتبقي من فلسطين^(١) .

ومع ذلك لم يستطع قادة حزب الدفاع في اللحظة الحاسمة ، الخروج علنا بتأييد مقترحات التقسيم ، بل اصدروا بيانا أعلنوا فيه أنهم قرروا بالاجماع رفض مشروع التقسيم ، لأنه يعارض آمال الأمة ويضر بمصالحها ، ويمزق وحدتها ويهدم كيانها ، وانهم سيواصلون السعي لاستقلال فلسطين استقلالا تاما ، يكفل السيادة العربية .

اما اللجنة العربية العليا فقد رفضت المشروع برمته رفضا قاطعا ، في البيان الذي اذاعه الحاج امين في ١٩٣٧/٧/٩ وأكد فيه :-

(ان هذه البلاد لا تخص عرب فلسطين وحدهم ، بل العالمين العربي والاسلامي قاطبة ، ولهذا فعليهم تقع المسؤولية ، ومعهم يجب أن تجري المفاوضات^(٢) .

(انني اطالب العالمين الاسلامي والعربي ، أن يدركا فلسطين قبل أن تصبح اندلسا ثانية)^(١) . وبهذا اصدرت لجنة التحقيق تقريرها المشئوم ، واقترحت فيه تقسيم فلسطين ، ولعل الحكومة نفسها كانت تعلم قبل صدور التقرير ، أنه سيتضمن التوصية والتقسيم ، وكانت تعلم شدة معارضة العرب لتقسيم بلادهم ، فأرادت التمهيد لتنفيذ ذلك القرار الغاشم ، بإقامة عهد من البطش والجبروت في البلاد ، وهنا تجددت الثورة العربية المسلحة بعنف أشد واتسعت ، بحيث اضطرت بريطانيا الى استخدام الطائرات والدبابات ومختلف انواع المدفعية لقمعها .

حاولت بريطانيا امتصاص نعمة الشعب بالطرق الدبلوماسية ، ولكن الشعب الذي عقرته هذه السياسة مرات عديدة ، لن يأمن لها ابدا ، واستمر الغليان الجماهيري في عنفوانه ، فقابلته السلطات الاستعمارية بمزيد من الاجراءات القمعية ، فراحات تتعقب خطوات الثوار ، واعتقلت العديد ، كما قامت بحملات ارهابية بحثا عن السلاح ، ومما زاد الجوتوترا ، أنه لما أعلنت بريطانيا رسميا قبولها بقرار التقسيم راحت ادارتها في فلسطين تسعى لوضع القرار موضع التنفيذ ، حيث اوكلت المهمة الى (المستر اندروز) حاكم لواء الجليل ، وكان ضابط الاتصال مع اللجنة الملكية حيث أمر بإعداد الخطوات اللازمة لتنفيذ قرارات التقسيم ، وفي ٢٧ ايلول ١٩٣٧ م اغتيل اندروز في مدينة الناصرة ، فاتهمت الحكومة المفتي بأن له يدا في مقتله^(٢) فأقدمت على عزله من منصب رئيس المجلس الاسلامي ، وفي ٢٩ ايلول ١٩٣٧ داهمت قواتها دار اللجنة العربية العليا في القدس ، لاعتقال سماحته ، فتمكن الزعيم من الإفلات والنجاة ، ولجأ الى ساحة الحرم الشريف ، ولما رأت انها اذا اقتحمت بيته المشرف على الحرم فإنها ستقع ثورة وطنية .. فلم تقدم على ذلك لهذا السبب .

واثناء ذلك قامت بريطانيا بحملة ارهاب شديدة في معظم أنحاء فلسطين ، فاعتقلت عددا من كبار الوطنيين وزعماء الشباب وقضاة المحاكم الشرعية ورجال الدين ، من مسلمين ومسيحيين ، وزجت بهم في سجن (صر فند) وقامت بحل اللجان القومية واللجنة العربية العليا ، واعتبرتها هيئات غير مشروعة ، وابتعدت من أمكنها القبض عليه من أعضائها إلى (جزيرة سيشل) وذلك يوم ١ تشرين اول ١٩٣٧ م ومن بين الذين اعتقلتهم :-

(احمد حلمي باشا عبد الباقي وحسين فخري الخالدي وفؤاد سابا ورشيد الحاج ابراهيم ويعقوب الغصين وجمال الحسيني وسليم الحسيني وسعد الدين عبد اللطيف وحسن ابو السعود وامين التميمي واحمد عفيفي والبرناوي وغيرهم) .

اما سماحة الحاج امين فقد بقي ملازما لبيته بجوار المسجد الاقصى ، حتى وافته الظروف المناسبة التي استطاع تدبيرها فانتقل الى بيروت^(٣) .

(١) من مقال سماحة الحاج امين عام ١٩٣٦

(٢) الحقيقة ان قتلة هذا البريطاني هم من رجال القسم (مجلة العربي) العدد ٢٩٠ ك/ ١٩٨٣

(٣) حدثنا من نقو بصحة كلامه ان الحاج امين استطاع الخروج سرا عن طريق ميناء حيفا .

ثم اقامت السلطة المحاكم العسكرية في ١١ تشرين ثان ١٩٣٧م التي أصدرت أحكاما مجرمة بحق النشيطين في الثورة ، كما نفذت حكم الاعدام ما بين ١٩٣٧-١٩٣٨ باكثر من (١٠٠) عربي^(١) .

لقد حرمت بريطانيا سماحة الحاج أمين من مركزه وتمادت في غيها حيث شكلت لجنة اخرى بديلة عن اعضاء اللجنة العربية برئاسة (حسام الدين جار الله) وثلاثة من الموظفين الانجليز^(٢) للإشراف على شؤون المجلس وأوقاف المسلمين ومحاكمهم الشرعية وامورهم الدينية .

كانت بريطانيا قد أعدت لجنة (سير جون ودهيد) لتحديد وسائل تحقيق التقسيم ، فأعلنت هذه اللجنة بعد أن زارت فلسطين في نيسان وتموز ١٩٣٨ ، أن التقسيم غير عملي ، ولا يمكن تنفيذه وبذلك فتحت الطريق أمام بريطانيا ، لتقرر سياستها حسب المصالح الاستعمارية المعروفة . وفعلا ... تخلت الحكومة عن التقسيم حال اعلان لجنة هيد تقريرها ، في تشرين ثان ١٩٣٨ اعتقادا منها أن التقسيم في ظروف اشتداد عدوانية المحور النازي ، يؤلف خطرا على مصالحها في العالم العربي الذي هب يعارض التقسيم ، ولهذا - وليس تجنيا على الحقيقة - يمكن القول ان تجدد الثورة العربية في فلسطين احتجاجا على التقسيم ، وعلى مجموعة سياسة الانتداب أسهم إسهاما جوهريا في تجميد مشروع التقسيم .

ومهما يكن من امر .. فبعد أن تخلت بريطانيا عن فكرة التقسيم ، دعت إلى مؤتمر دائرة مستديرة في لندن لحل قضية فلسطين يحضره عرب فلسطين وممثلون عن الدول العربية المستقلة (مصر والسعودية والعراق واليمن والاردن) . أما سوريا ولبنان فأهملت بريطانيا دعوتهما تجنبا للاحتكاك بفرنسا .. قبل العرب دعوة بريطانيا ، ولكنهم اشترطوا عدم اشتراكهم مع اليهود حول مائدة واحدة ، فنزل الانجليز عند طلب العرب ، فقامت عقبة أخرى في سبيل عقد المؤتمر لأن الانجليز اشترطوا عدم اشتراك الحاج امين في الوفد الفلسطيني^(٣) لخوفهم منه ومن صلابته ، كما اشترطوا ان يشترك في وفد فلسطين من أشارت اليهم الحكومة البريطانية (بالعناصر المعتدلة) من أهل فلسطين ، ولما كانت المسألة مسألة مبادئ ومطالب قومية فقد قبل العرب بتلك التضحية ، وسافر وفدهم الذي يمثل جميع الاحزاب والطبقات ، ولكنهم احتفظوا برئاسة الوفد الرسمية لسماحة زعيمهم الحاج امين الحسيني .

(١) تقرير اللجنة الملكية ص ٤٦ و ٤٩

(٢) لكن حسام الدين جار الله تنازل عن هذا المنصب لأنه رأى أن من الواجب الوطني أن يظل هذا المركز فارغا

(احتراما لزعيم البلاد سماحة المفتي)

(٣) حياة الشهيد عبد القادر - مخطوط

وخلال اجتماع هذا المؤتمر توقفت الثورة بقصد افساح المجال امام المتفاوضين للعمل بهدوء وبدون ضغط ، ولكن المؤتمر فشل بسبب تعنت الانجليز وتشدد اليهود ، ولم يوفق في أداء مهمته .

وهنا تجسمت حركة التضامن العربي على الصعيد العام ، حيث عقد مؤتمر (بلودان) بجوار دمشق ، في ٨ ايلول ١٩٣٧ بحضور ٤٠٠ ممثل من الاقطار العربية وانتخب المؤتمر سماحة الحاج امين رئيسا فخريا له ، تقديرا لجهاده ونضاله وصلابته الوطنية ، وقد تقرر في هذا المؤتمر :- (ان فلسطين بلاد عربية وان واجب العرب انقاذ هذا القطر من الخطر المحيق به ، وهو يستنكر فكرة التقسيم ويؤكد أن القضية يمكن ان تحل على اساس الغاء الانتداب ووعده بلفور ، وعقد معاهدة بين بريطانيا وممثلي العرب على غرار المعاهدة العراقية . كما يتعهد العرب في فلسطين بأن يعامل اليهود كما تعامل الأقليات في جميع البلاد التي تطبق فيها مبادئ عصبة الامم^(١)

(١) الدولة العربية المتحدة امين سعيد ص ٦١١ - ٦١٤

الفصل الثاني

الكتاب الابيض ١٩٣٩م

عارضت جماعة من قيادة الهاغاناه مشروع التقسيم ، لكن أكثر أعضاء القيادة رأوا ضرورة اعداد خطة دفاعية عن الدولة العبرية في حال قيامها ، ففي تشرين اول ١٩٣٧ تشكلت لجنة من قبل الوكالة اليهودية ومركز الهاغاناه ، اشترك فيها (ايميلخ افنيرو والياهو غولومب) وغيرهما وطلب اليهم اعداد مقترحات للدفاع عن الدولة اليهودية في حال تنفيذ مشروع التقسيم ، وتم تشكيل لجنتين فرعيتين : واحدة من أجل اعداد الشرطة والجندرية ، والثانية لإعداد الميليشيا والجيش وقد سميت تلك اللجنة (باللجنة الأمنية) ، وقامت بتاريخ ١٥ ايار ١٩٣٨ بتقديم توصياتها التي اقترحتها اللجنة الملكية (بيل) واقترحت تلك اللجنة إقامة القوات التالية :

(١) إقامة جيش للحدود مؤلف من (١٦٠٠) رجل يعمل على حراسة الحدود والدفاع عنها ويستأجر افراده لمدة تتراوح بين ٣-٥ سنوات ، ويتم تقسيم هذا الجيش الى قسمين : شمالي : حيث يدافع عن الحدود الممتدة من رأس الناقورة حتى بحيرة طبريا ، وتكون قيادته في (روش بينا) ، وجنوبي - شرقي ، يدافع عن الحدود من بحيرة طبريا حتى وادي عارة وتكون قيادته في العفولة^(١)

(٢) جيش اجباري يشارك في حراسة الحدود الساحلية ، ويستخدم في الوقت نفسه نواة للاستعداد العسكري في حالة نشوب الحرب ، ويتم تجنيد هذا الجيش إجباريا لمدة سنة واحدة ، ومن بعدها يخدم رجاله في الاحتياط حتى سن (٤٥) سنة ، ويتم استخدام كتيبتين لحراسة الحدود ، والثالثة تتمركز في قيادة العفولة ، بحيث يضم اليها وحدات من الدبابات والسيارات المصفحة (٢٠ دبابة و٢٠ مدفعا) وكذلك تم اقتراح تجهيز مظلة جوية من ٢٠ طائرة ، وميليشيا تشكل وقت الحرب الجسم الرئيسي للجيش ، وتسمى تلك الميليشيا (جيش الدفاع الوطني) يكون استمرارا طبيعيا لقوات الدفاع الحالية ، وأقرا لاقتراح بأن يخدم كل مواطن سليم في هذا الجيش ، بحيث تضم تلك الميليشيا حوالي ٢٠ الف شخص في المرحلة الاولى ، كما أقر الاقتراح تشكيل شرطة من حوالي الف شخص تقوم بالمحافظة على النظام في الداخل وأن يتبع لها قوة عسكرية (جندرية) مؤلفة من حوالي (٥٠٠) شخص ، وأن تتركز غالبية تلك القوة في شمال البلاد نظرا لتجمع السكان العرب هناك . ولتشكيلهم الاغلبية فيها ، كما يتم الحاق الفي شرطي إضافي لهم ، إلا أن هذا المشروع لم يكتب له النجاح بسبب فشل مشروع التقسيم^(٢) .

(١) الهاغاناه المجلد ٢ ج ٢ ص ٧٥٢ - ٧٥٣

(٢) الهاغاناه المجلد ٢ ج ٢ ص ٧٥٥ - ٧٥٦

هكذا كانت العصابات الصهيونية تخطط فيما لو نجح مشروع التقسيم ، وعلى إثر فشل مؤتمر لندن ، قامت الحكومة بعدة مفاوضات مع الدول العربية في القاهرة ، أسفر عن تمسك الحكومات العربية بطلب عرب فلسطين ، وبوجهة نظرهم .. وفي شهر حزيران ١٩٣٩ أصدرت الحكومة البريطانية الكتاب^(١) الابيض الثالث الذي كان عودة الى الكتاب الابيض الاول عام ١٩٢٢ م ، والذي اعلنت فيه أنها لا تفهم من عبارة (وطن قومي يهودي) التي جاءت في وعد بلفور ونظام الانتداب ، تحويل فلسطين الى دولة يهودية ، كما اعلنت انها ترى واجبها في قيام دولة فلسطينية في النهاية، ومما جاء في هذا الكتاب: (إن تشكيل دولة مستقلة في فلسطين والتخلي عن رقابة الانتداب فيها ، يتطلبان نشوء علاقات ما بين العرب واليهود ، من شأنها ان تجعل حكم البلاد صالحا وفي حيز الامكان ، اما نمو مؤسسات الحكم الذاتي فيجب أن تسير على قاعدة النشوء والارتقاء^(٢) .

كما اوضحت الحكومة البريطانية أسس سياستها في المستقبل ، وقد تعهدت بريطانيا بموجب ذلك الكتاب من جملة ما تعهدت به ، إنشاء دولة فلسطينية مستقلة خلال ١٠ سنوات يشترك العرب واليهود في حكمها ، معتبرة أنها نفذت الالتزام الذي فرضته على نفسها . بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، مع بلوغ عدد هؤلاء نحو ٤٥٠ الف نسمة ، أي ما يقارب ثلث السكان تقريبا ، كذلك حدد الكتاب الابيض عدد المهاجرين اليهود الذين يسمح لهم بالدخول الى فلسطين وفرض القيود على بيع الاراضي العربية لليهود ، وقد جاء الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ ، الذي كانت الحكومة البريطانية قد أصدرته اساسا ، محاولة لانهاء الثورة العربية ، وكسب هؤلاء العرب وعطفهم في فلسطين وجوارها ، وفي ظل التهديد النازي الدايم قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية ، بمثابة ناقوس الخطر الذي أيقظ الصهيونية ودفعها الى شد الأحزمة والاعتماد على النفس ، وإعادة النظر في موقفها من بريطانيا^(٣) . كما اقترحت بريطانيا في كتابها الابيض :-

- (١) ان تحتفظ بريطانيا بسلطانها التامة في فلسطين في فترة الانتقال بين الانتداب والاستقلال .
- (٢) خلال عشر سنوات تقوم حكومة مستقلة ، ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن للقطينين تطلباتهما التجارية والحربية في المستقبل ضمانا مرضيا .

(١) اكد كتاب الهاغاناه مجلد ٣ جـ ١ ص ١٨٩ ان التاريخ ١٧ ايار ١٩٣٩ .

(٢) جذور القضية ص ٢٥٩

(٣) الهاغاناه مجلد ٣ جـ ١ ص ١٨٩

٣) ستنفذ بريطانيا المشروع رضي العرب واليهود أم لم يرضوا^(١) .

أما بشأن الهجرة فقد اعلن الكتاب الابيض ان القدرة الاقتصادية على الاستيعاب لن تكون العامل المقرر في تقرير الهجرة لأن هناك مخاوف العرب ، ولذلك اقترح ادخال ٥٠ الف مهاجر بمعدل (١٠) آلاف مهاجر سنويا ، خلال خمس سنوات ، يضاف الى ذلك إدخال ٢٥ الف لاجيء يفرون من الاضطهاد ، وبعد ذلك تكون الهجرة بموافقة العرب .

أما بشأن الاراضي ، فقد قرر الكتاب الابيض تحويل المندوب السامي صلاحيات تنظيم انتقال الاراضي او منعه الى المنظمات الصهيونية ، على ضوء حالة المزارعين العرب^(٢) .

أصداء الكتاب الابيض

سارع (محمد محمود) رئيس وزراء مصر آنذاك الى التصريح غداة صدور الكتاب الابيض بأنه (لا يستطيع أن ينصح العرب بالرضا به ، كما وقفت الحكومة العراقية والملك سعود موقفا مماثلا^(٣))

اما اللجنة العربية العليا فأصدرت بيانا سجلت فيه :-

(على الحكومة الانجليزية تسليمها نظريا بمطالب العرب)، وانتقدتها على الغموض في النصوص ، وعلى تعليقها إنهاء الانتداب وتأسيس الدولة الفلسطينية على رضاء اليهود ورغبتهم في الاندماج في الخطة الاستقلالية ، مؤكدة أن اليهود سيعملون كل ما يستطيعون على عكس ذلك لاحباط هذه الخطط^(٤) .

اما القيادة الصهيونية فقد اعتبرته تراجعاً من قبل بريطانيا حيال اقامة الدولة اليهودية ، وقد ساد اليشوف في ذلك الوقت رأيان :

احدهما : يدعو الى المقاومة الفعلية للسلطات البريطانية عن طريق الهجرة والاستيطان ، دون أية رخصة ، وكذلك التعرض مباشرة للحكم البريطاني هناك .

والثاني دعا الى النضال البناء ، عن طريق شراء الاراضي والاستيطان والهجرة ، بالرغم من القوانين البريطانية الجديدة ، فقد دعا بن غوريون قبل نشر الكتاب الابيض الى مضاعفة الهجرة غير الشرعية ، وكذلك البدء بإقامة المستوطنات الجديدة دون الانتظار للحصول على موافقة الادارة البريطانية ، وكان هناك اقتراح آخر يدعو إلى اعلان العصيان المدني ، الذي

(١ + ٢) جذور القضية ص ٢٥٩ - ٢٦٠

(٣ + ٤) حول الحركة العربية الحديثة ج ٣ دروزة ص ٢٣٩

يتمثل في عدم دفع الضرائب للحكومة ، وأما المعتدلون فقد دعوا الى مقاطعة المفاوضات مع الحكومة البريطانية طالما أنها لم تغير سير سياستها^(١) .

وفعلاد دعوت القيادة الصهيونية التجمعات في الكنيس إلى حلف اليمين التالي :

(يعلن السكان اليهود امام العالم ، أن هذه السياسة الخائنة لا يمكن التسامح معها ، سيحارب السكان اليهود هذه السياسة الى الحد الاقصى ، ولن يرضوا بالتضحيات لعرقلتها والقضاء عليها ، ولن يشترك اي فرد من السكان اليهود ، في خلق أية اجهزة ادارية على اساس هذه السياسة ، ولن يتعاون معها أحد . ان السكان اليهود لن يعترفوا ولن يقبلوا بأية قيود عديمة الرحمة على الهجرة اليهودية الى بلادهم ، ولا توجد قوة في العالم تستطيع القضاء على حق اخواننا الطبيعي في دخول بلاد الآباء ، من اجل إعادة بنائها والعيش فيها ، وسيجد الذين بلا مأوى طريقا الى هنا وكل يهودي في هذه البلاد سيستقبلهم^(٢)) .

وجاءت الخطوة الاولى ، التي ترتبت على صدور الكتاب الأبيض ، وهي اتخاذ إدارة الوكالة اليهودية قراراتها التي تقضي بإعداد الهاغانة (ليس لاغراض الدفاع فقط ، وإنما نواة للجيش اليهودي^(٣)) وتكليف بن غوريون إعادة تنظيمها ، وفي تلك الفترة دار البحث في المنظمة حول الاجراءات التي ينبغي اتخاذها ضد السلطات البريطانية في فلسطين ، ردا على سياسة الكتاب الابيض ، إلا ان الحرب العالمية الثانية نشبت قبل الانتهاء من تلك المداولات في أيلول ١٩٣٩ مما دفع بالصهيونيين الى تعديل سياستهم ، فأطلق بن غوريون شعاراته المعروفة :

(سنحارب الكتاب الابيض كأنه لا يوجد هتلر ، وسنحارب هتلر كأنه لا يوجد كتاب ابيض^(٤)) وفي رواية اخرى (يجب محاربة هتلر كأنما الكتاب الابيض غير موجود ومحاربة الكتاب الابيض كأنما هتلر غير موجود)^(٥) .

ولكن ما أن انتهت الحرب حتى بدأت مرحلة جديدة من الصدام مع البريطانيين (علينا ان نساعد الجيش البريطاني كأن لم يكن هناك كتاب ابيض ، وان نحارب الكتاب الابيض كأن الحرب لم تقع^(٦)) .

اما الصهيونيون العالميون ، فقد راحوا في المؤتمر الحادي والعشرين ، الذي عقد في بال ما بين ٣ - ٧ آب ١٩٣٩ يهاجمون البريطانيين على أنهم خانوا الامانة ، ولم يفوا بما وعدوا به في

(١) الهاغاناه مجلد ٣ ج ١ ص ٢١ - ٢٢

(٢) سقوط وصعود اسرائيل / وليم هل ص ٢٠٥

(٣) الهاغاناه مجلد ٣ ج ٤٢ ص

(٤) يغثال عيلام / الطريق الصهيوني الى القوة ص ١٢١

(٥) معارك البالماخ / ص ١١٣

(٦) ب : بن ابراهام / النضال من أجل جيش عبري ص ٢٧

تحويل فلسطين كلها الى وطن قومي يهودي ، واعلنوا مقاومتهم للكتاب الابيض وانكروا شرعيته^(١) .

وهنا وجدت الصهيونية أن من أشد أسلحتها أثرا ، التلويح بمصائب ابناء الطائفة اليهودية ، من جراء لا سامية النازية البربرية ، ودعت انصار اليهودية إلى حماية اليهود من الآلام ، وفتح ابواب فلسطين أمامهم^(٢) . وفي هذه الفترة تكشفت مرة اخرى لا مبالاة القيادة الصهيونية بمصير اليهود عامة ، وتركيز نشاطها على شيء واحد وهو تهجيرهم الى فلسطين .

وجسم مؤتمر (ايفيان) هذه اللامبالاة المستهتره بحياة اليهود ، وكان قد عقد في ٦ تموز ١٩٢٨ وحضرته وفود من ٣١ دولة وسمحت - حتى المانيا - لوفد يهودي لحضور المؤتمر وذلك لبحث قضية اللاجئين الذين كانوا يفرون من امام النازية .

ولكن الصهيونيين قاطعوا المؤتمر ، ولم يقلقهم عدم نجاحه ، فمنذ البداية اعتبروا هذه المبادرة بلا مبالاة وعداء ، فهذا الاتجاه كله لا يتوافق مع روح الصهيونية^(٣) .

وفعلا .. عرقل الصهيونيون كل شيء سوى الهجرة الى فلسطين وبسبب ذلك فوتوا خلال الحرب العالمية الثانية ، فرصا عديدة لإنقاذ آلاف اليهود من الجحيم النازي^(٤) .

ودافع جيمس ب . واربورغ عن هذه السياسة فكتب (إن الصهيونيين لم يحضروا مؤتمر ايفيان ، ولم يظهروا اي اهتمام بإخفاقه ، لأنهم لم يرغبوا في أن يذهب اليهود الاوروبيون ، الذين يستطيعون الهرب الى اقطار مختلفة ، كانوا يريدونهم أن يأتوا الى فلسطين ، إن موقفهم القاسي لم يغير شيئا لأن العالم الغربي كان يغلق ابوابه امام ضحايا الاضطهاد النازي^(٥))

والحقيقة إن الصهيونية في ممارستها، لم تكن تتورع عن شيء في سبيل تحقيق أهدافها، ولهذا لم يكن غريبا أن يبعث بن غوريون في ايام مؤتمر إيفيان مبعوثه (يهودا تاينبوم إلى بولونيا لشراء الاسلحة وتهريبها الى فلسطين).

(١) روبرت سانت جون - كتابه بن غوريون

(٢) خطابات هربرت موريسون ص ٢٠٦

(٣) كريستوفر سايكس / اسرائيل على مفترق الطرق ص ٢٢٢ - ٢٢٨

(٤) جذور القضية ص ٢٦٥

(٥) تيارات متصلة في الشرق الأوسط ص ٩٥ - ٩٦ جيمس واربورغ

قرار تقسيم فلسطين

واجهت الانسانية وضعا خطيرا بنشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩م ، ولكنه لم يكتو شعب فلسطين (العربي واليهودي) بنار تلك الحرب ، لأن سنوات الحرب كانت عبارة عن انتعاش اقتصادي كبير ، بسبب نفقات القوات المسلحة البريطانية الوفيرة ، التي عسكرت في البلاد ، وبسبب حاجات المجهود الحربي المتعاظمة ، التي فرضت على بريطانيا تعديل سياستها القديمة ، التي هدفت إلى ابقاء البلاد سوقا لسلعها الصناعية ، واستطاعت الصناعات المحلية من التطور لسد حاجات البلاد ، وكان من الطبيعي أن تستفيد من هذا الوضع على نطاق واسع ، الصناعة في القطاع اليهودي (الاسمنت والزيوت والصابون) بعد أن تعاونت رأسماليا ، بين احتكارات بريطانية ورأسماليين يهود محليين^(١) .

وعند نشوب الحرب كتب حاييم وايزمن إلى (نيفل تشامبرلين) رئيس الوزراء البريطاني (نشأت مؤخرا خلافات بين الوكالة اليهودية والدولة المنتدبة في الميدان السياسي ، ولكنها ترغب في تخلي هذه الخلافات مكانها ، لضرورات الزمن الأكثر الحاحا)^(٢)

كما توقع بن غوريون أن تؤدي الحرب الى قيام الدولة اليهودية حيث قال :

(اذا كانت الحرب العالمية الاولى قد جاءت بموعدها بلفور ، فإن الحرب العالمية الثانية ستأتي بالدولة اليهودية)^(٣) .

وهكذا راحت القيادة الصهيونية في سياستها من مواقعها الجوهريّة ، القائمة على التعاون مع الدول الامبريالية ، التي تتناقض مصالحها مع مصالح المانيا النازية وايطاليا واليابان ، وقد انتبه إلى هذه الحقيقة (روبرت سنت جون) حين كتب يصف تفكير بن غوريون : (لقد رأى حتى في مسألة كسب الحلفاء الحرب ، ان بريطانيا ستهبط بوصفها دولة كبرى وستندفع الولايات المتحدة الى موقع قيادة العالم)^(٤) .

ومن العوامل التي ساعدت في عملية التحول الى الامبريالية الامريكية ، ازدياد نفوذ الطائفة اليهودية الامريكية ، بوصفها أضخم وأغنى طائفة في الحركة الصهيونية ، خصوصا وان الطوائف اليهودية في اوروبا قد تدهورت ، وكانت الكارثة النازية تعمل على تصفيتها ببربرية لا مثيل لها .

(١) جذور القضية ص ٢٦٩

(٢) روبرت سانت جون كتابه بن غوريون ص ٧٢

(٣) روبرت سانتجون ص ٧٣

(٤) روبرت سانت جون ص ٨٢

وجسم هذا الانتقال من الاعتماد على الامبريالية البريطانية الى الاعتماد على الامبريالية الامريكية ، المؤتمر الطارئ الذي عقده (لجنة الطوارئ الامريكية للشؤون الصهيونية) في فندق بلتيمور بنيويورك في ايار ١٩٤٢ ، حيث صادقت فيه اللجنة على رسالة أمل وتشجيع الى اليهود في الغيتوات ، وفي معسكرات الاعتقال النازي الهتلري ، كما حيا المؤتمر الوكالة اليهودية، على إنجاز الوطن القومي ، كما دعا الى تنفيذ وعد بلفور الاصلي وهو :

(اعترافا بالعلاقات التاريخية بين الشعب اليهودي وفلسطين ، فقد تقرر تمكين اليهود - كما اعلن الرئيس ويلسون - من اقامة دولة يهودية فيها^(١)).

كما طالب المؤتمر - بعد رفضه الكتاب الابيض ودعا إلى الغائه - بفتح ابواب فلسطين امام الهجرة ، وتخويل الوكالة اليهودية صلاحية ترتيب الهجرة والاستيطان ، كما طالب بتأليف قوة عسكرية يهودية تحارب تحت علمها^(٢) .

وفي تشرين ثان ١٩٤٢ اقر المجلس الصهيوني برنامج (بلتيمور) ، كما أقرته الوكالة اليهودية وأكثرت الاحزاب في فلسطين ، بما فيها الحزب الاصلاحى ، ولهذا حظيت المنظمة اليهودية بتأييد متعاضم في الولايات المتحدة .

ونشط الشيوخ والنواب في الكونجرس من أجل إقرار برنامج بلتيمور الداعي إلى إقامة الدولة اليهودية ، وما أن جاء عام ١٩٤٤ م ، حتى قدم عدد كبير من الشيوخ والنواب الى الكونجرس مشروع قرار يدعو الى هجرة غير محدودة الى فلسطين ، وإلى إقامة الدولة اليهودية ، وفي معركة انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة في خريف ١٩٤٤ م ، نشر (الشيخ واغنر) نص رسالة كتبها الرئيس روزفلت وأعلن فيها تأييده :-

(فتح ابواب فلسطين لهجرة يهودية غير محدودة ، والى استيطان يؤدي الى إقامة دولة يهودية ديمقراطية حرة في فلسطين)^(٣) .

ولهذا أدى هذا التطور ، إلى انتقال القيادة من أيدي حايم وايزمن ، إلى أيدي بن غوريون وفي هذا الصدد كتب جيمس واربورغ :

(ان المصادقة على برنامج بلتيمور وضع بن غوريون في مكان القيادة بدل وايزمن ، كما شدد الشقة بين الوكالة اليهودية وبريطانيا)^(٤) .

كما اعترف في كتابه أن الرئيس روزفلت قد صرح امام الصهيونيين ، أنه يشاركهم في هدفهم في إقامة الدولة اليهودية ، وفي الوقت ذاته ، وعد ابن سعود ملك السعودية بأن لا يقوم بأي إجراء يضر بالقضية العربية .

(١) مجموعة الوثائق التي جمعها ولتر لاكير ص ٧٨

(٢) مجموعة الوثائق التي جمعها ولتر لاكير ص ٧٨

(٣) تقرير فلسطين المجلد ١ ص ٧٠

(٤) جيمس واربورغ / تيارات متصلبة ص ١١٠ - ١١١

ولهذا حين انتشرت أنباء جرائم النازية في تصفية اليهود ، لم تعمل القيادة الصهيونية - كما ذكرت - على مجرد انقاذ اليهود من الكارثة بل ركزت جهودها على تهجيرهم الى فلسطين بغض النظر عن العواقب ، وفي هذا الصدد كتب (أ . ليفنه) في ندوة دائرة مستديرة عقدتها جريدة (معاريف) ، ونشرت وقائعها ما بين ١-١٤ نيسان ١٩٦٦^(١) .

(لو كان الهدف إنقاذ اليهود لمجرد الانقاذ ، لا تهجيرهم إلى فلسطين ، ولو كرست المنظمات الصهيونية المسلحة جهودها لهذه الغاية ، لأنقذت مليوناً من اليهود) .

وكان غرق (٢٤٠) مهاجراً غير شرعي في ميناء حيفا ، نتيجة نسف السفينة (بتريا) في ٢٥ تشرين ثان ١٩٤٠م أحد الأدلة على مدى استهتار القيادة الصهيونية بأرواح اليهود في سعيها نحو أغراضها ، فالوكالة اليهودية - كما يجمع الكتاب الآن - هي التي نظمت الانفجار في الباخرة لمنع سفرها مع المهاجرين غير الشرعيين الى (موريتوس) . وبذلك سببت المأساة . وقد لاحظ عدد من الكتاب امثال واربورغ وكريستوفر سايكس (ان الوكالة اليهودية في سبيل تغطية الجريمة ، أذاعت ان المهاجرين حاولوا القيام بعملية انتحار جماعية)^(٢) .

كما يحمل جيمس واربورغ الوكالة اليهودية قسطاً من المسؤولية عن غرق السفينة (ستروما) في البحر الاسود ، وهي تحمل (٧٦٩) مهاجراً يهودياً ، ولم ينج منهم أحد وأضاف : (ولو كانت الاعتبارات الانسانية ، هي التي حركت الوكالة اليهودية ، لاقتُرحت السماح للسفينة بالابحار الى حيفا ، بينما ناقشت السلطات البريطانية حول حق اللاجئين في النزول الى فلسطين ، اما بريطانيا فكانت تريد أن ترسل ستروما إلى حيفا ، ومن هناك إلى (مارينوس)^(٣) .

وفعلاً تكشف هذه الحقائق أثناء المحاكمة ، التي دارت حول الزعيم الصهيوني (كاستز) في القدس عام ١٩٥٢ ، فحسب قرار المحكمة تعاون كاستز - وكان يرأس لجنة انقاذ اليهود في هنغاريا - مع ايخمان من اجل انقاذ حوالي ١٠٠٠ يهودي ، وبذلك سكت عن عملية تصفية ربع مليون يهودي هنغاري ارسلوا ليلقوا حتفهم في معسكرات الإبادة^(٤) .

(١) جذور القضية ص ٢٧٥

(٢) كريستوفر سايكس ص ٢٦٩ - ٢٧٠

(٣) تيارات متصلبة واربورغ ص ١٠٨

(٤) جذور القضية ص ٢٧٦ - ٢٧٧

سياسة الحركة القومية العربية إزاء هذه التطورات

لم يكن من الممكن ان تظل فلسطين في عزلة عن أحداث المشرق العربي ، ومن أبرزها استقلال سوريا ولبنان ، فراحت بريطانيا في هذه الفترة ، تجري محاولات للاتصال بالقيادة العربية ، والاتفاق معها على حل القضية الفلسطينية خوفا من أن يسبقها اليها النازيون ، ولذلك صرح وزير الخارجية البريطاني - عند نهاية ثورة العراق - (ثورة رشيد عالي الكيلاني) : أن حكومته تعطف على اماني سوريا من الاستقلال ، وستؤيد مساعي الدول العربية في سبيل تقوية روابطها الثقافية والاقتصادية والسياسية .

وفي هذه الظروف طرح مشروع لحل القضية في اطار مخطط لاقامة شكل من اشكال الوحدة العربية ، وعرف المشروع (بالكتاب الأزرق) وارتبط باسم نوري السعيد وكان موضع بحث في لندن والقاهرة في اوائل ١٩٤٣م ، ونص المشروع الذي كان شكلا من اشكال الهلال الخصيب : (على أن تتوحد سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الاردن من جديد ، في دولة واحدة ، ويقرر الاهالي فيها شكل الحكم أجموريا أم ملكيا ، وتنشأ على الاثر جامعة عربية تنضم اليها العراق وسوريا الموحدة ، وتستطيع ان تنضم اليها الدول العربية الاخرى متى شاءت) .

كما نص المشروع ايضا : (أن يكون مجلس الجامعة العربية مسؤولا عن الدفاع والشؤون الخارجية والنقد والمواصلات والجمارك ، وحماية الأقليات ، وعلى أن يتمتع اليهود في فلسطين بحكم ذاتي ، ويكون لهم الحق في ادارة اقاليمهم في المدن والريف ، بما فيها المدارس والمؤسسات الصحية والبوليس ، مع الخضوع لاشرف الدولة السورية الموحدة) كما أكد المشروع على أن تكون القدس مفتوحة امام المنتسبين إلى كافة الاديان ^(١) .

ورفضت القوى الوطنية هذا المشروع ، لأنها تأكدت أنه من محاولات بريطانيا للسيطرة على سوريا ولبنان بعد استقلالها عام ١٩٤١م ، ومخططا لابقاء فلسطين في قبضة الامبريالية وأنصارها .

كما رأت القوى الوطنية أن عزل اليهود في منطقة حكم ذاتي ، يعني تجاوزا على برنامجها الاصيل ، الداعي إلى إقامة دولة ديمقراطية فلسطينية ، يتعاون جميع أبنائها في تطويرها وتقديمها .

وفي شباط ١٩٤٤ وبعد أن أجرى رئيس وزراء مصر (مصطفى النحاس) مشاوراته مع رؤساء وزارات ووزراء وممثلي العراق وسوريا ولبنان وشرق الاردن والسعودية واليمن ، وقع

(١) الوحدة العربية / أحمد طربين ص ٢٦٣ - ٢٦٤

هؤلاء بروتوكول الاسكندرية الذي نص على إقامة الجامعة العربية ، وبعد قيامها لم يعد من الممكن استبعادها عن تطورات القضية ، بل هي بدأت تتدخل عمليا في برنامج القيادة القومية ، وتؤثر في مناهجها .

واستمرارا في تخدير أعصاب العرب ، أعلنت بريطانيا عن رغبتها في تكوين لجنة بريطانية - امريكية مشتركة ، تكون مهمتها التحقيق في وضع فلسطين بشكل عام ، تمهيدا لحل القضية ، وبالفعل تشكلت اللجنة من (١٢) عضوا ووصلت إلى فلسطين ، وبشرت أعمالها ، واستمعت الى شهادة الامين العام للجامعة العربية ، كما اجتمعت مع العديد من الشخصيات العربية واليهودية ، والاستماع الى شهادات بعض رؤساء الدول العربية ، وبعد أشهر من العمل الصوري ، اصدرت هذه اللجنة تقريرها في ٢٠ نيسان ١٩٤٦ وقد اشتمل هذا التقرير على عدة بنود أهمها :

- ١) السماح بادخال مائة الف يهودي لاجيء الى فلسطين .
- ٢) استمرار الانتداب البريطاني على فلسطين حتى إشعار آخر .
- ٣) رفع القيود وتسهيل تمليك الاراضي الفلسطينية الى اليهود^(١) .
- ٤) اوصت اللجنة بأن تكون الهجرة الى فلسطين معلقة على رضاء العرب ، بحجة عدم وجود بلاد غير فلسطين ، ترضى بالهجرة اليها ، وأن اليهود لا يريدون ولا يرغبون في الهجرة الى بلاد غير فلسطين^(٢) .

لقد جاء هذا التقرير مطابقا لما أرادته الصهيونية ولما اراده الرئيس الامريكي ، وقد نسف كل الآمال المرجوة لإنصاف الشعب الفلسطيني ، وشعر ولاة الأمر من ملوك ورؤساء الاقطار العربية بحراجة الموقف المتردي في فلسطين ، فتنادوا الى اجتماع طارئ لبحث الأمر برمته .

وانعقد المؤتمر العربي في ٢٨ آذار ١٩٤٦ في بلدة (انشاص) بمصر ، وحضره الملك فاروق وشكري القوتلي وبشارة الخوري والأمير سعود بن عبد العزيز والإمام سيف الاسلام عن اليمن ، وعبدالله وصي عرش العراق وبعض وزراء الخارجية العرب، وبعض الشخصيات العربية المرموقة، واستمر المؤتمر مدة يومين صدرت في نهايته عدة توصيات كان من أبرزها:

- ١) اعتبار قضية فلسطين هي قضية العرب جميعا ، وأن فلسطين عربية ويتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عربيتها ، وأنه ليس في إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة .

(١) جذور القضية ص ٢٨٦ - ٢٨٨

(٢) من مذكرات الحاج امين - مجلة فلسطين تشرين ثان ١٩٧٣ .

٢) تكوين هيئة عربية بفلسطين (الهيئة العربية العليا) تتحدث باسم فلسطين وتمثلها في جميع المحافل الدولية .

٣) الرد على لجنة التحقيق (الانجلو - امريكية) ، شريطة أن يكون الرد متسامحا مهذبا ، يتناسب مع ما للدولتين من مرموق المكانة في العالم العربي ، كما ان المؤتمرين لهم عظيم الأمل ان لا يعكس صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة ، والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة اخرى^(١) .

وواضح ان هذه القرارات الواضحة الهزال لا تغيظ عدوا ولا تفرح صديقا ، ورغم هذا فان الجماهير الفلسطينية المغلوبة على أمرها ، قد أبدت نوعا من الرضى والتفاؤل ، فالبيان قد رفض على الاقل قبول مهاجرين جدد ، كما اعتبر أن واجب الحكومات العربية صيانة عروبة فلسطين^(٢) .

وعلى الأثر اجتمع مجلس الجامعة في (بلودان) بسوريا من ٨-١٢ حزيران ١٩٤٦ وكان من ضمن قراراته إنشاء الهيئة العربية العليا المكونة من السادة :

(احمد حلمي عبد الباقي ، جمال الحسيني (نائبا للرئيس) حسين فخري الخالدي ، اميل الغوري محمد عزة دروزة) ونظرا لغياب سماحة الحاج أمين الذي كان في باريس ، فقد تقرر ان يبقى منصب رئاسة الهيئة شاغرا ، ليشغله بعد عودته ، وبعد وصوله الى القاهرة اصدر مرسوما باضافة مجموعة اخرى الى الهيئة وهم (رفيق التميمي ومعين الماضي وحسن ابو السعود واسحق درويش) .

انفض مؤتمر انشاص على ما يسمى بالمشروع العربي ، والذي قدم الى المستر (بيفن) وزير الخارجية البريطاني والذي جاء فيه :

(اعترف العرب بما لليهود من كيان ومكان في فلسطين ، على ألا يزيدوا في يوم من الايام عن ثلث السكان ، وهم مستعدون للسماح بهجرة جديدة عند اللزوم ، للمحافظة على النسبة المذكورة وانشاء مجلس تمثيلي لا يتجاوز اعضاء اليهود بنسبة الثلث ، على ألا يتخذ في ذلك المجلس اي قرار بشأن هجرة اليهود ، إلا اذا وافقت على هذا القرار بأكثرية اعضاء اليهود ، على ان يتمتع اليهود في مناطقهم بحقوق دستورية وبلغتهم العبرية^(٣) .

وعلى المستوى الفلسطيني ، فقد كان هناك خلاف حاد بين الاحزاب ، وحدثت عدة صراعات ومهاترات بين قادة الأحزاب أنفسهم ، وكان الاستعمار عن طريق عملائه يذكي لهيب هذه الصراعات ، وعندما بدأت مشاورات مجلس الجامعة في دورته الثانية ، لم

(١) القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - دروزة

(٢) قضية فلسطين في سيرة بطل - خالد الاغا

(٣) القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها - دروزة

يكن هناك من يمثل فلسطين في البداية ، وأخيرا تقرر إيفاد (جميل مردم) رئيس تلك الدورة ، ليساعد على حل المشكلة ، فاتصل بقيادة الأحزاب ورجالها ، وفي النهاية اختار لجنة مشتركة تضم قادة الأحزاب (١) .

ويعلق الاستاذ (صالح بويصير) على المشروع العربي المنبثق عن مؤتمر انشاص بقوله : (إن هذا العرض العربي ، الذي لا يمكن أن يكون صادرا عن جماعة مؤمنة باستطاعتها استرداد حقها المنهوب ، وإذا كان الضعف العربي الذي برز للعيان في المؤتمر (انشاص) يحاول به اصحابه تأجيل نكبة هم مدركوها ، وهم لا يزنونها وزنها الحق ، بل هم اضعف من أن يقرروا أخطارها ويسبرونها غورها) (٢) .

ورغم هذا الضعف والخور ، لم توافق عليه بريطانيا ، بحجة أن اليهود لن يوافقوا عليه ، وهكذا لم يكتب النجاح لمشروع مفاوضة بريطانيا ، ولهذا فقد تقرر عرض القضية على الامم المتحدة ، الأمر الذي كانت بريطانيا وأمريكا تسعيان اليه سلفا ، لأنهما واثقتان تماما بنجاح اي مشروع مقترح من ناحيتهما وذلك بالنظر الى اهميتها وهيمنتها على الهيئة الدولية . وهكذا نقلت القضية الى هيئة الامم المتحدة ، وبناء على طلب مقدم من الحكومة البريطانية ، قررت الأمانة العامة للامم المتحدة عقد دورة استثنائية ، لبحث القضية في ٢٧ نيسان ١٩٤٧ ، وبذلك تقرر تكوين لجنة دولية لدراسة القضية تتألف من (١١) دولة لم تدخلها اي من الدول الكبرى ، ولكن كان أغلبها من الدول السائرة في الفلك الاستعماري ، وباشرت اللجنة مهماتها ، فطافت بعدة أقطار عربية واستمعت لآراء عدد من المسؤولين العرب .

وصلت اللجنة الى فلسطين يوم ٧ حزيران ١٩٤٧ ، وقد حرصت منذ بداية دخولها على مقابلة زعماء منظمات اليهود الذين رحبوا بقول أحد اعضاء اللجنة الدولية :-

(كان بودنا لوقررنا أن تصبح فلسطين كلها لكم ، لولا أننا لا نستطيع أن نطلب لكم اكثر من الحدود التي رسمتها الوكالة اليهودية في مطالبتها ، بتقسيم فلسطين بينكم وبين العرب (٣)) .

واما الشعب الفلسطيني فلم يكثر بوجود هذه اللجنة ، التي تشكل الرقم الثاني والعشرين التي انيط بها بحث قضية فلسطين ، وقد قررت الهيئة العربية العليا مقاطعة اللجنة ، لأنها غير مكلفة بدراسة المطلب الأساسي للفلسطينيين ، وهو الاستقلال ومن ثم دعت الى مقاطعتها .

انتهت اللجنة اعمالها ، وطالبت الاكثرية من أعضائها بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، ورفعت اللجنة تقريرها الى الجمعية العمومية للأمم المتحدة في خريف ١٩٤٧ لإقراره .

(١) المقاومة العربية في فلسطين - ناجي علوش بيروت ١٩٧٠

(٢) جهاد شعب فلسطين صالح بويصير

(٣) تذكرة عودة - ناصر الدين النشاشيبي

وفي ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٧ ، وفي اجتماع الجمعية العامة العادي ، قررت هيئة الامم المتحدة انتهاء الانتداب وتقسيم فلسطين الى دولتين (يهودية وعربية) ، حسب خرائط قررت سلفا ، كما قررت تدويل القدس ، على ان تتعاون الدولتان اقتصاديا .

لقد عرض مشروع التقسيم المقترح من قبل اللجنة الدولية ، فحاز بموافقة (٢٥) صوتا مقابل (١٣) صوتا ضد القرار ، وامتنعت ١٧ دولة عن التصويت ، وهذه النسبة لا تضمن للمشروع نجاحه ، عند التصويت عليه في الجمعية العمومية بسبب (ضرورة حصوله على أغلبية الثلثين) .

وهنا برز دور الولايات المتحدة لانجاحه بأية وسيلة ، ولو بطريق الرشوة والتضليل والارهاب^(١) ، مما نتج عنه اخيرا صدور قرار التقسيم بأغلبية ٣٣ صوتا بدلا من ٢٥ صوتا ، مقابل ١٦ صوتا ضد القرار وامتناع ١٠ دول عن التصويت .

وحسبنا أن نورد بعض الآراء في هذه المسألة :-

يقول البروفسور (ميلر بورز)^(٢) (وعلى عاتق حكومتنا تقع مسؤولية إقرار التقسيم في الامم المتحدة ، فقد فرضت حكومتنا هذه النتيجة فرضا ، بعد أن لجأت دون حياء أو خجل الى اصطناع سياسة القوة التي انقضت عهدا ، ولقد كان هذا القرار برهانا معيبا ، على أن في وسع اساليب التهديد والضغط التي تخلو من التحفظ ، وتفقتقر إلى الاخلاق ، أن تسيطر على منظمة دولية اقيمت لغاية نبيلة سامية ، وهي تحقيق العدل الدولي ، كما كان في الوقت نفسه قاضيا على كل ما للعالم من ثقة بالولايات المتحدة وبالامم المتحدة نفسها^(٣) .

وقال جيمس فورستال (وزير الدفاع الامريكي) في معرض تعليقه على إصدار التقسيم :- (لقد خسرت امريكا الكثير من مكانتها في العالم العربي ، بسبب موقفها في فلسطين ، ولا ريب في أن الاساليب التي اتبعت بغرض الاكراه والضغط على الدول الاخرى في الجمعية العامة ، كانت اقرب الى الفضائح منها إلى شيء آخر)^(٤) .

وقال مندوب دولة هاييتي والدمع يترقرق من عينيه :-

(انني ما زلت عند رأيي الشخصي في معارضة التقسيم ، لكنني بصفتي ممثلا لحكومتني لا يسعني الا ان انزل عند ارادتها في الموافقة على المشروع)^(٥) .

اما الارهابي (حايمم وايزمن) فقال مخاطبا الوفد الفرنسي في هيئة الامم المتحدة :

(يا قوم .. أعطونا نحن اليهود نصف فرصة ، ونصف فرصة فقط ، ونحن نكشف للعالم ان حكاية قوة العرب وتماسك العرب ونفوذ العرب هي حكاية كلها كذب في كذب) .

(١ + ٢ + ٣ + ٤) كتاب فلسطين شغلنا الشاغل - ميلر بورز

(٥) ميلر بورز (قال هذا بعد ان رفض استلام مبلغ ٤٠ الف دولار كرشوة)

كما قال للوفد الامريكى في تحد وتبجح : (انني لا اضراب بمليم واحد في بورصة اسطورة (قوة العرب)^(١) .

اما الارهابى مناحيم بيجن (زعيم عصابة الأرغون) فقال في معرض مذكراته : (اما من ناحية قرارات هيئة الامم ، فكنا نستطيع أن ندبر ذلك ، ففي مثل هذه الحالات لا وجود للاخلاق والمثل العليا .. لقد كنا في حالة حرب ، وكانت المشكلة مشكلة حياة او موت^(٢) .

لقد صفق اليهود لهذا القرار وهللوا ، وأخذ الكثيرون منهم يهتفون (لقد اصبح لنا الان دولة) بينما اعترت وجوه العرب مسحة كئيبة من الحزن والاسى^(٣) .

وقد علق المجاهد (عبد القادر الحسيني) على هذا القرار الجائر بقوله :

(انني لا أعتقد أن قوة دولية ترسلها هيئة الامم المتحدة الى فلسطين ، يمكن أن تحقق اي غرض سوى زيادة الدماء التي تراق في الارض المقدسة)، وأضاف :

(لقد اتخذت هيئة الامم المتحدة قرارا مزورا غير عادل ، فيما يتصل بفلسطين ، وقد حاولنا بالوسائل الدبلوماسية إقناع هذه الهيئة بالرجوع الى منطق العقل ، ولكن يبدو انه لم يعد لهذا الاسلوب من الكلام أي اثر في الدنيا) .

(تريد هيئة الامم المتحدة أن تفرض التقسيم فرضا ، وستفشل هذه الهيئة فيما تريد ، ما في ذلك شك ، وقد يبدو أن شعوب العالم كلها ضدنا ، ولكننا ما زلنا اقوياء في عقيدتنا ، ان هيئة الامم المتحدة تريد أن ترسل الينا قوة دولية لمحقنا ، ولكن ماذا عسى أن يصنع هؤلاء السكان التعساء ، عندما يرسلون إلى هنا ، إنهم سعداء في بلادهم ، أما هنا فسيواجهون الموت في كل لحظة) واستطرد يقول :-

(لن نمكن أعضاء اللجنة الفلسطينية الخمسة من إنجاز أي عمل يراد به تقسيم فلسطين ، فنحن اقوياء على الرغم من قلة عددا ، لأننا نؤمن بقضيتنا ، ولأننا نعلم أننا مؤيدون من جميع الشعوب التي تريد مثلنا أن تحيا في سلام ، ونعلم أننا مؤيدون من الشعوب التي ليست لها مطامع خفية كحكوماتها ، واعتقد ان تقسيم فلسطين سيجلب حربا متعبة ، طويلة الأمد) واختتم تعليقه بقوله :

(سنقاتل الى النهاية ، وسيقاتل أبناؤنا وأصدقائنا من بعدنا ، فنحن مصممون على القتال ، وإن كنا لا نرغب الا في أن نعيش في سلام ، غير ان الدول الكبرى تريد غير ذلك)^(٤) .

(١ + ٢ + ٣) كتاب الثورة - مناحيم بيجن - ترجمة سمير صنبر ص ٦٠

(٤) جريدة الاهرام بتاريخ ١٦ / ٢ / ١٩٤٨م

الباب الثالث

الفصل الاول بطل القسطل

الشهيد عبد القادر موسى الحسيني

ها هي القدس الرائعة التي تنبض بأحلام التاريخ ، وبعقب أمجاد الأمة العربية ، تستقبل في احد اشهر الصيف من عام ١٩١٠م ، (١٣٢٥) رومي^(١) أحد ابنائها الابطال ، وتحضنه بحنان غامر كما تحضن قباب المساجد والكنائس ، وكان قدر هذه المدينة المقدسة ، أن تتعانق فيها روحانيات الشرق العربي كله .

كانت الشمس تتسلل عبر شوارع القدس وأزقتها ، وفي الحي الذي يتواجد فيه الحسينيون ، نسمع صوت طفل خرج من ظلمة الوجود ، وجال ببصره في الشعاع السماوي ، الذي يلف العاصمة المقدسة وارهف سمعه إلى صوت الأذان من على مآذن القدس الشريف ، وإلى تراتيل أجراس الكنائس ، في سمفونية مقدسة رائعة . ذلكم هو البطل المجاهد (عبد القادر موسى الحسيني)

علم من أعلام الثورة الفلسطينية الكبرى وأحد أبرز صانعيها ، ولد عبد القادر بن (موسى كاظم) بن سليم الحسيني في القدس عام ١٩١٠م ، وتربى في بيت صلاح وتقوى من أعرق البيوتات العربية وأقدمها ، وكان هذا البيت مركز زعامة العرب في فلسطين ، ومصدر الحركات الشعبية والوطنية على اختلافها ، ولما اختارت الامة (موسى كاظم باشا) لزعامتها ولرئاسة مؤتمراتها ، ازدادت زعامة آل الحسيني قوة ، وأصبح بيت موسى كاظم باشا مركز النشاط السياسي العربي الجديد ومعقله ، يكتظ بوفود البلاد ورجالاتها ، وأهل الرأي والمكانة فيها ، فيه ترسم الخطط ومن على شرفاته تلقى الخطب ، وبين جدرانه تجري المباحثات .

كان موسى كاظم باشا (شيخ مجاهدي فلسطين) قد شغل بعض المناصب العالية في عهد الدولة العثمانية - كما اسلفنا - ونظرا لخدماته الجليلة للدولة الاسلامية العثمانية ، أنعمت عليه الحكومة بلقب (باشا) .

فقد عبد القادر أمه المرحومة (رقية بنت مصطفى هلال الحسيني) بعد ميلاده بعام ونصف ، فكفلته جدته لأمه (نزهة بنت علي النقيب الحسيني) ، وكانت السيدة (ثليجة) هي التي تشرف على تربيته ، وكانت تحظى بحبه لها وكان يناديها دائما (بالوالدة) .

(١) عام ١٣٢٥ رومي (هكذا ورد في مذكرات والده موسى كاظم باشا ، كما ذكر السيد سامي (شقيق الشهيد) انه ولد في الأستانة (العاصمة العثمانية) عام ١٩٠٧ الموافق ١٣٢٣ هـ ، عندما كان والده الزعيم قد عين بمنصب متصرف لواء ، في إحدى ألوية الدولة العثمانية ، كما ذكر الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه أنه ولد عام ١٩٠٨م . والحقيقة انه ولد عام ١٩١٠ في القدس .

كانت جدته لأمه تتني عليه ثناء عاطرا وتقول عنه (إنه طفل شهيم ذكي الفؤاد ، يابى الضيم ويعاف الذل ، وله مستقبل باهر وأمر خطير)^(١) . وما لبثت هي الاخرى أن فارقت الحياة ، فنشأ في كنف والده الشيخ مع إخوته الاربعة : (فؤاد الذي كان يعمل في الزراعة ورفيق الذي يعمل مهندسا ، وسامي الذي كان يعمل مدرسا في الروضة ، وفريد الذي كان يعمل محاميا في القدس ، وأخواته الثلاث) .

كان عبد القادر أصغر اخوته ، ومنذ نعومة أظفاره ، تتلمذ في منتدى والده الشيخ ، الذي كانت تجتمع فيه رجالات القدس وزعماء البلاد ، من مناضلين وكتاب ورجال فكر ، فوعى الأبجدية الوطنية قبل وعيه الأبجدية اللغوية ، وإذا كان القدر قد أحرم قلبه حنان أمه ، فقد تعلق هذا القلب الابي بحب فلسطين (الأم الكبرى) وبحنانها .

وما كاد عبد القادر يبلغ السادسة من عمره ، حتى نشبت الثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف (حسين بن علي) في حزيران ١٩١٦ م ، وكانت مناشير الحرية والاستقلال تملأ سماء بلاد العرب ، وكانت الثقة بوعود الحلفاء تتغلغل في مختلف طبقات الشعب ، وكان الجميع يتطلعون بشوق عظيم الى ذلك اليوم ، الذين كانوا يرون فيه الرايات العربية تخفق فوق رؤوسهم رمزا لاستقلالهم وحریتهم .

واعلنت الهدنة ووضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها بانتصار الحلفاء ، واستيقظ العالم العربي على خيانة هؤلاء ، تلك الخيانة التي تمثلت في تصريح وعد بلفور ومعاهدة سايكس - بيكو وسائر الاتفاقات السرية والعلنية ، التي تمت بين الحلفاء ، لتقسيم الاقطار العربية ، فانهارت آمال العرب وأمانيتهم التي كانت تجيش في صدورهم وتنمو .

هاج العرب وماجوا لما رأوه من الخيانة والنكث بالوعد ، وصعقوا عندما علموا بأن حلفاءهم قد عملوا على تمزيق اقطار العرب ، ووضعها تحت السيطرة الاجنبية ، فقرروا العمل ضد ذلك العدوان واستئناف الجهاد في سبيل الحرية والاستقلال ، فعقد المؤتمر العربي الاول والثاني - كما اسلفنا - واتخذت فيهما القرارات اللازمة لمقاومة السياسة الاستعمارية ، وتآلفت في دمشق (الجمعية العربية للذب عن حياض الوطن)^(٢)

اما في داخل فلسطين ، فقد تألفت الجمعيات الاسلامية - المسيحية والنوادي والمنتديات العربية ، وعقدت الاجتماعات الشعبية ، وقامت المظاهرات العظيمة ، وأخذ النشاط السياسي يعم البلاد لتذكية روح النقمة على الحلفاء ، وكان فتیان فلسطين ومنهم عبد القادر الحسيني (١٢) عاما يشتركون في المظاهرات ، وينشدون في الاجتماعات الشعبية ، ويهتفون ضد الظلم والعدوان .

(١) من رسالة السيد سامي الحسيني - عقبة جبر ١/٢٧/١٩٦١ موجهة الى الدكتور موسى الحسيني .

(٢) اسسها الحاج أمين وأحمد حلمي عبد الباقي

« وأبرز ما أذكره في تلك الفترة عن المرحوم ، هو شعوره الوطني الملتهب إلى حد التهور ، إذ كان سنة آنذاك لا تزيد عن ١٢-١٣ عاما ، فكان يقتني المسدسات التي يشتريها مما يجمعه من مصروفه الخاص ، ويشترك في المظاهرات والاضطرابات ، التي كانت تجتاح البلاد بالمناسبات الخاصة ، كذكرى وعد بلفور أو قدوم أحد اساطين الاستعمار الى البلاد ، كالسير هربرت صموئيل واللورد بلفور وخلافهما ، كما كان في المدرسة دائما على بث روح الوطنية والتمرد بين زملائه ، وكثيرا ما كانت له اليد الطولى في إضراب الطلاب ومظاهراتهم »^(١)

« والى جانب وطنية المرحوم الرائعة ، وشجاعته النادرة ، كان متواضع النفس مسائرا لزملائه ، لا يعرف الأنانية ، ويشتهر دوما بالتضحية ، كنت أذهب وإياه إلى بيت جدتنا (الحاجة ام محيي الدين) ، وهي التي ربته واحتضنته بعد موت والدته ، وذلك في أيام السبب والأحد من كل أول شهر ، وكانت عند جدتنا خادمة اسمها (ثليجة) وهي التي ربت المرحوم وهي بحكم تربيتها له ، كانت تحب دوما أن تخصصه بأكلات شهية ، ولذا فإنها كانت عندما تسنح لها الفرصة ، تستدعيه خفية لتخصه بما تكون قد خبأته له ، إلا أنه كان يثور ويصيح بها قائلاً : (من قال لك أنني أستسيغ الأكل خفية عن ابن خالي ، فوالله لا أكل مما خصصتني به ، إلا بالاشتراك مع ابن خالي »^(٢) .

« كما كان في صغره ميالا للكسل مع ذكاء شديد ، وكان مهملا بكل ما يتعلق بشخصيته وهندامه وملابسه »^(٣) .

« كما كان في صغره مشاكسا ، قوي النفس جريئا ، مندفعاً سريع التأثير طموحا إلى العلاء والمجد محبا للعروبة والاسلام مجنوناً بحبهما فكان لهذه الصفات ، وللجو الذي عاش فيه الأثر الكبير في تكوينه وفي توجيهه »^(٤) .

كان والده خاصة وأسلافه عامة ، أهل دين وتقوى ، وأصحاب جهاد وجلاد ، وأناس لم يؤمنوا بمسبة الخنوع والخضوع ، فورث عبد القادر هذه الصفات كاملة شاملة مباشرة نقية ، ثم جاءت عوامل بيئته فحددت هذه الخلال وأبرزت هذه الخصال ، فلقد كان وجوده في هذا البيت الكريم المجاهد ، وهذا العصر الذي انبثق فيه الوعي العربي ، وكذلك رؤية عبد القادر لوالده على رأس ذلك قدوة حية ومثلا كريما ، عندما قام حلفاء العرب بسجنه عام ١٩٢٠ فكان لذلك وقع عظيم في نفسه وحافزا قويا حدد طريقه .

ولهذا شب عبد القادر على الأفكار والمبادئ الوطنية ، التي عمل والده من أجلها طيلة حياته ، وكان كل ما يجري في فلسطين يجري تحت بصر عبد القادر الصبي المتأجج بالإباء ، فكان يرى الاجتماعات الخطيرة التي تعقد في بيت والده ، وكان يسترق السمع إلى كل ما يدور

(١ + ٢) من رسالة علي الحسيني الى الدكتور موسى الحسيني اريحا ٢٧/٢/١٩٦١

(٣) المرجع السابق

(٤) حياة الشهيد / مخطوط - نخبه من خصاصه

فيها من ابحاث ومناقشات وينصت إلى الخطب النارية والاشعار الحماسية ، ويشاهد جموع المتظاهرين ووالده الشيخ في مقدمتهم ، يملأون الشوارع والطرقات وهم يهتفون لفلسطين والعروبة ويعلنون سخطهم على الاستعمار والصهيونية .

تعليمه :-

تلقى عبد القادر دروسه الابتدائية في المدرسة الرشيدية بالقدس ، ثم التحق بمدرسة المطران (بيشوب غوباط) الانجليزية القائمة على جبل صهيون في القدس (بجوار مقام النبي داود عليه السلام) ، وقد عرفت بمدرسة صهيون بسبب موقعها .

وفي هذه المدرسة - وبالرغم من قيامه بواجباته المدرسية على أحسن وجه ونجاحه في دروسه وفي الالعب الرياضية - فإن جو تلك المدرسة لم تطب له نفسه ، بل أن ذلك الجوزاده بغضا للمستعمرين ونقمة على أساليبهم ووسائلهم ، بسبب ما كان يراه في تلك المدرسة التبشيرية من دس السم في الدسم ، واستخدام دور العلم لقتل الروح الوطنية وأدائها ، ومحاربة الطموح وقتل النفس وتمجيد الأجانب على انقاض الكرامة العربية ، وكثيرا ما كان يقول : (لقد تعلمت في مدرسة صهيون ، كيف أبغض الانجليز)^(١) .

قضى عبد القادر ثلاث سنوات في هذه المدرسة ، ثم التحق بكلية (روضة المعارف الوطنية) ليتلقى تعليمه الثانوي في هذه المدرسة التي لا تخضع لنظام ادارة المعارف ، وهي التي خرجت للبلاد نخبة ممتازة من الشباب القوي المؤمن من فلسطين وغير فلسطين^(٢) وكانت تعتبر بحق مصدر التوجيه الوطني الصحيح للناشئة العربية ، كما كان جو التدريس في هذه المدرسة قريبا من نفس عبد القادر وشعوره فارتاح اليها جدا واستفاد منها كثيرا .

لم يدخل عبد القادر مدرسة صهيون حبا في علمها ، وإنما كان ذلك بسبب التأخر في تأسيس كلية روضة المعارف ، التي اسسها الحاج أمين^(٣) سنة ١٩٢٢ تقريبا ، وكانت هذه الكلية تهدف الى تخريج الشباب المؤمن المجاهد أولا ، ولتقف ضد المدارس الحكومية البريطانية ومنها : المدرسة الرشيدية ومدرسة التمرين والمدرسة الغالية للبنات ، وكذلك ضد المعاهد التبشيرية ومنها : جمعية الشبان المسيحية وسانت جورج وتراسنطة والمطران وشميدت الالمانية للبنات ، وغيرها من المؤسسات والمعاهد الحكومية والتبشيرية .

كان المجلس الاسلامي الأعلى هو الذي يتعهد هذه الكلية ، وفيها تم إنشاء فريق لكرة القدم كما تم إعداد فريق للأشبال واخر للكشافة ، اللذين كانا يدربان وفق نظام عسكري منظم وكان من مدرائها : الشيخ محمد الصالح والشيخ حسن ابو السعود والاستاذ اسحق

(١) مخطوط حياة عبد القادر ، كما ذكر ذلك الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه

(٢) من الذين تخرجوا : محمد علي رضا الشركسي واخوه اسحق وانور نسيبة واحمد الخليل

(٣) كما اسس سماحته مدرسة دار الأيتام الاسلامية بالقدس

درويش ، والاستاذ عبد اللطيف الحسيني ومن بين مدرسيها : السيد نديم الملاح وخير الدين الزركلي وسامي السراج وغيرهم (١).

وكثيرا ما كانت هذه المدرسة تغلق بسبب نشاطها ، وتصدي القائمين عليها ، لمؤامرات الانجليز والصهاينة ، ومع ذلك فقد ظلت مركز اشعاع فكري وسياسي ونضالي حتى عام ١٩٤٨ م .

ولم يقف عبد القادر عند شهادة الدراسة الثانوية (المترك) . بل أزمع على مواصلة تعليمه الجامعي ، لأنه وعى قيمة التعليم واعتبره سلاحا حادا من أسلحة النضال ضد المستعمر الجاثم على صدر امته ووطنه ، فدخل الجامعة الامريكية في بيروت ، وقضى فيها سنة كاملة في كلية العلوم ، وقبل رحيله الى بيروت قال له أبوه مودعا :

« على بركة الله يا بني ، كن حريصا على كرامة دينك وعزة وطنك ، والله يرعاك حيثما تكون واينما تقيم » وقبله قبلات الوداع ، ثم اعطاه شيئا في يده وقال له : « ليكن هذا دستورك في الحياة يا بني » . نظر عبد القادر في يده ، فاذا هو القرآن الكريم فقبله وأودعه في جيب سترته ، ويمم وجهه نحو أعتاب الجامعة فانفتحت فيها صفحة جديدة في كتاب حياته .

في الجامعة الامريكية في بيروت والقاهرة .

أنهى عبد القادر سنة دراسية كاملة في الجامعة الامريكية في بيروت ، (ولما كان منذ شبابه شديد الوعي على قوميته ، عظيم التقدير لما يصبه الاستعمار من مصائب ونكبات ، وكان من نشاطه القومي وهو في الجامعة في بيروت ، أن رأته الجامعة فصله لأنه وطني متطرف في رأيها) (٢) (وما كان يتحلى به من أنفة وعزة نفس ، وعدم سكوته عما يراه حقا قد سبب له متاعب جمة في مدرسة صهيون ومدرسة الروضة الوطنية في الجامعة الامريكية في بيروت ومصر) (٣)

وبعد أن طرد من الجامعة في بيروت التحق بالجامعة الأمريكية في القاهرة ، (كلية العلوم - قسم الكيمياء) في العام الدراسي ١٩٢٩ / ١٩٣٠ م ، فانكب على الدراسة في همة ونشاط .

كان عبد القادر يرى في الجامعة الامريكية من الأساليب والوسائل ، ما ذكره بمدرسة صهيون في القدس ، إذ أنها لا تختلف في حقيقة أهدافها ، وما ترمي اليه عن المدارس التبشيرية في قليل أو كثير ، وإن اختلفت الأساليب (فالكفر ملة واحدة كما يقولون) .

وهنا رأى عبد القادر وقد أيفعت سنه ، ورشد عقله ، اسلوبا جديدا من أساليب هذه الحرب الصليبية الدائبة ، للقضاء على العروبة والاسلام ، ورأى بأى عينه وسائل جديدة في محاربة الاسلام ، والقضاء على الوعي القومي وفسخ التاريخ العربي ، والاستهانة بالتقاليد

(١) من أحاديث للسيد محمود سعد الدين الحسيني ١٩٨٢

(٢) جريدة الشرق اللبنانية

(٣) من رسالة علي الحسيني الى الدكتور موسى الحسيني ١٩٦١/٢/٢٧

العربية والتهكم من الموروث من الآباء والاجداد ، فزادت نفسه ثورة إلى ثورتها ، لكنه تحمل السكوت على ذلك كله ارضاء لوالده، الذي كان يطلب منه المرة تلو المرة، ان يتغاضى عن كل ما يراه ، خوفاً من أن تحمل نفس عبد القادر الثائرة الوثابة ، على ترك الجامعة قبل الحصول على شهادة علمية جرى في عصره احترامها وتقديرها .

عندما وصل عبد القادر الى القاهرة ، رأى الاستعمار البريطاني يجثم على كاهل الشعب المصري ، مثلما يجثم على صدر فلسطين ، ورأى أن المؤامرة واحدة والاستعمار واحد ، ومن هنا وضحت رؤياه الوطنية والقومية والهـم المشترك ، ولما كانت مصر في قمة حركتها الاستقلالية ، اغتنمها عبد القادر فرصة سانحة لاشباع رغبته في الكفاح والنضال ، خاصة سنة ١٩٢٩ حين اصبحت فلسطين تغلي بالثورات والاضطرابات ، وبدأ يحاول أن يعمل شيئاً ، وقد شحن قلبه بكل المشاعر الوطنية الغالية ، فانتدب نفسه للعمل الوطني تطوعاً ، وأصبح داعية للقضية الفلسطينية في قلب الجامعة ، وبدأ يشرح لرفاقه المسألة التي تتوالد في فلسطين ، ولم يترك مظاهرة أو محاضرة أو ندوة الا وشارك فيها ، وكان دائم التردد على (بيت الأمة) والاتصال بأعضاء ومؤيدي (حزب الوفد) وينتهز كل فرصة للتحديث عن قضية فلسطين من خلال ذاته فترة ، ومن خلال (رابطة الطلبة الشرقيين) تارة اخرى^(١) وقد عرف من بين رفاقه في تلك الاونة :

(رشاد الشوا وعفيف طرزي « غزة » كمال حنون وصلاح حنون « طولكرم » ومحمد رفيق اللبابيدي « عكا » ومحبي الدين قطينة « صفد » وعبد اللطيف الحسيني وبرهان الحسيني وصادق الحسيني « القدس » ومحمد علي الطاهر^(٢) صاحب جريدة الشورى التي كانت تصدر في القاهرة « نابلس » واكرم الخالدي « القدس »).

راح عبد القادر ينظم الطلبة في القاهرة ، فأنشأ معهم أول رابطة كان غرضه منها تحويلها الى منظمة او حركة سياسية ، تتولى قيادة الحركة الوطنية ، وكان يعمل في السر والخفاء ويؤلب الافكار في حيطة وحذر ، ليصل بأفكاره الى أكبر عدد ممكن من الناس ، دون ان تدري به السلطات وبالتالي تبعده عن مصر ، وتقطع صلته بالدراسة .
(كانت روح عبد القادر ممراحة ساعة المرح ، عنيفة صاخبة في الحق ، يشعر أنه جندي مستنفر من جنود الوطن ، وحياته حياة إثارة مع زملائه ، لشخصيته نكهة محببة متواضعة ، زاهد في مطعمه ومظهره ، عفيف شريف في مسلكه ، وإضافة الى كل هذا ، فلم تكن عنده نزعة اعتداد بالأصل ، مع ان والده العظيم كان زعيم البلاد برمتها ، ولم أذكر يوماً أن ذكره بوصف الزعامة ، ونتيجة لذلك لم يكن من الصعب أن يدرك المرء بأن وراء كل هذه الصفات ، شخصية عظيمة تنبئ عن عبقرية خفية^(٣))

(١) سيرة بطل / نبيل خالد الاغا ص ١٤

(٢) لم يكن محمد الطاهر طالبا، فقد كان مبعداً عن فلسطين ومسحوبة منه الجنسية الفلسطينية

(٣) نبيل الاغا في مقابلة شخصية مع محمد رفيق اللبابيدي في القاهرة ١٩٦٨ ص ١٤

انصرف عبد القادر بكليته الى اتقان علمه الذي جاء ليتخصص فيه ، وهو الكيمياء ، راجيا ان يأتي ذلك اليوم الذي يحيل فيه هذه النظريات العلمية الى حقائق وأرقام ناطقة ، وكان اثناء السنوات التي قضاها في الجامعة الامريكية موضع إعجاب رفاقه ، لما امتاز به من روح التعاون .. لم يكن يتدخل في شؤون غيره ، على أنه كان أبدا على استعداد لمساعدة اي شخص اذا طلب منه العون بشغف وعناية ، (وكان رحمه الله في كثير من الأوقات ، يعطي جميع ما يملك من دراهم الى بعض زملائه الذين تكون قد ضاقت بهم الحياة ، ونضب ما معهم من دراهم ، ويبقى صفر اليدين وعندما يقول له زميله المذكور : ماذا أبقيت لأكلك واحتياجاتك ؟ كان يجيب :- « يرزقني علام الغيوب » (١) .

كان أهم ما يستهويه من الدروس « الرياضيات والدين الاسلامي والتاريخ العربي » ، كما كان حبه للمناقشة الحية سببا اكسبه الشهرة بين الطلبة ، لأنه (كان معروفا بالميل الى الجدل والكفاح ، يكون رأيه ثم يقف عنده في صلابة وعناد ، ومع هذا فقد كان لطيف العشرة خفيف الظل والروح متواضعا بعيدا عن الادعاء والغرور قريبا الى قلوب زملائه وأصدقائه) (٢)

كان عبد القادر خلال سني دراسته ، يعمل على مقاومة التيارات السياسية الخبيثة ، وغير الاصلية ، ويفضح كل الاتجاهات التي تخدم الاستعمار ، ويقاوم الجهد الذي تبذله الجامعة ، في تليين الشباب العربي وابعاده عن روحه القومية .

واستطاع ان يكشف الدور المرعب الذي تقوم به الجامعة الامريكية في مصر ، ذلك الدور المنقح بالعلم والمعرفة ، والذي يحمل وراءه بعض أوبئة الاستعمار الخبيثة ، ولكنه لم يعلن عن احساسه بصورة علنية اثناء فترة الدراسة حتى كان يوم حفل التخرج .

موقفه الرائع في حفلة التخرج عام ١٩٣٢م

أنهى عبد القادر تعليمه الجامعي عام ١٩٣٢م ، ونال شهادة البكالوريا في العلوم ، وفي حفلة توزيع الشهادات السنوية ، وقف عبد القادر موقفا رائعا ومشرفا .. ولما نودي على الطالب الخريج عبد القادر موسى الحسيني ليتسلم شهادته في الحفل السنوي التقليدي ، الذي شهده كبار المصريين والشرقيين والأجانب ، بالإضافة الى بعض الوزراء والعلماء والباشاوات ، وألوف من الطلبة والطالبات، وهيئة التدريس ، وعلى رأسها مدير الجامعة (المستر واطسون) و (جوفري) رئيس مدرسة اللغات الشرقية والمستر (مولر) والمستر (بطرس عيان) ... تقدم عبد القادر بخطى موزونة ثابتة نحو منصة الاحتفال ، وبعد أن تسلّم شهادته من رئيس الجامعة « شارلز واطسون » استأذن من الحضور بإلقاء كلمة فسمح له .

(١) من رسالة السيد علي الحسيني

(٢) حياة البطل / مخطوط ونظرات الشورى محمد علي الطاهر القاهرة ١٩٣٢

وقف عبد القادر خطيباً مصقعا - ولم يكن يعرف عنه أنه خطيب - رافع الرأس غير هيب ولا وجل ، وراح يندد بالسياسة الأمريكية والى ما تقوم به بين جدران الجامعة ، من دعوات تبشيرية ، وان الجامعة تظهر أمام الناس بمظهر المعهد العلمي ، ولكنها في الحقيقة بؤرة إفساد للعقائد الدينية ، لأنها تطعن في الدين الاسلامي وتشوه الدين المسيحي ، وأنه يطلب من الحكومة المصرية أن تنتبه الى خطوة هذا الموقع المسمى بالجامعة الامريكية ، وأنه ما لزم الصمت إلا لانه يريد ان ينهي دراسته ، اما الآن فإن واجبه الوطني والقومي ، يدعو إلى ان يقول هذا ، وأن يبلغ دعواه الى المسلمين والمسيحيين العرب على حد سواء ، حتى لا تحدث فتنة طائفية بين ابناء الوطن الواحد ، ثم مزق شهادته أمام الحفل الكبير ، ورمى بنتفها أمام رئيس الجامعة وعمدائها قائلاً : (هذه شهادتكم فخذوها فإني لفي غنى عنها ، وانه ليس مما يشرفني أن أحملها او ان أنتسب اليها .: أنا لست بحاجة إلى شهادة من معهدكم الاستعماري التبشيري) .

ثم هتف بسقوط الاستعمار والأجانب ، وحياء العروبة والأمة العربية ، ودعا الجيل الجديد الى الثورة ضد الاجنبي ووسائله ومعاهده التعليمية ، وقوبل خطابه بحماس منقطع النظير ، وبعاصفة من التصفيق الحاد ، عقبه وجوم لما رآه المجتمعون من فرط جرأة عبد القادر .

اضطربت الجامعة لهذا الحادث اضطراباً هزكيانها وأركانها ، فعقدت سدننتها اجتماعاً طارئاً في نفس ليلة الحادث ، وقررت سحب الشهادة من الطالب (المشاغب) بشطب اسمه كما اتصلت ببعض الصحف والصحفيين ، وسألتهم التعتيم على أخبار الحادث ، وعدم التعرض والكتابة حفاظاً على سمعة الجامعة ، وقدمت لهم الرشاوى ، كما سلطت بعض الطلبة للطعن في شخصية عبد القادر واتهامه بالخبل لدى بعض إدارات الصحف ، إلا ان بعض اصحاب الضمير الحي رووا القصة وغطوا أبناء الحادث ، فمنهم من أشاد بموقف الشاب الجريء - كما حدث في جريدة الشورى التي يصدرها محمد علي الطاهر (المجاهد الكبير) ومنهم من وبخ الطلبة الذين قصدوا الجرائد للطعن فيه ، كما حدث مع إدارة جريدة (البلاغ) .

جن جنون الجامعة ، وهالها مما رأته يملأ صفحات الجرائد والصحف ، وحاولت تزوير الحقائق إلا أن عبد القادر أسرع ووجه رسالة مركزة الى كل الصحف في القاهرة يروى ما حدث : واليك البيان كاملاً :

« تدعي إدارة الجامعة الامريكية بالقاهرة ، أنها علمية محضة ، وليس لها أدنى علاقة بالتبشير ، وهي تتبرأ مما حصل في المعادي حيث يسكن اساتذتها المبشرون ، وفيهم من ارسل خصيصاً على حساب أحد المثريين الكبار للتبشير ، وادعاء الجامعة أنها علمية ليس صحيحاً واليك حجتي وادلتى الواضحة :-

من هو رئيس الجامعة ؟

رئيس الجامعة هو الدكتور (شارلز واطسون) مبشر ووالده مبشر وأمه مبشرة ، فهو من سلالة مبشرين واني أستشهد على ذلك بكتابه المسمى(حروب صليبية مسيحية في مصر) ويعني بهذه الحروب الحملة التبشيرية وقد قال في مقدمة ذلك الكتاب : (أهديه لأمي وأبي اللذين قضيا حياتهما مبشرين في مصر) ، ويوجه فيه الدعوة الى أهل الخير والإحسان ، ليروا الانتصار الباهر لاعمال التبشير في مصر ، كما أنه يوجه إلى المبشرين كلمة مؤداها (أنهم هم الذين سوف يتم تنصير مصر بأكملها على أيديهم) ، وبذلك يتوجون رؤوسهم بأكاليل الظفر والافخار ، جزاء لهم على جهادهم المقدس .

أو تدري ماذا يقول هذا المبشر أيضا في كتابه المشار اليه ؟ إنه يقول :

(إن للمسلمين طقسا دينيا هو أساس الاسلام ، وهذا الطقس هو الحج ، ويجب على كل مقتدر ان يؤديه وهو عبارة عن الذهاب الى الكعبة ، حيث تقام طقوس دينية مخزية ، وهذا المكان -الكعبة - قلب العالم الاسلامي ، وكر لصوص تؤتى به جميع انواع المخازي الاخلاقية (كذا) ، ولكنه يجعل بين المسلمين رابطة متينة يخاف منها .

وبعد ... فهذا هو رئيس الجامعة الامريكية الدكتور شارلز واطسون كما تراه في كتاب واحد من كتبه والآن .. إليك غير هذا الرجل من أقطاب الجامعة :

هناك قسم في الجامعة الامريكية يسمونه (مدرسة اللغات الشرقية) يؤمه الأجانب ، ويرأسه الدكتور (جوفري) وهو رجل لاهوتي ، وهذا القسم ، إن هو إلا معهد لتدريب المبشرين وتعليمهم اللغة العربية ، وكيفية مهاجمة الاسلام مهاجمة علمية فنية ، ومن يزر مكتبة الجامعة ويرى الكتب التي نقلت من هذا القسم إليها يحقق صدق قولي .

وهذه الكتب تؤلف الآن قسما كبيرا من المكتبة ، وكلها تبشيرية ، بعضها يبحث الحركات التبشيرية وتاريخها ونجاحها وأعمالها في الشرقين الأدنى والأقصى ، وبعضها يبحث في كيفية التنصير ، والبعض الاخر - وهو أكثرها - يحتوي على شتائم في الإسلام والمسلمين .

والدكتور جوفري رئيس هذا القسم هو مبشر الجامعة الأكبر ، ويليهِ المستر مولر ، وكلاهما قاطن بالمعادي ، حيث المبشر (بطرس عيان) صديقهم الأعز وبطل الحادثة المشهورة .

والدكتور جوفري يصلي بطلبة الجامعة أيام الأحاد وهم مجبرون على الاستماع لطقعه في الاسلام والمسلمين ونبيهم بل في المذاهب المسيحية ، التي لا تتفق مع مذهبه ، وأذكر أنه قال يوما في إحدى عظاته وعنوانها : (النبي الكاذب) أن محمدا لا يمكن ان يكون نبيا ، لأن مستوى أخلاقه العادي (كذا) إذ أباح لنفسه أن يتزوج من عدة نساء (كذا) كما اختص نفسه بأثمن أسلاب الحرب فهو رجل شهواني (كذا) .

وفي وعظة اخرى ألقاها هذه السنة ، أتانا ببراھين واهية ليقنعنا بأن القران ليس من كلام الله ، كما أنه ليس كله من كلام محمد ، لأنه ادخل عليه كثير من الآيات التي ثبت علميا أنها لا يمكن ان تكون من روح محمد .

هذا عدا ما يقوله في الدروس اليومية التي يسمونها (علم الاخلاق وفلسفة الديانات ، وعلم النفس وعلم الاجتماع) من الافتراءات والشتائم ، مما لا يتلفظه مسيحي ، لأن الدين المسيحي نفسه دين سماحة ولفظ . أما ما يفعله هؤلاء فتحامل وشتائم وسباب وبث كراهية واشعال حروب ، فالاسلام في رأيهم دين وحشي بربري ، يحث على القتال والسلب والنهب ، ولن يرتقي الشرق ويسعد حالا إلا اذا تخلص من هذا الدين ، والكتلثة لديهم عبادة أوثان وخرافات وأساطير مضرّة مخرجة بالآداب .. الخ .

اكتفى بهذا القدر الآن مشيرا إلى أن هذه الحركة التي تقوم بها الجامعة الامريكية غير محمودة ، بل هي تخلق روحا سيئة في البلاد ، فالواجب على كل وطني مسلما كان أم مسيحيا أن يحارب هذه الفكرة ليعيش المسلمون والمسيحيون أهل هذا البلد وغيره من الاقطار هانئين آمنين^(١)

عبد القادر الحسيني

خريج الجامعة الامريكية بمصر

وعلى اثر ذلك اتصلت إدارة الجامعة بالانجليز والامريكان ، الذين اتصلوا بدورهم بالحكومة المصرية وأخبروها بالأمر ، وطلبوا منها إخراج عبد القادر من مصر ، فما كان من الحكومة المصرية الا ان اصدرت قرارا يقضي بوقفه في سجن الاجانب كاجراء احترازي^(٢) ، ثم بطرده من مصر خلال اربع وعشرين ساعة ، وبعد ذلك أصدرت الحكومة المصرية قرارا موقعا من رئيس الوزراء الطاغية (اسماعيل صدقي) بإخراج عبد القادر وترحيله الى فلسطين في تموز ١٩٣٢ م .

وهناك في القاهرة (في باب الحديد) وقف الفلسطينيون والمصريون في انتظار توديع هذا الشاب الجريء ، وما أن وصل عبد القادر مخفورا بالشرطة والجند ، حتى انقلب الوداع في محطة سكة الحديد إلى مظاهرة وطنية صاخبة .

(١) نظرات الشورى - محمد علي الطاهر ص ٨١ سنة ١٩٣٢ / القاهرة

(٢) د. خيرية قاسمية - شؤون فلسطينية العدد ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٧٣ م

الفصل الثاني

عبد القادر في معترك الحياة العملية

سبقت عبد القادر أخباره وموقفه في الجامعة الامريكية الى فلسطين ، فاستقبلها شباب البلاد ومعارف عبد القادر بالتهليل والتكبير ، وما أن وصل الى القدس ، حتى توافد عليه الشباب العربي المجاهد يهنئونه على موقفه العظيم ، ويرجون الكثير على يديه ، ووضعوا أنفسهم تحت تصرفه للتعاون معه على ما يعود على الأمة والوطن بالخير والفائدة .

وجه عبد القادر همه الاكبر نحو تنظيم الشباب وتكثيله ، فتعاون مع إخوانه على تأليف النوادي والجمعيات على اختلاف أنواعها ، ودعا زملاءه إلى مقاطعة الأجانب والمصنوعات والمتاجر اليهودية .

وما أن عاد عبد القادر حتى تلقفته السلطات البريطانية ، ووضعت بين يديه عدة وظائف رفيعة المستوى ، وعليه انتقاء ما يلائمه منها ، محاولة منها أن تضمه تحت جناحها .

ولكن عبد القادر أبى أن يوقع نفسه في هذا الشرك ، مهما ازداد بريق المال ورفعة الجاه ، فأثر العمل في مجال أكثر رحابة ، يستطيع به ومن خلاله ، أن يعبر عن آرائه ويغذي الشبيبة الفلسطينية بثمرات علمه وثقافته ، فالتحق بسلك الصحافة ، فحرر في الصحف الوطنية التي كانت تصدر في ذلك الوقت .

اشتغل عبد القادر محررا في جريدة الجامعة الاسلامية مدة ستة شهور ، ثم أصبح سكرتيرا لها^(١) ، وكان الاتجاه الوطني الذي نهجته الجريدة ، من أهم العوامل التي دفعته للعمل بها ، والمشاركة في تحريرها ، وهنا اكتشف عبد القادر أن الحرية التي يمنحها الاستعمار هي حرية زائفة ، وأن الحرية التي تكشف الاستعمار وتفضح شروره ، لا بد أن يصادها الاستعمار نفسه وباسم الحرية نفسها .

راح عبد القادر يكتب ، ليكشف أبعاد المؤامرة ضد الشعب الفلسطيني ، ويحرر المقالات الجريئة ، - لا يبالي في سبيل الحق انجليزا ولا يهودا - التي تنتقد الدولة البريطانية المنتدبة ، وتندد بالسياسة الصهيونية ، وتنبه لما يحاك للفلسطينيين في الظلام ، فراح الاستعمار وأعدائه ومدبووه يراقبونه ، وبدأت مع الكتابة عملية التطويق والمطاردة .

(١) جريدة الجامعة الاسلامية كان رئيس تحريرها الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ومدير ادارتها محمد جلال عوف وقد تأسست سنة ١٩٢٥ م وكانت تصدر في يافا.

لقد راع الانجليز هذا التحدي لسلطتهم ، فبدأوا يتوجسون خيفة من عبد القادر ، وهم يعلمون ابن من هو ، وموقفه من الجامعة الامريكية ، فأذروا المشرف على الجريدة « بألا يسمح لعبد القادر بالكتابة ، فلما رفض إنذارهم ، أصدروا أمرا بتعطيلها » (١) .

وعندما تكرر التعطيل ، ترك عبد القادر العمل في هذه الجريدة ، وانصرف الى الكتابة في جريدة الجامعة العربية (٢) بالقدس فراح يلهب الشباب العربي بأرائه وافكاره وحماسه ، ويعمل على توجيه الصحافة العربية الوطنية ، الوجهة القومية الصحيحة .

ثم عمل محررا لصحيفة اللواء (٣) لسان الحزب العربي الفلسطيني ، وبنفس الاسلوب بالاضافة الى قسم الترجمة ، ولم يكن موقف المستعمر من هذه الجريدة ، بأحسن من موقفها من جريدة الجامعة الاسلامية ، فحوربت بالتعطيل حتى لم يجد عبد القادر جريدة يجاهد فيها بقلمه فكف الى حين .

على أن هذا لم يكن آخر عهده بالصحافة ، فإنه بعد أن تسلم وظيفته في إدارة تسوية الاراضي ، كان يكتب باستمرار في الصحف العربية ، مبينا الطرق الخبيثة التي يلجأ إليها اليهود والانجليز ، في سبيل تسرب الاراضي العربية لليهود ، ومحذرا العرب من سوء العاقبة إذا ما اغفلوا او تهاونوا في هذا الأمر ، فكان لهذه المقالات أثرها البين في وقاية كثير من الأراضى ، من التسرب لأيدي اليهود ، وفي ردع بعض ضعاف النفوس من العرب إلى حد كبير عن التمادي في غيهم .

وعندما هاجر الى العراق في أواخر عام ١٩٣٩م راح ينشر مقالاته في الصحف العراقية شارحا قضية فلسطين ، ومبينا حقيقة ما يبنيته اليهود والانجليز والمستعمرون عامة لفلسطين وللعالم العربي كله .

وفي نفس السنة التي عاد فيها عبد القادر إلى فلسطين ، اشتدت نعمة العرب بعد اجراءات الادارة العسكرية البريطانية ، في تأييدها لمشروع الوطن القومي اليهودي ، وازدياد عدد الفلاحين الذين طردوا من اراضيهم (فلاحى عرب الحوارث وعرب الزبيدات كما أسلفنا) ولهذا دعا بعض الشبان - وفي مقدمتهم عبد القادر - الى الاقلاع عن سياسة الاحتجاج والاعتماد على انصاف الاجنبي ، وطالبوا باتباع خطة عملية حازمة في المقاومة ، مما أدى الى عقد اجتماع خاص في بيت أحد المواطنين بالقدس ، حضرته نخبة من العاملين المخلصين ، وكان ذلك في ايلول ١٩٣٣م حيث قرروا أن تقوم البلاد بمظاهرات شعبية احتجاجا على

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي ١٩٥٠ م

(٢) جريدة الجامعة العربية كانت تصدر في القدس ، وكان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها منيف الحسيني وكانت مكاتبها في شارع مأمّن الله - عمارة كلارك

(٣) جريدة اللواء: كانت تصدر في القدس وكانت مكاتبها بالقرب من شارع مأمّن الله وكان صاحب امتيازها جمال الحسيني ورئيس تحريرها عثمان قاسم ومدير ادارتها خالد الفرخ .

السياسة الانجليزية ، وضد الانتداب والهجرة ، بغض النظر عن سماح السلطة بها أو عدم سماحها ، مهما كانت النتائج ، وكان هذا الاجتماع نقطة تحول في السياسة العربية التي كانت متبعة في ذلك الوقت .

حمل المجتمعون قرارهم هذا الى زعيم البلاد (موسى كاظم باشا) وأعضاء اللجنة التنفيذية بالقدس ، فأقره بعضهم ورفضه البعض الآخر ، بحجة ما ينطوي عليه من أخطار ونتائج ، أما الزعيم الجليل ، فكان يقف بين الرأيين ، ويحاول التوفيق بينهما ، وعرف أن الزعيم (كان يتجادل ليليا في بيته مع ولده عبد القادر ، حول الموقف الذي يجب أن يتخذه ، وكان الشيخ الجليل يبكي فرحا بقوة نفس ولده الذي كان يقول له :-

« يا والدي .. لقد بلغت من العمر ما يشتهيه الكثيرون ، فاختم هذا العمر الطويل الجليل ، أخرج على القوانين يا والدي ، وإن لم يمت مثلك في سبيل وطنه ، فمن ذا الذي يموت »^(١) . ونظر الشيخ الجليل الى ولده نظرة إعجاب ووعده أنه سيلبى طلبه مهما كلف الثمن .

واخيرا قرر الزعيم القيام بمظاهرة القدس - كما ذكرنا - حيث أعلنت السلطة البريطانية ، منع قيام هذه المظاهرة بالقوة ، ولما رأَت تصميم الزعيم ، راحت تتوسط لحمله على إلغاء قراره متبعة سياسة المراوغة ، ورأى المندوب السامي أن يتصل بالشيخ ، وكلف مجموعة من أفراد الجالية البريطانية ، ذات الصلة بالعرب ، ترأسها (مس نيوتن - صديقة العرب)^(٢) لاقناع الزعيم بإلغاء الدعوة للمظاهرة .

جاءت مس نيوتن تحاور الزعيم وتجادله ، في أنه ليس من المصلحة القيام بمظاهرة واثارة الخواطر، وأن الانجليز - كعهدهم دائماً - أوفياء للعهد ، وأنهم لا يريدون للعرب إلا خيرا ، وبينما هي مسترسلة في كلامها الناعم الرقيق وكان عبد القادر حاضرا - فإذا به يقول :-

« أرجو ان لا تسعي مع والدي للكف عن دعوته ، فهولن يكون خائنا لبلادنا ، فوالله لو أن والدي قبل نصحكم ووساطتكم ، فإنني سأكون أول من يخرج عليه ، فإن حبي لأمتي ووطني يفوق حبي لوالدي »^(٣) .

(١) حياة عبد القادر - مخطوط

(٢) كما كان يسميها الانجليز.

(٣) حياة عبد القادر - مخطوط

ثم التفت الى والده الجليل وقال له : (يا أبتاه ، لقد شيخت وناهز سنك الثمانين ، وانك لقريب لملاقاة ربك ، فما اطيب ان تقود هذه المظاهرات ، وتسقط برصاص هؤلاء الطغاة ، فتذهب لملاقاته على خير ما يلقي المؤمن من وجه ربه الكريم ، شهيدا في سبيله ، وفي سبيل الدفاع عن حرمانته (١) .

وعندما سمع الشيخ كلام ولده ، اغرورقت عيناه بالدموع ، وخاطب تلك المرأة قائلاً :-
« يا مس نيوتن .. هذا ما يقوله ولدي وقلدة كبدي ، فماذا يقول الناس ...؟ واعتقد ان ما سمعته هو فصل الخطاب ورد الجواب » .

وعاد الوفد بخفى حنين ...

قامت مظاهرة القدس كما أسلفنا ، كما خرج عبد القادر بأول وسام يناله من هراوات البوليس ، وقبل مظاهرة يافا ، حاولت السلطة مرارا ، لحمل الزعيم على إلغاء دعوته فرفض ، مع أنه كان يعلم ان الانجليز سييطشون بالعرب ، وكان - رحمه الله - شفوفا رقيق القلب ، فخشي أن تزهد نفوس الكثيرين ، فاحترار في أمره ، فعقد في بيته عدة اجتماعات للتشاور مع القادة والشباب ، فكان يجد من الجميع عودا صلبا واستعدادا للبذل والتضحية ، ولعل ولده عبد القادر كان أشدهم حماسا وتقريبا لكل من تسول له نفسه بالرضوخ لطلب الحكومة ، كما خرج عبد القادر بثاني وسام يناله في هذه المظاهرة ، حيث أصيب برصاصة في كفه ، عندما كان يقاوم الجنود الذين كانوا يطلقون النار على المواطنين العزل بلا هوادة .

(١) حياة عبد القادر - مخطوط الدكتور قاسم الريماوي .

١) عبد القادر في دائرة تسوية الأراضي

لجأ المندوب السامي (آرثر غرينفل واهوب ١٩٣٠-١٩٣٥) مرة ثانية الى سياسته الفظيعة التي كانت تهدف إلى امرين :-

١ - اقتناص أبناء العائلات الكبيرة ، والشبان والوطنيين ، واغراؤهم بالوظائف الحكومية ذات المرتبات الضخمة .

٢ - ادعاء صداقة القرويين والاهتمام بمصالحهم ، مستهدفا إيجاد شقة خلاف بين المدن والقرى من ناحية ، وبالتالي بين القرويين أنفسهم ، وبين الزعامة الوطنية من ناحية اخرى .

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد على حقيقة وهي : أن سياسة الانتداب كانت تقوم على توظيف الشباب المسيحيين فقط ، ولكن بعد إنشاء (جمعية الشباب الفلسطيني المسلم المتعلم) ، التي أسسها عبد القادر وفوزي الغصين ، راح المندوب السامي يسعى بكل جهده لتوظيف الشباب المسلمين ، بعد أن رأى فعالية وتصميم هذه الجمعية ، وفعلا تم توظيف (٢٥) شابا مسلما وكان عبد القادر الرقم (السادس والعشرين) .

عاد المندوب السامي ليعرض على عبد القادر وظيفة كبرى ، لم يكن يتيسر لعربي مسلم من أهل فلسطين ، وفي سن عبد القادر أن يحصل عليها ، فما كان منه إلا أن سارع الى قبولها ، خصوصا وانها كانت في إدارة تسوية الأراضي وبمرتب ضخم (٣٦ جنيها فلسطينيا شهريا) . وذلك سنة ١٩٣٤م كان المندوب السامي يهدف إلى :-

١- اشغال عبد القادر بشؤون الأرض والزراعة ، وإبعاده عن مجال السياسة .

٢ - وضع عبد القادر نفسه تحت بصر الحكومة وسمعتها .

ولكن عبد القادر كان يهدف الى أعمق مما يتصور المندوب ، فوافق على استلام هذه الوظيفة ، بعد أن أيقن بأهميتها ، لأنه يستطيع تحت ستارها أن يتصل بإخوانه المواطنين والفلاحين في القرى المختلفة ، لأنهم يمثلون (جوهر الثورة) .

استغرب الجميع كيف قبل عبد القادر هذه الوظيفة ، وهو الرجل الذي نذروه لمهمة اكبر، واعتقد الذين لا يعرفونه، أن الوظيفة قد أغرته، وان الامة قد خسرت عبد القادر، وفقدت

(١) دائرة تأسست عام ١٩٣٢م لفرز الأراضي المشاعة بين القرويين لتسهيل تسربها الى الجمعيات الصهيونية .

عنصرا اساسيا من عناصر نهضتها الجديدة، ولا شك.. أن عبد القادر قد قدم اكبر تضحية شخصية، وفي سمعته الوطنية بقبوله الوظيفة، ولكن الذين كان يتصل بهم أقروه على إقدامه، لأنهم أدركوا هدفه الاصيل.

كان عبد القادر يعلم أن الاستعمار الذي أراد خلق اليهود من العدم ، أراد أن يستغل هذه الدائرة ، ليعبث بأراضي فلسطين وبحقوق أصحابها الشرعيين ، تمهيدا لتقديمها لقمة سائغة لليهود ، لهذا قبل عبد القادر الوظيفة ، لكي يطلع على أساليب الحكومة وطرقها ، في تسيير أعمال اليهود وتسهيل إقامة دولتهم ، وليقف بنفسه على وسائل وأسباب النفوذ اليهودي ، الذي جعل حكومة الانتداب من اكبر رأس فيها ، إلى اصغر موظف ، أداة طيعة للوكالة اليهودية ، خاصة في هذه الدائرة التي كانت تتحكم بالامور وتقتل في القضايا الخاصة بالأرض ، وليتصل بالقرويين والملاكين والمزارعين ويكشف لهم عن أساليب الاستعمار ، ويدافع عن حقوقهم ومصالحهم ، التي لم تؤلف دائرة التسوية ، إلا للقضاء عليها خدمة لليهود ، وليحول دون تحقيق سياسة الانتداب ، ومن ناحية أخرى ليعمل تحت ستار عمله الرسمي ، على تنظيم جهود القرويين عامة وشبابهم خاصة ، وإعدادهم لليوم المنتظر ، لأنهم يمثلون القاعدة الارتكازية للثورة .

استطاع عبد القادر أن يوقف أراضي (١٦) قرية عربية ، حتى يمنع استيلاء اليهود عليها ، وكثيرا ما كان يتصل بمخاتير القرى التي تنوي الحكومة مصادرة أراضيها ، ويطلعهم على المخطط الاستعماري ، حيث يقوم أهل القرى بزراعة هذه الأراضي فورا بالزيتون ، حتى لا تعتبر من الاراضي البور ، (وكان - رحمه الله - يقف في وجه كل من تحدته نفسه ببيع أراضييه للصهيونية ، وأذكر حادثة من هذه الحوادث الكثيرة ، فإنه لما علم أن قسما كبيرا من أراضي قرية (بتول) اوبيت ايل كادت تتسرب إلى الجمعيات الصهيونية ، فما كان منه إلا أن أوقف معاملة البيع ، وتقدم هو وبعض من إخوانه المواطنين ، واشتروا الارض وهكذا انقذها من الضياع ، وكان دائما يحث المواطنين على التمسك بأراضيهم لتبقى عربية خالصة لهم ولأبنائهم من بعدهم ، ويعظهم قائلا :-

« إن هذه الاراضي وبالأحرى هذا الوطن ، مجبول بدماء الآباء والأجداد ، فعلينا أن نحافظ عليه بدمائنا .»

وقد استطاع بحسن تدبيره وسياسته ، أن يعرقل ويوقف كثيرا من المعاملات والصفقات ، التي كانت على وشك الضياع^(١) .

شارك عبد القادر في جهوده في دائرة التسوية ، مفرزة من العاملين الشرفاء ومنهم :- (صالح الريماوي ونافذ الحسيني وأحمد حسين الغول وأميل الغوري وعلي حسين الحسيني ، الذي كان يعمل مهندسا) .

(١) من رسالة السيد سامي الحسيني الى الدكتور موسى عبد القادر الحسيني

وهكذا دخل عبد القادر في صميم الادارة الانجليزية ، التي كانت تهدف الى تمكين اليهود في فلسطين ، ليضع أولا نظاما عربيا ، يختطه الموظفون العرب من المخلصين في تلك الادارة للدفاع عن حقوق قومهم وأراضي وطنهم ، وثانيا ليتخذ طورا جديدا من أطوار جهاده في سبيل امته وعروبته ، وكان هذا الجهاد يتجه وجهتين :-

الاولى : داخلية تتعلق بنظام التوظيف وبنسبة الموظفين العرب عموما والمسلمين خصوصا ، إلى اليهود وحتى اليونان والأرمن ، والتفريق في المعاملة بين الموظفين العرب وغيرهم .

الثانية : مهنية ، وهي ما تتعلق بما يباشره من أعمال فرز الأراضي وتسجيلها ، والنظام الذي وضعه الانجليز لنزع هذه الأراضي من أيدي العرب ، وتسليمها لليهود عن طريق البيع إذا كانت أراضي مسجلة باسم شخص معين ، أو عن طريق الهبة إذا كانت أراضي اميرية او مشاعا لأهل القرى او العشائر .

اما فيما يتعلق بالناحية الاولى^(١) « فإن عبد القادر لم يسمح للرؤساء الانجليز في يوم من الايام ، أن يتناولوا عليه ، ولا أن ينكروا عليه حقا من حقوقه ، بصفته موظفا عربيا مسلما ، كالاستراحة يوم الجمعة بدلا من يوم الاحد ، (كما كان اليهود يستريحون يوم السبت) ، وتخفيض ساعات العمل في شهر رمضان ، كذلك فيما يتعلق بنسبة الموظفين العرب المسلمين في دوائر الحكومة بالنسبة الى باقي الموظفين ، فقد كانت خطة الانجليز :

- ١ - لا يجوز ان يصل عربي (مسلما كان ام مسيحيا) الى وظيفة كبرى ، وإنما يقتصر هذا النوع من الوظائف على اليهود والانجليز ، وبعض الأجانب من اليونان والأرمن وغيرهم .
- ٢ - وظائف الدرجة الوسطى تكون الأغلبية الساحقة لليهود ، ثم يتبعهم المسيحيون من العرب ، ويأتي المسلمون في الدرجة الثالثة .
- ٣ - اما الوظائف الصغرى كالفراشين والسعاة والخدم والعمال ، فكانت تسخوبها حكومة الانتداب على العرب المسلمين ، مع إشراك من فاتهم الحظ في وظائف الدرجة الوسطى ، من المسيحيين الأميين .
- ٤ - ان حكومة الانتداب لم تكن تصدر قرارا بتوظيف موظف ذي بال في دوائرها ، إلا بعد أن يصدر لها الاذن من الوكالة اليهودية ، التي كانت هي الحكومة الفعلية لفلسطين في عهد الانتداب .

لقد رأى عبد القادر ذلك جميعا بأمر عينه ، ووجد أن اليهود يحكمون فلسطين بالفعل ، وأن الانجليز ليسوا إلا أداة يستخدمها هؤلاء اليهود ، ويستغلونها إلى أبعد الحدود ، ولمس

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي ١٩٥٠م

بنفسه مقدار الغبن الواقع على أهل البلاد ، وعلى الخصوص (المسلمين منهم) ، ونوع المعاملة المهينة التي يعاملون بها ، فשמروا عن ساعديه ، ووقف لهؤلاء الطغاة بالمرصاد ، وأخذ يحاربهم في دوائهم ، وعلى صفحات الجرائد ولم يأل جهداً في الدفاع عن حقوق العرب المهضومة ، ولقد كان لموقفه الرائع هذا أثر كبير في تخفيف عنجبية هؤلاء الطغاة ، وفي تغيير معاملتهم للعرب المسلمين إلى حد ما ، ولقد كان هون نفسه مثلاً رائعاً وقدوة حية لهؤلاء الموظفين ، فأعاد لهم كثيراً من ثقتهم المفقودة ، وكرامتهم المهينة .

أما فيما يتعلق بالناحية الثانية (وهي التي رضي عبد القادر أن يسلك في عداد موظفي الحكومة من أجلها) على شدة استغنائها عن الوظيفة لفرط غناه ، ولسمو جاهه وعلى كراهته لها . ففي خلال السنتين اللتين قضاهما موظفاً في حكومة الانتداب ، أتى بالأعاجيب في هذا الباب ، ورسم سياسة مثلى لما يمكن للموظف العربي المخلص ، أن يفيد به قومه ، وأن يكف عنهم الكثير من الأذى .

عين عبد القادر أول ما عين في فرع الإدارة العامة للتسوية في يافا ، ولما كانت وظيفته هذه ، وظيفية مكتبية ، فإن مجال نفعه لقومه بها كان محدوداً ، ولذلك أخذ يتربص الفرصة المناسبة ، التي تمكنه من خدمة قومه على أوسع نطاق بفارغ الصبر ، فلم تمض بضعة أشهر حتى استجاب الله دعاءه ، وحقق أمنيته ، فعين مديراً لمعسكر خارجي للتسوية في منطقة اللد ، الذي يشمل (يافا وتل أبيب وبتاح تكفا) (مستعمرة ملبس) والرملة) ، وكانت هذه المنطقة تمثل المنطقة الوسطى الغربية التي بلغ النفوذ الصهيوني فيها أقصى مداها ، حيث كانت أراضيها المطمح الأول لخطط الوكالة اليهودية . وهنا بدأ عبد القادر أول جهاد حقيقي في سبيل عروبة فلسطين ، حيث وقف يذب بما أوتي من قوة عن أراضي فلسطين المقدسة ، ويجاهد بكل وسيلة لإحباط خطط اليهود ، ولقد نجح في ذلك نجاحاً باهراً ، وأعاق خطط التوسع اليهودي سنوات طوالاً «وليت شعري لو لم يقبض الله عبد القادر لهذه المنطقة ولم يؤيده بروح من عنده ، لرد كيد اليهود والانجليز إلى نحورهم ... فكم من الأراضي التي ظلت في يد العرب وباسمهم في تلك الناحية ، كانت ستقع غنيمة باردة في أيدي اليهود ، واغلب الظن أنها جلها إن لم يكن كلها ، كانت ستسلم ليد اليهود بمكرهم وبعسف الانجليز » (١) .

كانت أراضي فلسطين العربية في هذه المنطقة ، وفي جميع المناطق تقسم إلى ثلاثة أقسام :-

١ - النوع الأول : وهو أقلها مساحة وأندرها بيعاً ، وهي قطع صغيرة من الأراضي ، التي تكون ملكاً لأشخاص معينين ، وهذه يجوز عليها البيع والشراء ويسهل ، وبالرغم من هذا ، فإن حصول اليهود على قطعة منها كان عسير المنال ، ولم يكن اليهود بمستطيعين

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي ١٩٥٠

الحصول على النادر منها ، إلا بشتى الجهود والحيل ... ، منها أن يلجأوا الى بعض (خربي الذمة من العرب) الذين تخصصوا في خدمة اليهود ، وكان يطلق عليهم اسم (السماسرة) ، وهؤلاء كانوا قليلين جدا في فلسطين ، ومع ذلك فقد قتل الشرفاء أكثرهم وأكثر باعة الأراضي .

كان اليهود يلجأون الى مثل هؤلاء ، فيغدقون عليهم الأموال فيأتون الى اصحاب تلك القطع ، ممن يسهل خديعتهم ويعرضون عليهم شراءها بالثمن الباهظ ، فيبيع بعض هؤلاء ما يخصهم من الاراضي القليلة ، بعد أن يطمئنوا إلى أنهم إنما يبيعونها إلى عرب ، خصوصا وان الانجليز يكونون قد اثقلوا كاهل صاحبها بالضرائب المعجزة ، التي ينوء بها كاهل المالك ، والتي تزيد أضعافا مضاعفة عما تنتجه (هذه الارض) بالفعل . وغالبا ما تكون هذه الاراضي واقعة بين مناطق يهودية ، مما يجعل استغلال صاحبها ومالكها متعذرا ، « على أننا لا ننسى بهذه المناسبة أن ننص على أن مئات القطع من هذا النوع ، والتي كانت في قلب مناطق يهودية ، تحيط بها عشرات الكيلومترات من كل جانب ، والتي انقطع أمل اصحابها في الاستفادة منها بأية حال ، بل أكثر من هذا بدأ اليهود ينتفعون بها ، بالفعل أقول ان مئات القطع من هذا النوع أبى اصحابها - وأكثرهم في أمس الحاجة - بيعها لليهود ، ورفضوا أن تدنس أيديهم بالتوقيع على إخراجها من أيدي العرب إلى أيدي اليهود ، مع أن منها ما دفع فيه العشرات من الألوף بل مئات من الألوף من الجنيئات ، وهي في واقع الامر لا تساوي عشرات من الجنيئات ، ولا يستفيد منها أصحابها شيئا ، بل جاوز الأمر بكثير منهم ، أن قتلهم اليهود في أراضيهم نفسها ، والتي أنفوا أن يتركوها بأي ثمن ، وعلى ما أقول شواهد لا تحصى »^(١).

وقف عبد القادر يدافع عن هذا النوع من الاراضي دفاع المستميت ، وأخذ ينبه الغافلين من العرب « إن التفريط في أي شبر منها ، إنما هو تفريط في الدين والعرض والوطن ، وتمهيد لهلاك البائع وقومه » وأخذ يعرف أصحاب الأراضي بحقيقة السماسرة ، ويفضح لهم أساليبهم وأهدافهم وغاياتهم ، وينذرهم بسوء العاقبة ، ثم انثنى الى هؤلاء السماسرة ، فأوقفهم عند حدهم ، وصارحهم بأنه لن ينتظرهم من عرب فلسطين إلا القتل ، وأن العرب لن يصبروا عليهم حتى يعذبهم الله في الآخرة ، بل انهم ليسارعون باسم الله في توقيع العقوبة عليهم بأيديهم ، في هذه الدنيا قبل الآخرة . وطاردهم والح في حربهم حتى انحسرت موجتهم وضعفت شرورهم وآثامهم .

النوع الثاني : وهو الأراضي الأميرية التابعة للدولة ، وهذا النوع من الأراضي هو أكثرها مساحة ، فقد تبلغ مساحة القطعة منه عشرات الألوף بل مئات الألوף من الدونمات ، وهذه الأراضي هي التي وضعت حكومة الانتداب البريطانية يدها عليها ، ثم قدمتها إلى اليهود هبة سخية ، وعربونا للوفاء ، بعد أن أجلت اهلها المزارعين عنها بالقوة .

(١) المرجع نفسه .

النوع الثالث : هو الارض المشاع وهذا النوع عبارة عن أراض واسعة ، تتبع أهل قرية أو عشيرة أو قبيلة ، على وجه الشيوخ لا التعيين ، وكان الشيوخ فيها من الأسباب التي شجعت الانجليز على نزعها من أهلها ، ووضع اليد عليها بحجة تحريجها (اي اقامة غابات فيها) ، ثم تسليمها لليهود فيما بعد . « وهنا صال عبد القادر وجال ، وتفانى في حفظ عروبة هذه الأراضي ، وإبقائها في أيدي اهل البلاد ، ولجأ في ذلك الى التعجيل بتسجيلها باسم شخص او اشخاص ، ممن يأمن اهل القرية جانبهم ، ويثقون بهم حفظا لها من عدوان العادين وسلب المغيرين وعبث العابثين ، ولقد اقتنع اهل القرى والعشائر بحكمة عبد القادر الظاهرة في هذه العملية الوقائية ، وأنسوا فيه إخلاصا لقضية الأرض ، وحرصا على بقائها في أيدي أصحابها الأصليين ، فطبقوا طريقته وأعانوه على تنفيذها ، وقد بلغ اعتمادهم عليه وثقتهم به درجة جعلت الكثيرين من اهل القرى ، يصرون على تسجيل مشاع بلادهم باسمه ، موقنين انهم بعملهم هذا ، إنما يسلمون ارضهم الى خير من يحفظها ويقدم حتى نفسه في سبيل بقائها عربية) .

لم يكن اليهود بغافلين عما يدبر لهم عبد القادر ، وعن وقوفه لهم ولأعوانهم بالمرصاد ، وشعروا بأن عليهم أن يتخذوا في شأنه امرا ، وإلا أفسد عليهم أمرهم وأعاق استيطانهم .

« كان عبد القادر يعسكر بجوار مستعمرة بتاح تكفا (ملابس العربية) وهي أقدم مستعمرة في فلسطين ، أسست في العهد التركي ، فأرسل له (ابراهام نيخو) رئيس المستعمرة سيارة فاخرة على سبيل الرشوة ، قاصدا بذلك أن تكون أول الثمن الذي يشتري به عبد القادر ، ولكن عبد القادر - الذي كان لا يشتري بمال - رفض هذه الهدية اليهودية ، وأفهم رسول (ابراهام نيخو) إنه إن نجح هو وصحبه اليهود في شراء كثير من الناس ، فإن عبد القادر ومن كان على شاكلته من رجال العرب ، ليسوا ممن يباعون ويشترون ، فليوفر على نفسه عناها وليحفظ بسيارته وهداياه (الكريمة) الى من يقدرها حق قدرها ، ويؤمن بقيمتها ويتقبلها بقبول حسن .

لم يبأس ابراهام نيخو ولا اليهود ، فأعادوا الكرة ، وإنما في صورة جديدة تدريجية ، فأوعزوا الى احد اذنابهم من العرب ، ان يتقرب من عبد القادر ، ويظهر له الصداقة والود ، ثم يجره الى المستعمرة ، وهناك ينتهي عمله حيث تقوم (سارة واستير وراشيل ..) وخرمريشون ليتسيون - هذا السلاح الذي انتصروا به في ملايين المعارك ، التي يفصح بها تاريخهم المخزي - بالباقي .

أخذ هذا الوجيه العربي يتقرب إلى عبد القادر ، ويظهر له الود والاخلاص ، ويكثر من تملقه وامتداح سجاياه ، وعبد القادر يستقبله كعادته بالبشاشة والترحاب ، حتى اطمأن هذا الرسول الى قرب نوال مأربه . وفي ذات يوم اختلق هذا الرسول مناسبة ، ودعا عبد القادر الى المستعمرة ، بحجة استكشافها والتعرف عليها ، وهنا أدرك عبد القادر المكيدة ، فثار ثورة

الأسد وقال له : ويلك ... اما تتقي الله ؟ ألا يكفيك انزلاقك في هذه الهوة ، حتى تبيع لنفسك ان تفرر برجل طاهر مستقيم لتجره معك الى سقر ؟ والله إن علمت أنك - بعد هذه المرة - على صلة بهؤلاء اليهود فليس عندي من جزاء إلا القتل .

وهكذا كان فلقد غاص قلب الرجل في جنبه ، واستخزى من فعله ، واستخذى أمام عبد القادر وقال له : « إشهد فأني تائب على يدك »^(١)

وعندما رأى اليهود فشل مكائدهم وتأكدوا من أن عبد القادر صخرة لا تلين ، وجبل راسخ لا تستميله الشهوات ، ورأوا أنه وهو في هذه المنطقة الحيوية لخطتهم التوسعية للاستيلاء على ارض فلسطين ، يقف كالشجى في حلوقهم ، ولا يستطيعون معه ابتلاعا للقامة جديدة ، رفعوا امرهم الى الوكالة اليهودية ، التي سارعت بإبلاغ ارادتها السامية إلى حكومة الانتداب ، بوجود نقل عبد القادر من منطقة اللد ، فما كان من حكومة الانتداب إلا أن بادرت الى تنفيذ هذه الرغبة والعمل بموجب هذه الارادة ، فنقلته الى منطقة غزة التي كانت حتى ذلك الوقت من مناطق الدرجة الثانية بالنسبة لمخطط التوسع اليهودي .

انتقل عبد القادر إلى منطقة غزة ، بعد أن أحس تماما بأن اليهود جادون لا يلعبون ، ولا يضيعون وقتا لإنجاح جميع مخططاتهم ، وأن على عرب فلسطين أن يسرعوا في التصدي ، وإلا اخذهم السيل ، ورغم ذلك فإنه لم يقم الا فترة قصيرة في غزة ، حتى تعرف بالمنطقة وأهلها وقدم لهم كل ما يستطيع من مساعدة ، فما أن أتم مهمته ، حتى قدم استقالته من الحكومة ، وقد عزم في نفسه امرا .

تعرف عبد القادر على الكثير من أهالي القرى ، وانتقى منهم خيرهم ، وشكل منهم خلايا سرية ، فكان منهم : « علي محيي الدين الحسيني ومحمود العكرماوي ومحمد علي التايه وعاهد الريماوي ونجيب ترزي وجميل الفارس وفهمي العبد الله ولافي محمد سعادة وأخوه مروح الترمسعاوي وغيرهم ، كما استطاع من خلال عمله ، أن يتعرف على كافة التضاريس الجغرافية الميدانية في فلسطين والتي هيأت له فرص النجاح للعمليات الحربية ، التي تولى قيادتها ضد الاستعمار البريطاني والصهيوني ، كتب الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه :

(حدثني الشيخ (رامز مسمار) في شباط ١٩٤٨ في الخليل ، حين بدأ عبد القادر ينظم شؤون الجهاد المقدس في معركته الأخيرة في فلسطين قال :-

(كنت قاضيا للتسوية في غزة ، وبيننا أنا وبعض كبار الموظفين عند مدير التسوية في غزة ، وكان ذلك يوم ١٩ نيسان ١٩٣٦ ، إذا بشاب حدث السن يرتدي قميصا أبيض من الحرير ، يقدم كتاب استقالته الى المدير ويقول له :-

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

« لقد عرفت طريق الخلاص والوسيلة الوحيدة ، التي تتحرر بها البلاد ، وستسمع قريبا كيف أحاربكم انا وقومي يا معشر البريطانيين المسخرين في خدمة اليهود ، في الجبال والسهول ، وكيف ندافع عن أرض الآباء والأجداد شبرا شبرا » ثم انصرف .

فتساءل البعض من هذا الفتى .. فقالوا : عبد القادر ، فقلنا : أنعم به وأكرم ، كريم من كرام ولكن ماذا .. هذا الاستثناء ؟ كان هو التساؤل والاستغراب كيف يستطيع فتى مثل هذا الفتى ، الذي ربي في أحضان النعمة ، وعاش عيشة المترفين منذ طفولته الأولى ان يحقق ما قاله . وأن يأخذ على عاتقه القيام بهذا الوعد الخطير الذي سجله على نفسه ؟ هل يظن بأن قتال الامبراطورية لعب وتسلية ، أم يتصورها كما يكون بين فريقي كرة القدم التي طالما لعبها ، يتصافى بعدها الغالب والمغلوب ، ولا تنتهي بخسائر فادحة لأحد الطرفين ، ثم هل يستطيع هذا الشاب الغر أن يجوس في الجبال وأن يمشي على الأشواك والصخور ، وينام في العراء ، ويتعرض لعوامل الطبيعة القوية القاهرة من حر وقر وشمس ورياح وزوابع وامطار؟.

وهكذا كان ... لقد تفرغ عبد القادر لهذه المهمة الشاقة ، ليهب الثورة روحه ودمه وشبابه .

الفصل الثالث

اضراب فلسطين العام واحداث عام ١٩٣٦م

في اوائل سنة ١٩٣٦م، لم يعد في نفوس العرب للصبر منزع، فقد رأوا بعيونهم الكارثة، وقد بدأت تحل بفلسطين، فتنادوا لدفع العدوان ودرء الخطر ومقاومة الانتداب والصهيونية فاتصل سماحة الحاج محمد امين الحسيني بكافة التنظيمات السرية في البلاد، وطلب منها تنظيم الصفوف، حتى يمكن مواجهة المستعمر بصورة اكثر دقة وشمولا، خاصة بعد استشهاد المجاهد السوري الكبير (عز الدين القسام) في ١١ تشرين اول ١٩٣٥م، بعد ان اصطدمت قواته العربية بقوة بريطانية مسلحة في جبال جنين (احراش يعبد - بالقرب من قرية الشيخ زيد)، وقد كشف هذا الاصطدام عن وجود تنظيمات سرية تؤمن بالثورة المسلحة وتعد لها، مما دعا الحكومة الى التيقظ والحذر، كما دلت موجة المظاهرات التي جرت خلال تشييع جثمان الشهيد عز الدين القسام الى مقره الاخير، والاستذكارات اللاحقة، على توثب الجماهير الشعبية، واستعدادها الثوري، ولذلك كان من السهل ان تشتعل المعركة في اعقاب حادثة قطع طريق عادية جرت في ١٥ نيسان ١٩٣٦م على طريق طولكرم - نابلس (قرب معسكر السجناء في نور شمس). اودت بحياة رجل يهودي، مما جعل الازمة تصل الى حد الانفجار^(١).

«إن هذه الحادثة اعتيادية، ولا علاقة لها بالسياسة، ولم يكن هذا الحادث الاول من نوعه، فلو وقعت حوادث ذلك اليوم عند هذا الحد، لما انفجرت البلاد حينئذ، ولما اجتاحت الثورة فلسطين، غير ان اليهود مزجوا بين الاعتداءات العادية والسياسية، فانتقموا بقتل رجل او رجلين من العرب الابرياء»^(٢).

فيعد حادثة ١٥ نيسان ١٩٣٦، قام اعضاء من منظمة الهاغاناه بمهاجمة احد البيوت الخشبية العربية على طريق بتاح تكفا - كفار سابا - يركونة في ١٦/٤/١٩٣٦م، انتقاما لمقتل اليهودي وقاموا بقتل من فيه، وفي الوقت ذاته هاجمت مثل هذه العناصر، المواطنين العرب في المنطقة المتاخمة لتل ابيب.

توحي كافة الدلائل بان القيادة الصهيونية، كانت تخطط للصراع بين العرب واليهود تساوفا مع الامبريالية البريطانية، فما ان اذيع نبأ مقتل اليهودي، حتى اجتاحت المظاهرات تل ابيب والمنطقة المتاخمة لها، ووقعت حوادث اعتداءات على المواطنين العرب في يافا، استنفرت بدورها اعتداءات مماثلة على اليهود.

(١) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين تموز ١٩٣٨ ص ١٢٦

(٢) القضية الفلسطينية - يوسف هيكل / رئيس بلدية يافا - قبل حرب فلسطين ص ١٩٨

وما ان حل يوم الاحد ١٩/٤/١٩٣٦م حتى كانت يافا مضرية احتجاجا على الاعتداءات وسرعان ما شمل الاضراب عمال الميناء، ثم امتد الى النقليات، وبعد ذلك انفجر الموقف في كافة انحاء فلسطين وعندئذ تحركت فئات قومية، واذاعت بيانا اعلنت فيه (ان سياسة الوطن القومي اليهودي هي سياسة غاشمة، وان تجربة حكم شعب بخلاف رغبته وارادته، هي تجربة فاشلة، وجاء في بيان اللجنة القومية التي تألفت حالا في اجتماع وطني «ان المجتمعين يعلنون مبدئيا الاضراب العام في يافا، اعلانا لسخط العرب على سياسة السلطات الفاسدة، التي يقصد منها ابادة العربي في بلده العربي»^(١).

وفي ٢٠/٤/١٩٣٦ اعلنت نابلس الاضراب تضامنا مع يافا، وسارت قيادة الاحزاب القومية في مجرى التيار، فاعلنت يوم ٢١/٤/١٩٣٦م الاضراب العام في البلاد.

كما قررت اللجنة العربية العليا، المنبثقة من اتحاد كافة الاحزاب، ان تستمر البلاد في الاضراب حتى تغير الحكومة من سياستها، على ان تكون اول بادرة على ذلك التغيير، وقف الهجرة اليهودية، ولكن الانجليز ابوا مرة اخرى ان يستمعوا الى صوت الامة، واستمروا في الابتعاد عن جادة العدل، وفي ١٨ ايار ١٩٣٦ ألفت الحكومة البريطانية رسميا دعوتها الوفد العربي الى المفاوضات في لندن، واصدرت بيانا جاء فيه:

«ان الوفد العربي المقترح، لم يعد ملائما للحوال التي نتجت، وانه بدلا من ذلك يجب اجراء تحقيق في فلسطين، ولهذا قررت الحكومة بعد ان يعاد النظام، ان تشير على صاحب الجلالة بان يعين لجنة ملكية لتبحث في اسباب القلق وشكاوى العرب واليهود المزعومة، دون التعرض لنصوص الانتداب»^(٢).

ثارت تأثرة الامة لهذا التحدي السافر، واشتد عزمها، وصممت على الاستمرار في الاضراب، وراحت السلطة البريطانية تكافح العرب بالحديد والنار، فشردت الزعماء، وزجت بالالوف في المعتقلات، ونسفت المدن والقرى، وفرضت الغرامات المالية الجماعية الباهظة، وحكمت على الكثيرين بالاعدام، واستعملت كل وسائل القمع لاتفه الاسباب، ورغم ذلك فما زال الشعور يزداد غليانا والقلوب ايماناً.

ففي اليوم الثاني للاضراب تم حرق مستعمرة (تل شوق / قرب بيسان)، ثم جرى بعدها احراق مئات الدونمات من الاراضي المزروعة حنطة في الجليل وسهل مرج بن عامر، وفي السهل الساحلي وقد ساهم سائقو القطارات العرب مساهمة فعالة في اشعال الحرائق في الحقول اليهودية عندما كانوا يلقون النار والمشاعل، وهم يقودون القطارات، وكان هناك هدف آخر للثوار العرب (وهو احراج الكيرن كاييمت)، حيث تم احراق عشرات الالاف من الاشجار، ففي حرش مستعمرة (مشمار هعيمق) لوحدها، تم احراق عشرين الف شجرة، كما احترقت المصانع

(١) فلسطين بين الانتداب والصهيونية / عيسى السفري جـ ٣ ص ١٦ - ١٧

(٢) جذور القضية الفلسطينية - د . اميل توما ص ٢١٩

والمستودعات ومن الجملة تم تدمير المحاجر اليهودية في مجدل صادق (قرب تل ابيب)، وهي التي كانت تمد عمليات البناء اليهودية بكافة ما يلزمها، وهكذا توقفت عملية البناء لفترة طويلة، كما جاء دور قطع الاشجار المثمرة وحدث في بعض الليالي ان تم اقتلاع آلاف الاشجار، كما جرى جلب قطعان الاغنام والابقار، وجعلها ترعى حقول المستوطنات الصغيرة، وتم بتاريخ ٢٨ نيسان من العام نفسه اقتلاع ٦٠٠٠ شجرة من الحمضيات من حقول مستعمرة (بيت يوسف) القريبة من بيسان^(١).

كما وصلت العمليات الى ذروتها في آب ١٩٣٦م، فقد تمت محاصرة كافة الطرقات الموصلة الى المستوطنات اليهودية وتم التعرض لكل من يمر فيها، واعترفت الجهات الصهيونية انه تم خلال الفترة الواقعة بين بداية الاحداث وانتهاء الاضراب:

«مقتل ٨٠ يهوديا وجرح ٣٩٦، كما وقع حوالي ١٩٩٦ هجوما على المستوطنات اليهودية، و ٨٩٥ عملية ضد الممتلكات اليهودية، وكذلك تدمير مائتي الف شجرة وإتلاف حوالي (١٧) الف دونم مزروعة بالحنطة، وحدثت ايضا ٣٨٠ عملية هجومية ضد سيارات الباص والقطارات و ٧٩٥ هجوما على الشرطة والجيش والدوائر الحكومية»^(٢).

(وتم القاء وزرع ١٣٦٩ قنبلة، وكذلك هدم مئات البيوت والمصانع والمشاغل)^(٣)

وكان اخطر قرار اتخذه مؤتمر اللجان القومية، الاعلان بالاجماع عن الامتناع عن دفع الضرائب، اعتبارا من ١٥ ايار الحالي (١٩٣٦م) إذا لم تغير الحكومة سياستها تغييرا اساسيا، تظهر بوادره بوقف الهجرة اليهودية^(٤).

لقد برهنت ثورة ١٩٣٦ على طاقة الشعب الفلسطيني وإرادته الجارفة، وبأسه في الصمود، ورغم ذلك فقد رفضت القيادة الصهيونية مجرد الاعتراف بحركة الشعب العربي، واصرت على وصفها بالاجرام والوحشية، ولم يكن في وسعها ان تتصور طاقاتها على الثورة والبطولة، «فكانت ثورة منظمة ضد الحكم البريطاني وضد الوطن القومي اليهودي على السواء»^(٥)

ويجمع الكتاب الذين عاصروا تلك الفترة، على ان الثورة كانت من صنع الفئات الشعبية، لا كما تصورها المحافل الصهيونية، التي زعمت ان الثورة وكأنها شغب نظمته فئة معينة، واخذت قساوة البوليس واعتداءاتهم على افراد الشعب في الازدياد، وامعنت الحكومة في

(١) الهاغناه مجلد ٢ ج ٢ ص ٦٤٣ - ٦٤٤ بن تسيون دينور

(٢) الهاغناه مجلد ٢ ج ٢ ص ٦٥٢ بن تسيون دينور

(٣) معارك المنظمة العسكرية القومية ج ١ ص ٢٤٥

(٤) فلسطين بين الانتداب والصهيونية - السفري ص ٤٧

(٥) العلاقات بين العرب واليهود في أرض اسرائيل تل ابيب ١٩٧٠ ص ١٠٢

سياسة الاعتقال والحبس، فبلغ أهل طولكرم صباح السبت ٢٣ أيار ١٩٣٦ ان الحكومة قد اعتقلت اعضاء اللجنة القومية، فثاروا وتقلدوا سلاحهم سائرين نحو المدينة فتقابلوا مع قوة عسكرية زاهية الى نابلس، فاشتبكوا معها بالقرب من بلعا، وتبادلوا معها النيران من الساعة التاسعة صباحا حتى المساء، فتحولت الاضطرابات الى ثورة حقيقية، كانت هذه الموقعة من اهم معاركها^(١).

وهذا ما اكده امين سعيد^(٢) وعيسى السفري^(٣) الذي اضاف قائلاً:

«ان الجنود البريطانيين اطلقوا النار على مظاهرة عربية في نابلس، في اليوم ذاته، فقتلوا اربعة من المواطنين، وجرحوا سبعة، وزاعت اخبار هذه الفاجعة في القرى، ففسارح اهلها للنجدة وانتشرت جموعهم في الجبال والوديان وعلى مفترق الطرق، مسلحة بالبنادق وغيرها من انواع السلاح.

كما اكد في كتابه ان لسكان القرى كان النصيب الاكبر في تأييد الثورة وتغذيتها، فقد اشتركوا في معظم الاعمال الثورية بكل ما وصلت اليه ايديهم.

ووصف عدد من الكتاب العرب الذين عاصروا تلك الفترة ابرز المعارك الحربية الدامية، خلال الاضراب التاريخي الكبير، الذي امتد ستة اشهر كاملة، وكان من اهم المعارك التي وقعت: نور شمس (طولكرم) ووادي عزون وباب الواد وبلعا وعصيرة الشمالية ووادي عارة وعين دور (الناصره) ومعركة الخضر (بيت لحم) وغيرها.

ولاحظ امين سعيد مثلاً ان (٥٠٠٠) جندي بريطاني تشد ازهم الدبابات والمدفعية الثقيلة، و ١٥ طائرة اشتركت في معركة بلعا الثانية، في ١٣ ايلول ١٩٣٦م ولم تحسم شيئاً^(٤).

وبلغت القوة البريطانية في فلسطين آنذاك (٢٠ الف) جندي حسب احصاءات الحكومة و (٢٥ ألفاً) حسب تقديرات الكتاب العرب والاجانب، وتعاونت معها قوات البوليس العادي والبوليس الاضافي اليهودي، التي جندتها السلطات البريطانية من صفوف الهاغاناه، وبلغ عددها (٥٠٠٠) بوليس، ومع ذلك فلم تستطع هذه القوات القضاء على الثورة عسكرياً على الرغم من نجاحها في اقتناص حوالي (٣٠٠٠) شهيد.

ان بسالة الثورة وصمود الشعب العربي، الذي اشعلها، يظهران على حقيقتهما ازاء عمق القمع الوحشي، فالحكومة البريطانية لم تدفع الى ميدان القتال بهذه القوات العسكرية والبوليسية المجهزة احسن تجهيز فحسب، بل استخدمت اوحش اساليب القمع لتدمير معنويات

(١) محمد حسين هيكل - القضية الفلسطينية / نقد وتحليل ص ٢٠٧

(٢) كتابه الدولة العربية المتحدة ج٢ ص ٥٤٠

(٣) كتابه فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ص ٧

(٤) امين سعيد - مرجع سابق ج٢ ص ٥٤١

الجماهير وافقارها، ومن ثم عزلها عن الكفاح، وهكذا فرضت الاحكام العرفية على البلاد في ٣٠ ايلول ١٩٣٦، كما اقامت محاكم عسكرية تفرض عقوبات بربرية تصل حد الاعدام.

وقد ترك عيسى السفري وصفا لما كان يجرى في البلاد فكتب:

«كانت السلطة حين تشبته بقرية ما، تأمر حالا بذهاب قوة كبيرة من الجند والبوليس، بدباباتها ومدافعها الرشاشة وكامل اسلحتها، الى تلك القرية فتطوقها من جميع جهاتها، ويدخل فريق من الجند الى القرية ويطرقون ابواب بيوتها باعقاب بنادقهم بشدة، ويأمرون مختارها بعزل النساء عن الرجال، ثم يأخذ الجند بتفتيش بيوت القرية بين فزع النساء وعويل الاطفال، فيبعثون محتوياتها ويحطمون آنيتها المملوءة بالسمن والزيت والحبوب ومختلف انواع الاغذية، وبانتهاء التفتيش يطلق الجند المدافع الرشاشة في الفضاء ارهاباً»^(١).

ومن الاجراءات التي شاعت آنذاك، الغرامات الجماعية ونسف البيوت، لصدور طلقات منها او من مكان قريب اليها، ومهاجمة القرى وضربها بالرصاص بدون تمييز، وقد كانت قرية (قولة) المجاورة للد والرملة، ضحية هجوم عنيف بسبب اطلاق مجهول النار على دورية بريطانية^(٢).

هذا وقد هز الرأي العام في فلسطين والعالم الخارجي، بنسف حي بأكمله في يافا، في حزيران ١٩٣٦، بحجة تجميل المدينة، كما هزته حوادث النسف في نابلس واللد وحيفا وغيرها، وقد ادانت محكمة العدل العليا برئاسة قاضي القضية (ميخائيل مكدونلد) هذه الاجراءات واكدت في قضية نسف الحي في يافا «كان يشرف الحكومة لو انها بدلا من ان تذر الرماد في العيون، بادعائها ان الموحى لعملية الهدم هو التحسين والتجميل والعلم لتنظيم المدينة، او رعاية الصحة العامة، ولو انها قالت بصدق وبساطة: ان الهدم المنوي اجراؤه كان المقصود الاساسي منه الدفاع عن فلسطين - يعني كما يجوز ان يعتقد كل شخص - التسهيل لدخول القوى العسكرية الى الاحياء التي تغص بالسكان في المدينة المذكورة»^(٣).

وعند اندلاع الثورة الفلسطينية في ١٩٣٦م، ومجيء اللجنة الملكية بعد ذلك، ووسط الحديث عن توصيات التقسيم، اخذت الحركة الصهيونية «بانتهاج خطة استيطانية مدروسة تعتمد على سياسة فرض الامر الواقع، واقامة المستوطنة بين عشية وضحاها، اي خلال ليلة واحدة في اماكن معينة ومحددة. دون اذن من السلطات محاطة بالاسلاك الشائكة، ويبرز في وسطها (سور وبرج) يطل من فوقه الحراس المستوطنون، ليعلنوا ان هذا الامر الواقع، هو الذي سيحدد الخريطة المستقبلية للدولة اليهودية، وليست توصيات اللجنة الملكية او اية هيئة دولية»^(٤).

(١) عيسى السفري - مرجع سابق ص ٨٥

(٢) السفري ص ٨٦

(٣) السفري ص ١٠٢

(٤) كتاب الهاغناه مجلد ٢ ج ٢ ص ٧٥١ - ٧٥٢

ويبدو ان اول من فكر بهذا النوع من المستوطنات هو (شلومو)، عضو كيبوتس (تال عمال) الذي اقترح اقامة سور مصنوع من الاخشاب المليئة بالحصى، على شكل مربع ضلعه (٣٥) مترا، ويحتوي بداخله على اربعة منازل بسيطة، ويقام عند زاوية منه موقعان عسكريان ويحاط بسور من الخارج باسلاك شائكة، ويقام في وسط السور برج عال يحتوي على كشاف يشعل بواسطة مولد كهرباء^(١).

«ولا نبالغ اذا قلنا ان خطة (سور وبرج) قد حددت سلفا خريطة الدولة اليهودية في فلسطين قبل عشر سنوات من قيامها»^(٢).

(١) شلوموليف عامي / في النضال والثورة / تل ابيب ص ٩٨.

(٢) شلوموليف عامي ص ٩٧

عبدالقادر يقود الثورة الاولى

لم يكن عبدالقادر الحسيني في يوم من الايام يؤمن بالسياسة بمدلولها الحاضر، وانما كان يؤمن بان الغازي يجب ان يصد، وان المغير يجب ان يستقبل بالقوة، وانه ليس اضيع من قوم ضعفاء يأملون العدل عن طريق التفاوض من غزاة اقوياء، ولذلك كان يعرف تماما ما ينبغي ان يصنع، وقد اتضحت له طريقه، حيث عين بعداستقالته مديرا لمكتب الحزب العربي الفلسطيني، الذي كان الممثل الوحيد للخلص من الوطنيين والمجاهدين من عرب فلسطين.

كان عبدالقادر قد تعرف - كما ذكرنا - على اهل القرى (زبدة الخير في فلسطين)، والذين حملوا عبء الجهاد في كل مراحل كفاح فلسطين، حيث كون معهم صداقات وطيدة، وتبذلت الثقة بينه وبينهم، واعجبوا بكامل خصاله ونبل خلاله، كان ذلك في شهر نيسان ١٩٣٦، وهو الشهر الذي بدأت فيه فلسطين اضرابها التاريخي، الذي استمر ستة اشهر، مصحوبا بمظاهرات الاحتجاج على سياسة حكومة الانتداب.

كان عبدالقادر يعلم علم اليقين، ان مجرد المظاهرات والاحتجاجات لا ترد حقا ضائعا، ولا يعيد وطننا مغتصبا، وانه لا يفيل الحديد الا الحديد؛ وان الغزو يجب ان يقابل بالكفاح المسلح، وان تبذل الارواح رخيصة في سبيل الذود عن المقدسات والحرمان.

كتب المجاهد المرحوم الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه^(١):

«اذكر بهذه المناسبة، انه قامت مظاهرة كبرى في القدس، فجمع الانجليز قواتهم، واخذوا يفضون تلك المظاهرة بقوة السلاح، وقبضوا على الكثيرين، وكنت انا والشهيد (فريد العوري) من بينهم - وكنا طالبين في السنة النهائية - فاخذوا في ايدائنا، واتهمونا بأننا السبب في تلك المظاهرة، وبينما نحن في مركز البوليس، والضابط الانجليزي يحقق معنا، فاذا يعبد القادر - وكان مديرا للحزب العربي - يدخل غاضبا الى القسم، ويصب على الضابط سيلا من اللوم والتقريع والاهانة على حجزنا، ويطلبه باخلاء سبيلنا على الفور، والا ساعات العاقبة، وهكذا كان.. فلم يخرج عبدالقادر الابنا، وهنا قال: اذهبوا الى بيتيكم، وسأتي في المساء لزيارتكم والتحدث اليكم، وفي المساء حضر عبدالقادر الى بيتنا كما وعد، وكان عندي فريد العوري وجمع من الشباب ننتظر هذه المقابلة بفارغ الصبر، وهنا وجه الينا الحديث قائلا:

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي ١٩٥٠م

«اخواني ان الامر جد، ان المظاهرات والاحتجاجات لا تغني عن وطننا المههد شيئا، وانه ما لم نعد لهم بما نستطيع من السلاح والعدة، ونوطن النفس على بذل الدماء رخيصة في سبيل وطننا الغالي، فلن نزداد الا وبالاعلى وبال، ولن تكون النتيجة الا ضياع ارضنا وأوطاننا، ونحن نرى ذلك بأعيننا فهل تفهمون ذلك؟»

قلنا: «نعم فهمنا. وها نحن اولاء بين يديك. فمرنا بما تشاء تجدنا اطوع لك من بناتك»
ومنذ ذلك اليوم تلقينا الدرس الاول في الجهاد على يد امام المجاهدين.

اختار عبدالقادر نخبة منا، وكنا نذهب الى بيته، فيأخذ في تدريبنا على صنع المتفجرات وكيفية استعمالها، حتى اتقنا هذا الامر، وكان معظم نسف القطارات والقوافل اليهودية والانجليزية وبعض المنشآت الاستعمارية، والتي تمت فيما بعد، من ثمار هذه المدرسة التي أنشأها عبدالقادر، حيث القى فيها خير الدروس المثمرة، في الصراع الذي وقع بيننا وبين اعدائنا.
وانه لا يفوتني بهذه المناسبة، ان اذكر بالفخر والتمجيد اخي الكريم رفيق الصبا والشباب الغض الاهداب (فريد العوري) الذي انفجر فيه لغم كان يصنعه ففضى عليه، وكان بذلك طليعة الشهداء في كفاح ١٩٣٦م وما بعدها.

وفي رسالة كتبها المجاهد صالح الريماوي الى الدكتور موسى الحسيني يقول:

«ابتدأ اضراب فلسطين العام الشامل في ١٩/٤/١٩٣٦، وما ان مضى على هذا الاضراب قرابة شهر، حتى ترك عبدالقادر زوجته في بيارة بالقرب من غزة - حيث كان يعمل هناك ضابطا كبيرا في دائرة التسوية - بعد ان استقال على اثر الاضراب، ولما حضر الى القدس اتصل بي، وطلب مني ان اخلي بيتي الكائن في باب الساهرة - خلف المتحف الفلسطيني - فأرسلت الوالدة واولاد اخي الى قرية (بيت ريمما) وبقيت انا والمرحوم، واقمنا في البيت حيث اطلعني على اهدافه ومشاريعه، وكان - رحمه الله - شعلة ملتهبة لا تنطفئ، وحركة دائبة لا تقف، ونشاطا متواصلا لا يهدأ، وحدثنى - رحمه الله - عن اتصالاته بجميع القرويين، وانه ما قبل الوظيفة في دائرة التسوية، الا لهذا الغرض، وهو الاتصال بالشباب والاهالي من القرويين واصحاب الاراضي.

اخذ يتصل بالشباب - في القدس والقرى المجاورة - وكانت الاجتماعات تتم في بيتي مرة، وبعضها في مكتب الحزب العربي، الذي كان في (حي المصراة)، وبعد ان اعد كل شيء، ونظم الخلايا، اخذ يبتاع السلاح والذخيرة، وقد جعل بيته في الشيخ جراح مخزنا للأسلحة، وقد حاول ان يظهر البيت كأنه مهجور، ولا يسكنه احد ولما جمع كثيرا من الخرطوش، تبين ان كثيرا منه كان فاسدا وفساده ناتج عن فساد الكبسول والبارود الذي تحته فبدأ - رحمه الله - يصلحه، وعلمني كيف اصلحه، وبدأنا نشتغل ليلا ونهارا، بان نفرغ البارود ونزيل الكبسول الفاسد والذخيرة (البارود) الذي تحته، ونضع بارودا غير فاسد وكبسولا جديدا، ثم نعيد الرصاص، وبعد الانتهاء من اصلاح الكثير طلب حوالي ١٢ شابا منهم:

«احمد علي (ابن مختار العيسوية) وعبدالرحمن علي (من لفتا) وخليل منون من (عين كارم) وجاد الله محمود الخطيب من (صور باهر) وآغا العمري (من بيت صفاقا) والاستاذ سامي الانصاري وفريد العوري واجتمعنا في بيت صديق هو المرحوم (مصطفى الدردار) وفي هذا الاجتماع اعلنا انه سوف يخرج للجهاد، حيث تعاهدنا واقسمنا اليمين على هذا العهد»^(١).

لمس عبدالقادر النقص المالي، الذي يحول بينه وبين اعداد السلاح اللازم لهذا الصراع المقبل، ففكر في طريقة يتغلب بها على هذا النقص، فهداه تفكيره الى جمع الغلال في موسم الحصاد (البيادر) من الفلاحين ثم بيعها، وشراء اسلحة بثمنها، فاتصل بالفلاحين لهذا الغرض فوجد منهم ترحيبا وطلب من المجلس الاسلامي الاعلى وعلى رأسه سماحة المفتي ان يقوم المجلس بهذه العملية، فقام بها، حيث تم لعبد القادر شراء وجمع بعض الاسلحة.

حدثنا المجاهد الكبير (لافي محمد سعادة - ابو جهاد - من ترمسعييا قال:

«كنت اعمل في البوليس البريطاني قبل هبة ١٩٣٦م، ولما علمت ان عبدالقادر بك يريد ان يكون نواة للثورة في منطقة القدس الشريف، تطوعت مسرعا وقمت بتدريب المجاهدين على استخدام السلاح وفن القتال، وذلك بالقرب من دار ابراهيم سعيد (قرب مقر دار الاخوان المسلمين)، وكان يساعدني في التدريب اخي الشهيد (مروح محمد سعادة) الذي استشهد في الشيخ جراح بتاريخ ١٩ ايار ١٩٤٨، حيث اصطدم هو ورفاقه مع اليهود وجرح خلال الاصطدام (بهجت ابو غربية)^(٢)»

(١) من رسالة صالح الريماوي حمص ٢/٣/١٩٦١م

(٢) مقابلة شخصية مع المجاهد في القدس في تموز ١٩٨٣

باكورة اعمال القائد

كانت باكورة الاعمال التي وقعت قبل أيار ١٩٣٦ من الأعمال الفردية، منها^(١):

١ - القاء القنابل على مساكن البريطانيين:

القيت القنبلة الاولى على بيت (سكرتير عام حكومة فلسطين) في باب الساهرة، كما القيت القنبلة الثانية على سيارة المندوب السامي البريطاني، حينما كانت تمر من امام دائرة البرق والبريد في القدس، ولكنها انفجرت خلف السيارة، وحدثت اضرارا خفيفة، الا انها احدثت بلبلة عامة في الرأي العام، وكانت حافزاً ودافعاً قويا للمجاهدين، وتبعها اطلاق عيارات نارية على شركة البوتاس اليهودية، التي كانت تنقل البوتاس من البحر الميت الى القدس.

٢ - اغتيال الميجر (سيكرست) مدير بوليس القدس ومعاونه:

كان الميجر سيكرست مدير بوليس القدس، يسيء معاملة الاهالي العرب، فكثيرا ما كان يقف حاملا هراوة ثقيلة عند مدخل ابواب السور (باب العامود او باب الخليل) وينزل بهراوته ضربا على رؤوس المارة من العرب بعد تفتيشهم تفتيشا دقيقا، غير مبال بما يلحق بهم من اضرار، وبلغ من فظاعته ان وقف يوما من ايام اعياد المسيحيين (وهو يوم سبت النور)، امام كنيسة القيامة، واخذ يضرب جمهور الناس ضربا لا هوادة فيه ولا رحمة، وكان يأمر دورية البوليس ان توقف جميع المارة من العرب بلا تمييز، وتأمروهم التقاط المسامير من شوارع مدينة القدس، التي كان يلقيها بعض طلبة المدارس، لتعطيل سيارات الحكومة عن السير اثناء فترة الاضراب العام، واذا رفض احد الامتثال لأوامر البوليس، فانه يتعرض للضرب والشتم وقد استاء الشعب من هذه الأعمال الوحشية، فهب بعض الشبان من خيرة المثقفين في القدس، وصمموا على الانتقام لكرامة الشعب من هذا الطاغية الجبار، وكنوا له بالقرب من مقبرة باب الاسباط - بجوار دار المتحف الفلسطيني - ولما حضرت سيارته، اطلقوا عليها وابلا من رصاص مسدساتهم، فاخترقتها عدة رصاصات، واصيب هو وحرسه بجراح خطيرة، وانقلبت السيارة في سفح العقبة، وتدهورت حتى استقرت في الوادي وقد تحطمت تماما.

وقد اصيب اثناء الحادث الشهيد (سامي الانصاري) وهو من خيرة شباب القدس المثقفين، - وكان استاذا في الكلية الرشيدية - فكان اول الشهداء في معركة فلسطين الأولى.

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

وقد القى القبض على قاسم الريماوي حينما حاول انقاذ الشهيد سامي الانصاري، ونقله الى المستشفى وادع السجن اما سامي فقد توفي بعد نقله الى المستشفى.

كان لهذا الحادث وقع كبير جدا هز جميع اركان البلاد مما جعل الانجليز يفكرون في العقوبة.

٢ - نسف القطارات:

تمكن عبد القادر من تشكيل فرقة صغيرة تكون من عبد القادر نفسه ومن العبد القيسي وشخص ثالث فكان يصنع المتفجرات وينسف بها هو وعاونه القطارات وخطوط سكة الحديد، التي تربط القدس بيافا، ولما تعددت الحوادث حارت السلطات في امرها، وقلقها هذا الاتجاه الجديد في اعمال المقاومة العربية، التي اخذت تتطور من اجتماعات ومؤتمرات سياسية، ومظاهرات واضراب الى اعمال اغتيال ونسف وتدمير، فراحت تعين بوليسا اضافيا لحراسة سكك الحديد، من اهالي البلاد بلغ عددهم المئات.

٤ - تقطيع اسلاك التليفون واعمدة التلغراف وغيرها.

ولما اتم عبد القادر تنظيم عدد من المجاهدين وتزويدهم بالسلاح والعتاد، اعلن الجهاد المسلح ضد السلطة الانجليزية، ولكي يسبغ على هذا الجهاد صبغة عسكرية نظامية، اتصل بالتائد المعروف المجاهد السوري (سعيد العاص)، وطلب اليه ان يقود الثورة في لواء القدس والجنوب.

كتب المجاهد صالح الريماوي يقول:

«ولما خرج عبد القادر في اواخر شهر حزيران ١٩٣٦م، قاصدا منطقة (دير الشيخ) في الجهة الجنوبية الغربية من القدس، لتعطيل سكة الحديد، وضرب الانجليز القادمين بالقطار من يافا الى القدس، عاد متخفيا، وقصد بيتي وكان وجهه متهللا وصدره منشرجا، وأنبأني انه قد تم الاتفاق مع شيخ الجهاد الشهيد سعيد العاص الذي حضر من عمان، وتسلم قيادة الثورة يساعده عبد القادر، ولما ذهبت مع عبد القادر واخذنا المرحوم (ابا سعاد) الى القرى خارج القدس، طلب مني سعيد بك العاص ان اذهب الى عمان، لاحضر له ما يخصه من الاسلحة والذخائر الموجودة عند بعض الاصدقاء»^(١).

لقد قصد عبد القادر - بالاضافة الى ما ذكرت - ان يقود الثورة رجل لا يحمل اسم (حسيني)، تخوفا من استقلال ذلك من قبل الدعاية اليهودية، ووصف الثورة بانها (ثورة عائلية حسينية)، واظهارا للعالم اجمع بان جميع العرب - لا أهل فلسطين فحسب - معنيون بامر الدفاع عن فلسطين^(٢).

(١) من رسالة صالح الريماوي

(٢) حياة عبد القادر / مخطوط بقلم بعض اصفياؤه

لبي الشهيد سعيد العاص الطلب، وهرع الى ميدان الشرف والجهاد في ارض فلسطين، وهو الذي قاد الثورة السورية ضد الفرنسيين، وابلى فيها بلاء حسنا سنة ١٩٢٥م، حيث استقبله عبدالقادر واخوانه خير استقبال وكان موضع حفاوة وتكريم، وبعد بحث ومداولات قرر عبدالقادر العمل الى جانب القائد سعيد العاص في ثورة علنية، مستيعنا بالله ثم بمعرفة وخبرة سعيد العسكرية الواسعة في حرب العصابات والثورات.

ولكي يشغل عبدالقادر السلطات البريطانية في الداخل، فقد امر بتنفيذ عمليات عسكرية منظمة داخل القدس، لتسهيل مهمة المجاهدين في الخارج، حيث شن هجوم على سيارة باص يهودية رقم (١١) بالقرب من قرية لفتا، واصيب عدد من رجالها، كما اطلقت النار بعد ذلك على عدد من السيارات اليهودية في مختلف انحاء القدس، مما دفع السلطات الى حشد معظم قواتها داخل المدينة، وهي ترتدي الخوذ الفولاذية، وتحمل الاسلحة المختلفة، وقامت باغلاق منافذ الشوارع الموصلة الى الاحياء اليهودية، وعمدت الى حركة اعتقالات بعض الشبان المشبوهين وتعذيبهم، (فالقت القبض على المجاهد عبدالرحمن شحدة، الذي كان يعاون (بهاء الدين الطباع) في تنظيم فرق الكشافة المسلم، حيث نسبت اليه تهمة تدبير تلك الحوادث، تنفيذاً لأوامر عبدالقادر، وقد تعرض المجاهد المذكور الى انواع من التعذيب والتنكيل على ايدي رجال الاستخبارات البريطانية)^(١).

(١) مخطوط المجاهد الدكتور قاسم الريماوي ١٩٥٠م

تدمير معامل الشيد الكلس والحجارة اليهودية

تقع هذه المعامل في الجهة الشرقية من (راس العين) على بعد عشرة كيلومترات من تل ابيب، وهي معامل كبيرة تشغل مساحة واسعة من الاراضي ومزودة باحدث الآلات والماكينات، التي استحضرتها شركة (هاسوليل بونيه) اليهودية من المانيا، ويعمل فيها اكثر من الف عامل يوميا، وهي المعامل الوحيدة التي كانت تمد العمران اليهودي بالحجارة والكلس (الشيد)، وقد اختيرت في اقرب مكان جبلي بحاذي المنطقة الساحلية القريبة من (مجدل صادق) وبلغت نفقات اقامتها ملايين الجنيهات^(١).

ولما عاد الشهيد فايز الريماوي من القدس، بعد اجتماعه مع سعيد العاص وعبد القادر، عقد اجتماعا في منطقة بني زيد، حضره وجهاء وشبان تلك القرى، فقرروا التوجه لتدمير تلك المعامل، التي تبعد حوالي ٣٠ كم عن منطقتهم، وفي مساء ذلك اليوم، توجه حوالي (٥٠٠) شخص، بعضهم يحمل السلاح والبعض الاخر يحمل قليلا من المتفجرات وبعض ادوات الهدم، وبعد ان طوقوا هذه المحاجر والقرى المجاورة لها، لمنع وصول الاخبار الى المراكز اليهودية، جردوا الخفراء من اسلحتهم، واخذوا ينسفون هذه المعامل ويدمرونها ويحرقونها، وكان القائد الشهيد (حسن سلامة) آنذاك عاملا في هذه المحاجر، فاشترك في عملية التدمير، التي استمرت ثلاثة ايام بلياليها، وذلك لنقص الخبراء الفنيين في التدمير، ولاتساع المحاجر وقد كانت قوات المجاهدين تسد جميع المنافذ والطرق المؤدية اليها، وتحرس تلك المنطقة، ولم تتمكن القوات اليهودية وقوات الجيش البريطاني المحلية، من التعرض للمهاجمين، فاستعانت بالجيش البريطاني المرابط في القدس ورام الله فكمنت قوات هذا الجيش الغادر للمجاهدين في طريق عودتهم الى قراهم، بالقرب من قرية (عابود)، واشتبكوا معهم وحصلت معركة حامية دامت حتى الغروب، واستشهد فيها بطلان من خيرة الشبان وهما:

(محمد ياسين الريماوي ومحمد محمود الريماوي) كما اصيب عدد من رجال البوليس والجيش، وقد هبت نجدات المجاهدين للمعركة، الا ان الجيش كان قد انسحب عن طريق اللد، ونقل الشهيدان الى قرية (بيت ريم) حيث شيعت جنازتهما في احتفال مهيب، وقد اصيبت الصناعة اليهودية بذلك اصابة فادحة، وكانت بحق اكبر الخسائر المادية، التي اصابت الشعب اليهودي في تلك السنة. ومنذ ذلك اليوم صارت خطة عبد القادر، هي تدمير مراكز الصناعات اليهودية وتدريب اكبر عدد ممكن من الشبان على اعمال النسف والمتفجرات^(٢).

(١) اعترفت المصادر اليهودية بنجاح العملية . انظر كتاب الهاغناه مجلد ٢ ج٢ ص ٦٤٣ - ٦٤٤ (بن تسيون)

(٢) مخطوط / قاسم الريماوي .

ظهر عبد القادر في هذه العمليات مقاتلا ممتازا، وظهر استعداده الحربي الجريء، فكان مثلا في البسالة وسرعة الحركة، والقدرة على الافلات والتأثير على جنوده تأثيرا يشبه السحر، كان مثلهم.. يعيش كما يعيشون ويلبس مما يلبسون ويأكل مما يأكلون.. يسير في مقدمتهم، دمه قبل دمائهم، لا يستأثر ولا يتكبر ولا يستعلي،، ولا يطالبهم الا بالطاعة وبذل النفس في سبيل الله والوطن.

وفي اجتماع سري طارئ ضم قيادة التنظيم في القدس وعلى رأسها المجاهدان (سعيد وعبد القادر)، ومن حولهما عدد من المجاهدين ومنهم:

(الشيخ عيسى ابو قدوم التعمري، واحمد جابر (ابو الوليد) وابراهيم خليف وعبد الغني حيمور والمهندس علي حسين الحسيني وغيرهم العشرات، بالاضافة الى اعضاء التنظيم السري ومنهم: قاسم الريماوي وعلي محيي الدين الحسيني ومحمود العكرماوي ومحمد علي التايه وعاهد الريماوي وصالح الريماوي وجميل الفارس وفهمي العبدالله ولافي محمد سعادة واخوه مروح وغيرهم.

في اليوم الاول من ايار ١٩٣٦ وفي هذا الاجتماع تم اختيار اسم التنظيم فكان (قيادة جيش الثورة - سوريا الجنوبية) كما فوض المجتمعون وزعماء المجاهدين الى عبد القادر، امر اعلان بدء الثورة في الوقت الذي يراه مناسباً.

(وفي ٦ ايار ١٩٣٦م عقد مجلس قيادة التنظيم السري للثورة، اجتماعا ثانيا، للبحث في الوضع وتنفيذ مقررات الاجتماع السابق حيث قرر عبد القادر اعلان الثورة في اليوم السابع من شهر ايار ١٩٣٦م)^(١).

(١) مجلة تاريخ العرب والعالم - الدكتور العقيد - ياسين سويد

الشرارة الثورية الاولى

وما ان اعلن عبد القادر ورفاقه المجاهدون الثورة ليلة ٧/٦ ايار ١٩٣٦م، حتى التحقوا خفية في الجبال، وكان عبد القادر اول من اطلق النار ايدانا ببدء الثورة، حين هاجم ثكنة عسكرية بريطانية في قرية بيت سوريك - شمال غرب القدس - ثم انتقل بعد ذلك الى منطقة القسطل بينما تحركت خلايا الثورة في كل مكان في (بتير وقلونيا وعين كارم وقطنه والعيسوية وفي القدس نفسها وفي سائر انحاء فلسطين)^(١).

علمت السلطات ان عبد القادر الذي كان يدير مكتب الحزب العربي، هو الرأس المدبر لكل هذه الأعمال فجهزت قوة كبيرة وطوقت دار الحزب في ٢٥ ايار ١٩٣٦، لالقاء القبض عليه (ولما دخلوا دار الحزب، قابلهم عبد القادر من اعلى الدرج فظنوه احد الموظفين، فقالوا له: اين عبد القادر؟ فاجابهم على الفور: انه هنا - واثار الى غرفة في وسط الدار كان يجلس فيها السيد ايوب مسلم، احد رجال الحزب العربي - فاتجهوا مسرعين اليها، اما عبد القادر، فما كاد يفلت من ايديهم حتى دخل الغرفة المجاورة، والقى بنفسه من نافذتها (من الطابق العلوي) الى البستان من الجهة الخلفية، وهكذا تمكن من النجاة)^(٢). ولما لم يجدهوا اقتادوا السيد (رجائي الحسيني الى المسكوبية للتحقيق معه)^(٣).

ورغم المطاردة، فقد راح عبد القادر يوحد جهود الشباب، وينظم المجاهدين، ويشترى لهم السلاح من ماله الخاص، ويتصل باخوانه في القدس وفي سائر انحاء القرى والمدن ليعدهم لليوم الموعود، وكثيرا ما كانت المجاهدة الصابرة (وجيئة الحسيني) زوجة الشهيد - تساعد في نقل الاسلحة سرا، من مكان الى آخر، كما تقوم بتنظيفها وحفظها.

وفي صباح يوم ٢٨ آب ١٩٣٦، وفي بيت الاستاذ صالح الريماوي بحي وادي الجوز، عقد اجتماع حضره القائد سعيد العاص وعبد القادر وفايز الريماوي، ونفر من المجاهدين وبعد ان ادى الجميع الصلاة متضرعين الى الله تعالى، ان يأخذ بيدهم وينصرهم على اعدائهم اعلنوا ان هجرتهم خالصة لوجه الله تعالى، كما اعلنوا عزمهم على ترك مدينة القدس ليعتصموا بجبالها، لا تشردوا ولا بطرا ولكن حبا لله وجهادا في سبيله، ونصرة للدين وذودا عن الوطن، ودفاعا عن الحرمات والاعراض والحريات والمقدسات.

وقد تم الاتفاق على ان يتوجه عبد القادر وسعيد الى القرى المجاورة للقدس، لتنظيم المسلحين فيها، وان يتوجه الشهيد فايز طه الريماوي (الذي شنقته السلطات عام ١٩٣٩م) الى

(١) المرجع نفسه

(٢) مخطوط قاسم الريماوي / حياة عبد القادر

(٣) وذات مرة كان عبد القادر يركب سيارته وبجانبه اميل الغوري فلما اوقفته السلطات البريطانية قال لهم اميل الغوري: إنه سائقني فتركوهما .

بني زيد قضاء رام الله، للدعوة الى الثورة وتدمير معامل الحجارة والشيد اليهودية بالقرب من رأس العين - تل ابيب، وقد زوده عبد القادر ببندقيتين وقليل من العتاد.

انتقل عبد القادر الى قرية العيساوية، ومنها الى قرية بيت عنان / شمال غرب القدس، وراح ينتقل من قرية الى اخرى، وكلما دخل قرية لا يخرج منها الا بعد ان يهب رجالها لشراء الاسلحة، والسير معه في درب الثورة، وكان يحرص على الكتمان في دعوته ولهذا فقد تمكن خلال فترة وجيزة من استنهاض هم القرويين، حيث هب الجميع لنصرته والانضواء تحت لواء قيادته، حتى بلغت قواته المئات في بضعة ايام. اما بالنسبة الى افراد البوليس الاضافي الذين عينتهم الحكومة لحراسة سكة الحديد، فقد كان ينزع اسلحتهم ويفهمهم سوء غفلتهم، ويبين لهم نتائجها الوخيمة، وهكذا استطاع في ايام، من القضاء على هذه القوة الاضافية، التي سخرها الانجليز لخدمة مصالحهم، كما اخذ الشعب ينظر الى هذه المهنة بعين الاحتقار، ولا يتورع في الفتك بمن تحدته نفسه بالاقدام على قبول مثل هذه المهنة.

وبعد ذلك راحت (فصائل قيادة جيش الثورة)، تهاجم القوات الانجليزية وتجمعات اليهود، وقطع طرق المواصلات في البلاد، ونسف السكك الحديدية، التي توصل بين يافا والقدس في عدة مواضع، كما قامت تلك الفصائل بشن الهجمات الجريئة الموفقة، على المعسكرات ومراكز البوليس والدوريات العسكرية والمستعمرات اليهودية، مما اقلق بال السلطة من تطور هذه العمليات التي يتزعمها عبد القادر ورفيق كفاحه سعيد العاص، فراحت تتبع تحركاتهم وتلاحق قواتهم لتطويقها والقضاء عليها من قرية الى قرية ومن جبل الى جبل، كما استدعت المدد من الطائرات والجنود من انجلترا لمساندة اعمالها.

لم يشأ عبد القادر وسعيد الالتقاء بالاعداء باذى ذي بدء، وذلك حتى تستكمل استعداداتهم ويتم تنظيم المسلحين تنظيما عسكريا جيدا، وتقسيمهم الى فصائل ووحدات.

«الا انهط اضطروا الى خوض معركة دفاعية في قرية (القبو) للافلات من الطوق الذي ضربته القوات البريطانية حولهم، وقد نجحوا في تشتيت شمل القوات البريطانية وايقاع الخسائر بين جنودها ولم يصب الا بضعة افراد من المجاهدين بجراح طفيفة^(١).

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر ١٩٥٠م

معركة حوسان - الخضر

بلغت الثورة المباركة أوجها في تموز عام ١٩٣٦م، حين انضم إليها من بقى من رفاق الشهيد عز الدين القسام الذين يلقبون (بالقساميين)، وبلغت انبائها العالم العربي كله، فالتحق المجاهدون العرب افواجا، وخاضوا ضد الاستعمار واليهود معارك متعددة وقاسية في القدس ورام الله والخليل ونابلس ويافا وجنين وبيسان والناصرة وغيرها.

لقد راع الانجليز مما رأوه من قوة شكيمة المجاهدين، واشتداد لهيب الثورة المقدسة، فقرروا القضاء عليها مهما كلفهم الامر، واختاروا المناطق التي كانت مسرحا لعمليات المجاهدين الحربية، عليهم يظفرون بسعيد العاص وبرفيقه عبدالقادر، (فقام الجيش البريطاني في يوم ٤ تشرين اول ١٩٣٦ باعداد قوات كبيرة، مجهزة بكافة المعدات الحربية والطائرات وتضويق المنطقة الواقعة جنوب القدس (منطقة حوسان وجبال قرية الخضر)، ورأى القائد العام سعيد العاص عظم الخطر، فضع بصحبه ان يأكلهم الحديد والنار - وهم فتیان الوطن وعدته - فطلب اليهم ان ينسحبوا ويتولى هو ونفر قليل من اخوانه فتح طريق الانسحاب امامهم فأبى الجميع الا مقابلة الموت مع قائدهم الباسل وحببيهم عبدالقادر.

كتب احد المجاهدين يقول: (١).

(وبعد ان وزعت الذخيرة، امر (عبدالقادر) كل فريق منا باحتلال مرتفع من المرتفعات التي تشرف على الطريق العام، وهنا ارسل قائدنا فريقا آخر لينسف قسما من سكة الحديد التي تربط يافا - القدس، ومن المكان الذي يجاور قرية حوسان فقط، فأذعن الفريق للأمر وذهب وادى مهمته على أحسن وجه ثم قفل راجعا لاحتلال مرتفع عين له.

وبعد مدة مرت قاطرة تحمل جنودا بريطانيين، فتدهورت العربات من جراء ازالة الخط الحديدي، فتأكدوا ان بالقرب من هذا المكان، يكمن المجاهدون فارسلوا في طلب قوة كبيرة لتدرب المجاهدين الموجودين في تلك القرية، وبعد برهة وجيزة حلقت طائرة فوق سماء القرية وراحت ترشد الجيش البريطاني، الذي حضر لمقاومتنا الى اماكننا، ولكن.. كيف الوصول الينا وجميع المرتفعات تحت سيطرتنا، ولم يجد الجيش بدا من عبور الشارع العام الذي يقرب من المرتفعات وانتشروا صاعدين الهضاب سيرا على الاقدام، محاولين الوصول الى تلك المواقع حيث، كنا معتمسين وكامنين، وقد حصل كل هذا ونحن نراهم بعيوننا، ولكن قائدنا امر بعدم اطلاق النار حتى يقتربوا منا كثيرا، وعندما اقتربوا فعلا، فتح عليهم نيران سلاحه، وكان ذلك ايذانا ببدء المعركة فأصلبناهم نارا حامية من جميع المرتفعات، مما دب في قلوبهم الرعب

(١) رسالة مجاهد كريم الى الدكتور موسى الحسيني

والفرز ونشر الفوضى بينهم، فأرسلوا في طلب النجديات التي ساعدتها خمس طائرات حلقت في سماء المعركة، وراحت توجه اليها نيرانها وقنابلها وراحت دباباته تدهمنا، وتوجه اليها قنابل المدافع الجبلية الفتاكة) ، فقاومهم المجاهدون ولما نفذت ذخيرتهم، تقدموا بخناجرهم، واشتبكوا مع الجند بالسلاح الابيض، ولكن الانجليز في النهاية احدقوا بالمجاهدين، (ووجد عبد القادر وسعيد العاص نفسيهما وجها لوجه امام عدد من الجنود البريطانيين لا يفصل بينهم الا واد ضيق لا يكاد يبلغ طوله اربعة امتار، ففي الحاللقى كل من القائدين نفسه وراء صخرة قريبة واخذا يتبادلان النيران مع الجنود (وعددهم خمسة جنود) فسقط الجندي الاول وتبعه الثاني والثالث والرابع وكان كل منهم يصوب بندقيته من فوق الصخرة التي تواجه الصخرة التي يستحكم خلفها سعيد وعبد القادر، ولكن مهارة سعيد في تسديد الرمي، اودت بحياتهم جميعا، الا ان الجندي الخامس كان قد صوب بندقيته وهو منبطح على الارض من اسفل الصخرة - وكان مختفيا تماما - وكان سعيد قد نفذت ذخيرته من مسدسه او كادت فما ان تحرك لتعبئة المسدس حتى اطلق عليه الجندي النار، كما قفز عدد من الجنود من الخلف وطمعوا عبد القادر بحربة في (اليته) فخر القائدان الكبيران مجندين بدمائهما بعد ان قضيا على الجنود اما القائد سعيد العاص فقد اسلم الروح مبتسما لان هذه هي الميته التي كان ينشدها)^(١).

أما عبد القادر فقد وقع بأيدي جنود لا رحمة عندهم ولا شفقة، ولا ضمير، فاخذوا يضربونه بمؤخرة البنادق، ثم انقض عليه احد الجنود ليجهز عليه بحريته، فصاح بهم عبد القادر منذرا متوعدا، فانتهر الجندي احد رفاقه قائلا: ويحك.. كيف تريد قتله وقد رأيت شجاعته وبطولته؟^(٢) وفي هذه اللحظة وصل القائد الانجليزي، فصرخ عبد القادر بالانجليزية وبلهجة قوية قائلا:

(أهكذا تعاملون أسراكم؟)^(٣) فدهش القائد والجنود من معرفة هذا القائد التائر اللغة

الانجليزية وارادوا ان يعرفوا المزيد منه خاصة وانهم كانوا يعتقدون بان الثوار كلهم

(١) من مخطوط المجاهد الدكتور قاسم الريماوي

(٢) مجلة العربي عدد ابريل ١٩٦١ - قدرى قلجعي

(٣) كتب أحد المجاهدين يقول : جرح عبد القادر بك ، فتقدم أحد الجنود وطمعنه بحريته (السنجة) في ظهره ، وهو ملقى على الأرض ، وفي هذه الحالة الرهيبة لم يتنازل عن شجاعته بل كلمهم بلغتهم قائلا : أنا عبد القادر الحسيني ، وأريد أن يكلمني قائد الحملة ، ولما جاء الضابط الانجليزي بادره عبد القادر قائلا : أهذه الجنود درست في مدارس حربية أم جاءوا من وراء الأبقار والأغنام ؟ فرد الضابط : بل درست في مدارس حربية فقال له عبد القادر : هل وجدتم جنديا انجليزيا جريحا مثلت به جنودنا الذين لم يدخل منهم أحد في مدارس حربية الا القليل ؟ فقال له الضابط : لا لم نجد أحدا فقال له عبد القادر : وهل الاجهاز على الجريح قد أمرت به المدارس الحربية قال له : لا فقال عبد القادر : اما كفى انكم مفتصبون لحقوقنا واليوم جئتم بجنود اوحش من البقر ومن الكلاب ، لأن البقر والكلاب اذا تغلبت على خصمها وقع على الأرض ، كفت عنه الأذى ، ولكن جنودكم والله لاوحش من البقر والكلاب « فانبهر القائد من هذا الكلام وأمر جنوده ان يرفقوا به ويعاملوه معاملة حسنة تليق بمقامه .

من (رعاع الخلق)، وانهم لا يحاربون عن عقيدة، او طلبا لحرية او حق بل حبا في سفك الدماء وخدمة لاهداف الاخرين، وانهم مأجورون لعمل ذلك فما كان منهم الا ان حملوا عبد القادر ودمأوه تنزف الى الطريق العام، وهنا حضرت قوة من رجال البوليس الفلسطيني، وعلى رأسهم الضابط (سعيد العزايزة) الذي تعرف على عبد القادر، فأسعفوه ونقلوه الى مستشفى الحكومة بالقدس (حدثني رحمه الله قال: ايقنت انني هالك لا محالة، ولم تطمئن نفسي، حتى حضر رجال البوليس الفلسطيني، فعرفت ان الجنود لن يجرؤوا على قتلي)^(١).

اما بقية الجنود فقد استشهد بعضهم، وتمكن البعض الاخر من النجاة، بعد ان قاوموا مقاومة عنيفة واطبقوا عدة اصابات بين رجال العدو البريطاني.

وما ان تناقلت الانباء خبر استشهاد القائد (سعيد العاص)، واصابة عبد القادر بجراح حتى اكتظت شوارع المدينة وساحة المستشفى الحكومي بالقدس بجموع الاهالي الذين جاءوا لاستطلاع الخبر والتهيب البلاد عن بكرة ابيها لهذه الانباء، فحمل القادرون منهم السلاح استعدادا، كما قامت المظاهرات في مختلف انحاء فلسطين.

اما في الخارج فقد هال الانجليز ووكالات الانباء الخارجية، ان يكون بين الثوار ابن زعيم البلاد وشاب متعلم مثل عبد القادر، وعلقت محطة اذاعة لندن على ذلك قائلة: (٢)

(لقد ثبت ان الثورة الفلسطينية، تضم عددا من الشباب المثقفين، الذين يحاربون ضد بريطانيا عن عقيدة ثابتة، ووعي وادراك فقد وجد عبد القادر الحسيني - وهو ابن اكرم عائلات فلسطين - ومن كبار موظفي الحكومة السابقين، وابن الزعيم الراحل موسى كاظم باشا، وقريب سماحة المفتي الاكبر، من بين هؤلاء الشباب الذين انخرطوا في سلك الثورة).

لقد ادش الجميع إقدام هذا الشاب على مثل هذه التضحية.

كتب المجاهد الدكتور قاسم الريماوي:

(اذكر انني تمكنت من زيارته في غرفة السجن، بمستشفى الحكومة في نفس الليلة التي احضر فيها، فوجدته ملقى على السرير، وبجواره السيد (عبد الله العمري)، وكان معتقلا آنذاك وقد طالت ذقنه حتى زادت عن القبضة، فاخذ يستفسر عن جنوده واصدقائه فطمأنته عليهم وما ان ارخى الليل سدوله، حتى كانت جميع اطراف مدينة القدس ودار المندوب السامي خاصة تعاني الاهوال من رصاص المسلحين، الذي هرعوا اليها من مختلف انحاء البلاد. لقد كانت ليلة ليلاء لم ير الانجليز نظيرا لها قبل ذلك اليوم، وكان الهجوم مركزا على بيت المندوب السامي، فارتفعت اشارات النجدة، وكانت سيارات الاسعاف تغدو وتروح، وصرخات الجنود تسمع من مسافات بعيدة.)^(٣).

(١) من مخطوط المجاهد قاسم الريماوي

(٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر

(٣) المرجع السابق.

سيق عبد القادر تحت حراسة مشددة الى مستشفى الحكومة بالقدس (كما ذكرنا)، ومكث فيه فترة من الزمن تحت الحراسة والعلاج، وكانت السلطات البريطانية تنتظر شفائه كي تقدمه للمحاكمة، ولكن ذلك لم يتسن لهم فعندما تحسنت صحته، كفله السيد (محيي الدين الحسيني) واخرجه من السجن شريطة ان يقدمه الى المحكمة يوم ١٢/١٢/١٩٣٦م، وقبل المحاكمة بيوم واحد اي ١١/١٢/١٩٣٦م استطاع السيد (سليمان الراغب الحسيني) ان يبعده خارج البلاد بالتعاون مع السائق (خليل الدلو) واتجه الى العراق مارا ببيروت ودمشق.

وحول قضية المحاكمة كتبت احدي الجرائد تقول:

(كان اليوم (١٢/١٢/١٩٣٦) موعد النظر في قضية الاستاذ السيد عبد القادر الحسيني، ففي الساعة الثانية بعد الظهر، تألفت المحكمة المركزية برئاسة المستر (كوبلاند) ونودي على الاستاذ الحسيني، فلم يكن حاضرا، فقضت المحكمة بتفريم كفلائه قيمة الكفالة البالغة (٢٥٠) جنيها، واصدرت بحقه مذكرة احضار والذي فهمته ان الاستاذ الحسيني لم يبلغ بموعد الجلسة بالذات، كما ان محاميه الاستاذ (هنري افندي كتن) لم يبلغ مواعدها، الا في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة عشرة، من بعد ظهر اليوم بواسطة التليفون فاسرع الى قاعة المحكمة ولكن الحكم كان قد صدر ولذا سيقابل غدا رئيس المحكمة للبحث معه بشأن القضية).

كانت هذه المعركة هي التواجه الاول للسافر، بين المجاهدين العرب والاستعمار البريطاني، ولولا عدد القوات الانجليزية وعدتها لما استطاعت قهر فصائل الثورة، ورغم هذا فقد سرت اخبار هذه المعركة الشهيرة واستشهاد البطل القائد سعيد العاص، وبطولة عبد القادر في البلاد سريان النار في الهشيم فاشتدت نغمة العرب، وازداد شعورهم تهيجا، وصمموا على الاستمرار في الاضراب والثورة فايقنت بريطانيا ان اهل فلسطين مستميتون في الدفاع عن بلادهم وانه لا يمكن ان تقضي على الثورة الا بالقضاء على الشعب الفلسطيني برمته، خاصة بعد ان دوت اخبار المعارك في بلاد العرب، وكان لها رد فعل قوي، حمل الالوف من اهلها على نجدة فلسطين، والموت في سبيل نصرتها.

خشيت بريطانيا ان تتطور ثورة فلسطين الى قيام ثورات اخرى في مناطق الشرق الاوسط، يكون من شأنها اصابة الامبراطورية بجراح قاتلة، فلجأت الى مناوراتها، ودعت العرب الى وضع السلاح والدخول في مفاوضات لحل القضية ولم تنطل حيلها على شعب فلسطين، فاتصلت بملوك العرب وامرائهم وطلبت اليهم التدخل لاقتناع اهل فلسطين بوقف الثورة، وفك الاضراب، متعهدة لهم بانصاف عرب فلسطين وضمان حقوقهم.

وفعلا . كما ذكرنا - توقفت الثورة وفك الاضراب صباح يوم الاثنين الموافق ١٢ تشرين اول ١٩٣٦ بعد ان استمر ستة اشهر كاملة وبعد ان استمرت الثورة خمسة اشهر واسبوعا واحدا.

عبدالقادر في المانيا

ولما وجد عبدالقادر ان الوضع لا يؤمن له بالبقاء السري، وان الثورة قد اجهضت، رأى ان يتجه الى المانيا (عدوة بريطانيا)، وان يمكث فيها قرابة ستة اشهر.

وصل القائد الى المانيا، وهناك استقبله بعض المناضلين الفلسطينيين والعراقيين وبعض الالمان، ثم راح يتخصص ويدرس فن تعبئة المتفجرات واعدادها وتجهيزها وتوضيبيها وتوقيت تفجيرها.

لقد اضاف عبدالقادر الى مهارته العسكرية فنا حساسا في صراعه مع دولة الانتداب واليهود، وما ان اتم الدورة بنجاح تام، عاد الى دمشق في اواخر حزيران ١٩٣٦م، وهناك التقى بالمجاهدين الفلسطينيين وعقد معهم دورة ليعلمهم ما اتقنه في المانيا وراح يستأنف مساعيه وجهوده للاعداد لخوض المعركة المقبلة، فراح يشتري الاسلحة ويدرب رفاقه عليها، لأنه كان مؤمنا بان الانجليز لن يحفظوا وعدا ولن يحترموا عهدا، وانهم مصممون على اقامة الدولة اليهودية وان السبيل الوحيد لايقافهم عن سياستهم هو استمرار الثورة.

الا ان الموقف السياسي في فلسطين قد بدأ بالغيان بعد صدور اقتراح التقسيم الذي اقرته لجنة بيل الملكية، بتاريخ ١٩٣٧/٧/٦ وقبلت به بريطانيا رسميا وراحت تسعى لوضع القرار موضع التنفيذ.

ففي حزيران داهمت قواتها دار اللجنة العربية العليا، لاعتقال المفتي واعضاء اللجنة، بعد ان تأكدوا من موقفهم الصلب، ورفضهم مشروع التقسيم الاول، حيث قرروا الثورة واستعدوا لمقاومة السلطة بالقوة، وقد بدأت هذه المقاومة باغتيال المستر اندروز (حاكم الجليل) في ٢٧ ايلول ١٩٣٧، كما اسلفنا، واندلع لهيب الثورة من جديد وهرع المجاهدون الى سلاحهم وتطورت المقاومة الى حرب عصابات منظمة كان يقودها عدد من القادة الابطال ومنهم: (عبدالرحيم الحاج محمد وعارف عبدالرزاق) وغيرهم..

وانتظرت القدس قدوم قائدها لتسير تحت لوائه وما هي الا ايام حتى تسلل القائد الى فلسطين خلسة رغم يقظة الحراس والبوليس.

وصل عبدالقادر الى جبال القدس في خريف ١٩٣٧م، وما ان سرى خبر قدومه حتى هرع اليه رؤساء الفصائل والمسلحون، وقابلوه في قرية (ابوديس)، ومنها انتقل هو واعوانه الى عرب العبيدية وعرب السواحة، - وكان يقود فصيل العبيدية المجاهد عبدالغني حيمور (ابوهاجر) -، كما كان يقود عرب السواحة المجاهد (محمد ابو دهيم) وعرب التعامرة الشيخ الشهيد

(عيسى ابو قدوم التعمري)، كما يقود فصيل صور باهر المجاهد (جاد الله الخطيب) وهو احد مرافقي القائد الذين كان يعتمد عليهم كثيرا.

ومن عرب التعامرة انتقل الى قرى العرقوب، حيث كان يقود مجاهدي هذه المنطقة الشهيد احمد جابر (ابو الوليد)، وكان نائب عبدالقادر في هذه المنطقة.

وفي ٣١ تشرين اول ١٩٣٧ عقد اجتماع في قرية (علاز) حضره جميع رؤساء الفصائل وعدد كبير من مسلحي عين كارم وبيت اكسا وقد بلغ عدد المسلحين حوالي (٥٠٠) مسلح ومنها انسحب الى بيت عطاب حيث اصبحت عين كارم مركزا لعملياتها.

(وقد كان عبدالقادر - رحمه الله - لا ينتقل من مكان الى آخر الا ويحمل معه اكله واكل جنوده، وكان يستعمل بغلة للنقل وكانت عنده بغلة كبيرة من اصل فرنسي، وكان المجاهدون يطلقون عليها اسم (الدبابة)، اذ كانت تحمل المؤنة والذخيرة والجرحي وكانت قد تطبعت على اعمال الحرب، واذا افلتت لا يستطيع احد مسكها، الا اذا كان من المجاهدين الذين تعرف اصواتهم، واذا اغارت الطائرات كانت تختفي في مكان أمين، وتنبطح على الارض)^(١).

راح عبدالقادر ينظم الفصائل والمسلحين، الذين التفوا حوله من كل حذب وصوب، حيث اوجد في لواء القدس عددا من الفصائل تضم الرجال المسلحين، اما في منطقة الخليل فكان القائد عبدالحليم الجولاني الملقب بالشلف يشرف على شؤون الجهاد والثورة، كما كان القائد الكبير ابراهيم أبودية يشرف على قطاع صوريث اما في منطقة رام الله فقد تولى قيادة المجاهدين (محمد عمر النوباني والشيخ عبدالفتاح وابو سفيان وراضي الريماوي وسعيد البيتوني وابو قطيش وفايز الريماوي واحمد العيساوي) وكان كل منهم يتولى منطقة تشمل عددا من القرى^(٢).

اما عبدالقادر فقد كان يحتفظ لنفسه بقيادة فرقة خاصة، تعتبر بمثابة قوة ضاربة لمهاجمة الانجليز بالاضافة الى اشرافه على تنظيم الفصائل، كما اقام فرقة خاصة اخرى في مدينة القدس لاغتيال البريطانيين.

وبعد ان اتم تنظيم الفصائل عين لكل فصيل هدفه وخطته، ومن هذه الاهداف:

١ - مهاجمة المعسكرات البريطانية ٢ - مهاجمة المستعمرات اليهودية. ٣ - حرب القوافل.

هذا وقد ابلى رجاله بلاء حسنا في مقاومة الانجليز واليهود وتمكنوا من تدمير القلاع البريطانية، التي كان يستغلها الانجليز لحكم البلاد بالقوة ومنها:

(١) من مخطوط المجاهد الدكتور قاسم الريماوي

(٢) المرجع السابق.

- ١ - مركز بوليس النبي صالح - في منطقة بني زيد قضاء رام الله
- ٢ - مركز بوليس عيون الحرامية - في منطقة بني مرة قضاء رام الله
- ٣ - مركز بوليس ابو غوش - غرب القدس
- ٤ - مركز بوليس بئر السبع واريحا، ومركز بوليس البلدة القديمة بالقدس.

وقد غنم الثوار عددا من الذخائر والخيول من هذه المراكز التي كانت بمثابة قلاع للسلطات المنتشرة في البلاد وكان عدد حامية كل مركز لا يقل عن (٢٠) رجلا مسلحا، معظمهم من البريطانيين.

اتخذ عبد القادر - كما ذكرنا - قرية عين كارم مركزا لعملياته، وتقع هذه القرية على بعد بضعة كيلومترات غرب القدس «ففي ليلة ١١ شوال من سنة ١٩٣٧م، اعد (عبد القادر) خطة كاملة لمهاجمة الجيش البريطاني، والمستعمرات اليهودية، وقطع طرق المواصلات، فارسل فصيلا للهجوم على معسكرات الجيش البريطاني في مستعمرة (بيت هاكيرم) في ضواحي القدس، وكان الفصيل بقيادة الشهيد (اشخامة)، كما ارسل فصيلا آخر بقيادة (عيسى الحمزة) الى قرية القسطل لضرب المعسكر الانجليزي فيها، كما رابط فصيل صور باهر بقيادة (جاد الله الخطيب)، لضرب قوافل الجيش التي تمر في طريق بيت لحم - القدس، كما رابطت فصائل اخرى بقيادة الشهيد احمد جابر (ابو الوليد) على طريق الخليل - القدس لنفس الغرض، كما رابطت فصائل اخرى بالقرب من (واد البلاط) بقيادة الشيخ عبدالفتاح المزرعاوي ومحمد عمر النوباني، لضرب قوافل الجيش التي ستمر من القدس الى نابلس، وقد بدأت هذه العمليات في تمام الساعة الثانية عشرة من صباح اليوم التالي، اما عبد القادر فقد قاد فرقته الضاربة، وكان يرافقه السيد صبحي ابو غربية وحسين جاد الله، وعدد من خيرة المسلحين الى مرتفعات الولجة، حيث كانت قوات الجيش البريطاني قد قدمت اليها لتطويق المجاهدين، فرسم خطة تامة للهجوم على هذا الجيش، فلما شاهد الجيش البريطاني طلّاع المجاهدين تزحف نحوه هرب من منطقة الولجة، وقفل راجعا الى القدس، ولكن الطلائع اصلته نارا حامية، وأوقعت به خسائر فادحة وعطلت سيارتين من سيارات الجيش فاحرقها المجاهدون بعد ان استولوا على ما فيها من عتاد واسلحة.

ثم توجه عبد القادر الى قرية المالحه حيث ارسل حظيرتين من فرقته لمهاجمة مستعمرتي (بيت هاكيرم وبيت فيجان)، وذلك لاستدراج الجيش، ولايقاع الذعر بين اليهود وبالفعل حضرت قوات الجيش البريطاني لنجدة اليهود كالمعتاد، الا انها وقعت في الكمين الذي نصبه المجاهدون ونشبت معركة حامية دامت اكثر من اربع ساعات واصيب عدد من افراد الجيش، وتم القضاء على معظم افراد البوليس وحراس المستعمرتين، ثم انسحب المجاهدون الى قرية المالحه ومنها الى بتير دون ان تقع بينهم خسائر تذكر^(١).

(١) من مخطوط المجاهد الدكتور قاسم الريماوي

معركة عرتوف الكبرى

عرتوف قرية صغيرة تقع على طريق سكة الحديد الموصلة بين القدس ويافا، وهي محاطة بمرتفعات وأودية عميقة، وقد وقعت فيها معركتها الشهيرة.

وقعت هذه المعركة يوم الخميس ١٤/١٠/١٩٣٧م، حيث وردت الى عبد القادر وهو في بئر اخبار تفيد ان الجيش البريطاني قد قدم الى عرتوف، وفي الحال جمع قواته وكانت تبلغ حوالي (٣٠٠) مقاتل، ثم وزعها على سفح الجبل الموصل من بئر الى عرتوف، على مسافة ثلاثة كيلو مترات (١٠) امتار بين كل مقاتل ومقاتل، ثم نصب كمينا في مؤخرة خط القتال، وامر المسلحين الذين في المقدمة الا يطلقوا النار حتى تمر القافلة بأكملها، وحالما تبلغ مؤخرة الكمين، يتقدم المجاهدون لتفجير الالغام تحت السيارات الأولى ومن ثم يأخذ المجاهدون باطلاق النار على جنود القافلة، وما ان بلغت الساعة الرابعة مساء، حتى وصلت القافلة في طريقها الى القدس، وكان عددها يزيد عن ٨٠ سيارة وما ان توغلت القافلة حتى تطايرت السيارة الاولى في الفضاء وتبعتها الثانية والثالثة فارتبكت باقي السيارات وحاول بعضها الرجوع بسرعة فانقلبت وسدت الطريق اما الجنود فقد حاولوا الانتشار على جانبي الطريق، الا ان المجاهدين المرابطين اصلوهم وابلا من الرصاص، ثم انقضوا على القافلة يعملون فيها فتكا وتدميرا، وما ان بلغت استغايات رجال القافلة الى مقر قيادة الجيش حتى كادت الشمس ان تغرب فحضرت اسراب الطائرات لتلقي بقذائفها ولكنها لم تجد سوى بقايا سيارات القافلة وجثث الجنود، بينما انسحب المجاهدون بعد ان نفذت الذخيرة تماما من المجاهدين الا قليلا احتفظ بها حرس عبد القادر الخاص، بعد ان فقدوا ثلاثة شهداء منهم الشهيد علي حسن من عين كارم، كما اصيب خمسة منهم بجراح.

«بينما كان عبد القادر يصوب بندقيته نحو الاعداء اذ جاءت قنبلة مدفع جبلي عليه فاطارت قسما من سترته، وقسما من قميصه وانفجرت على بعد ٢٠ مترا منه فأصابته مجاهدا من شرفات في رجله وكان ضغطها قويا حتى انه رفع عبد القادر حوالي مترين في الفضاء القاه بعيدا عن مكان استحكامه ولكنه لم يصب بأذى وبقي القرآن الكريم الذي يحمله في جيب سترته الاخرى على حاله هكذا نجا القائد باعجوبة من موت محقق»^(١).

اما عبد القادر وحرسه، فقد عادوا الى عين كارم، وكان عددهم لا يزيد عن (١٢) مجاهدا ومنهم: صبحي ابو غربية وجاد الله الخطيب وحسين جاد الله وعبدالله سمرين وعلي العكرماوي وغيرهم، حيث التجأوا الى بيت امرأة مسيحية تدعى (صوفيا) لئلا يشعر احد

(١) من مخطوط المجاهد قاسم الريماوي

بوجودهم^(١) وقد عم البلاد خبر هذا الانتصار، فسر الاهلون اما القيادة البريطانية فقد ساءتها النتيجة وصممت على الانتقام.

كتب المجاهد الدكتور قاسم الريماوي^(٢):

«وقد اوجس البعض خيفة على عبد القادر، وبينما - نحن بين الشك واليقين، اذ بالمهندس الشاب (ابو الحسن) علي حسين الحسيني، يدخل علينا، وكنا في بيت ابن العم الاستاذ صالح الريماوي، الذي كان يعمل مراقبا لأعمال المجاهدين في القدس، وكان يرتدي سترة من الجلد، ويحمل في يده بوصلة صغيرة، فتهافتنا عليه نستطلع له الخبر، فروى لنا كل التفاصيل واخبار النصر العام، وفي الحال طبع البلاغ الحربي عن المعركة، وما ان اصبحت القدس حتى كانت جميع الجدران والابواب تحمل انباء المعركة، موقعة من القائد العام (ابو منصور) كما اصبح يلقب بأبي موسى بعد ولادة ابنه الكبير (موسى).

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) المرجع نفسه .

الجنرال وايفل يتولى عمليات تطويق عبدالقادر ورجاله

أقلق بال السلطات ما آلت اليه الحالة في فلسطين، وادهشتها نتيجة المعركة الاخيرة في عرتوف، وكانت قد استقدمت الجنرال وايفل (من اركان حرب الامبراطورية البريطانية) الى فلسطين لقمع الثورة، فكانت معركة عرتوف التحية التي قدمها اليه عبد القادر، الذي اختلفى هو ورجاله في عين كارم، اما الجيش فيظهر انه علم بمكان وجود عبدالقادر، فقام بحركة تطويق كبيرة شملت جميع جبال منطقة القدس مبتدئة من بيت محسير غربا وبمحاذاة باب الواد، حتى مدينة القدس على بعد ٣٠ كيلومترا.

كما امتد الطرف الآخر من الطوق، من القدس الى بيت لحم مارا بالخضر وحوسان ورأس ابوعمار الى عرتوف على طول ٣٠ كم ايضا. وهكذا كان الطوق بمثابة مثلث رأسه مدينة القدس، وذراعه الاول يمتد غربا الى بيت محسير والثاني الى عرتوف جنوبا.

كما اشترك في هذه العملية جميع قوات الجيش، التي كان يشرف عليها الجنرال وايفل نفسه، بالإضافة الى اركان حربه، كما اشترك في التطويق عدد من اسراب الطائرات قدرت بخمس عشرة طائرة، وقدر عدد هذه القوات بعشرين الفا^(١) وقد استمرت عملية التطويق اربعة ايام بلياليها، وكانت تهدف الى الخلاص من عبدالقادر ورفاقه، والانتقام من القرى، بقتل الابرياء بادعاء انهم حاولوا الفرار، واعتقال جميع الشبان المشبوهين وتفتيش جميع البيوت.

أخذ الجنود يتقدمون مقتحمين الجبال والوديان والقرى، حيث تجمع كل الاشخاص الذين تقابلهم حتى يجرى تشخيصهم بواسطة بعض الجواسيس، الذين كانوا يرافقون الجيش في سيارات مغطاة، لئلا يتعرف عليهم احد.

كتب الدكتور قاسم الريماوي يقول:

(وبعد ان وصلت عبدالقادر اخبار التطويق من رجال استخباراته، التي كانت على اتصال دائم مع قيادة الجيش بطريقة سرية، وهناك جمع عبدالقادر حرسه، وانتقل من عين كارم الى قرية (الجورة). وقال:

«يمكننا ان ننسحب بين اشجار الزيتون، ونسير في اتجاه الغرب، من قرية الجورة، لان خطة الجيش هي ان تسير ذراعي المثلث من الغرب الى الجنوب، ومن الجنوب الى الشمال، لتلتقي في نقطة تقع الى الجهة الشمالية من الجورة، فلو سرنا في خط مستقيم من الجورة الى الغرب، لتمكنا من الافلات من الطوق قبل وصولهم الينا، وما كاد يتم كلامه، حتى كانت بعض

(١) المرجع نفسه .

الطائرات تحلق في الجهة الشمالية من الجورة، وكان الجنود يتقدمون نحو القرية، بحيث اصبحوا على بعد خمسين مترا، منها، وكان ذلك قبل شروق الشمس بساعة واحدة، وبعد ان اخفى عبد القادر الاوراق والحقيبة، في مكان سري اخذ ثلاثة من حرسه وسار في نفس الاتجاه. ويضيف الدكتور قاسم الريماوي قائلاً:

حدثني المجاهد حسين جاد الله - وكان من بين حرس القائد - قال:

«لقد تمكنت بعد انسحاب ابي موسى، ان اغير ملاسي واخفى في بستان المباشرة الانجليزية (مس كيري)، ولما حضر الجيش وسألني قلت: انني عامل في هذا البستان، وشهد لي الخادم الموجود هناك واخذت اشتغل في البستان، اما بقية الحرس ومنهم (عبدالله سمرين) فقد اعتقلهم الجيش، وبعد شروق الشمس بساعة واحدة، حضر قائد الجيش ويدعى الجنرال (وايفل) ومعه فرقة المدفعية الثقيلة، فصعد الجنرال على سطح الدير الذي تسكنه المباشرة المذكورة، والذي يقع على قمة جبل مقدس يدعى (جبل الرب)، وهو اعلى جبل في تلك المنطقة، ويطل على جميع المناطق حوله، وقد اقيمت للجنرال وايفل مظلة كبيرة على السطح، فجلس وببده منظار كبير اخذ يراقب منه حركة التطويق، والتفاف حركة الجيش في الجبال المحيطة، وكان قادة السرايا والحظائر يتبادلون الاشارات بالأعلام واللأسلكي، وكان هو يتصل بهم بواسطة جهاز لاسلكي، وكان الجنود يجمعون الاهالي وينقلونهم الى شرفة عين كارم لتشخيصهم).

اما عبد القادر فما ان شعر بدنو الجنود، حتى اشهر سلاحه، وسار خلفه حرسه حاملين السلاح على اهبة الاستعداد للقاء الموت ان كان لا مفر من الاصطدام وساروا وسط اشجار الزيتون والاحراش في اتجاه الغرب، وكان الجنود يتبعونه علما بانهم لم يتحققوا بعد من شخصيته، حتى وصل الى خربة تدعى (بيت سقاية) وهي خالية من السكان، فخرج عليها، وكانت الشمس قد غربت، اما تطويق الجيش فلم يصل الى تلك الخربة.

وبعد ان استراح قليلا في تلك الخربة، انتقل الى (وادي اسماعيل)، وما كاد يغادر الخربة حتى كانت قوات الجيش قد دخلتها، اما وادي اسماعيل فلم تكن الاشجار فيه كثيفة، والرؤيا متيسرة ولا تبعد سوى ٣٠٠ متر عن الخربة المذكورة، «وقد حدثت معجزة اذهلت الجميع، فما كاد عبد القادر يبلغ الوادي والجيش يطل عليه، حتى انتشر ضباب كثيف جدا غطى المجاهدين والجيش بحيث اصبحت الرؤيا متعذرة فانسحب المجاهدون وسط الضباب حتى وصلوا الى منطقة تكثر فيها الاحراش فجلسوا فيها والضباب يغطيهم.

اما الجيش فقد اجتاز الوادي كما اجتاز المنطقة بأكملها ولم يعثر على احد.

راح عبد القادر ورجاله يأكلون من ثمر شجر العناب والبلوط والاعشاب بعد ان اضر بهم

الجوع لانه مضى عليهم يومان وليلتان لم يتناولوا فيها الطعام فقويت عزيمتهم لما رأوا ان القدرة الالهية تكلؤهم وردد عبد القادر قوله صلعم (لا تخافوا ان الله معنا)^(١).

وبعد فشل عملية التطويق هذه التي استمرت اربعة ايام بليلاتها، قرر عبد القادر الانتقال من قضاء القدس الى قضاء رام الله، فوصل الى قرية (بيت عنان) ومنها الى (صفا)، «حيث اجتمع مع زميله القائد (حسن سلامة)، وتبادل القائدان الهدايا، فقدم عبد القادر لحسن سلامة بندقية صواري (عثمالية مصدفة)، ومنظار القائد الانجليزي الذي قتله المجاهدون في معركة (عرتوف)، كما قدم له حسن سلامة فرسا كان قد غنمها من الكولونيل الانجليزي الذي كان يقود الجيش في منطقة اللد، وعاد عبد القادر الى قرية بيت عنان، حيث قضى ليلته فيها اما قوات الجيش البريطاني المتواجدة في منطقة رام الله (في خربثا بالقرب من بيت عنان) فقد انسحبت من رام الله، بعد ان علمت بوجود عبد القادر في تلك المنطقة)^(٢).

وهكذا خاض عبد القادر ورفاقه عدة معارك دامية مع الجيش البريطاني، وكان بعضها يستمر عدة ايام ونذكر من تلك المعارك:

(المالحة والقسطل وقالونيا وعين كارم وعرتوف وبتير والولجة وصفا وبيت حنينا والنبي صموئيل وقطنة والنيفي يعقوب وسنجل وعيون الحرامية)، غير حوادث القوافل ونسف السكك الحديدية وقلب القطارات ومهاجمة المستعمرات اليهودية وتكنات الجيش ومراكز البوليس^(٣).

كانت الثورة قد اندلعت في معظم انحاء فلسطين (كما ان الثوار العرب لم يقفوا مكتوفي الايدي ازاء تلك المستوطنات ومن بين اهم العمليات التي قاموا بها الهجوم على (تيرات تسفي) في غوربيسان، حيث قامت مجموعة من الثوار بقيادة الشيخ (عطية) يوم ٢٨ شباط ١٩٢٨ بمهاجمة تلك المستوطنة، وتمكنوا خلال ساعة ونصف ساعة من القتال الليلي من احداث ثغرة في السور، وتدمير الكشاف المثل من فوق البرج، وقد وصفت المصادر الاسرائيلية بداية العملية بقولها: «لقد تمكن العرب من الوصول الى حفرة قريبة من الموقع، دون ان يشعر بهم احد، وحينذاك شاهد احد الحراس حركة مشبوهة بالقرب من الموقع، وسألوا من هناك؟ وطمأنهم احد افراد العصا بـكلمات عبرية.. وقد استنجدت المستوطنة نتيجة ضغط الهجوم، بالمستوطنات القريبة وبمحطة الشرطة، الامر الذي ادى الى فشل الهجوم، ومن الجدير بالذكر ان (الجنرال وايغل) قائد الجيش البريطاني في فلسطين هنا (موشى شرتوك) بنجاح العملية (عملية الدفاع عن (تيرات تسفي))، كما ان المندوب السامي بعث ببرقية تهنئة بهذه المناسبة الى الوكالة اليهودية^(٤).

(١ + ٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) حياة عبد القادر - مخطوط / نخبة من أصفياه

(٤) كتاب الهاغناه مجلد ٢ ج١ ص ٨٦٩

وعند فجر ١٠/١٠/١٩٣٨، قاد المجاهد (عبدالرحال) مجموعة من ٢٥ عنصرًا، وهاجم مستوطنة معوز في منطقة بيسان، حيث جرت هناك معركة عنيفة اوشكت خلالها مستوطنة (سور وبرج) على السقوط، مما دفع حراسها لطلب النجدة من قوات الحدود البريطانية، وبالفعل تقدمت قوات من سلاح الحدود مدعومة بطائرة، وقد نتج عنها استشهاد القائد (عبدالرحال)، وكذلك اصيب الضابط الامريكي (قائد مجموعة سلاح الحدود) بجراح وتعترف المصادر الاسرائيلية بتراجع قوات سلاح الحدود، بعد اصابة القائد، نتيجة ضغط هجوم الثوار العرب، وقد جرت عمليات اخرى في تلك المنطقة، سقط في احداها (حاييم شطورمان) احد قادة اليشوف اليهودي في شمال فلسطين^(١)

وقبل بروز مستوطنة (حنيتا) على شكل مستعمرة سوروبرج في الجليل الأعلى، قام الثوار بمباغنة المستوطنين بهجوم قوي ومنظم، وصفته المراجع الصهيونية بالقول: (ان الهجوم اتسم بالجرأة وبمقدرة استراتيجية، فقد قدم يوم انشاء المستوطنة حوالي ٤٠٠ مستوطن، ومن بينهم ١١٠ من الحراس وافراد من الكتائب الميدانية، الذين جرى تجميعهم من جميع ارجاء اليشوف في فلسطين، وقاد هؤلاء (اسحق ساديه) يساعده ضابطان شابان هما (موشى دايان ويغئال الون)، تدعمهم طائرتان صغيرتان، وعند حلول الظلام، وخلال فترة تبادل الحراسة في المواقع التي اقيمت حال وصول المستوطنين، فوجيء المستوطنون بهجوم يقوم به الثوار، بواسطة ثلاث مجموعات تمكنت احداها من احتلال الموقع، ودارت معركة عنيفة بين الطرفين اسفرت عن اصابة عدد كبير من المستوطنين، وقتل قائدين هما (يعقوب بارغر ويهودا برنز)^(٢).

(ومن الجدير بالذكر ان الثوار العرب هاجموا في الليلة الاولى لمجيء المستوطنين الى مستوطنة (حانيتا) شمال فلسطين قرب الحدود اللبنانية، حيث احاط بهم حوالي مائتي مجاهد، والحقوا الخسائر في الممتلكات بين صفوف المستوطنين، كما قاموا بعد ذلك بمهاجمة رجال المستوطنة، وقتلوا خمسة منهم، ويبدو ان تحفظ رجال الانتداب من اقامة تلك المستوطنة، ناجم قبل كل شيء عن حسابات تتعلق بالجبهة العسكرية، التي يتوجب على سلطات الانتداب بذلها لتوفير الحماية للمستوطنة، بعد قيامها وسط منطقة عربية جبلية يتحصن بها الثوار العرب)^(٣).

كما حدث صدام آخر في غور بيسان، عندما صحا قائد سلاح الحدود الكولونيل (كريستل) من نومه صبيحة ٢٥ تشرين ثان ١٩٣٨ ليجد مستوطنتين قد برزتا على الارض هناك، هما: (كفار روبين ونفيه ايتان) بدون إذن من السلطات، فتوجه برفقة ثلاثة من الضباط العرب واحتج الضابط البريطاني على اقامة المستوطنتين بدون إذن، وهدد باتخاذ الاجراءات اللازمة لازالتهم، بيد ان التقاء المصالح العليا بين التجمع الاستيطاني والاستعمار البريطاني

(١) نفس المرجع ص ٨٦٩ - ٨٧٠

(٢) كتاب الهاغناه ص ٨٧٢ - ٨٧٥

(٣) كتاب الهاغناه ص ٨٥٦ - ٨٥٧

اقوى بكثير من ارادة الكولونيل البريطاني، الذي وجد شرفه قد خدش في غور بيسان، فقد تدخلت الوكالة اليهودية وكفت السلطات عن عرقلة الاستيطان هناك^(١).

ورغم المكاسب التي حققتها الهاغاناه ما بين سنة ١٩٣٦-١٩٣٩م، من استمرار الاستيطان اليهودي وتوغله في مناطق سهول شرق بيسان وشرق بحيرة طبريا، والجليل الغربي وشمال سهل الحولة (فقد قدرت الخسائر اليهودية منذ بداية الاحداث عام ١٩٣٦-١٩٣٩م بحوالي (٥٢٠) قتيلًا بالاضافة الى (٢٥٠٠) جريح^(٢)).

وقد اعترفت المصادر الصهيونية بهذه الخسائر فكانت ما بين ١٩٣٧-١٩٣٩ كالتالي:

- ١ - من منتصف تشرين اول ١٩٣٧ حتى منتصف حزيران ١٩٣٨م قتل في تلك الفترة (٥٧) يهوديا وسقط في القدس وحدها (٢٤) يهوديا.
- ٢ - من منتصف حزيران ١٩٣٨ الى نهاية تشرين اول ١٩٣٨، وكانت تلك الاحداث قد وصلت الى اوجها في تلك الأشهر، فقد قتل (٢٢٣) يهوديا، حيث اشتدت الاحداث والهجمات في كل مكان، وخاصة في منطقة حيفا، حتى وصل عدد القتلى (٤١) قتيلًا.
- ٣ - من تشرين ثان ١٩٣٨ حتى نهاية نيسان ١٩٣٩م سقط خلالها (١٠٤) من اليهود.
- ٤ - من الرابع من أيار ١٩٣٩ حتى نهاية ايلول ١٩٣٩ قتل خلالها (٣١) يهوديا^(٣).

اجراءات السلطة:

هب الانجليز للقضاء على الثورة في كافة انحاء فلسطين، ولجأوا في سبيل ذلك الى اشد اعمال البطش، بحيث اضطرت السلطة الانتدابية الى استخدام الطائرات والدبابات ومختلف انواع الاسلحة لقمعها، وسلطوا جام غضبهم على المدن والقرى وفرضوا قوانين الطوارئ ومنع التجول وسنوا الانظمة الاستثنائية، وفرضوا الغرامات الجماعية، وملأوا السجون والمعتقلات بالناس حتى بلغ عدد نزلائها من المعتقلين السياسيين والمحكومين الاداريين حوالي (٤٥٠٠) عربي، كما قامت السلطة باعدام العشرات من الشباب المجاهدين، ودمروا آلاف البيوت في المدن مثل: يافا واللد وجنين والناصره، كما نسفوا عشرات القرى العربية منها: مجدل الكروم وشعب والبروة وبلعا ودير الغصون وفوله وبيت ريماء وبيت امرين والطيبة وطلوزة وعصيره وغيرها كما طبقوا على الشعب العربي ابشع ما سجله التاريخ، من حوادث البطش والعنف والتنكيل^(٤).

(١) كتاب الهاغاناه مجلد ٢ ج٢ ص ٨٦٥ - ٨٦٦

(٢) المرجع نفسه ص ٨٠٢

(٣) المرجع نفسه ص ٧٩٨ - ٨٣٢

(٤) حياة البطل / مخطوط نخبة من خصاصه

ولعل هذه الصورة التي رسمها اهالي صفد في مذكرة بعثوا بها الى المندوب السامي في ١٠ كانون ثان ١٩٣٨م، يحتجون فيها على طغيان سلطان الجيش، توحى بما كان يجرى في تلك الايام وجاء في المذكرة:

(ان الجنود البريطانيين لم يتركوا بابا ولا شباكا الا كسروه ولم يتركوا شيئا من الاطعمة والوانى والاثاث الا اتوا عليه بالتخريب والاتلاف.. خلطوا المون ببعضها، والقوها على الارض وسكبوا الزيت على الحنطة، والسمن فوق الحبوب والطحين والبتروول.. اثلفوا المتاجر ومحتوياتها والقوا في بعض الآبار الخاصة للشرب مواد لا نعلم نوعها.. حرقوا عددا من البيوت.. لم يتركوا شيئا من النقود ومصاغ السيدات الا سلبوه حتى القرآن الكريم داسوه بأرجلهم^(١).)

ورغم ما أقدمت عليه السلطة، فقد جاء في تقرير الحكومة البريطانية، ان حوادث العنف على انواعها من معارك في الجبال الى حوادث في المدن، فبلغت (٥٧٠٨) حوادث في عام ١٩٣٨م منها:

٩٨٦ هجوما على البوليس والجيش

٧٢٠ هجوما على المواصلات البرية

٣٤١ هجوما للتخريب على السكك الحديدية

١٠ حوادث تفجير في انابيب نفط العراق - حيفا

٤٣٠ اغتيال ومحاولة اغتيال.

٦٥١ حادثة هجوم على المستوطنات والاحياء اليهودية^(٢).

ولهذا فقد استمرت الثورة رغم هجوم السلطات البريطانية العنيف، على الحركة القومية وتشديد اجراءات القمع التي انتهجتها^(٣).

حتى أن ابن غوريون لاحظ ان طابع الثورة قد تغير، فكتب في ٣/٨/١٩٣٨م مقالا بعنوان:

«على ثلاث جبهات»: انه في حين كانت الثورة حركة ارهاب (هكذا يصف الصهيونيون الثورة العربية) في البداية، ومن صنع عناصر جاءوا من العراق وسوريا وفلسطين، الا ان الفترة الثانية، امتازت بمشاركة المواطنين العرب الفلسطينيين في المعركة بشكل حاسم^(٤).

كما لاحظ بن غوريون ان (هذه الاصطدامات كانت في كثير من الأحيان اصطدامات يهودية - عربية، نجمت عن نشاط منظمة الدفاع الصهيونية التي عرفت بالهاغاناه، فقد اقامت

(١) ستون عاما على الحركة القومية العربية - د . اميل توما عكا - ١٩٨٣

(٢) جذور القضية / اميل توما - الناصرة ص ٢٤٩

(٣) ومن الذين زجت بهم السلطة من المجاهدين عام ١٩٣٨ في سجن عكا : وحكمت عليهم احكاما متفاوتة : صبحي بك الخضرا ، زين الدين مسودة ، الشيخ حلمي المحتسب ، الشيخ ياسين البكري، علي قاسم ، خليل محسن ، محمد عيسى شباب ، محمد محسن .

(٤) كتاب ولادة اسرائيل ومصيرها - بن غوريون ص ٩٠

السلطات (الفرق الطائرة) او فرق الليل الخاصة من الهاغاناه، بقيادة رجل الاستخبارات البريطاني. الضابط (اورد تشارلس وينجيت)، وكانت هذه الفرق قد اخذت على عاتقها واجب حماية المنشآت البريطانية ولذلك تسببت بسبب نشاطها في حوادث اصطدامات يهودية عربية، وصفت في التقرير، على انها هجومات على مستوطنات واحياء يهودية، كما وصفت كرات الجيش والبوليس على القرى العربية، والاصطدامات الناجمة عن ذلك في باب هجومات على الجيش والبوليس^(١).

الانجليز ينثرون الاموال ويشترون بعض خربي الذم لقمع الثورة:

حارت الحكومة في امرها، خاصة بعد ان اشتدت الثورة، واندلع لهيبها في جميع انحاء البلاد، وفشل الجيش - بالرغم من شدة عملياته - من القضاء عليها.

فما كادت معركة (عرتوف) تنتهي حتى تبعتها معارك مماثلة في (وادي البلاط) قضاء رام الله وفي (ام صفاء) كما دارت معارك اعنف واشد في الوسط والشمال كان يقودها الشهيد المجاهد (عبدالرحيم الحاج محمد) في بلعا^(٢).

لقد فقدت الحكومة سيطرتها تماما في مناطق ومدن بأسرها، لهذا عمدت الى سياسة التفرقة كعادتها حيث راح الانجليز ينثرون اموالهم للقضاء على الثورة والثوار، وتفرقة الصفوف، كما ادخلوا بين صفوف الثورة عناصر لافسادها، وقد نجحت هذه الخطة بعد ان نجحت العناصر الفاسدة في تفريق الكلمة وبذر الشقاق بين الاهلين، ونشر اعمال النهب والسلب، بل تعدت ذلك الى قتل بعض الابرياء، لمجرد عدااء شخصي، او خدمة لافكار الناس^(٣).

لاحظ عبد القادر سوء نية الانجليز من وراء ذلك، فكتب الدكتور قاسم الريماوي يقول:

(حدثنا احد الموثوقين، ان بعض الثائرين من عناصر الافساد كانوا يترددون على (قرمان) صاحب شركة الدخان المشهورة ويطلبون منه النقود، فاعطاهم اولا وثانيا وثالثا، الا انهم في المرة الاخيرة، حاولوا تهديده، فامر عماله بان يكمنوا لهم، فكمنوا ولما حضروا القوا القبض عليهم وجردوهم من اسلحتهم، وسلموهم للبوليس الا ان دائرة التحري لم تتخذ اي اجراء ضدهم، لانه ثبت انهم من رجال الاستخبارات وان السلطات ارسلتهم خصيصا لتشويه سمعة الثوار^(٤)).

(١) كتاب ولادة اسرائيل ومصيرها - ابن غوريون ص ٤٦

(٢) (٣ + ٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٤) ورد في نشرة فلسطين العدد ٢٦ نيسان ١٩٦٣ ، أن الاستخبارات العسكرية البريطانية استطاعت شراء عدد من الضمائر والذمم المريضة ، لاذكاء نار الفتنة بين المسلمين والمسيحيين ، وكلفوهم الفتك بهم ، ومهاجمة قراهم ونهب اموالهم (خاصة في المنطقة الوسطى) وكان عددهم حوالي (١٠٠) مسلح ، يقودهم أحد المجرمين المحكوم عليه بالاعدام ، بعد أن أخرج من السجن .

هذا، ومن الثابت ان الحكومة البريطانية قد سلحت هؤلاء، وامرتهم بالتجول في القرى للنهب والسلب.

حدثنا المجاهد الكبير (لافي محمد سعادة)^(١) ان بريطانيا استطاعت اغراء (عبدالعزیز ابوريا) من قرية صفا - رام الله، ووضعت تحت تصرفه (٤٠) رجلا بعد ان جعلت منه (رئيس فصیل السلام) لاذكاء نار الفتنة في منطقة رام الله، وقد اشتد نفوذه في المنطقة في (صفا ودير ابزيع وبيت عور وغيرها). واضاف المجاهد يقول:

«ذات مرة اجبرت السلطات البريطانية (عبدالعزیز ابوريا) على اغتيال الدكتور داود الحسيني، وكان يعمل طبيب اسنان في يافا، وعلم شخص يدعى (الشرفان) من بيت عور بالخطا، فاسرع الى يافا واعلم الدكتور داود بالامر، وقال له: يا دكتور: رايح يجيك عبدالعزیز ابوريا ليقنتك فكن على حذر).

ولما حضر ابوريا، وقبل ان يصعد درجات الطابق الثاني، رآه الدكتور داود ونزل اليه (بملايس الدكتورة) ووكزه باصبعه في صدره وقال له: يا ابوريا.. انا الدكتور داود الحسيني جئت لتقتلني بسلاحك هذا يا عبدالعزیز، والله لو اريد ان اضرك لما قصرت.. انا عربي روح ارجع لصوابك...) وعاد الدكتور الى العيادة.

انتشر خبر المكيدة، واستطاع بعض الرجال الشرفاء، من القاء القبض على عبدالعزیز واحضارة مكبلا الى قرية (بيت عنان) للمثول امام عبد القادر الحسيني، الذي استطاع ان يقنعه بالعدول عن سلوكه المشين وعفا عنه بعد ان اخذ عليه العهود والمواثيق ولكن عبدالعزیز عاد الى الفساد من جديد، ثم احضر ثانية مخفورا الى (بيرزيت) تمهيدا للمحاكمة لكنه استطاع الهرب من الحراس.

واضاف المجاهد يقول:

«كان ابوريا يدخل على المندوب السامي حاملا سلاحه، بدون معارضة او استئذان، ولما انتهى مفعوله، منع من الدخول مرة، وبقي ينتظر على باب المندوبية من الساعة ٨-١٢ ظهرا، ثم سمح له بالدخول بعد ان جرده الحراس من سلاحه، ودخل منفعلا غاضبا. فقال له المندوب: - ما لك يا عبدالعزیز.. اليوم شايفك زعلان؟

فرد عليه عبدالعزیز مزجرا: نعم انا زعلان.. ما هذا الذي عملتوه معي يا سيادة المندوب؟

فرد عليه المندوب بكل برود: لا تغضب يا عبد العزیز.. مهمتك انتهت.. هيا اخرج من هنا ولا تريني وجهك ثانية».

راح عبد القادر يطارد هؤلاء اللصوص ويقاوم العابثين بالنظام من ذوي النزعات الشريرة، الذين دفعت بهم السلطة الى ميدان الشرف للاساءة الى قداسة الجهاد، وتشويه سمعة الحركة الوطنية، وراح ينكل بهم اينما وجدوا، وقضى على عوامل الفوضى والاستغلال.

(١) مقابلة شخصية في تموز ١٩٨٣ - القدس

معركة بني نعيم الكبرى

٤ تشرين الاول ١٩٣٨م

ذهل الانجليز لما رأوه من بطولة عبد القادر ورجاله، وما شاهدوه من ثباتهم، فقرروا التخلص منه والقضاء على رجاله، فتعقبه الجيش من مكان الى آخر، وعبد القادر يتنقل مثل البرق، فلا يكاد الجيش يطوقه هو ورجاله حتى يجد لهم مخرجا، حتى كان يوم ٤ تشرين اول ١٩٣٨م، حيث وقعت معركة بني نعيم الكبرى، وهي اشد معركة عرفت لها ثورة فلسطين حينئذ. استطاعت السلطة البريطانية شراء بعض الضمائر الشريفة، للايقاع بعبد القادر ورجاله الذين كانوا في تلك الايام يعملون خارج منطقة الخليل، وتنفيذا للخطة المرسومة، والمكيدة الفاجرة، ارسل مختار تلك القرية خطابا الى عبد القادر، يدعوه للحضور الى بني نعيم لحل افساد مزعوم وقع بين المجاهد عبد الحليم الشلف وبين اهالي جبل الخليل.

لبي عبد القادر الدعوة، واخذ معه من (٣٠-٤٠) رجلا من بينهم ابن عمه (علي حسين الحسيني)^(١) وصبحي ابو غربية وجاد الله الخطيب وعيسى ابو قدوم التعمري وابراهيم خليف وعبدالله ابو ريا ويوسف سمرين وغيرهم... مارا بمخماس وعرب السواحة وعرب التعامرة، حتى وصل الى بني نعيم قضاء الخليل^(٢)، وقصد الجميع دار المختار المتآمر ضد المجاهدين الذي اخر موعدا للغداء حتى يكتمل التطويق البريطاني، الذي كان متمكزا في قرية (يطا)، ولما احضر المختار الغداء - وكان الوقت الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم - لمس عبد القادر فوجده باردا جدا، فتأكد ان في الامر مكيدة، وامر رجاله بعدم الاكل والخروج فوراً..

كان الانجليز قد وجهوا قوة تقدر بنحو (٣٠٠٠) جندي تدعمها الطائرات والدبابات والاليات المدرعة، وقامت هذه القوة بضرب حصار واسع النطاق حول منطقة بني نعيم هدفها ضرب معاقل الثوار، والقضاء على مقاومتهم وما ان خرج عبد القادر ورفاقه حتى فوجيء باخبار الكمين، وفي الحال امر قواته بالانتشار السريع، لايهام العدو بان عدد الثوار كثير غير ان الطائرات استدللت على اماكن تواجدهم، فراحت تقصفهم بنيرانها، في الوقت الذي كانت القوات البرية تزحف نحو الجبال المحيطة بالقرية.

انسحب عبد القادر من القرية خشية تدميرها واتجه هو ورفاقه الى واد قريب حيث وزع قواته على سفحي الجبل للدفاع حتى الموت، وكان الى جانبه ابن عمه علي حسين الحسيني، وما

(١) هو ابن عم عبد القادر، وشقيق المجاهد سليم حسين الحسيني، الذي قاوم الاحتلال بعد استشهاد اخيه الشهيد، في فلسطين والعراق، وشرده الى المانيا وايطاليا، وأخيرا اعتقلته السلطات في روديسيا فترة من الزمن، وشقيق المجاهد عمر حسين الحسيني، الذي اعتقلته السلطات وتمكن من الفرار من المعتقل الى العراق.

(٢) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي.

ان مر الجنود بالوادي، حتى اطبق عليهم المجاهدون من كل جانب، وراحوا يحصدونهم حصداً، بعد ان توقفت الطائرات عن القصف لاختلاط الفريقين (ولولم تسرع الميسرة) (جماعة عبدالقادر) بالانسحاب من الجهة الشمالية لتقرر مصير المعركة لصالح المجاهدين الا ان انسحاب الميسرة مكن الجنود البريطانيين من الالتفاف حول عبدالقادر، ولما شعر القائد بحركة الالتفاف هذه امر قواته بفتح طريق لها، وتقدم الصفوف حتى اصابته عدة طلقات خر ممرضجا بدمه، كما وقف الى جانبه المجاهد صبحي ابو غربية وجاد الله الخطيب، فطلب عبدالقادر منهما ان يتركاه وشأنه، الا انهما أبايا، واخذوا يقاومان قوات العدو بجرأة ما بعدها جرأة الى ان خر البطل علي حسين الحسيني شهيدا بجانب عبدالقادر، اما جاد الله الخطيب فقد انقضت عليه طائرة، واصلته بعدد من الطلقات في فخذه، كما اصيب المجاهد صبحي ابو غربية بجرح في يده وهكذا استمات المجاهدون في الدفاع حتى وقع منهم (١٦) شهيدا و (٣٠) جريحا، وزادت اصابات الانجليز عن مائة اصابة.

ولما جن الليل انسحب ما تبقى من المجاهدين من ميدان المعركة، بعد ان نفذت ذخيرتهم تماما^(١).

خاض عبدالقادر هذه المعركة البطولية الرائعة، بنحو (٤٠) رجلا ضد (٣٠٠٠) جندي يعززهم الف رجل من البوليس اليهودي وحرس الحدود، وسبع عشرة مصفحة وبطاريتا مدفعية ورشاشات ثقيلة وعدد من الطائرات^(٢) الى ان تمكن العدو من التغلب على المجاهدين الذين

خسروا (١٦) شهيدا ومن بينهم: علي حسين هاشم الحسيني (ابو الحسن) والشهيد البطل ابراهيم خليف، الذي شوهدت جثته كثيرا اثر طعنات الجنود البريطانيين، لاعتقادهم انه هو عبدالقادر، لأنه كان يرتدي بذلة قائد عسكري كما استشهد في هذه المعركة الشهيد عبدالله ابو ريا ويوسف سميرين وعدد آخر من المجاهدين كما اعترف الجيش البريطاني باصابة خمسين من جنوده، الا ان العدد الحقيقي كان ضعف ذلك.

اما عبدالقادر فقد كان ملقى بجانب جدار، وقد ظللته حزمة من شجر البلوط التي اخفته عن الانظار.
كما قتل في هذه المعركة بعض اهالي البلدة، وثلاث نساء من قرية بني نعيم، كن يسقين المجاهدين.

(١) كانت قوات كبيرة من الجيش البريطاني ترابط في قرية (يطا) حيث عقد اجتماع قبل التطويق لعبد القادر ورجاله حضره (فخري النشاشيبي) لحض الناس على مقاومة الثورة وعدم مساعدة الثوار (من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي).

(٢) مجلة تاريخ العرب والعالم / العقيد الدكتور / ياسين سويد

نجاهة عبد القادر:

جاس قائد الحملة البريطانية خلال ميدان المعركة فرأى عشرات القتلى والجرحى، وراح يفتش بينهم على يجد ضالته المنشودة، فوجد الشهيد (ابراهيم خليف) ملقى بين اخوانه الشهداء، فظنه عبد القادر فركله برجله عدة ركلات، وطعنه بحربته فلم يتحرك فأيقن ان القائد الشجاع قد انتهى، فعاد على رأس جيشه الى مدينة الخليل مزهوا بالنصر - بعد ان نقل قتلاه وجرحاه تاركا الجرحى العرب لمصيرهم المحتوم، والقتل لضباع البر ووحوش الفلا.

هرع اهالي القرى الى بني نعيم يتفقدون ابناءهم، فنقلوا من كان جريحا منهم وجمعوا الشهداء في مكان واحد، تمهيدا لنقلهم في صبيحة اليوم التالي وكان عبد القادر بين هؤلاء وسرى خبر موته في البلاد فخيّم الحزن والسكون على كل مدينة وكل قرية وكل بيت ومر احد رجال البدو في صبيحة اليوم التالي في ميدان المعركة ورأى جثث الشهداء كما سمع انينا ضعيفا خافتا يصدر من بينها فتقدم ليتبين الامر فاذا به يجد عبد القادر وقد دبّت فيه الروح يئن ويستغيث فنقله على ناقة كانت معه وعبد القادر بين الحياة والموت لا يعي شيئا، واصله الى المستشفى الانجليزي في الخليل وسلمه للممرضة وقال: (هذا رجل لا اعرفه وجدته جريحا فنقلته).

ترك البدوي عبد القادر في المستشفى، وهرول الى بيت آل الحسيني في القدس، فوجدهم مفجوعين لوفاته حيث نقل لهم البشري العظيمة: (ان عبد القادر لم يمّت).

كان آل الحسيني واهل القدس والقضاء قد منعوا بامر من السلطة التي حذرت الاتصال بين قضاء القدس والخليل فلم يتمكنوا من الذهاب الى ميدان المعركة.

وفي المستشفى ارغم رفاق عبد القادر طبيب المستشفى على معالجته بعد ان قطعوا كل اتصال بين المستشفى والخارج حيث اجريت له عملية جراحية.

هكذا عولج (الجريح المجهول) في المستشفى لمدة اسبوع سهرت عليه خلالها ممرضة عربية بعد ان ادركت ان جريحها هو (عبد القادر الحسيني) ولكنها كتمت الخبر.

(ولما استرد البطل شيئا من صحته، نقله اعوانه الى بيت احد الاصدقاء في الخليل، ومنها حملوه على فرس القائد (عبد الحليم الجولاني) وسار معه حسين جاد الله وعبد الحليم الشلف وحجازي عرفة والحاج ناجي وغيرهم حتى اوصلوه الى عرب السواحرة، حيث كان يتألم كثيرا من جرحه الذي ما زال مفتوحا وبعد ان استراح قليلا استأنف السفر بعد منتصف الليل الى شرق الاردن مجتازا مخاضة النهر الى الشونة وهناك استأجر حسين جاد الله سيارة نقلت المرافقين سرا الى صويلح، ومنها الى دمشق، وهنا ادخل المستشفى لاستكمال علاجه حيث كانت احدى الرصاصات قد اخترقت رثته اليمنى، الى ان من الله عليه بالشفاء^(١)).

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

الانجليز يشددون الاحكام العرفية:

اخذ الانجليز في هذه الاثناء يشددون على السكان العرب، فطبقوا الاحكام العرفية بشدة لم يشهد لها التاريخ مثيلا، وشكلوا المحاكم او على الاصح الملاحم العسكرية - لمحاكمة المجاهدين فشنقوا المئات منهم (٢٢٨) شخصا لاتفه الاسباب فقد اعدم بعضهم لحمله طلقة واحدة، والبعض الاخر لانه من الثوار الخطيرين، كما زجوا بالالوف من الاهالي في المعتقلات، حتى ضاقت بهم معسكرات الاعتقال الموجودة في (صرفند وعتليت وبيت لحم وعلار وغيرها). واخذوا يطوقون القرى العربية ويستعملون جميع انواع الشدة التي تقشعر لهولها الابدان، فبعد ان يجمعوا السكان يضعون النساء والاطفال في جهة، والرجال في جهة اخرى ويبقونهم عشرة ايام او خمسة عشر يوما، بلا اكل او شرب وخلال ذلك يسيمون الرجال انواع العذاب فيجلدونهم حتى يغمى عليهم، او يموتون وقد يشدون بعضهم الى سيارة ويجرونهم حتى تتمزق اجسامهم وقد قتلوا في هذه العمليات عشرات الرجال، كما اجهضت عدد من النساء، كما توفي عدد من الاطفال.

ويتابع الدكتور قاسم الريماوي في وصف الحالة فيقول:

«وانني اورد مثالا لذلك.. ما حدث اثناء تطويقهم قرية (بيت ريما / قضاء رام الله) في شهر نيسان ١٩٣٩م، وقرية حلحول / قضاء الخليل في آذار ١٩٣٩ وقرية (بيت فجار) واليك اسماء من اعرف ممن استشهدوا من جراء التعذيب الوحشي، اثناء عمليات التطويق: (فائق زكي الريماوي ومحمد العشوى ومحمد عمر الريماوي وذيب العثمان الريماوي وكامل احمد الريماوي، وكلهم ماتوا من جراء التعذيب، كما شنقت السلطات ظلما وعدوانا - لمجرد الخطورة - عشرات المجاهدين دون ان تثبت ضدهم اية تهمة وانكر منهم:

(فايز حسن الريماوي وفخري حمد، اللذين اعدموا في القدس في ايلول ١٩٣٩م، وعبدالقادر الراعي الريماوي الذي اعدم في نفس السنة في القدس بذات التهمة، وكثيرين غيرهم ولما اعيت الحكومة البريطانية الحيل، عمدت الى حل القضية بطريقة سلمية، ففرضت الكتاب الابيض في حزيران ١٩٣٩م، الذي رفضه العرب رفضا قاطعا.

عودة عبدالقادر الى القدس:

وما ان ابل عبدالقادر من جراحه التي اصيب بها في معركة بني نعيم، حتى عاوده الحنين الى الجهاد، فارسل في طلب رؤساء الفصائل الموجودين في فلسطين، فحضر منهم خمسة عشر مجاهدا الى دمشق حيث عقد معهم اجتماعا في بيته في (الصالحية)، حيث قرر العودة الى فلسطين فورا الا ان السلطات البريطانية كانت قد شددت الحراسات والاحتياطات على الحدود

ولما علم القائد بذلك ارجأ العودة بعد عشرين يوماً، وبعد انتهاء المدة ركب هو ورفاقه قطار البضائع المتوجه الى درعا على الحدود السورية - الاردنية، ومن هناك ترجل الجميع وساروا مشياً على الاقدام، في طريقهم الى فلسطين عبر شرق الاردن، فوصل الجميع مدينة اريحا بعد مسيرة يومين كاملين قاسوا فيها حر الشمس المحرقة ووعورة المسالك.

ومن اريحا انتقل عبد القادر الى عرب السواحة وهناك عقد اجتماعاً حضره جميع رؤساء الفصائل والمسلحين، وذلك في ربيع ١٩٣٩م، حيث تقرر البدء في القتال ومواصلة الثورة. وبعد ذلك انتقل الجميع الى قرى العرقوب، وفي الطريق نسفوا قسماً من خط سكة الحديد، وعند وصولهم الى قرية (ام الروس) اجتمع القائد بنائبه في العرقوب الشهيد احمد جابر وكانت قواتهما قد بلغت (٥٠٠) مجاهد.

علم عبد القادر ان قافلة بريطانية قادمة من القدس الى الخليل، يبلغ عدد سياراتها ثلاثين سيارة فامر قواته بالتوجه للانقضاض عليها، فربطوا على جانبي الطريق وما ان وصلت القافلة حتى اشتد كوا معها فأصلوها نارا حامية، وحرقوا عدداً من سياراتها كما تمكن قسم من السيارات من العودة الى القدس، وقد احرز المجاهدون انتصاراً رائعاً، الا انهم فقدوا نائب القائد في العرقوب الشهيد احمد جابر / ابو الوليد، وعادت قوات الجيش في اليوم التالي الى مكان المعركة للبحث عن بقية جثث قتلاها، الذين لم تتمكن من نقلهم في اليوم الاول.

اما عبد القادر فقد انسحب الى عرب التعمارة، ومنها الى عرب السواحة، وبقي القائد عبد القادر بضعة اشهر في البلاد، ولما وجد نفسه وجماعته في هذا الوضع المتجمد، خاصة بعد ان طلبت اللجنة العربية العليا وقف القتال والاعمال الثورية، بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية^(١) وان الحالة الاقتصادية في البلاد، قد اصبحت حرجة جداً، لأن معظم الرجال كانوا في المعتقلات، وان عدداً كبيراً منهم قد قتلته الانجليز او شنقوه، قرر مغادرة البلاد.

(١) مخطوط حياة البطل - نخبة من خلاصاته

الفصل الرابع

عبد القادر الحسيني في العراق

عندما وصل عبد القادر الى لبنان، نشط البوليس السري في البحث عنه غير انه استطاع الوصول الى بغداد بصورة مدهشة يرويها السيد طالب مشتاق :

«دخل مكتبي في يوم من ايام (خريف) ١٩٣٩م الصديق (ابو الهدى اليافي المحامي)، من الشام وقد كنت آنذاك قنصلا للعراق في بيروت وكان برفقته شاب قصير القامة وسيم الطلعة، ذو نظرات نفاذه تنم عن ذكاء حاد، ورجولة كامنة فقدمه الاستاذ اليافي الي وقال:

الا تعرفه؟ فقلت مع الاسف.. لا. قال هذا عبد القادر الحسيني نجل المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني. قلت: اهلا وسهلا يا مرحبا فهذا الشبل من ذاك الاسد.. قال: وقد جئناك لامر هام طالبين منك النجدة قلت: كل شيء يهون في سبيلكم ان شاء الله قال: انت تعلم ان الانجليز قد حكموا على عبد القادر بالاعدام وهم الان يستطلعون اخباره ويتعقبون خطواته، كما ان الفرنسيين يحاولون القاء القبض عليه وتسليمه الى اعدائه.

ما كان في امكاني ان اتردد برهة واحدة، كان واجبي في تلك اللحظة ان انقذ حياة عبد القادر، هذا الجندي العربي المقدم باي ثمن كان وكفى. لقد صممت وكان تصميمي جديا، كان علي ان اخرج عن حدود صلاحيتي، واخالف اوامر حكومتي ومتى كانت الوظيفة بالنسبة لي طاعة عمياء لأوامر الحكومة وتنفيذ اوامرها بدون قيد او شرط، ومتى كانت الصلاحية تعينني عن اداء واجب وطني؟، اليس مغزى الوظيفة بالنسبة لي هو الخدمة العامة؟ واي خدمة هامة اعظم من الضرب على يد الجلاد ومنعه من اراقة دم زكي طاهر، كدم هذا المنتوع الجريء لخدمة الامة العربية والمدافع عن حقها المغتصب والذائد عن حيضة الوطن الجريح.. تعال يا ولد.. اتني بجواز سفر غير مستعمل، فأتاني بالجواز، واخذت القلم بيدي وصرت املاه.. اسمه: (يوسف الصايغ)^(١) افهمت يا عبد القادر.. يوسف الصايغ
عمر: ٣٥ عاما.. محل ولادتك الاعظمية.

وهكذا اصبح عبد القادر عراقيا في مدة لا تتجاوز ربع ساعة فناولته جواز سفره واتصلت ببعض شركات النقل بالشام وبعد يومين اثنين كان عبد القادر الحسيني او (يوسف الصايغ) يطوف شوارع بغداد هازئا بالانجليز ساخرا من الفرنسيين^(٢).

(١) من رسالة السيد عبد الله عبد المجيد الى خالد الاغا بتاريخ ١٩٧٣/٤/٢٥ م وذكر ان الاسم (محمد عبد اللطيف) والحقيقة انه كان (يوسف الصايغ) حسب جواز السفر .

(٢) نفس المصدر

وصل عبد القادر الى بغداد ولما علم اصداقؤه من المجاهدين العراقيين ان الراحل اليهم هو صديقهم عبد القادر الذي سمعوا عنه الكثير ولما لمسوه منه اثناء وجوده بينهم من سمو الروح ونبيل العقيدة فتهافتوا عليه، فكان موضع حفاوة الجميع، فحل ضيفا على الحكومة وكان اول مجاهد فلسطيني تطأ قدمه ارض العراق هجرة في سبيل الله^(١) وبعد مدة وصل سماحة المفتي وصحبه الى بغداد، فاستقبلهم الشعب والحكومة العراقية استقبالا منقطع النظير.

اقام عبد القادر في (حي الكرادة الشرقية في بغداد) وعمل مدرسا للرياضيات والعلوم في مدرسة (التفويض) الاهلية ولكي يساير عبد القادر تطور العلوم الحربية التحق بدورة لكبار الضباط في الكلية العسكرية (بمعسكر الرشيد) في نيسان ١٩٤٠م، لدراسة الفنون العسكرية من الناحية العلمية والنظرية - بعد ان اتقنها عمليا - وبعد ستة اشهر تخرج برتبة ضابط ونظرا لتفوقه الباهر - بعد ان احرز المرتبة الاولى - عين مدرسا في نفس الكلية، بالاضافة الى تدريسه في مدرسة التفويض الاهلية.

انتهز عبد القادر هذه الفرصة للاتصال بخيرة شبان العراق المثقف، لتوجيههم الوجهة الوطنية الصادقة، حتى احبه طلابه حبا جما^(٢) واكبروا فيه الروح العسكرية والوطنية، فراح يحذر الشعب من خطر اليهود بكتاباته المتتالية في مجلة مدرسة التفويض، مما ادى الى مصادرة المجلة لاحتجاج اليهود الشديد عليها.

اما رجاله من المجاهدين الفلسطينيين، فانهم بعد وقف اعمال الثورة في فلسطين وتضييق الخناق عليهم، من قبل السلطات واعدامها كل من يقع تحت ايديهم، فانهم هاجروا الى العراق للالتفاف حول قائدهم.

كانت المجاهدة الصابرة (وجيهة زوجة عبد القادر) قد وصلت الى بغداد من الشام لتكون بجانب زوجها ولتقف معه في ملماته، ففتحا بيتهما - كالمعتاد - لاستقبال جنوده^(٣) واعوانه ورفاقه، الذين اغتتموا فرصة وجودهم في بغداد، فالتحقوا بالمدرسة الحربية للتدرب على مختلف الشؤون العسكرية وقد تخرج قسم كبير منهم بعد ان اتقنوا فنون الحرب والقتال واستعمال الاسلحة المختلفة.

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي .

(٢) كان من بين طلابه طالب يهودي اسمه (يعقوب) ويعمل الآن مدير مرور القدس

(٣) كان منهم : عبد الله عبد المجيد واسماعيل غانم ومحمد راشد ومحمد علي فارس وأحمد عون وجعفر الحسيني (من العراق) وصبحي ابو غربية ومحمد الأعرج وعيسى الحمزة وفريد برهان وصبحي شاهين وأحمد نسبية وفوزي القطب (من فلسطين)

ثورة رشيد عالي الكيلاني

لا عجب ان يهب الفلسطينيون الموجودون في العراق لنصرة اخوانهم العراقيين في ثورتهم، ضد الظلم والطغيان البريطاني وانتهاكه لحرمة المعاهدة العراقية - البريطانية، ومحاولتهم وضع العراق من جديد، تحت سيطرة القوات البريطانية، وتهديد استقلال العراق وسيادته، خلافا للاتفاقيات القائمة والاصول المتبعة.

ففي ٢١ نيسان ١٩٤١م نشبت الحرب العراقية - الانجليزية، بسبب تدخل الانجليز في شؤون العراق الداخلية ومحاولتهم حمل العراق على الوقوف الى جانبهم، ضد دول المحور وحصل الصدام الناري بقيادة (رشيد عالي الكيلاني) - رئيس الوزراء - في منطقة الحبانية، فاسرع المجاهدون الفلسطينيون الى الاشتراك في التضحية، وقد دفعهم الى ذلك واجبان:

١ - واجب القومية. ٢ - حق الضيافة.

اختار عبد القادر صفوة من رجاله لم يتجاوز عددهم (١٦) مجاهدا^(١) فراح يشق طريقه الى الخطوط الاولى للمعركة، ريثما يلحق به بقية المجاهدين، والتحم مع رفاقه في معركة هائلة ضد الانجليز، وكان هدفه من هذا التقدم، نجدة كتيبة عراقية، كانت معرضة لهجوم انجليزي مركز في منطقة (صدر ابي غريب) في الفالوجة، على بعد ٦٠ كم من بغداد..

كانت القوات الانجليزية تتقدم نحو بغداد عن طريق الفالوجة، واستطاع القائد البطل من دحر هذا الزحف، ومنعه من دخول بغداد بضعة ايام.

كتب الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه يقول:

«حدثني - رحمه الله - قال: تمكنت انا وستة عشر فلسطينيا من اخواني البررة، من التقدم الى مقدمة الجيش العراقي للقاء الانجليز، وقبل مطلع فجر ٢١ نيسان^(٢) وصلنا الى نقطة تقع في صدر ابي غريب، ولا تبعد كثيرا عن المواقع الانجليزية، حتى اصبحنا على بعد امتار معدودة من استحكاماتهم، فامرت الستة عشر مجاهدا ان يركبوا حرابهم في بنادقهم، وان يركضوا لاحتلال الاستحكامات الانجليزية المواجهة، وعندما تصدر اليهم الاوامر، وما ان اصدرت الاوامر، حتى وثب الجميع كأنهم اسود منطلقة من اقفاصها، وما شعر الانجليز الا ونحن نحتل استحكاماتهم فحسبوا انهم اخذوا على حين غرة وانه قد تم تطويقهم، فانسحبوا

(١) ذكر مخطوط حياة عبد القادر نخبة من خلائه ان عددهم كان (١٨) مجاهداً أما الدكتور قاسم الريماوي فقد ذكر أن عددهم كان (١٦) مجاهداً وكرر ذلك العدد مرات .

(٢) - مخطوط قاسم الريماوي

وتركوا الضفة التالية من الجسر الذي يفصل بيننا وبينهم (جسر الفالوجة) وبذلك تمكنا من السيطرة على مدخل الجسر وما هي الا لحظات حتى حلقت الطائرات فوقنا، واخذت تصلينا بحمها، الا اننا كنا نخلي الاستحكامات ونلقي بانفسنا خارجها، ولما شعر الانجليز باهمية المكان الذي نسيطر عليه لاستراتيجيته، عمدوا الى مفاوضتنا للاستسلام فجأة شاهدنا اسيرا عراقيا يحمل علما ابيض، ويتقدم نحونا، فلما دنا منا، ناولني رسالة تطلب منا الاستسلام، فمزقت الرسالة ولم ابلغها لقائد الجحفل العراقي، ولما اتصلت معه لاعرف ما سيقدمه لنا من اسناد في حالة قيام الانجليز بهجوم قوي. اجابني: انه من العبت المقاومة، اما انا فقد صممت على المقاومة والدفاع حتى النهاية، وقد استشرت اخواني لاعرف رأيهم فاجابوا جميعهم بصوت واحد: لن نستسلم، وسنقاوم حتى النهاية. وفي هذه الاثناء وزعت قوتي البسيطة للسيطرة على منفذ الجسر تماما، لمواجهة اي هجوم انجليزي، وما ان مضت بضع ساعات حتى تقدمت القوات البريطانية وفي مقدمتها دبابة ثقيلة، فما كان من احد الجنود الفلسطينيين الا ان هجم عليها واخذ يقذفها بالقنابل حتى قتل سائقها وكامل (طاقمها) وعطلها عن السير، وهكذا اصبحت هذه الدبابة سدا منيعا حال دون تقدم البقية الباقية من القوات البريطانية، كما اتخذها المجاهدون استحكما قويا لهم، وبقيت هذه الحال مدة يومين كاملين، شعرت قيادة الجحفل العراقي بنجاح خطتنا، فأرسلوا لنا المدد والرجال والذخيرة وعينت قائدا لهذه القوات، وبعد ان عزز الدفاع اخذنا نشن هجمات قوية معاكسة على القوات الانجليزية، وننزل بها خسائر فادحة، وبقيت هذه الحال بضعة ايام لم نذق فيها للنوم طعما).

وتابع الدكتور الريماوي كتابته قائلا:

(حدثني الشهيد «جميل بركات» الذي اشترك في تلك الموقعة قال:

كان عبد القادر - رحمه الله - يتنقل من خندق الى خندق، ليتفقد كل جندي منا ويوجه اليه كلمات التشجيع، وكنا لا نأكل طيلة هذه المدة الا مرة كل ٢٤ ساعة، حيث يحضر لنا الاكل في (محرمة) ويلقيها على التراب امامنا، حيث نأكل ما بهابتلهف، ولكن النصر والانصراف الى محاربة العدو انستنا كل شيء).

وازاء هذا الدفاع المستميت، لم يجد العدو بدا من تغيير اتجاه زحفه على بغداد من ناحية اخرى.

«حدثني - رحمه الله - بينما كنا نعد العدة لمطاردة القوات الانجليزية، ودحرها بعد انسحابها في الايام الاولى للمعركة، الى الخطوط الخلفية، ففي الليلة السابعة من بدء المعركة، اذ خيم سكون غريب رهيب على جبهة الاعداء، لم نسمع خلاله اية اطلاقا فاعتقدت ان العدو يبيت

لنا مكيدة فأخذنا الحيلة وطلبنا من الله ان ينصرنا عليهم، وبينما نحن كذلك اذ ببرقية ترد الينا من القيادة العامة تفيدنا، انه قد تم الاتفاق على عقد هدنة مع الجيش، فاحترنا في امرنا وقلنا: لعلها خدعة، ولما اتصلنا بقيادة الجيش اكدوا لنا صحتها».

كان لانتصارات المجاهدين بقيادة عبد القادر في صدر ابي غريب الاثر الطيب في النفوس، كما اشادت الاذاعة والصحف العراقية، واثنت على شجاعة وكفاءة هذا القائد الذي استطاع بعدد قليل من المجاهدين ان يحطم هجمات العدو واحدة تلو الاخرى.

والطريف في الامر ان الاعلام العراقي والضباط العراقيين كانوا يطلقون على المجاهدين تحت قيادة عبد القادر (الفرسان الستة عشر، ودبابات الجيش العراقي).

استمر عبد القادر ورجاله يقاتلون مدة عشرة ايام متتالية وعندما وجد المجاهدون ان الانجليز قد اوشكوا السيطرة على الوضع، انسحبوا من المعركة وكان عبد القادر ورفاقه آخر من انسحب من الجبهة^(١).

كتب الدكتور الريماوي يقول:

«حدثني - رحمه الله - قال: بعد ان اعتقلني السلطات العراقية في زاخو، ونقلتني الى بغداد على اثر مقتل فخري النشاشيبي، اذ بقائد انجليزي يطلب مقابلتي فقلت: وماذا يريد هذا الانجليزي يا ترى، وشككت في امره، ولما دخل عليّ، فاذا به يقدم نفسه قائلاً:

«انا يا سيدي القائد الذي كنت مسؤولاً عن القوات الانجليزية، التي حاربت ضد قواتكم في صدر ابي غريب، وقد جئت كالمعتاد لاستعلم منكم عن عدد قواتكم ومعداتكم، لتسجيلها في تقريري الحربي عن المعركة، فقلت له: كم تقدرها قال: ان اقل عدد ممكن هو ثلاثة افواج اي (٣٠٠٠) مقاتل فضحكت وقال: اتعني انها فوج واحد، فضحكت ايضا فقال: تريد ان تقول انها سرية واحدة ففقهت وقلت له: لا وليست سرية. فجن جنونه وقال: قل لي بربك العدد الصحيح فقلت له انهم اقل من فصيل انهم ١٦ مجاهدا. وما ان سمع جوابي حتى اخذ يلطم وجهه صائحا ويقول: لقد خدعتمونا.. لقد ضحكتكم علينا، لو عرفنا حقيقة عددكم لشربناكم كشرية ماء. فقلت له وما عدد قواتكم... قال: كتيبة كاملة تساندها بطارية مدفعية، وعدد من الدبابات والطائرات..».

(١) روى الأستاذ محمد علي الطاهر للدكتورة خيرية قاسمية بأنه قد بلغه وهو في القاهرة بأن مدير الأمن العراقي (أحمد الراوي) قد اتصل بعبد القادر ومجموعته وكانوا لا يزالون مستحكين داخل احدى بنايات طالبها منه الفرار بعد ان استسلمت الحكومة ولم يعد هناك جدوى للمقاومة (شؤون فلسطينية العدد ٢٠ نيسان ١٩٧٢)

الخروج الى ايران

لم يكن عبدالقادر ليصدق ان الحرب العراقية - الانجليزية قد انتهت بهذه السرعة اذ كان يعتقد بان الجبهات الاخرى صامدة كصموده، الا ان مركز قيادة صدر ابي غريب قد اكد له الخبر رسميا على لسان مدير الامن العام العراقي (احمد الراوي) حيث طلب منه ان يغادر العراق مع رفاقه خوفا من وقوعهم في قبضة الانجليز.

وجد الفلسطينيون انفسهم وجها لوجه امام الانجليز فقرروا مغادرة بغداد هربا من وجه المستعمرين واعوانهم الذين سينتقمون منهم شر انتقام فمنهم من لجأ الى ايران بصحبة سماحة المفتي وكان من بينهم (اديب الريماوي وعاهد الريماوي وامين التميمي وغيرهم).

اما عبدالقادر ورفاقه فقد ضيق الانجليز الخناق عليهم وبعد ان تدارسوا الامر قرروا مغادرة العراق الى تركيا عن طريق ايران، وبالفعل.. غير الجميع ملابسهم واتجهوا الى الحدود الايرانية عن طريق الكوت / بدرة / كرمنشاة.

واخيرا وبعد عناء ومشقة شديدين، وصلوا الى نقطة الحدود الايرانية، وهم مستبشرون خيرا بمساعدة السلطات الايرانية لهم. الا انهم صدموا، وسيئت معاملتهم، ولم تسمح السلطات الا لعبدالقادر شخصا بالدخول الى ايران (لاعتبارات عديدة) الا ان شهامته ابت عليه النجاة دون رفاقه، فأثر العودة معهم الى العراق، ليتجرعوا كأس الغيب الذي كتبته السماء عليهم، حتى اعياهم التعب والجوع.

كتب الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه يقول:

(وفي طريق عودتهم رأوا بصيص نور، فاتجهوا اليه، واذا بهم يقفون بين نفر من البدو، لا ضمير لهم ولا وجدان، فلما رأهم البدو حتى طارت قلوبهم فرحا، اذ ايقنوا ان هؤلاء (بلباسهم وسلاحهم) خير غنيمة لهم، وبدت في عيونهم البغضاء، واخذوا يتهامسون حتى علا ضجيجهم، ويظهر انهم اختلفوا على طريقة توزيع الغنيمة، فعرف عبدالقادر سوء نيتهم، وقرأ ذلك في ملامحهم وحركاتهم، فتقدم اليهم عبدالقادر وقال لهم: ايها الاخوان اصدقونا القول ونحن سنقدم لكم ما تطلبوه، على ان تسقونا ماء، وتقدموا لنا اكلا، نحن لسنا بحاجة الى هذه الاسلحة والبدلات فهي حلال عليكم حرام علينا، وان لم تأخذوها انتم فسيأخذها غيركم او تأخذها الحكومة، فسروا لهذا الكلام فقال له احد المشايخ: كلامك زين يا ولد.. افلح الله ان تحييكم، صبروا الهدوم (اي اخلعوا ملابسكم)، فاجاب عبدالقادر: نعم هذا حسن، ولكننا لا نريد ان نسلمها لواحد منكم لئلا يستاء الآخرون، وينتقموا منا بدل ذلك، ولكنني ارى ان تجمعوا وجهاء العشيرة ومشايخها هنا، لنسلمكم اياها مجتمعين، وبعد ذلك توزعونها كيفما تشاؤون:

«فاستصوبوا رأيه، وجمعوا جميع مشايخ العشيرة في خيمة واحدة.. وهنا قفز عبد القادر واستل مسدسه واشهره في وجوههم قائلاً: «ان تحرك احد منكم او حاول احد رجالكم التعرض لاي جندي منا من الخلف فسأطلق النار عليكم جميعا ايها الكلاب، ويجب ان تأمروا رجالكم بأن يذبحوا لنا خاروفا وان ترسلوا رسولا الى المدينة القريبة ليتصل بالشرطة هناك ويعلمهم بوجودنا» فامتثلوا للامر، ونادوا بعض الاعراب فذبح خاروفا، وتوجه ادهم على ظهر حصانه الى المدينة المجاورة، وبقي المشايخ محجوزين في الخيمة، الى ان حضرت قوة من الشرطة في سيارتين فلما وقفوا على حقيقة الامر، وبخوا هؤلاء الاعراب ورفض الجميع تناول الطعام عندهم».

وتم نقل عبد القادر ورفاقه الى مركز الشرطة في تلك المدينة، وبعد ان قدموا لهم الطعام والماء، اتصلوا بقيادة الامن العام في بغداد، حيث امرت باحتجازهم ونقلهم الى بغداد.

كتب الدكتور قاسم الريماوي يقول:

(حدثني المجاهد صبحي ابو غربية الذي كان يرافق المرحوم فقال:

لما علمنا بامر الاحتجاز تقدم عبد القادر من قائد الشرطة وقال له:

«اننا نحن نمثل الجيش العراقي، ولذا فاننا نعتبر انفسنا مسؤولين عنكم وعن هذا المركز، فعليكم احضار سيارة البوليس في الحال مع السائق» ولما سمع مأمور القسم ذلك الكلام، شعر بحراجة الموقف خاصة وان عدد المجاهدين يزيد عن عدد افراد الشرطة، وتجنباً للاصطدام امتثل المأمور للأوامر ولكنه اعتذر عن تقديم السيارة. فقال له عبد القادر: يمكنك ان ترسل احد اعوانك مع شرطي لاستئجار سيارة نقل عامة.

وفي الحال احضرت السيارة، وبعد ان افهم عبد القادر مأمور الشرطة انه ورجاله سيقاومون كل محاولة لالقاء القبض عليهم بكل قوة. ثم طلب الى السائق التوجه نحو (بعقوبة) على الحدود الايرانية، ولما ابتعدت السيارة قليلاً امر السائق بالتوجه الى بغداد.

ولما وصلنا اطراف المدينة تسللنا الى بيت عبد القادر، فلما دخلنا البيت وجدنا (٣٩) مجاهداً من اخواننا قد التجأوا اليه وما ان قابلتنا المجاهدة الكريمة حتى اغرورقت عيناها بالدموع وقالت: «لقد حضرت يا ابا موسى في الوقت المناسب».

كانت المجاهدة الصابرة قد صرفت جميع ما تملك وباعت جميع اثاث البيت ولم يبق الا (اسورة واحدة) تريد رهنها، للانفاق على المجاهدين البالغ عددهم (٥٥) مجاهداً. وهكذا وصلت المجموعة بعد مسيرة (٢٥) يوماً وقطع مسافة (١٠٠٠) كم، مشياً على الاقدام «ولا زلت اذكر كلمته الخالدة: جحيم بغداد ولا نعيم ايران»^(١).

(١) حياة عبد القادر / مخطوط - نخبة من خلائه

بقيت المجموعة اكثر من شهر في بيت عبد القادر في (الكرادة الشرقية)، الذي اصبح ملاذا للرجال حتى اضر بهم الجوع وملوا حياة التخفي.

ولما علمت دائرة الامن خبر اختفاء عبد القادر وجنوده في بيته، بعد ان وشى بهم (عز الدين الشوا)، ونمى الى الشرطة ان عبد القادر يدبر مؤامرة لاغتيال الوصي على عرش العراق (عبد الاله) ونوري السعيد. وكانوا يعرفون شدة عبد القادر ورجاله، خاصة وانهم يحملون اسلحتهم، وانهم سيقاومون كل محاولة لالقاء القبض عليهم، ولما علم عبد القادر بذلك طلب من المجاهدة الصابرة الاتصال بالسيد (ابراهيم عطار باشي) ابن خالة وزير الداخلية (مصطفى العمري) اللذين حضرا الى بيت عبد القادر سرا، فوجدا ان رجاله قد استحكموا في جميع انحاء البيت وشرفاته فقابله عبد القادر بعد ان عرف قصده وتم الاتفاق على ان يغادر عبد القادر ورجاله بغداد الى زاخو والداودية والسليمانية في الشمال، وتتعهد الحكومة بنقلهم في سياراتهم، وعدم التعرض لهم، لا في زاخو ولا في الطريق مع تقديم نفقات اعاشتهم في المنفى، فوافق الجميع على ذلك.

وصل عبد القادر هو ورفاقه ومنهم: (صبحي ابو غربية ومحمد الاعرج وعيسى الحمزة وفريد برهان واحمد نسيبة وفوزي القطب الى زاخو، وظلوا هناك ثلاثة اشهر، الى ان اغتال مجهولون (فخري النشاشيبي) في بغداد، وهناك تم اعتقالهم جميعا بعد ان اتهم (السيد احمد نسيبة) باغتياله، ونقلوا جميعا مكبلين بالحديد الى سجن ومعتقل العمارة.

كما مثلت المجاهدة الصابرة (وجيهة الحسيني) امام المحكمة، بتهمة مساعدتها وايوائها للثوار، وتحريضهم على القتال، حيث حكم عليها بالاقامة الجبرية في بيتها، حيث امضت فترة من الزمن تحت المراقبة، ثم افرج عنها وعادت الى القدس خلال اقامة زوجها عبد القادر في المنفى.

ولما قبضت السلطات على عبد القادر، واعادته الى سجن العمارة ليشهد في اغتيال النشاشيبي، عادت المجاهدة لحضور محكمة زوجها لدى احدى المحاكم العسكرية، التي تعترف جازمة ان عبد القادر بريء هو ورفاقه من دم القتل، ولكنهم سيقوا الى المحكمة بتهمة انهم (اوقفوا الجيش البريطاني عشرة ايام واخروا زحفه على بغداد)^(١).

ولكن المحكمة رغم براءة^(٢) عبد القادر فقد اودعته السجن ثانية بلا جرم، وانما لتاريخ نضاله المجيد في فلسطين والعراق.

(١) النكبة - عارف العارف

(٢) بشهادة سعيد الناشف الذي هاجم الجميع عدا عبد القادر الذي قال عنه : أنه لا يستطيع ان يمسه بكلمة خاصة بعد ان قال عبد القادر متهكما : يا بساط الريح احملني من زاخو لأقتل النشاشيبي

وما كاد عبد القادر يدخل معتقل العمارة حتى عرفه المساجين، فهرعوا اليه يحيونه، ويكيلون اليه آيات الاعجاب والثناء، وهناك نشط عبد القادر برغم مرضه في توعية رفاقه المعتقلين وتبصيرهم بشتى المعارف، وخاصة تاريخ القضية الفلسطينية، كما ساعد الراغبين منهم في العلم بشرح كثير من المسائل الرياضية والكيميائية والدينية، فكان بحق استاذ المعتقل وامامه وهناك تعرف على (احمد عون وجعفر الحسيني والدكتور عبدالرحمن توفيق) (صاحب مكتبة) وهم من العراق، وكانوا متهمين بنسف جسر الملك فيصل في بغداد.

غير ان المرض اشتد عليه، ولم يكد خبر اعتقال صحته ينتشر، حتى هب نفر من احرار العراق وعلى رأسهم المرحوم (سعيد ثابت / رئيس جمعية انقاذ فلسطين) وابراهيم عطار باشي وحكمت عبدالرحمن (تاجر غلال) وكان صديقا مقربا، يطالبون بالافراج عنه.

ورغم مرضه فقد كان مثال الجندي الصابر الصامد، تمكن خلالها من التأثير على المسؤولين لتحسين اوضاع السجناء اذ انه اعلن الاضراب عن الطعام ذات مرة وتبعه جميع السجناء حتى اضطرت ادارة السجون الى منح تسهيلات عامة للسجناء، مع تحسين الاكل والنوم، ومنذ ذلك الحين تحسنت معاملة السجناء وزاد احترامهم.

«ومما زاد من محبة السجناء لعبد القادر شخصيته المحببة وصبره، حتى انه كلما حصل سوء تفاهم بين السجناء والمأمورين لا ينفذ الا بعد حضوره او تدخله، وفي السجن نظم بعض اشعاره، كما كتب قسما من مذكراته الا انه اضطر الى اتلافها خشية وقوعها في ايدي السلطات»^(١).

وما ان ترامى الى مسامع السلطات البريطانية في فلسطين، خبر اعتقال عبد القادر وايداعه السجن حتى اخذت تتفاوض مع الحكومة العراقية لتسليمها اياه، وقد وجدت ان الفرصة سانحة للتخلص من هذا الشاب الذي اقلق مضاجعها وعرف كيف يحاربها ولما عرف اصدقاء عبد القادر هذا الامر، ولما لم يكن لوجوده في السجن اي مبرر لعدم ثبوت التهمة ضده راحوا يسعون لدى السلطات لاطلاق سراحه وابعاده خارج البلاد، وفي النهاية سمحت الحكومة العراقية شريطة ان توافق احدى الدول العربية على دخوله اليها.

فكتب الى صديقه (محمد علي الطاهر) يطلعه على الامر، فما كان منه الا ان اتصل بمصطفى النحاس باشا الذي وافق على دخوله الى مصر وابرق الى المفوضية المصرية في بغداد لتمنح عبد القادر اذنا بدخول الاراضي المصرية.

وفي تلك الاثناء حاول احد المسؤولين في الحكومة العراقية تسليم عبد القادر ولكن قبل ان تتم هذه المحاولة كان عبد القادر يجتاز الحدود العراقية في طريقه الى الحجاز بعد ان قضى ما يزيد عن ثلاثة اعوام وتسعة اشهر بين الاعتقال والنفي والسجن.

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

الباب الرابع

الفصل الاول

عبدالقادر في الحجاز

وصل عبدالقادر الى السعودية في اواخر عام ١٩٤٤ وما ان هبطت قدماه، وعلم الملك عبدالعزيز نبأ قدومه، حتى امر عامله في منطقة الحدود اكرام وفادته ونقله معززا مكرما الى مكة المكرمة، حيث حل ضيفا على الحكومة هناك وفي المدينة المنورة قابل جلالة الملك عبدالعزيز فرحب به كل الترحيب، واكرمه اكراما زائدا، اكراما لوالده شيخ القضية موسى كاظم باشا الذي كان من اكبر اصدقاء الملك، حينما كان متصرفا في الحجاز.

استقر عبدالقادر ما بين مكة والطائف، وتوشجت روابط الالفة والصدقة بينه وبين الشخصيات البارزة في الحجاز، وقد احبه الامير (منصور نجل الملك عبدالعزيز) ووزير الدفاع حبا جما، وكان يستأنس بوجوده ومرافقته.

وقد لحق بعبدالقادر بعض اخوانه من المجاهدين فاكرمت الحكومة السعودية وفادتهم، وبقي الجميع في مكة المكرمة، ولكن هيهات ان يهدأ بال هذا القائد الذي كرس حياته لخدمة بلاده.

كتب الدكتور قاسم الريماوي يقول:

«حدثني الحاج محمود الريماوي قال: «بعد ان اديت فريضة العصر في الكعبة، از باعرابي قصير القامة يرتدي العباءة (والشاروخ) ويطلق لحيته، يتقدم مني فلم اتميزه عند

اقترابه لان ملامحه قد تغيرت كثيرا، فصافحني بحرارة، وما كدت اتميزه حتى اخذ الدمع ينهمر من عيني، لأنني ما كنت آمل ان ارى هذا القائد الباسل بعد تعرضه للموت، واقتحامه للمهالك مرات ومرات، فهدأني وقال الحقني فتبعته وبعد مسافة قصيرة دخلت دارا مفروشة

وقال: هذا بيتك وانت ضيفي وراح يسألني بلهفة شديدة عن احوال البلاد واعمال الانجليز وشنقهم للمجاهدين. ثم قال لي: اما زال الاهالي يشترون السلاح.. فقلت له: ان الاحتفاظ به صعب قال: لا.. يجب ان يشتري كل شخص -رجلا كان ام امرأة- السلاح ويخفيه الى اليوم الموعد، فوالله لن نتأخر عن دخول البلاد لارواؤها بدمائنا، وسنتقابل فيها باذن الله.

قال الحاج: لقد استبعدت حدوث ذلك خاصة وان الظروف لا تسمح بذلك، واذا بي بعد بضع سنين اجتمع به في فلسطين وذكرني بما قاله لي». وكانت عائلته قد التحقت به اثناء اقامته بالحجاز.

عبدالقادر الحسيني في مصر

شعر عبدالقادر وهو في السعودية بشدة الحاجة الى العلاج والى اشراف كبار الاطباء على حالته الصحية، كما رأى المجاهدون ان المصلحة الوطنية تستوجب حضوره الى مصر لعدة اسباب منها:

- ١ - ان مصر اصبحت تمثل بؤرة الرعى في المنطقة العربية، وخاصة بعد انشاء جامعة الدول العربية، واتخاذ القاهرة مقرا لها.
- ٢ - ان مجال العمل والتحرر في مصر، اكثر سعة واكفل حرية من غيره من المجالات.
- ٣ - امكانية الحصول على الاسلحة من مخلفات الحرب العالمية الثانية من الصحراء الغربية وليبيا.

ولم يكن الحضور الى مصر ميسورا بالنسبة لعبدالقادر في ذلك الوقت ذلك لان السلطات كانت شديدة التحفظ بالنسبة للحركة الفلسطينية في اراضيها، تجنبنا لاغضاب بريطانيا، ومن اجل ذلك اتصل نفر من المجاهدين المقيمين في القاهرة ومن بينهم (محمد علي الطاهر والدكتور مصطفى بشناق) برئيس الوزارة المصرية (مصطفى النحاس باشا) الذي استجاب مرحبا، ووافق في ١١ ايلول ١٩٤٥ على السماح لعبدالقادر بدخول مصر، حيث ابرق الى المفوضية المصرية بجدة لمنح القائد تأشيرة دخول.

وصل عبدالقادر وعائلته الى مصر في ١/١/١٩٤٦م واستأجر لسكناه شقة متواضعة (بشارع منية السيرج - حي شبرا الشعبى) بالقاهرة، وعندما وضعت الحرب العالمية اوزارها، اتصل باخوانه في فلسطين وبقادة مجاهديها في مختلف مراكزهم حيث دلف الى مصر عدد منهم للعمل معه، ونذكر منهم:

الشيخ حسن سلامة، كامل عريقات، محمد محمود الصفوري، ابراهيم ابودية، شحادة حسونة، عبدالحليم الجيلاني (الشلف)، صالح الريماوي، خالد الفرخ، محمد سليم ابولبن، صبحي ابو غربية، خليل خليف، قاسم الريماوي، رشيد عريقات، جميل الفارس، صالح عون الله، خليل الطبري، خالد الحسيني، رفيق عويص، توفيق الابراهيم، عودة ابراهيم عودة، خليل منون، عبدالله سمرين، بهجت ابو غربية وحافظ ابو الفيالات وغيرهم الكثير. وكان سماحة المفتي الاكبر في باريس فاتصل به عبدالقادر واطلعه على ما ينوي عمله وطلب توجيه زعيمه، فرحب سماحة المفتي بعبدالقادر عائدا الى الميدان، وشجعه على المضي في اعداد المجاهدين ليوم قريب.

اجتمع عبد القادر بالوافدين الابطال، حيث عقد معهم عدة اجتماعات بحث فيها الخطة العامة للجهاد وكانت كالتالي:

- ١ - تنظيم خطة عامة للجهاد المقدس تناولت الهجوم والدفاع في جميع انحاء فلسطين.
 - ٢ - تنظيم خلايا سرية صغيرة تعمل داخل فلسطين، عرفت فيما بعد باسم (الحرية، القوة، الثأر، والمنظمة العسكرية العربية).
 - ٣ - اقامة شبكة استخبارات واسعة.
 - ٤ - شراء الاسلحة من الصحراء الغربية في مصر ومن ليبيا، وتخزينها تمهيدا لارسالها الى مخازن سرية في فلسطين والعمل على صيانتها وتنظيفها.
 - ٥ - عمل شبكة لتأمين الاتصال اللاسلكي بين فلسطين والاقطار العربية المجاورة.
 - ٦ - عمل محطة اذاعة محلية لبث البيانات والبلاغات الرسمية.
 - ٧ - اقامة مختبر لصنع المتفجرات، وتنظيم دورات في مصر لتدريب اكبر عدد ممكن من الشبان الفلسطينيين، على امور النسف، وتعريفهم بخصائص المتفجرات واستعمال الاسلحة بانواعها.
 - ٨ - تأمين نقل الاسلحة الى فلسطين.
 - ٩ - تنظيم شؤون دعاية قوية تتولى اصدار النشرات بالعربية والانجليزية، وتوزيعها بطرق مختلفة على السكان وافراد الجيش والبوليس البريطاني.
 - ١٠ - تنظيم اجتماعات شخصية مع جميع الوجهاء ورؤساء العشائر ومشايخ القبائل لحثهم على شراء الاسلحة والانخراط في صفوف المجاهدين.
- لم يبق هذا البرنامج حبرا على ورق، بل طبقه عبد القادر بحكمة وروية، ونجح نجاحا منقطع النظير في تطبيق بنوده، ويرجع السبب في نجاح هذه الخطة الى معرفة عبد القادر الشخصية باهالي البلاد وحالة الشعب وامكانيته، والى صفاء نية هذا القائد واخلاصه.

كان عبد القادر يؤمن ايمانا قاطعا بقوة الشعب الفلسطيني وتضحياته ولهذا اقدم على

تولي اعظم مسؤولية عرفها تاريخ فلسطين، فالبرغم من خذلان الجامعة العربية له، والحيلولة دون مساعدته ماديا ومعنويا، ومقاومتها اياه سرا وعلانية، ورغم حرص الانجليز واليهود ومؤامراتهم، ومحاولاتهم ابعاده عن المعركة ورغم قلة العدة والعتاد والمال، فقد حمل عبد القادر هذه المسؤولية بل هذه الأمانة المقدسة، واذا بالشعب الفلسطيني لا يخيب آماله، فراح يلتف حوله ويبيع الغالي والرخيص، من حلي ومحصول ليتمكن من شراء قطعة سلاح للدفاع عن الأعراس والحريات والوطن المهيبض تحت إمرة هذا القائد.

ومن اهم التنظيمات التي شكلها عبد القادر في مصر وفقا لبرنامجها الاصيل:

١ - تكوين لجنة لشراء الاسلحة من الصحراء الغربية وليبيا.

- ٢ - بناء مخازن في القاهرة لتخزين الاسلحة.
- ٣ - تأسيس مكتب لصيانة وتنظيف هذه الاسلحة
- ٤ - تأمين نقل الاسلحة من مصر وسوريا الى فلسطين.

وعلى الاثر تشكلت لجنة شراء الاسلحة وكان من بين اعضائها:

(عبدالرحمن شحدة، خليل العوري، عبدالله مهنا، محمود جميل الحسيني، صبحي الخضرا، حلمي الاغا، عبدالفتاح التميمي، خضر ابو رشيد، عبدالله ابوستة، عوض محمود احمد الترمساوي (المرافق الخاص لعبدالقادر) والسائق السوداني (محمود ذياب).

ولهذا راح القائد يشتري كل ما تقع عليه يده من سلاح ومن ماله الخاص، ومن مال الامة وكانت الاسلحة التي يتم الحصول عليها، تخزن في بيوت منها: بيت (عبدالزين جبريل) في حلمية الزيتون، واخرى في المطرية وفي عزبة النخل، حيث يرسل قسم منها الى فلسطين عن طريق ميناء صيدا بلبنان، حيث كان المجاهد (معروف سعد) نائب صيدا سابقا يتكفل بارسالها وايصالها الى مجاهدي الشمال، والبعض الاخر كان يرسل عن طريق غزة، حيث ينقلها المجاهد (ابراهيم ابودية) يساعده المجاهد (عبدالله ابوستة) حيث يتم تخزينها في منطقة رأس العين شرقي خان يونس، ومن هناك ترسل الى فلسطين لتخزن في قرية صورييف

يقول السيد نبيل الاغا في كتابه (قضية فلسطين في سيرة بطل)^(١).

«حدثنا المجاهد عبدالرحمن شحدة من لفتا - وكان احد الاعضاء البارزين في لجنة شراء الاسلحة في مصر عن مهمته فقال:

«في اواخر سنة ١٩٤٦م، كلفني الشهيد عبدالقادر الحسيني وسماحة المفتي بشراء الاسلحة من مصر، وكان لدى الشهيد عبدالقادر سيارة من نوع «ستيشن واجن» يقودها اخ سوداني اسمه (محمود ذياب)، فذهبت انا ومحمود الى منطقة (ابورواسن) قرب هرم سقاره بالجيزة، وحصلنا منها على خمس بنادق مستعملة، واخبرنا الرجل الذي اشترينا منه البنادق الخمس بوجود اسلحة في قرية (ابو المطامير) عند كوبري العبد، بمحافظة البحيرة فتوجهت اليها مع الاخ خليل العوري (من بيت عور) فاشترينا بعض الاسلحة المختلفة، ثم تشاء الظروف ان نتعرف على السيد محمود بك نصير (عضو مجلس النواب المصري)، الذي تعرف بدوره على الشهيد عبدالقادر وقد اقترح نصير بك ان يرافقنا ليوزبناشي المناضل (جلال حسن ندا) من بنها، لمصاحبتنا وتأمين تنقلاتنا، واخذ جلال يصاحب سيارتنا من كوبري العبد الى القاهرة حيث يتسلمها الشهيد عبدالقادر.

(١) كتاب الاغا ص ٢٧ في لقاءه مع المجاهد بتاريخ ١١/٥/١٩٦٧ القاهرة

وذات مرة فوجئنا ببعض الخفراء التابعين لعزبة البستان، يعترضون طريقنا، وكان امر شرائنا للأسلحة قد شاع في المنطقة فاخذ المسؤولون في البحث عنا، وقررت ان اواجه الموقف بنفسى، فدخلت الى السيد «احمد اسماعيل علي» عمدة العزبة، ورفضت شرب القهوة وبادرتة: «انا الفلسطيني الي بتفتشوا عليه، وانا ادافع عن بيت الله والمسجد الاقصى، الي ما ليش فيه اكثر منك، خذني وسلمني للشرطة اذا كنت تريد الدنيا وزينتها».

وقد افهمت العمدة اننا نعمل سرا في المرحلة الحاضرة، وسنعمل علانية في المستقبل، وشرحت له الوضع في فلسطين، فتأثر الرجل تأثرا بالغا، وغلبته عاطفته فبكى، ووافق على تسهيل مهمتنا، واخذ رقم سيارتنا، وبر بوعده وساعدنا فعلا، وبعد فترة قصيرة قام بزيارة سماحة المفتي بحي حلمية الزيتون بالقاهرة، وقدم له خمسة صناديق مليئة بالخيرة.

ولم تكن عشرات البنادق والمسدسات التي حصلنا عليها لتكفيها، فقررنا الذهاب الى «مرسى مطروح» وهي المصدر الرئيسي للسلاح، ولم يكن اجتياز الصحراء الغربية في مصر هينا، ولا الوصول الى عاصمتها ميسورا، فهي منطقة حدود، ويحتاج من يريد دخولها الى تصريح خاص من السلطات المسؤولة.

فأطلعنا الشهيد عبد القادر على فكرتنا فباركها، وأصر على مرافقتنا، سألنا بعض معارفنا: من أشد الناس عداوة للانجليز في مرسى مطروح وفي امكانه مساعدتنا؟ قالوا: سيد بك فرح وكيل الحافظة. جميل - ومن يمت له بصلة قوية، وفي امكانه

مساعدتنا؟

قالوا: ابن عم له يدعى محمود.. وقابلنا محمود.. كان بحق وطنيا صادقا، واتفقنا معا على حيلة توصلنا الى مطروح وتدرأ عنا شبهات حرس الحدود، وصرت في لحظة ابن عمه الوكيل وعبد القادر ابن خاله، وحتى تنطلي الحيلة كلية، ابرق الي سيد فرح يخبره بان اصهاره سيزورونه، وبالفعل.. ركبنا في سيارتين.. الشهيد عبد القادر ومحمود جميل الحسيني وانا في سيارة، ومحمود وزوجته واولاده في سيارة ثانية، واتجهنا الى مطروح دونما عناء او مشقة، حيث كان سيد فرح قد ابلغ البوابات الواقعة بين الاسكندرية ومطروح بتسهيل مرورنا.

ونزلنا بيته وقد رحب بنا كثيرا وخلال ذهابه لاحضار الطعام قلت لابي موسى: لنكشف اوراقنا للرجل. فأوماً بالموافقة، وبعد برهة احضر سيد بك الطعام واثار الينا بتناوله، فمافعلنا اذ سارعتة بالقول: هل تعلم من ضيفك؟ واردفت دون ان انتظر جوابا: انه المجاهد الكبير عبد القادر الحسيني، وقد جئناك نطلب الحماية للمسجد الاقصى. فانبهر الرجل ولكن سرعان ما ادرك قصدنا وقال: على الرحب والسعة، وهل في دنيا العروبة والاسلام من يضمن في حماية الاقصى، وعلى الفور ارسل ابنه (سيف) معنا، واتجهنا الى بعض مضارب البدو وحصلنا على نحو ستين بندقية مختلفة الاطرزة.

واذكر ان بعض الاعراب قد اخبرنا بوجود بعض مدافع الهاون عند احد اصدقائه القاطنين بالصحراء فأشربت نفس الشهيد عبد القادر، حين سمع بذلك واصر على الذهاب فورا برغم ان الاعرابي قد حذرنا من وعمورة الطريق، غير ان عبد القادر لم يأبه لهذا التحذير بل تجاهله، وركبنا السيارة، وانطلقنا الى بغيتنا، واثناء سيرتنا فوجئنا بطبقة كثيفة من الرمال تغطي طريقنا الرئيسي، مما تسبب في وقوف السيارة مرات عديدة، فما نجد عبد القادر الا قافزا تحت عجلاتها، مسويا الطريق بيديه وتكرر ذلك عدة مرات وفي النهاية وصلنا واشترينا ما صلح من تلك المدافع، وعدنا ثانية وقد اصاب منا التعب ما اصاب.

وبعد فترة تشكلت اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، فاكتسب عملنا صفتي الشرعية والعلنية، فاستمررتنا في جمع السلاح وانضم اليها المجاهد صبحي الخضراء، واذكر انه حضر ذات مرة مع الشهيد عبد القادر الى مرسى مطروح، فذهبنا معا لزيارة المحافظ القائم مقام احمد سيف اليزل بك، واقام لنا مأدبة غداء وقدم لنا كثيرا من المساعدات.

ويقول المجاهد (عبدالله مهنا من المسمية):

«كنت اضع السلاح في فندق البرلمان بالعتبة حيث كنت اجمعه هناك علنا، ثم احملة حتى مدينة الاسماعيلية حيث ينتظرنا ضباط مصريون ليمررونا حتى العريش بسيارات الجيش المصري ومن العريش كنا نحملها بسيارات فلسطينية، نمر بها عن طريق رفح، ثم نوزعها على المقاتلين في القرى، وكان معي في هذه العملية (حلمي الاغا) من خان يونس^(١) وقد استعان عبد القادر بثلاثة من الجنود الالمان الهاربين من الاسر، وعملوا على صيانة الاسلحة التي كانت تجمع في مخازن القاهرة.

لاحظ عبد القادر ان عددا من التجار اليهود يتجولون في مصر لشراء الاسلحة وارسالها الى يهود فلسطين، فراح يطاردهم وكثيرا ما لفت نظر المسؤولين من رجال الحكم الى هؤلاء التجار، كما تمكن من شراء سيارة للتنقل بها الى مراكز الاسلحة في الصحراء الغربية، وتمكن من ايجاد مراكز ثابتة في مرسى مطروح والصحراء الغربية وغيرها. ووضع في كل مركز بعض معاونيه الذين راحوا يعملون ليلا ونهارا، ويتنقلون بين مضارب البدو لجمع الاسلحة والذخائر، وكلما جمعوا شيئا منها، ارسل سيارة لاحضارها الى مصر مما اضطر الى بناء ثلاثة مخازن سرية في القاهرة اشرف هو بنفسه على البناء فكان ينقل الحجارة ويشغل بيديه حتى تم تجهيزها. كما تم استئجار عدة بيوت لهذا الغرض.

نقل الاسلحة من مصر وسوريا الى فلسطين:

اعترضت عبد القادر عقبة كأداء، وهي كيفية نقل الاسلحة وخاصة المتفجرات الى فلسطين، فاستعان برجال الجامعة العربية لتسهيل نقلها، الا ان محاولاته باءت بالفشل فلم

(١) هكذا كنا نجمع السلاح - شؤون فلسطينية العدد ٢١ ايار ١٩٧٣

يستطع نقل ما يحتاجه من اسلحة وذخائر قبل اعلان حالة الجهاد (ولو اتيح له نقل المتفجرات فقط لاختلفت النتائج الحاسمة للمعركة بكاملها ولتغير وجه القتال)^(١).

ولقد وقفت الحكومة المصرية وعلى رأسها (محمود فهمي النقراشي) في وجه تسهيل عملية النقل قبل بدء الحوادث، الا ان عبدالقادر تمكن بواسطة بعض الضباط المصريين الاحرار، وبعض رؤساء العشائر، من تهريب كمية صغيرة من الاسلحة، وقد تعهد عملية التهريب هذه بعض اعوانه مثل الشيخ فريح والشيخ عبدالله ابوستة والمجاهد ابراهيم ابودية، حيث تم نقلها الى المخزن العام في قرية صوريف.

اما بالنسبة الى نقل الاسلحة من سوريا، فقد مرت فترة منذ ان اعلنت هيئة الامم المتحدة توصياتها بتقسيم فلسطين ودخول عبدالقادر الى البلاد، وكانت فلسطين في حاجة ماسة الى السلاح فوزعت اللجنة العسكرية بعض الاسلحة على مختلف المناطق، وقد عهد الى المجاهد قاسم الريماوي بنقل مخصصات منطقة القدس حيث استلم الشحنة الاولى من دمشق، وتمكن من ايصالها الى القدس عن طريق طبريا - العفولة - جنين، مارا بعدد من المستعمرات اليهودية، ومتخطيا مراكز الجمارك على حدود فلسطين، محمولة على ظهور الجمال (وكانت هذه الشحنة عبارة عن (٤٥) بندقية المانية مع ذخيرتها، اما الشحنة الثانية فكان عددها (١٠٠) بندقية، اما الشحنة الثالثة فكان عددها (٢٤) بندقية وكانت هذه الشحنات هي جميع ما استلمه القائد عبدالقادر من اللجنة العسكرية)^(٢).

وبينما كان عبدالقادر منهمكا في الاعداد للثورة حدث حادث عارض.. فخلال رئاسة السيد ابراهيم عبدالهادي للحكومة السعدية - في عهد السعديين - سعت تلك الحكومة الى اخراج عبدالقادر من مصر، ويروي المرحوم (محمد علي الطاهر) هذه الحادثة في كتابه (هاكسبت) فيقول^(٣):

«ان ادارة الجوازات قد طلبت من عبدالقادر مغادرة مصر فورا، وهددته بسجنه في سجن الاجانب الى ان يستأذن حكومة فلسطين البريطانية بتسفيره الى فلسطين وقد طلب عبدالقادر من رئيس الادارة ان يمهله بضعة ايام ريثما يحصل على اذن بدخول سوريا او لبنان وقد حاول عبدالقادر ان يسـرب اذن ذلك المسؤول، انه لن يستطيع دخول فلسطين لأن الانجليز فيها قد سبق لهم ان حكموا عليه بالاعدام لمحاربه اياهم ١٩٣٦-١٩٤١م وبدلا من ان يقدر الموظف جهاده نهره بجواب فظ: (احنا مش عاوزين قتالين قتلى في بلادنا.. يالله على بلدك) وبعد جدال وافق موظف الجوازات على بقاءه بعد ان اخذ منه تعهدا مكتوبا بان يغادر مصر بعد اسبوع وان يتعهد بان لا يبذل اي جهد او وساطة لتمديد الاقامة.

(١) حياة عبدالقادر مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) من مخطوط حياة عبدالقادر للدكتور قاسم الريماوي

(٣) كتاب هاكسبت - محمد علي الطاهر القاهرة ١٩٤٩

كانت مصر يومها ترفع اعلام الاستقلال وهي غير مستقلة، وتنشد الاناشيد الوطنية وهي مكبلة بالاغلال.. لقد طالبت الحكومة بطرد عبدالقادر، بعد ان علمت بنشاطه الوطني، وفي محاولته شرح ما جرى في فلسطين للقيادات المصرية والوطنية منها خاصة، وكان هذا التنكر الاجرامي من عمل السلطات البريطانية.

ذكر الصديق محمد علي الطاهر اخاه عبدالقادر بحادثة اخراجه في عهد الطاغية اسماعيل صدقي من مصر عام ١٩٣٢م وحرضه الايخرج الان وهو مجاهد الا بالقوة وذهب معه لمقابلة المسؤولين في مكاتب اداراتهم، وليشرح وضعه ولما لم يجد اذنا صاغية راح يعرض القضية على ادارات الصحف وهنا تحرك الجميع ضد هذا الموقف المشين، وشنوا حملة ضد الحكومة السعودية، فجين موظفو الجوازات والداخلية وخشيت الحكومة من النقمة العارمة وبقي عبدالقادر الحسيني في مصر، ليعد العدة في انتظار ذلك اليوم القريب.

التزم عبدالقادر بثورية في المنهج وقومية في التخطيط، حيث تعاون مع عدد من الشبان الكفاء، من ضباط مصريين وعراقيين وسوريين للاستنارة بأرائهم ومقترحاتهم العسكرية بوجه خاص، والاماكن الواجب زيادة تحصينها وما شابه ذلك^(١): ومنهم:

«اللواء محمد نجيب، الضابط معروف الحضري، الضابط جلال حسن ندا، محمد صلاح الدين (وكيل وزارة الداخلية) والمهامي احمد حسين (رئيس حزب مصر الفتاة) ومحمد عبدالرحمن بك نصير (عضو مجلس النواب) وحسن البنا (رئيس جماعة الاخوان المسلمين) والصديق فتحي رضوان والدكتور رشاد وغيرهم الكثير.

(١) اميل الغوري / اظهار حقائق وتفنيد اباطيل عمان ١٩٧٤م

التنظيم في فلسطين قبل اعلان الجهاد المقدس

عاد سماحة المفتي الحاج امين الحسيني الى القاهرة في صيف ١٩٤٦م فكان خير عون وسند لعبدالقادر في اعداد الشباب وتنظيم صفوفهم وتسليحهم حيث اتفقا بالتعاون مع المجاهدين على تأليف الجهاد المقدس، بينما راحت الهيئة العربية العليا تمد القائد بالمال لشراء ما يمكنه من سلاح وعتاد.

لقد تم تشكيل بعض الوحدات البسيطة، التي لا يزيد عدد افراد كل خلية عن خمسة اشخاص، وعهد الى كل وحدة منها تنفيذ اهداف خاصة ومن هذه الوحدات:

١ - وحدات الحرية:

وقد عهد الى هذه الوحدات العمل على تنفيذ مقاطعة البضائع الصهيونية فاخذت تطارد المتعاملين مع اليهود وتلقي على بيوتهم ومخازنهم القنابل والمتفجرات كما حرقت بعض المخازن بعد انذار اصحابها عدة مرات وخروجهم على اوامر المقاطعة.

وقد نجحت نجاحا باهرا في ردع ضعاف النفوس، عن الانصراف والتمادي في معاملاتهم مع اليهود، وكان المشرفون على هذه الوحدة، بعض الشباب المعروفين بصدق وطنيتهم، وغيرتهم وجرأتهم بقيادة المجاهد (صبحي ابو غربية).

٢ - فرق القوة:

وهي التي عهدت اليها مقاومة عمليات بيع الاراضي ومطاردة السماسرة، وقد تمكنت هذه الفرق من القضاء على بعض السماسرة المعروفين بعد انذارهم عدة مرات.

٣ - فرق الثأر:

وكانت مهمتها تنحصر في الرد على اعمال العدوان اليهودي ضد العرب وكان لها اثرها الفعال خاصة في منطقة يافا عام ١٩٤٧م.

٤ - المنظمة العسكرية العربية لفلسطين: (P.M.O) هذه المنظمة تشرف على جميع المنظمات والخلايا وتوجهها حسب ارادة القائد العام وتعد الاشخاص المسؤولين ورؤساء الفصائل، الذين ستعهد اليهم مهمات تنظيم الدفاع والهجوم في مختلف انحاء البلاد.

٥ - منظمة الشباب:

وكان يقودها المجاهد كامل عريقات، وكان مقرها القدس.

٦ - منظمة النجادة:

وكان مقرها يافا، وهي منظمة عسكرية قامت في فلسطين اثناء الاحتلال البريطاني وكانت تضم نخبة من الشباب العرب وكان من قادتها:

(فيضي الحسيني، محمد نمر الهواري ومحمد الفرا وغيرهم.)

٧ - منظمة الفتوة:

وهي منظمة شبة عسكرية قامت في فلسطين اثناء الانتداب البريطاني، وقد انشئت في القدس بقيادة جمال محمد صالح الحسيني واخوه توفيق الحسيني، وكان من مجاهديها (نمر الخطيب، عبدالله الصفاي وابو فاضل وراسم الحسيني والحاج المير ومحمد كامل عريقات، وكان اول استعراض لها في بيت صفافا وكان الاستعراض الثاني في جبل الطور.

وما ان دخل عبد القادر الحسيني فلسطين حتى وضعت جميع هذه الوحدات والمنظمات نفسها تحت امره قيادة الجهاد المقدس.

٢ - الاستخبارات:

كان عبد القادر الحسيني يبدي اهتماما كبيرا في شؤون الاستخبارات فعين احد المجاهدين الثقة مسؤولا عنها، وطلب منه جمع المعلومات التي يريدها وقد تمكن من تجنيد عدد من الشباب الذين يتقنون اللغة العبرية، وامرهم بمحاولة معرفة ما يلي:

- ١ - معلومات كافية عن كافة المستعمرات اليهودية المحيطة بالقدس وغيرها من المستعمرات.
- ٢ - معلومات عن المنظمات الصهيونية وعن اماكن تدريبها ومخازن اسلحتها.
- ٣ - معلومات عن كافة القرى العربية ذات الالهية الاستراتيجية.

ومع ان اليهود كانوا وما زالوا يبذون تكتما شديدا، في جميع شؤونهم الخاصة والعامة، الا ان رجال عبد القادر تمكنوا من الدخول الى قلب المنظمات اليهودية فبعضهم اتصل بعصابة الارغون واشتيرن، وتمكن بواسطتهم من معرفة جميع تفاصيل الشؤون العسكرية اليهودية. وكان عبد القادر ينظم تقريرا اسبوعيا يرسله الى اللجنة العسكرية، يتضمن تحركات اليهود واسلحتهم وعدد قواتهم وخططهم وتحصيناتهم، كما ان بعض هؤلاء المجاهدين تمكنوا من القيام ببعض الأعمال خلف الخطوط اليهودية، فمعظم حوادث الارهاب التي وقعت بين اليهود (من حجز سيارات ومهاجمات) كانت بفضلهم وتوجيههم بعد ان استغلوا بعض رجال العصابات الصهيونية في تنفيذ تلك الخطط، كما ان بعض رجال عبد القادر تمكنوا من معرفة اماكن بعض مخازن الاسلحة اليهودية، فاستولوا على بعضها (كما حدث في مستودعات سلمة) كما اخبروا السلطات عن البعض الآخر، التي لم يستطع المجاهدون من الوصول اليها لشدة الحراسة.

٣ - مختبر صنع المتفجرات وتدريب فرق النسف والتدمير:

كان عبد القادر مولعا بالكيمياء، وقد أوتي قسما كبيرا من المعرفة بها، كما انه خبر مختلف انواع المتفجرات في الايام التي قضاها اثناء حربه ضد الانجليز، كما سافر الى المانيا - كما ذكرنا - عام ١٩٣٩ حيث حضر دورة كاملة في شؤون المتفجرات والكيمياء، فكان كلما حل في بيت اقام فيه مختبرا للتجارب الكيميائية، سواء في القاهرة او في بيرزيت، كما قام بتدريب العشرات من الشباب الفلسطينيين على جميع انواع المتفجرات عمليا ونظريا، حتى تم له اعداد وحدات كبيرة من فرق التدمير، التي كان لها اكبر الاثر في الاعمال التدميرية. وكان على رأس هذه الوحدات المجاهد (فوزي نامق القطب) وهو من اشهر الخبراء في صنع المتفجرات كما اشترك في الاشراف على شؤون تدريب الفدائيين في مصر كما يرجع اليه فضل بناء فرق التدمير التي كانت تضم:

(انطون داود، ناجي مصطفى، كاظم التونسي، عزمي الجاعوني، عبد النور خليل جنحو، محمود سعد الدين الحسيني، حسين عسلان، علي الموسوس، محيي الدين صيام، احمد سرحان المغربي، محمد العتيلي، وابو اسعد حلس، والزحيفة وعبد عكي واخوه ابو جوهر وقد اعدم الاخيران سنة ١٩٥١م) وغيرهم الكثير.

٤ - الشبكة اللاسلكية:

كان اول عمل قام به عبد القادر بعد استقراره في مقر قيادته في بيرزيت، هو عمل شبكة لاسلكية للاتصال بعواصم الدول العربية، فقد استعان ببعض الخبراء المصريين لاقامتها ونقل اليها بعض مأموري اللاسلكي المعروفين بصدق وطنيتهم وقد تم بفضل هذه المحطات سرعة الاتصال بمقر الهيئة العربية العليا، وبسماحة المفتي في دمشق والقاهرة وبيروت وغيرها وكان يوميا ينقل اليهم الاخبار ويتسلم منهم الرسائل والتوصيات كما عين المجاهد (عريف بركات) مأمورا لاسلكيا لبيرزيت، وقد كانت جميع الرسائل الصادرة والواردة تكتب بالشفيرة الخاصة، كما كان في سيارة القائد جهاز لاسلكي يتصل به بمقر قيادته اينما كان.

٥ - محطة الاذاعة:

تمكن عبد القادر الحسيني بفضل بعض مهندسي الاذاعة العرب، في محطة الاذاعة الفلسطينية بالقدس، من اقامة محطة اذاعة سرية في منطقة رام الله تبث برامجها من احد الكهوف في جبال المنطقة باسم (اذاعة صوت الجهاد المقدس)، وكان يشرف على البث خبراء يوغوسلاف بالتعاون مع المهندس المصري (انور الصدر) وكانت تذيع جميع البيانات والبلاغات الرسمية باللغة العربية والانجليزية والعبرية.

وكان يتولى اذاعة هذه البيانات السيد عبدالله الريماوي واكرم عبدالسلام الحسيني، الذي كان يعمل مديعا في اذاعة القدس الرسمية كما كان السيد اسحق عبدالسلام الحسيني

يقول نشر و اعلان كل ما يهم حركة الجهاد في جريدته (الوحدة العربية)، التي كانت تصدر في القدس .

وكانت هذه المحطة احسن وسيلة للدعاية وكانت تذيع الاخبار والبيانات مرتين في اليوم (الأولى في الصباح والاخرى في المساء) مما اثار دهشة الانجليز واليهود الذين حاولوا جادين معرفة مكانها الا انهم فشلوا، وبقيت هذه المحطة تبث برامجها حتى انسحب الانجليز من البلاد، حيث استولى العرب على محطة الاذاعة الرسمية في رام الله واخذوا يذيعون اخبارهم وبلاغاتهم منها .

٦ - تنظيم الدعاية:

كان عبد القادر يصدر البلاغات الحربية الموجزة الصادقة عن جميع المعارك التي كان يخوضها ضد الاعداء، وكان مكتب النشر التابع لقيادة الجهاد المقدس، يصدر البيانات المتتالية والتعليمات العسكرية الى جمهور الشعب، وكانت هذه البلاغات توزع اما بالايدي او بنشرات اخبار الاذاعة، او في جريدة الوحدة العربية، وكثيراً ما كانت هذه البيانات مثاراً لتعليقات الصحف اليهودية التي كانت تتناقلها بلا استثناء وتعلق عليها .

كما كان مكتب الدعاية يصدر نشرات باللغة الانجليزية بتوقيع (P.M.O) وتوزع على رجال الجيش وافراد البوليس البريطاني، وكانت كلها تذكير باعمال الارهاب اليهودي وضد السلطة البريطانية وتحيزها تجاه اليهود، وكان الجنود والرعايا البريطانيون يتلقفونها ويعلقون عليها (وهي في الحق كانت مقتطفات سهلة التريديد حتى ان معظمها نظم شعرا لسهولة ترديدها)^(١).

وبالمقابل.. راحت القوى الصهيونية تواصل دعاياتها المسمومة في اوروبا فكتب الاستاذ (يونس البحري) السائح العراقي، نزيل باريس يقول في جريدة الاهرام:^(٢) «يوصل اليهود دعاياتهم العنيفة ضد العرب بفرنسا بصورة منظمة محكمة، وقد عمدوا اخيرا الى اشهار حرب الاعلانات الواسعة النطاق على اعمدة الصحف الباريسية والاقليمية، وهم يرصفون المبالغ الطائلة من اجل هذه الغاية، ولم يكتف اليهود بما ينشر في الصحف (جل صفحات اليسار الغربية) من الدعاية الضارة بسمعة العرب والحط من كرامتهم، وازهارهم بمظهر الجاني المعتدي، فشرعوا بتسخير جدران باريس لاغراضهم ودعاياتهم الخسيسة، وفي خلال الاسبوع المنصرم، بدت اكثر جدران باريس وشوارع باريس، وهي مجللة باعلانات ضخمة وعناوين بارزة لم يسبق ان شهدت باريس لها مثيلاً في الماضي، وليس ادل على ذلك من ان كلمة كل عنوان بلغ طولها نصف متر، وقد اختار اليهود لهذا العنوان الضخم الذي يبلغ طوله خمسة امتار وعرضه ثلاثة امتار وهو (هتلر لم يمت) وان اعوان هتلر واركان حربه من العرب يقاثلون اليهود في

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) جريدة الاهرام المصرية اول ١٩٤٨

فلسطين، وملأوا الاعلان سبابا وشتما وطعنا مريرا بالعرب، وبقيادة الرأي العربي وخصوصا منهم السادة المفتي الاكبر الحاج امين الحسيني، وجمال الحسيني وعبدالقادر الحسيني والدكتور حسين فخري الخالدي والدكتور امين رويحة وعز الدين الشوا، وركزوا حملاتهم بصفة خاصة على الزعيم رشيد عالي الكيلاني، والجنرال فوزي القاوقجي وختم اليهود اعلانهم بمطالبة الفرنسيين بلزوم التطوع في جيش التحرير اليهودي، لمساندة اليهود على صد الغزو العربي عن اليهود بفلسطين.

صورة الوضع بعد قرار التقسيم

كان اليهود في فلسطين قد تجاوزوا سنة ١٩٤٦ اعتداءاتهم على الانجليز، الى الاعتداء على العرب، فأوعز عبد القادر الى رجاله في فلسطين للقيام ببعض الحركات ليفهم اليهود ان العرب على استعداد لملاقاتهم في اي وقت يختارونه (اي اليهود)، فنشطت في فلسطين جماعات الثأر والحرية والقوة وغيرها، وجعلت همها تقوية المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية ضد اليهود، ومعاقبة كل عربي يخرج على نظام وقرار المقاطعة. كما تم تأليف خلايا ثورية في مختلف انحاء فلسطين لتكون على اهبة الاستعداد امام اي غدر يهودي مفاجيء.

وكان عبد القادر يهدف الى تسليح جميع القرى والمدن الفلسطينية، ولكن المال كان ينقصه كما ينقصه السوق الذي يمكنه ان يشتري منه السلاح العصري والمعدات الثقيلة والتجهيزات العسكرية، ومع انه تيسر له شراء عدة صفقات من السلاح ولكن قلة المال ظلت هي العقبة التي حالت دون شراء المزيد، فاحيلت تلك الصفقات على من كانت لديه الاموال من رجال الجامعة العربية والدول العربية، ورغم هذه الصعوبات المالية وغيرها، فقد وفق الى حد بعيد من تسليح الشبان واعداد المجاهدين.

وبعد ان انهدت اللجنة الانجلو - امريكية اعمالها وطالبت بتقسيم فلسطين ورفعت تقريرها الى الجمعية العمومية للأمم المتحدة، نشطت الهيئة العربية العليا نشاطا ملحوظا، فقد أنشأت مكاتب لها في القاهرة (وهي المقر الرئيسي) وفي فلسطين، واخذت تضع الانظمة اللازمة لسير عملها، ومن الانظمة التي وضعت (نظام اساسي وقانون داخلي، وتنظيم للجان القومية ولائحة للصندوق القومي الذي سمي (بيت المال) وقد حرصت الهيئة على ان تنشط في ميدان الاتصالات الديبلوماسية والدعائية، فقررت ارسال وفود الى انحاء مختلفة من العالم واصدرت كراسا عن قضية فلسطين نشرته بالعربية والانجليزية والفرنسية.

وكذلك قررت الهيئة العربية العليا عقد اجتماع في الاسكندرية آخر آب ١٩٤٦ برئاسة الحاج امين، وهناك وضع عبد القادر امام الهيئة جميع ما وفق الى تحقيقه من خطط ودراسات وآراء حيث تقرر في ذلك الاجتماع مواجهة الخطط الاستعمارية الصهيونية بالقوة المسلحة، وتقرر انشاء جيش فلسطيني لممارسة الجهاد الفعلي (جيش الجهاد المقدس). واختير سماحة المفتي قائدا اعلى لهذا الجيش، كما اسندت قيادته العامة الى عبد القادر وتولى كامل عريقات منصب النائب العام، كما تولى قاسم الريماوي امانة السر، اما القائدان حسن سلامة وابراهيم ابودية فقد اختيرا مستشارين عسكريين، كما وضعت ميزانية خاصة لهذا الجيش حيث تولى سعد الدين عبد اللطيف ورجائي الحسيني مهمة الاشراف عليها، وكذلك شكل المفتي - فيما بعد

- لجنة ثنائية يناط بها الاشراف على امور التهيئة وشؤون المجاهدين، بعضوية كل من صالح الريمائي واميل الغوري.

وبعد ذلك قام عبد القادر بالاشتراك مع الشيخ حسن سلامة (ابو علي) بوضع خطة عامة للجهاد المقدس، بالتعاون مع الضباط العرب الاحرار واطلع سماحته عليها ثم عرضها عبد القادر على اعضاء الهيئة العربية العليا في اجتماع لها بمقرها الجديد بضاحية (حلمية الزيتون بالقاهرة) في مطلع ايلول ١٩٤٧ وكانت تتضمن:

- ١ - الاعتماد على الفلسطينيين انفسهم في المعركة الحاسمة مع اليهود
- ٢ - مطالبة الدول العربية الشقيقة بامداد الفلسطينيين بالمال والخبرات العسكرية
- ٣ - اعلان قيام حكومة عربية تتحدث باسم فلسطين.
- ٤ - مناقشة الشعوب العربية والاسلامية وحكوماتها، لتقديم المساعدات المالية لعرب فلسطين، وشرح القضية في المحافل الدولية.

كان مجلس الجامعة العربية قد قرر في اجتماعاته من ١٧-٢٩ آذار ١٩٤٧. ان تقدم دول الجامعة العربية المال للهيئة العربية العليا، لتكون قادرة على العمل (كما اتخذ مثل هذا القرار في اجتماعات مجلس الجامعة من ٨-١٢ حزيران ١٩٤٦) (الا ان ما تسلمته الهيئة العربية العليا حتى حزيران ١٩٤٨ لم يتجاوز (١٤٣) الف جنيه دفعت سوريا (١٠٣) آلاف جنيه منها^(١).

واجتمعت هيئة الامم المتحدة في ٢٨ نيسان ١٩٤٧، بناء على دعوة الحكومة البريطانية، للنظر في قضية فلسطين، وقد منحت الهيئة العربية العليا حق الكلام باسم فلسطين، فتحدث المحامي (هنري كتن) ممثلاً عنها. واكد مطالبة عرب فلسطين بالاستقلال، ووقف الهجرة اليهودية حالاً، كما اعلن معارضة عرب فلسطين لاية لجنة تحقيق تكون ورفضهم اية قرارات تصدر اذا كانت لا تتفق ومطالبهم.

ورغم ذلك فقد شكلت هيئة الامم المتحدة لجنة تحقيق لم تدخلها اي من الدول الكبرى وصلت فلسطين يوم ٧ حزيران ١٩٤٧، حيث قررت الهيئة العربية العليا مقاطعة هذه اللجنة، لأنها غير مكلفة بتحقيق المطلب الاساسي لعرب فلسطين، وهو الاستقلال، وطلبت من الشعب في فلسطين ان يعلن الاضراب يوم وصولها.

استقبلت فلسطين والعواصم العربية اللجنة بالاضراب، ولكن الدول العربية قررت التعاون معها على اساس انها اعضاء في الامم المتحدة. ولهذا اقيم في ٦ تموز ١٩٤٧ واللجنة ما تزال في القدس - مهرجان كبير باسم العمل من اجل المحافظة على الاراضي العربية ومقاومة سياسة الاحتلال الخاصة بالاراضي، والممثلة في نزع الملكية وازالة الشيوخ، وتسجيل الاراضي

(١) المقاومة العربية في فلسطين ناجي علوش ص ١١٠

باسم المندوب السامي، ولكن هدف الاجتماع لم يكن هذا فحسب، اذ ان المقصود كان اعلان موقف العرب من قضية فلسطين بشكل عام، وقد قرئت في الاجتماع رسالة من الحاج امين رئيس الهيئة العربية العليا، اكد فيها ان الثورة لا بد واقعة في فلسطين وان لم تعترف بريطانيا والولايات المتحدة وهيئة الامم بمطالب عرب فلسطين.

وعندما تأكدت الدول العربية من سوء نوايا الدول الكبرى، الرامية الى تقسيم فلسطين دعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، الى عقد جلسة استثنائية بمصيف عالية / لبنان ما بين ٧-١٥ تشرين اول ١٩٤٧م، حيث سافر الوفد الفلسطيني سرا - بطائرة خاصة - الى بيروت وكان مكونا من:

(الحاج امين، عبدالقادر الحسيني، منيف الحسيني، حسن سلامة واميل الغوري واربعة مسلحين من رجال الجهاد (المقدس) كما وجهت الدعوة الى جميع اعضاء الهيئة العربية العليا لحضور الاجتماع في لبنان فوصلوها خلا السيد جمال الحسيني الذي كان غائبا في نيويورك.^(١)

عقدت اللجنة العربية اجتماعا سريا في بيت عمر الداوق الصيفي في عاليه، حضره عبدالقادر وحسن سلامة وصبحي الخضرا (الذي دعي الى الاجتماع للاستشارة بأرائه العسكرية)، حيث عرض فيه خطة الجهاد المقدس فدار نقاش حاد حولها بين عبدالقادر وصبحي الخضرا، حال سماحة الحاج امين دون تفاقمه، وانتهى الاجتماع بتفويض سماحته بالبحث مع اقطاب الجامعة العربية بشأن موضوع الدفاع عن فلسطين وخطة الجهاد.^(٢)

ثم عقد اجتماع مجلس الجامعة العربية برئاسة (محمد فهمي النقراشي) رئيس الحكومة المصرية، للبحث في موضوع الاهداف الاربعة، وفيه تقرر ما يلي:

- ١ - ان تحشد الدول العربية قطعات من جيوشها على حدود فلسطين.
- ٢ - ان تقدم الدول العربية السلاح الى عرب فلسطين، الذين يقطنون في المناطق المتاخمة لليهود ورؤي ان تخصص من اجل ذلك عشرة آلاف بندقية مع ذخائرها.
- ٣ - تدريب الشباب في المناطق غير المتاخمة وتعبئتهم للمعركة المقبلة.
- ٤ - انشاء قيادة عربية تتولى هذا الامر، ورصد مبلغ من المال يوضع تحت تصرفها لا يقل عن مليون جنيه.

وقد انشئت لجنة عسكرية لتحقيق هذه الاهداف، وكانت مكونة من كبار العسكريين برئاسة العميد طه الهاشمي (مسؤول عن شؤون التدريب والتعبئة) واللواء الركن اسماعيل صفوت (العراق) والعقيد محمود الهندي (سوريا) والمقدم الركن شوكت شقير (لبنان) وبهجت

(١) سيرة بطل / نبيل الاغا ص ٤٧

(٢) اظهار حقائق وتفنيد اباطيل / اميل الغوري

طبارة (الأردن) الذي لم يحضر ولم يشترك في نشاط اللجنة. وصبحي بك الخضرا (فلسطين) واحمد الشربتلي (سوريا) ورياض الصلح (لبنان).

وقد كلفت هذه اللجنة بدراسة القضية عسكريا، ومعاونة اهل فلسطين في الدفاع عن انفسهم وكيانهم، وذلك بالاشراف على ادارة العمل وتنظيمه، وصرف الاموال التي تخصصها الدول العربية لمعاونة اهل فلسطين^(١).

وبعد عدة ايام قضتها اللجنة العسكرية في دراسة مستفيضة، رفعت تقريرها الاول في التاسع من تشرين اول ١٩٤٧م افادت فيه:

(بان اليهود في فلسطين منظمات وتشكيلات سياسية وعسكرية وادارية على درجة قصوى من النظام والاحكام، وفي وسعها ان تنقلب فورا الى حكومة صهيونية، لها كل ما تحتاج اليه من الوسائل والوسائط اللازمة للحكم، وان لديهم قوة كبيرة من الرجال والسلاح والعتاد، في الوقت الحاضر ويقدر عددهم من ٦٥-٧٥ الف مقاتل، من الهاغاناه والارغون وشتيرن وفي امكانهم تجنيد قوات احتياطية كبيرة، فيما اذا اعلنوا النفي العام).

وقد حذر التقرير من الخطر المحدق بفلسطين واهلها القاطنين وسط اكثرية يهودية، واحتمال ممارسة القتل الجماعي ضدهم، لأنهم يخشون بقاء عرب فلسطين وراء ظهورهم، خاصة وان لهم تجارب وخبرات خاصة ضد بريطانيا واليهود طيلة سنوات الاحتلال والانتداب^(٢).

لذلك اوصت اللجنة بتأليف قيادة عربية عامة، وان يعين المرجع الاعلى لهذه القيادة من كافة الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية والى ان يتم ذلك يجب ان يمد عرب فلسطين بمقادير وافية من الاسلحة لا تقل عن (١٠) الاف بندقية، وبالرشاشات والقنابل اليدوية والالغام كدفعة اولى مع المواد الهندسية والاسمنت خاصة ليستطيعوا بناء وسائل الدفاع عن الاحياء في المدن والقرى العربية بالاضافة الى تخصيص الاموال اللازمة لتنفيذ مثل هذه المشاريع لحماية عروبة فلسطين^(٣).

كما اوصت اللجنة بفتح ابواب التطوع امام جميع المواطنين العرب، والعمل على تدريبهم وتسليحهم لاتاحة الفرصة لهم في المشاركة الفعالة لانقاذ فلسطين.

هذا وقد عهدت اللجنة السياسية الى اللواء الركن اسماعيل صفوت برئاسة اللجنة العسكرية موصية بوضع توصيات اللجنة العسكرية موضع التنفيذ الفوري.

(١) لجنة فلسطين واسرارها السياسية والعسكرية / صالح صائب الجبوري

(٢) النكبة / عارف العارف

(٣) جيش الانقاذ / هاني الهندي - بيروت

وبالفعل اتخذت اللجنة العسكرية مقرا لها في (قدسية) احدى ضواحي دمشق، كما عهدت الحكومة السورية الى الفريق طه الهاشمي، بمهمة الاشراف على تعبئة وتنظيم وتدريب المتطوعين من فلسطينيين وعرب في معسكر قطنا قرب دمشق وقد افرزت وزارة الدفاع السوري مجموعة من الضباط السوريين للقيام بمهمة اعداد وتدريب المتطوعين لتكوين جيش الانقاذ تحت قيادة اسماعيل صفوت يساعده الفريق طه الهاشمي.

كما قامت هذه اللجنة العسكرية بتقسيم فلسطين الى اربع مناطق عسكرية موزعة كالتالي:

١ - منطقة الشمال: وتشمل عكا، الناصرة، جنين وقراها وعهد بقيادتها الى المجاهد فوزي القاوقجي.

٢ - منطقة الوسط/ وتشمل: القدس، رام الله، اريحا، بيت لحم والخليل وقراها وعهد بقيادتها الى عبد القادر الحسيني.

٣ - منطقة الغرب: وتشمل يافا واللد والرملة وعهد بقيادتها الى الشيخ حسن سلامة.

٤ - منطقة الجنوب: وتشمل المجدل، غزة، ورفح وقراها وعهد بقيادتها الى المجاهد محمد طارق الافريقي.

وارتبطت جميع هذه المناطق بالقيادة الرئيسية في بيرزيت.

وبهذا تكون اللجنة السياسية ودول مجلس الجامعة العربية قد تناست تقرير الهيئة العربية العليا ، الذي تضمن ضرورة أن يكون أهل فلسطين هم الأساس في الدفاع عن بلادهم ، لانهم أخبر بمواقعها ومسالكها ، ولأنهم أشد تصميمًا واستماتة في الذود عن اهلهم واموالهم وبلادهم ، يضاف الى ذلك أنهم أقل نفقة من المتطوعين أو الجنود القادمين من خارج فلسطين ، كما جاء في هذا التقرير أيضا أن الجيوش النظامية للدول العربية ، ينبغي أن ترابط على حدود فلسطين دون دخولها ، وذلك لتقوية الفلسطينيين ومساعدة المجاهدين عند الضرورة بصفة متطوعين^(١) .

لقد أثارت هذه التوصية التي جاءت ضمن قرارات مؤتمر عاليه والتي تنص :

« يجب أن يترك الفلسطينيين أنفسهم للدفاع عن بلادهم ، على أن تزودهم البلاد العربية بالمال والسلاح والعسكريين ، أثارت حنق السياسة الاستعمارية التي مورست على عدد من المسؤولين العرب للحد من مثل هذه التصرفات ، وبدا ذلك واضحا حين تقدم الجنرال (كلايتون) مدير المخابرات البريطانية في الشرق الاوسط ، ومقره القاهرة ، بمذكرة الى

(١) من مذكرات الحاج امين - نشرة فلسطين الحلقة ٦٤ حزيران ١٩٧٤م

الجامعة العربية باسم بريطانيا ، معارضا فيها تسليح أهل فلسطين وتدريبهم ، كما اعتبر ذلك عملا غير ودي ، لان بريطانيا ما زالت في فلسطين ، وقد كان لبريطانيا ما ارادت ، حين مارست ضغطها ، فقد تقلص عدد المتطوعين في معسكر قطنا ، كما أن اللجنة العسكرية لم تقدم لعرب فلسطين سوى (١٦٠٠) بندقية فقط^(١) من أصل (١٠ آلاف بندقية موصى بها) ، وحتى هذه الكمية يبدو انها سحبت من المتاحف الحربية لبعض العواصم العربية .

وقد كتب صالح بويصير في « كتابه جهاد حرب فلسطين » حول هذا الموضوع ما نصه :

طائرة سورية هبطت في (اسكاكة) من أعمال الجوف ، وأفرغت ما فيها من أسلحة وأعتدة سعودية كانت (٢٣٧) بندقية نمساوية قديمة جدا ، وتعرف بالخدوية ، وقد غنمها الوهابيون من الجيش المصري في حربه مع الوهابيين في القرن الماضي ، (٢٣٣) بندقية المانية (٢٢٤) بندقية من مختلف الدول انجليزية وفرنسية وتركية وهندية لا تصلح ابدا للاستعمال ، وأما البنادق النمساوية والروسية ومجموعها (٢٥٨) فإنه لا نفع يرجى منها ، لفقدان عتاها ، ولم يبق من هذه الشحنة الكبيرة ، التي أخذت طائرة لنقلها ، وحسبت على شعب فلسطين إلا (١٧) بندقية من مجموع ٨٦ (٢٠ بندقية انجليزية من مجموع ٢٠٠) (٥) بنادق ايطالية من مجموع ٦٥) صالحة للعمل ، وبندقية واحدة من بندقيتين أمريكيتين صالحة للعمل وبندقيتان عثمانيتان^(٢) .

اما مجموع ما تلقاه شعب فلسطين لم يتجاوز (٧٦٨) الف جنيه ، وهو مبلغ ضئيل في معركة الفناء أو البقاء ، وقد كانت تلك المبالغ من مصادر مختلفة منها :

(١٠٤) آلاف جنيه من سوريا ، (٢٠) الف جنيه من مصر ، (١٥) الف جنيه من لبنان (٤٥٠٠) جنيه من اليمن . وهذه الآلاف لقاء ملايين وصلت لليهود في فلسطين^(٣) .

(١) النكبة / عارف العارف

(٢ + ٣) جهاد شعب فلسطين / صالح بويصير دار الفتح بيروت

الفصل الثاني

عبد القادر في فلسطين

أصدرت الجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة قرارها المشؤم بتقسيم فلسطين ، في ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٧ ، فهب العرب هبة رجل واحد يعلنون مقاومة هذا القرار الاجرامي الجائر ، فاندلعت الاضطرابات ضد التقسيم و ضد من يعمل لتحقيقه ، ولما أدرك الجميع أبعاد الخطر الداهم ، الذي يتهدد البلاد ، صدرت الأوامر إلى عبد القادر بدخول فلسطين ليقود مجاهديها ، وأفاقت فلسطين والنبا يملأ جنباتها ويطوي مدنها وقراها .

ولما يمض قرابة شهر على صدور قرار التقسيم حتى دخل عبد القادر البلاد بتاريخ ٢٢ كانون أول ١٩٤٧م يصحبه المجاهد مالك الحسيني قادما من مصر ، مارا ببئر السبع فالخليل فقرية صوريف - قضاء الخليل^(١) .

وفي الوقت نفسه اجتاز الحدود الفلسطينية ، عدد من المجاهدين القادمين من سوريا ولبنان ، ومن بينهم الشيخ المجاهد حسن سلامة ، فالتقوا جميعا بعبد القادر ، الذي ما كادت قدماه تطأ ارض فلسطين حتى توافد عليه أعوانه وجنوده وأنصاره ، من جميع أنحاء فلسطين ومن بينهم : (كامل عريقات ، حسن سلامة ، ابراهيم ابودية ، بهجت ابو غربية ، توفيق الابراهيم ، حسن شبلاق ، عودة إبراهيم عودة ، محمد محمود الصفوري ، محمود درويش ، محمد عمر النوباني موسى أبو شيبان والعبد اسماعيل وفريد فخر الدين وقاسم الريماوي وجريس خليف وفؤاد عريقات ومالك الحسيني وصالح الريماوي وعطا الله الحاج علي وفوزي القطب وغيرهم الكثير . حيث عقد معهم بتاريخ ٢٥ كانون اول ١٩٤٧م ، اول اجتماع ثم أعقبه عدة اجتماعات اسفرت عن تنظيم هيئة اركان حرب ومجلس قيادة للثورة على النحو التالي :

- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| ١ - عبد القادر الحسيني | قائدا عاما للجهاد المقدس |
| ٢ - كامل عبد الرحمن عريقات | نائبا للقائد العام |
| ٣ - داود الحسيني | مفتشا عاما للشؤون الادارية |
| ٤ - قاسم الريماوي | امينا للسر |

(١) قرية صوريف هي مسقط رأس المجاهد ابراهيم ابودية ، وتقع في الجهة الشمالية الغربية للخليل وتقع على ربوة تحيط بها الجبال العالية ، والى الشرق منها توجد مستعمرة كفار عتسيون .

قيادة سرايا العمليات الحربية	٥ - ابراهيم ابودية
للمالية وأمر فصيل	٦ - مالك الحسيني
للتموين والاشراف على تسليح القدس	٧ - صالح الريماوي
أمر فصيل	٨ - موسى أبو شيبان
أمر فصيل	٩ - فؤاد عريقات
أمر فصيل	١٠ - عطا الله الحاج علي
قائد فرقة التدمير	١١ - فوزي القطب

كما ألفت لجنة سياسية ، وأخرى للتدريب وأخرى للدعاية ولجنة للاتصال بالمدن والقرى ولجنة اسعاف وغيرها .

وبعد ذلك وزع القائد الاسلحة التي كان يحتفظ بها في مخزن سري ، على حاميات الدفاع ، التي اقامها في المدن والقرى ، ومكث في تلك القرية اسبوعا واحدا ، تمكن خلاله من تنظيم الدفاع في جميع أنحاء منطقة الخليل وتشكيل سرية لمرافقته ، وتكون نواة للقوة الضاربة التي يقودها بنفسه .
وبعد ذلك راح يواصل اتصالاته لإعداد القوى الشعبية وتنظيمها للدفاع والهجوم وتشكيل الفرق الضاربة على اساس عسكري صحيح .

غادر القائد عبد القادر منطقة الخليل ، بعد أن انتهى من تنظيمها وتسجيل أسماء رؤساء المسلحين وأسماء المسلحين ونوع البنادق التي يحملونها ، إلى قضاء رام الله فزار جميع قرى القضاء ، واستقبل فيها استقبالا حماسيا حارا ، وبعد ترتيبه لصفوف القوى الشعبية فيها ، انتقل الى منطقة جنين حيث قام بزيارة المدينة ، كما زار قرى رمانة وأم الفحم وعرابة وسيلة الظهر والكفير ، كان خلالها يعقد اجتماعا يحضره جميع المسلحين في تلك المنطقة ، حيث يتم اختيار رؤساء المسلحين ، وبعد مشاوره كافة الرؤساء والمسلحين ووجهاء القرى ، قسم منطقة جنين إلى خمسة اقسام ، وعين على كل قسم مسؤولا عاما ، حدد له صلاحياته وحصرها في الامور العسكرية البحتة ، طبقا لقرار التعيين . وقد عين الأشخاص التالية أسماؤهم^(١) رؤساء للمسلحين في تلك المنطقة وهم :

(فوزي جرار، نجيب المصطفى ، محمود ارشيد ، محمد العطارى ، وعلي الفارس)
وكان كل واحد منهم يقود عددا من المسلحين لا يقل عن سرية ، وكان يمددهم بما يستطيع من مال وسلاح وعتاد ، وقد كان لهذه النواة التي شكلها ، الفضل الاول في الدفاع عن تلك المنطقة . ثم انتقل الى منطقة نابلس وابتدأ بطوباس وهي أكبر قرى القضاء ، فبدى فكفر قدوم ، حيث نظم الدفاع في تلك المنطقة وعين مسؤولين عن المسلحين وهم^(٢) : (عبد الكريم الطوباسي ، مصطفى العودة ، وجميل القدومي) .

(١) حياة عبد القادر / مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) المرجع نفسه

ثم انتقل الى قلقيلية مارا بعزون ، حيث عين المجاهد (سعيد السبع) مسؤولا عن المسلحين فيها ، ومن هناك انتقل الى طولكرم ، حيث اجتمع برجال اللجنة القومية ، ومن ثم زار الطيرة وقلنسوة ، وتفقد استحكامات الدفاع فيهما ، وعين المجاهد (حسن العبد الله) مسؤولا ، كما عين المجاهد (محمد ابودية) مساعدا له ، كما زار قرية الطيبة ودير الغصون وشويكة وزيتا ، ثم انتقل الى عنبتا وبلعا وبرقا فمدينة نابلس .

وقد استغرقت هذه الرحلة بكاملها تسعة أيام ، تمكن خلالها من تنظيم القوى الشعبية ، ووضع أسس الدفاع في جميع منطقة المثلث (جنين - نابلس - طولكرم) وكان استقبال الشعب له في جولته هذه منقطع النظير ، سواء أكان في المدن أو القرى ، فكانت الطرقات والشوارع والأسطحة مملوءة بالرجال والنساء ، وقد أظهر اهالي تلك المنطقة كرما زائدا في مقابلته وإكرامه والحفاوة به ، والحقيقة أنه وزع زيارته هذه بشكل نال استحسان الجميع ، وهم يشيدون بذكره ويلهجون بالثناء عليه ، خاصة بعد ما لمسوه من لطف معشره وطيب عنصره ، وكان يرافقه في هذه الرحلة عدد من الوجهاء والشبان الوطنيين .

كتب المجاهد صالح الريماوي حول طريقة التنظيم فقال^(١)

« كنا نذهب كل يوم إلى قرية أو أكثر حسب تيسير العمل ، وكان ذهابنا ليلا ، في الوقت الذي لا يكون لدينا أشغال فيه ، وفي الوقت المناسب للقرويين ، حيث يكونون قد عادوا من اشغالهم واعمالهم اليومية ، وعندما نصل الى تلك القرية ، نجمع مختايرها ووجهاءها وشبابها المتحمسين الذين نتوسم فيهم الخير ، وبعد التداول ، نقوم بتشكيل لجتين :

١ - لجنة للمختاير والوجهاء للتوجيه والمساعدة وجمع المال

٢ - لجنة للشباب وكانت شعبتين :

أ - شعبة لحراسة القرية .

ب - شعبة يسجل فيها أسماء الشباب كاحتياط .

حيث يتم تسجيل أسماء الشعبة الاولى في سجل الحراسة ، اما الشعبة الثانية فكان أفرادها يسجلون في سجل خاص يسجل فيه الأسماء والأعمار ، والبنادق وأرقامها وأنواعها ، وكنا ننتخب أفراد هذه الشعبة من الشباب الذين خدموا في البوليس الرسمي أو الاضافي ، أو من المدربين على حمل السلاح واستعماله ، وإصابة الهدف ، ثم نعين قائدا لها .

عاد عبد القادر إلى قضاء رام الله ، ليتخذ من قرية (بير زيت) مركزا لأعماله ، أما

اسباب اختياره لهذا القضاء فترجع الى ما يلي :-

(١) من رسالة المجاهد صالح الريماوي الى الدكتور موسى الحسيني

١ - إن قضاء رام الله هو القضاء العربي الوحيد ، الذي لم يدنسه اليهود ، ولم يستولوا على شبر من أراضيه ، ولم يسمح لليهود إطلاقا بالتجول فيه .

٢ - لأن هذا القضاء يمتاز بموقعه الجغرافي الاستراتيجي ، فهو يقع في قلب فلسطين ، وتوسطه في منطقة نفوذ القائد ، بالإضافة الى قيادة جيش الجهاد المقدس ، ولسهولة المواصلات وكثرتها فيه ، ولقربه من مدينة القدس وبعده عن معسكرات الجيش البريطاني والمستعمرات اليهودية .

٣ - اعتماد عبد القادر بصورة خاصة على استعداد ذلك القضاء العربي البكر المؤمن ، (فهو القضاء الذي قال فيه القائد البريطاني (دل) في تقريره : إنه خير قضاء حمل أعباء الثورات والتضحيات في مختلف أنحاء البلاد)^(١) .

٤ - توفر وسائل النقل ووجود المستشفيات ورجال الطب . وغير ذلك من الوسائل المعينة .

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر

قيادة الجهاد المقدس العامة

في بير زيت

بيرزيت قرية تقع على بعد ٢٥ كم الى الشمال من القدس ، وعلى بعد ٢٠ كم شرقي اللد وعلى بعد ٢٥ كم جنوبي نابلس ، وعلى بعد ٨ كم من رام الله ، وهي قرية هادئة ومعظم سكانها من المسيحيين ، وتحيط بها قرى بني زيد الشرقية والغربية وقرى بني مرة وبني حارث ، أما طرق المواصلات فكانت غير معبدة ، ولكن وسائل الاتصال بها كانت ميسورة .

تم استئجار ست بنايات فيها ، لتكون مقرا للقوى الضاربة والقوى النظامية ، ومركزا للقيادة العامة توزعت كالتالي :-

- ١ - مكتب الدعاية والشؤون الاجتماعية والعلاقات السرية .
 - ٢ - دار لمحطة اللاسلكي .
 - ٣ - دار مقر السرية الاولى .
 - ٤ - دار مقر للسرية الثانية .
 - ٥ - مطبخ للجنود .
 - ٦ - دار لخبز الاسلحة والعتاد .
 - ٧ - دار للقائد العام ومساعديه وضباطه .
 - ٨ - مكتب خاص للقائد العام .
 - ٩ - دار لحجز الأسرى والسجناء .
 - ١٠ - غرفة للتجارب الكيميائية وتركيب المتفجرات .
- اما مكاتب الجهاد المقدس فقد كانت كالتالي^(١) :-

تتألف عمارة المكاتب من طابقين ، فالطابق الاول يحتوي على كراج للسيارات ، وعلى غرفة يجلس فيها مأمور الأحوال ، ليسجل في دفتر خاص أسماء الوافدين والذاهبين من الرجال الرسميين ، والى جانبه مساعد له يسجل اسماء الزائرين للقيادة ، على اوراق خاصة ترفع الى القيادة لتسهيل مهمة القادمين ، وإلى جانبها غرفتان للحرس الخاص ، وفي مدخل الباب يقف جندي بسلاحه وحرسته ، لا يسمح لأحد بالدخول إلا لمن يؤذن لهم .

اما الطابق الثاني فيحتوي على خمس غرف وديوان كبير ، ففي إحداها يجلس القائد العام وفي الثانية يجلس مساعد القائد كامل عريقات ، وفي الثالثة يجلس امين السر العام قاسم

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر

الريماوي ، وفي الغرفة المواجهة لمدخل العمارة ، يجلس مدير المكتب وبجانبه ثلاثة مساعدين والى جانبهم غرفة المسؤولين الاداريين المسؤولين عن النقل والمالية والتموين وهم : موسى أبو شيبان وفريد فخر الدين وصلاح الحسيني ومالك الحسيني وغيرهم .

اما الديوان فكان يمتد على طول العمارة ، وكان معدا للاجتماعات العامة العسكرية والمدنية ، ففيه يستقبل القادمون من الأهالي ، وفيه تلقى المحاضرات ، كما وضعت على جدرانه لافتات تلصق عليها البلاغات الرسمية والتعليمات العامة ، كما كان يقف على مدخل الطابق الثاني جنديان بأسلحتهما .

اما غرفة القائد العام ، فكانت مزودة بطاولة وحوالي ستة كراسي ، وقد علقت على جدرانها خرائط كبيرة لجميع انحاء فلسطين ، ووضعت على الطاولة بعض الكتب التي تبحث في الامور العسكرية العامة ، وفي شؤون المتفجرات ، وفيها خزانة مملوءة بالخرائط والمعلومات العسكرية المهمة .

اما مكاتب القيادة فقد نظمت بشكل بديع ، إذ أن المشرف على المكتب ، كان من الذين مارسوا هذه المهنة ، فقد كان مديرا لمكاتب الجيش البريطاني في الفترة الاخيرة وهو السيد (سليم ربيع) وكان هذا المكتب يحتوي على ما يلي :-

١ - ملفات الجنود الشخصية : فقد كان لكل جندي ملف خاص به ، حيث يوضع فيه تعهد خاص ، موقع من صاحب الملف ، يتعهد فيه بإطاعة الأوامر وتنفيذ كل ما يوكل اليه من مهام . وأن يقدم نفسه طائعا مختارا في الجهاد في سبيل الله . كما كان يوضع فيه تقرير

طبي عن حالة الجندي الصحية وصلاحيته للقتال ، كما كان يوضع فيه اسم الجندي وعنوانه واسم ولي امره ونوع البندقية التي يحملها وخبرته العسكرية ، وجميع التقارير التي ترسل اليه او المحاكمات مع بيان يمثل المعارك التي اشترك فيها .

٢ - ملفات خاصة بالصادر والوارد للعسكريين والاداريين والقائد العام ومساعديه .

٣ - ملف لكل قرية يبين فيه عدد المسلحين ورؤساهم ، والمراسلات الواردة اليهم والصادرة .

٤ - سجلات للمالية ولمخزن الأسلحة والتموين .

٥ - كشوفات يومية عن عدد الجنود والضباط وأماكن تواجدهم .

٦ - كشوفات يومية عن المستهلك من العتاد والذخيرة .

٧ - كشوفات يومية عن المصاريف المستهلكة . وكان القائد العام يوقع على جميع هذه الكشوفات .

اما الشيفرة فقد كانت محفوظة في مكتب أمين السر العام ، وكذلك المراسلات السرية الخاصة وتقارير الاستخبارات والخطط العسكرية الهامة .

اما المقابلات الشعبية ، فإنها كانت مسموحة لكل ذي شأن ، خاصة رؤساء مسلحي القرى وأعضاء اللجان القومية ، وكنت ترى عشرات الأشخاص يحتشدون عند مكاتب القيادة للمراجعات ، فيجري القائد مقابلاتهم كل على حدة ، كما كان يزودهم بكل ما يحتاجونه من مال وعتاد وسلاح ، كما كانوا يزودون بالرجال وحاميات الدفاع إن كانوا في حاجة الى ذلك .

التدريب العسكري

كان يجري تدريب الجنود النظاميين يوميا على الاسلحة ، والقيام بمناورات ، وكان يشرف على حركة التدريب هذه عدد من الضباط الفلسطينيين الذين اشتركوا في الحرب الأخيرة ، كما استعين بعدد من الضباط الأتراك واليوغوسلافيين وغيرهم ، (وكان لا يجوز لأي شخص الالتحاق بهذه القوة ، إلا بعد التأكد من صلاحيته ومن حالته الصحية ، كما يشترط أن يكون قد نال قسطا من التدريب العسكري ، وخدم في الجيوش النظامية ، مع مراعاة صغرسن الجندي المتقدم ، وقد أتقن رجال الجهاد المقدس شؤون التدريب العسكري اتقاننا كبيرا ، فظهرت نتائج تدريبهم ومهارتهم ، وكانوا جميعا متطوعين لا يطلبون راتبا او مصاريف حتى أنني أذكر انه قد عرض على احدهم مبلغ من المال فرفض ، بحجة أنه مجاهد وأن ذلك قد يعد أجرا وهو لا يقصد إلا وجه الله ، وكان قائدهم خير ممثل لهم في هذا المضمار وخير قدوة^(١) .

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر

الدفاع عن مدينة القدس وما دار حولها من معارك

مرت فترة وجيزة بين دخول عبد القادر الحسيني فلسطين ، وبين إعلان هيئة الأمم مشروع التقسيم ، أوجس الجميع خلالها خيفة من استيلاء اليهود على المدن والقرى العربية ، خاصة مدينة القدس ، رغم وجود حاميات للدفاع عن تلك المدن والقرى . حيث كان اليهود يتحينون الفرص لاحتلالها ، وكثيرا ما شنوا هجماتهم المتتالية لتحقيق ذلك ، إلا أن حاميات الدفاع كانت تردهم على أعقابهم ، مكبدة إياهم أفدح الخسائر .

قام اليهود منذ زمن بعيد بتنفيذ خطة تطويق القدس بالمستعمرات ، لإغلاق المنافذ التي تؤدي إليها لقتل العرب داخل المدينة ، ومحاصرتهم ثم اضطرارهم للاستسلام ، ولهذا بنوا على الطريق الشمالية (طريق القدس - نابلس) ثلاث مستعمرات (اثنتان منها خارج البلد وواحدة داخلها) وكانت هذه المستعمرات :-

- ١ - مستعمرة عتروت (قلنديا) وتقع بالقرب من رام الله وتبعد عن القدس ١٢ كم .
 - ٢ - مستعمرة النيفي يعقوب وتقع بالقرب من شعفاط وتبعد عن القدس ٧ كم .
 - ٣ - مستعمرة نحلات شمعون وبيت إسرائيل (داخل القدس إلى الغرب من الشيخ جراح) .
اما في الجهة الجنوبية (طريق القدس - الخليل) فقد أقاموا فيها المستعمرات التالية :-
 - ١ - اربع مستعمرات أكبرها مستعمرة كفار عتسيون (ما بين بيت لحم والخليل من الغرب) .
 - ٢ - مستعمرة رامات راحيل (ما بين القدس وبيت لحم) .
 - ٣ - مستعمرة المندوب السامي (قرب القدس) .
 - ٤ - مستعمرة ميפור حاييم في القدس .
 - ٥ - مستعمرة تل بيوت ومستعمرة المنتفيوري في القدس .
- اما في الجهة الشرقية (طريق القدس - اريحا) فقد كانت لهم مستعمرتان :
- ١ - الجامعة العبرية وهداسا ، اللتان تسيطران على طريق اريحا - القدس ، وتساعدان في السيطرة على طريق نابلس (وتقعان على جبل الطور شمالا) .
 - ٢ - مستعمرة الكيبوتس في البحر الميت .

اما في الجهة الغربية (طريق القدس - يافا) فكانت طريقا محصنة ، ولا يمكن لعربي ان يطأها ، ولذلك استخدم العرب طريقا فرعية من جهة رام الله ، وتحد غربا الى يافا عن طريق اللطرون ، وكان اليهود قد أقاموا عليها المستعمرات التالية :-

- ١ - مستعمرة موتسا عيليت قرب قالونيا .
- ٢ - مستعمرة العنب (كريات عنافيم) قرب أبي غوش .
- ٣ - مستعمرة الخمس (معاليه خمشاه) إلى الجنوب من قطنة ، وإلى الغرب من بيت سوريك .
- ٤ - معامل ومحاجر الجيشار قرب دير ياسين والقسطل .

مما تقدم نلاحظ أن اليهود قد أحاطوا القدس بمستعمراتهم لتحقيق ما يلي :

- ١ - قطع جميع طرق القدس ومواصلاتها من الجهات الأربع .
- ٢ - احتلال ما تبقى من القدس العربية (المدينة القديمة والمسجد الاقصى) ، وهو الهدف الاساسي للعمليات الهجومية المتكررة ، ففي الجنوب :

هناك مستعمرة ميقرر حايم ، ويريدون وصلها بالقدس اليهودية عن طريق احتلال القطمون ، اما مستعمرة تل بيوت فإنهم يريدون وصلها بالقدس اليهودية أيضا ، عن طريق احتلال البقعة ، لتكون على صلة مع مستعمرة ميقرر حايم .

اما القدس القديمة فإنهم يريدون وصلها بالقدس اليهودية ، عن طريق احتلال حي النبي داود وسلوان عن طريق مستعمرتي المنتفيوري وتل بيوت .

اما الجامعة العبرية فإنهم يريدون وصلها عن طريق احتلال منطقة الشيخ جراح وحي باب الساهرة ، وبذلك تصبح البلدة القديمة والحرم القدسي تحت رحمتهم من الجهة الشمالية أيضا . اما مستعمرة الكيبوتس في البحر الميت فكانت تعتبر نقطة هجوم تدعم الجامعة العبرية ، التي تسيطر على القدس من الشرق (أي من باب الاسباط بواسطة احتلال الطور وسلوان) .

وتنفيذا للخطة اليهودية المبيتة ، لشل حركة العرب ، ثم احتلال القدس بكاملها ، فقد قاموا بعدة محاولات منها :

- ١ - محاولة احتلال الشيخ جراح بعدة هجمات متتالية ، من ناحية بيت إسرائيل ونحلات شمعون والجامعة العبرية وهداسا .
- ٢ - محاولة احتلال القطمون عدة مرات .
- ٣ - محاولة احتلال حي النبي داود وباب الخليل ، بالتقدم من ناحية المنتفيوري عدة مرات ، بعد أن فشلوا في احتلال أطراف المدينة .

٤ - محاولة احتلال حي المصراة عن طريق مشيرم .

أدرك القائد عبد القادر ، مدى خطورة الموقف في القدس ، قبل دخوله إلى فلسطين حتى اتصل بالمجاهد قاسم الريماوي ، وطلب اليه جمع المسلحين من الأهالي ، والإحاطة بالقدس مع تعزيز حامياتها .

وعلى الأثر قررت الهيئة العربية العليا بالقدس ، إنشاء لجنة طوارئء تتولى مهام حكومة الانتداب ، التي أخذت تهمل القيام بواجباتها ، واختارت السادة أميل الغوري وغالب الخالدي وصالح الريماوي وسامي موسى كاظم الحسيني (شقيق عبد القادر) للقيام بأعباء هذه اللجنة ، كما استأجرت مكتبا لها بالبلدة القديمة بالقرب من باب الخليل ، ولما اجتمعت اللجنة لأول مرة ، قررت تقسيم العمل وتخصيصه ، فتولى السيد أميل الغوري حفظ الأمن الداخلي ، كما تولى السيد غالب الخالدي التموين ، وتولى السيد صالح الريماوي مهمة التسليح والمحافظة على المدينة والقرى المجاورة ، كما عينت هذه اللجنة السيد سعد الدين العارف قاضيا لفض المنازعات ، كما وظفت بعض الموظفين الآخرين ، كما تولى السيد سامي الحسيني مهمة الإشراف العام .

وما أن دخل عبد القادر الحسيني فلسطين ، حتى راح ينظم الدفاع عن المدينة المقدسة تنظيما دقيقا على النحو التالي :-

لقد قام بتقسيم المدينة إلى ستة أحياء وهي :-

١ - حي الشيخ جراح وباب الساهرة وواد الجوز ، وعين المجاهد الشهيد محمود جميل الحسيني قائدا له ، وبعد استشهاده عين المجاهد (محمد عادل النجار) قائدا لهذا الحي .

٢ - حي البلدة القديمة ، وعين المجاهد (صبحي ابو غربية) مسؤولا عنه ، وبعد إصابته بجراح عين المجاهد (حافظ بركات) .

٣ - حي دير ابو طور (الطور) وكان على رأس مجاهديه المجاهد (حمدي بركات)

٤ - حي القطمون ، وكان على رأس مجاهديه المجاهد (شفيق عويس) ، وبعد فشله عين المجاهد ابراهيم ابودية قائدا لحاميته .

٥ - حي مأمن الله ، وكان على رأس مجاهديه المجاهد (محمود أبو ناب) . وحي باب الخليل المجاهد (صبحي بركات) وقد استشهد .

٦ - حي النبي داود ، وكان على رأس مجاهديه المجاهد (صبحي الداودي) .

كما عين السيد سامي الحسيني مشرفا عاما على هذه الأحياء . كما عين المجاهد (صلاح الحاج مير) أمرا لمدينة القدس بعد ذلك ، كما شكلت فرقة صغيرة متجولة كقوة ضاربة بقيادة المجاهد (عبد النور خليل جنحو) .

وقد أقام المسؤولون عن هذه الفرق الاستحكامات المتينة ، وحواجز الاسمنت المسلح في منافذ الشوارع المؤدية إلى القدس ، من الأحياء اليهودية ، كما احتلوا جميع العمارات التي تواجه الأحياء اليهودية وزودوها بأكياس الرمل ، وكان المجاهدون يرابطون في هذه الاستحكامات ليلا ونهارا ، كما وضع في البنايات المشرفة على المناطق اليهودية ، عدد من أمهر الرماة (القناصين) ، لاصطياد كل من يلوح من جنود الأعداء ، وكثيرا ما أوقعوا بهم إصابات عديدة ، حتى شلوا حركتهم ، وبثوا الرعب في قلوبهم .

وكان لكل حامية من هذه الحاميات ، مقر مزود بأجهزة التليفون ، ويرتبط بجميع مراكز الدفاع الأمامية ، وبمراكز الحاميات الأخرى .

وإليك صورة الوضع في مختلف الأحياء بعد مرور شهر من بدء الإشتباكات :-

١ - منطقة الشيخ جراح :-

قام اليهود في الشهر الاول بعشر هجمات مركزة ، وكانوا يهدفون تدمير استحكامات العرب ، وقطع طريق القدس - رام الله - نابلس ، إلا أنهم فشلوا فيها جميعا ، وتكبدوا خسائر فادحة ، حيث تمكن الفدائيون العرب من نسف خمسة استحكامات تسيطر على طريق القدس - رام الله ، كما تمكن رجال حامية الشيخ جراح وباب الساهرة ، بقيادة محمود جميل الحسيني) ، من التقدم مسافة ٣٠٠ متر داخل قلب الأحياء اليهودية ، حيث أصبحت منطقة « سانهدريا اليهودية » ، هي خط الدفاع الأول لحامية الشيخ جراح وباب الساهرة .

وبعد ذلك تم نسف جميع العمارات اليهودية التي يتحصن بها الجنود اليهود ، ويتخذونها مراكز أمامية للدفاع ، حتى أصبحت تلك المنطقة ركاما من الحجارة ، أقيمت خلفه خطوط الدفاع العربية المتقدمة . كما تم تطويق القسم اليهودي من الجهة الشمالية ، مما أدى إلى احتلال (حي مشيرم) وهو قلب المنطقة اليهودية ، (إلا أن المسؤولين عن الجيش العربي ، أمروا المجاهدين بالانسحاب من تلك المنطقة - بعد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين - ، حيث تسلم هؤلاء المسؤولون قيادة الدفاع والهجوم ، ومهمة الحرب في تلك المنطقة^(١) .

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

وبينما كان المجاهد (محمود جميل الحسيني) قائد المنطقة ، يتجول للتفتيش على مراكز الحرس ، أطلق الجنود اليهود عليه عدة صليات من نيران أسلحتهم الرشاشة ، فأصاب منه مقتلا ، فسقط شهيدا عن عمر يناهز الخامسة والعشرين ، وكان - رحمه الله - من خيرة الشباب المندفعين الذين اشتهروا بالجرأة والإقدام ، وكان أعوانه من خيرة الرجال الذين تم اختيارهم من قضاء رام الله وجنين والسيلة وغيرها .

لقد تمكن الشهيد محمود جميل الحسيني قبل استشهاده ، من قطع طريق المواصلات بين مستشفى هداسا والجامعة العبرية (شرقي القدس) ، وبين الأحياء اليهودية الغربية ، وقد هاجم هو وبعض إخوانه قافلة كانت تقل عددا من الحراس التابعين للمستشفى والجامعة العبرية ، بالأسلحة الرشاشة ، وأوقعوا بهم خسائر فادحة ، وأصابوا عددا منهم بجراح ، وهكذا تحول الوضع في هذه المنطقة من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم .

٢ - حيّ البلدة القديمة :-

لا يخفى ما للدفاع عن البلدة القديمة من أهمية بالغة ، إذ أنها تضمّ الأماكن المقدسة ، وأنها مركز تجاري كبير متحصّر ، فيه معظم ثروات السكان العرب ، وفي هذه البلدة تقع (حارة اليهود) والتي تطل على قبة الصخرة المشرفة ، والاقصى المبارك من الناحية الغربية .

كانت هذه الحارة وقفا إسلاميا تعود ملكيته إلى عائلة (نمّر) وعائلة (أبو السعود) ، ويعود القسم الغربي منها ، والمتاخم لحارة الأرمن ، الى عائلة الحسيني ، وما أن وطأت أقدام اليهود أرض القدس ، حتى سارعوا في الاستيلاء عليها بمساعدة بريطانيا ، بسبب حسن موقعها المشرف على باحة البراق (المبكى) ، وأقاموا فيها المساكن والعمارات وكنيسا يهوديا كبيرا .

كتبت جريدة البلاد تحت عنوان (كيف أنقذت القدس) ما يلي (١) :

« كان يقطن في هذا الحيّ في القدس القديمة ، في ٣٠ تشرين ثان ١٩٤٧م (٤٥٠٠) نفس ، منهم (٢٠٠٠) من المقاتلين اليهود ، وينتمي أكثرهم إلى عصابتي الأرغون وشتيرن . ولهذا اتخذ القائد عبد القادر من تحرير القدس رمزاً وهدفاً ، وارتأى أن يحاصرها ويقطع المؤن والمياه والذخائر والامدادات عنها ، ففجر أنابيب المياه التي يرتوي اليهود منها ، وأمر بردم الطريق التي تؤدي إليها ، فأغلق المجاهدون طريق باب الواد بالصخور والحجارة ، وابطوا فوق السفوح وعلى أعالي الجبال ، يمتطرون بالرصاص والقنابل والرشاشات ، كل من يحاول فتحها من القوى البريطانية والصهيونية .

(١) جريدة البلاد - تشرين ثان ١٩٤٧م .

كان القائد عبد القادر يعتقد أنّ حرب العصابات في فلسطين ، تعتبر من أكثر الأعمال الحربية فائدة وجدوى ، في تدمير القوى اليهودية ، فنظّم عمليات النسف الناجحة ، وأرسل فرق التدمير لنسف القوافل اليهودية والمنشآت الصهيونية ، فدبّ الرعب بين اليهود ، وانقطعت المياه عن أحيائهم « ففرض على يهود القدس حصارا جعلهم يأكلون الأعشاب ، ويتظاهرون بالتسليم »^(١) . ودبّ الحماس في نفوس العرب ، فزادت الثورة اشتعالا والجهاد تأججا ، وكان ذلك في الخطوة الثانية في حصار القدس ، والقضاء على اليهود فيها ، وجاءت الخطوة الثالثة لاستكمال فتح القدس ، فأخذ المجاهدون يهاجمون القلاع اليهودية ، المقامة من حولها ، فاحتلوا مستعمرة عطاروت (قلنديا) ، ومستعمرة النيفي يعقوب ، ثم حاصروا القدس القديمة (حارة اليهود) لتطهيرها من الرجس اليهودي .

وفي بداية كانون أول ١٩٤٧ وعلى إثر إعلان قرار التقسيم ، قام يهود القدس القديمة بالاعتداء على العرب ، واتخذوا من الكنيس الكبير مركزا لهم ، يطلقون منه النار على الأحياء العربية ، وعلى الحرم الشريف . (وقد أصيبت قبة الصخرة ببعض شظايا القنابل وزخات من الرصاص) ، فقام القائد عبد القادر بهجوم مركّز على ذلك الحي المجرم ، كانت من نتائجه أن أصبح اليهود مدافعين بعد أن كانوا مهاجمين ، وتمّ ضرب حصار قوي على ذلك الحيّ ، ومنع المجاهدون وصول المؤن الى السكان المحاصرين .

ولما خرج القائد عبد القادر الى الجبال والوديان لقتال رجال الهاغاناه وإحكام اغلاق طريق باب الواد الشهير ، ترك في مدينة القدس القديمة (٧٥٠) مجاهدا وعلى رأسهم المجاهد (صبحي أبو غربية) ، يساعده كل من المجاهدين (حافظ بركات وعبد الله الحسيني وداود نمّر ، وأحمد سرحان (من الجالية المغربية) وكاظم التونسي والشهيد فخري ابو السعود) بالإضافة الى المجاهد الكبير فوزي القطب (قائد فرقة التدمير) ورجاله ومحمد عادل النجار مسؤول السرية الثانية .

زودت الهيئة العربية العليا هؤلاء المجاهدين بالسلاح والعتاد ، وقدمت لهم الذخيرة والمؤن المطلوبة ، حيث شدّد هؤلاء الحصار على الحيّ اليهودي ، وقتلوا رجاله قتالا شديدا ، وبالرغم من ذلك فقد استمر اليهود في الاعتداءات على العرب ، وكان الجيش والبوليس البريطاني يدخلون المؤن إلى ذلك الحيّ تحت حراسة شديدة قوية ، وكانت سيارات الجيش المصفحة ودبابات البوليس ، تنقل الرجال والعتاد ليهود القدس ، رغم احتجاج العرب ورغم مقاومة المجاهدين للقوافل العسكرية والبوليسية .

ضاق المجاهدون ذرعا بأعمال الجيش ، وباعتداءات اليهود ، فقرروا أن يصفّوا ذلك الحيّ ، وأن يقضوا على حماته ومقاتليه ، فراحوا يهاجمونه يوميا ، ويقتلون الكثير من حماته ،

(١) جريدة مصر الفتاة العدد ١٥٩ الاثنين ١٧/٥/١٩٤٨

كما كان يسقط من المجاهدين الشهداء والضحايا ، وقد لعبت فرقة التدمير وعلى رأسها المجاهد فوزي القطب دورها الفعّال ، فأخذت تنسف بيوت اليهود بيتا بيتا ووكرا ووكرا .

وقام المجاهد صبحي ابو غربية بمجهودات جبارة ، حتى أنه في الأيام الأولى لنشوب القتال ، تمكن من دخول الحي اليهودي ، بالرغم من شدّة مقاومة اليهود المدافعين ومناعة استحكاماتهم . والتوغل الى قلب الحيّ ، حتى وصل الى الكنيس اليهودي ، الذي كان يحتمي فيه المحاربون اليهود فحاول اقتحامه ، لكن المحاصرين أطلقوا عليه النار ، فأصيب في رأسه إصابة بالغة ، نقل على اثرها الى المستشفى الفرنسي بالقدس ، حيث أجريت له عملية جراحية ، وبقي بين الموت والحياة عدة شهور ، إلى أن منّ الله عليه بالشفاء .

وبعد إصابة المجاهد صبحي أبو غربية ، عهد بالقيادة الى المجاهد (حافظ بركات) الذي راح يشدّد الخناق على اليهود فحاصرهم حصارا شديدا .

صمد يهود القدس صمودا مستميّتا ، وقاوموا مقاومة عنيفة ، وكانت الوكالة اليهودية تعلمهم بدنو ساعة الخلاص طالبة اليهم الوقوف في وجه الهجمات العربية ، والثبات بانتظار الفرج ، وكان اليهود قد ملأوا ذلك الحيّ بالكثير من السلاح ، وبمعين لا ينضب من الذخيرة والعتاد ، وظل المجاهدون وحماة القدس يحاصرون ذلك الحي ويقاتلون رجاله أربعة أشهر كاملة .

وفي أوائل شهر نيسان ١٩٤٨ م ، بدأ اليهود يشدّدون هجومهم على الأحياء العربية في القدس ، وحاولوا مرارا الوصول الى الحيّ القديم ، لفكّ الحصار عن سكانه اليهود ، ولكن المجاهدين الابطال كانوا يصدّونهم ويقفون في وجه هجومهم .

وقبل انسحاب البريطانيين من القدس بخمسة أيام ، أدخلوا إلى ذلك الحيّ اليهودي في سيارات البوليس المصفحة، ودبابات الجيش وسيارات الاسعاف اليهودية، عددا كبيرا من المقاتلين اليهود ، وكميات كبيرة من الذخيرة والمؤن ، فاشتد ساعد اليهود ، وتحولوا إلى الهجوم مرة أخرى ، وهنا صمم المجاهدون العرب على القضاء نهائيا على ذلك الحي المجرم ، وإسكات أوكاره وما أن بزغت شمس ١١ أيار ١٩٤٨ حتى بدأ المجاهدون يشدّدون هجماتهم على ذلك الحي ، ويدمّرون بيوته وينسفون أوكاره ، وفي اليوم الخامس عشر من أيار ١٩٤٨ شنّ اليهود هجوما عاما على القدس من الخارج ، كما قام يهود البلدة القديمة بهجوم كبير من الداخل ، غير أن المجاهدين - وقد هرع إلى نجدتهم أهل القدس قاطبة - بما فيهم الشيوخ والنساء ، صمدوا أمام الهجومين ، وقاموا بأعمال كلها بطولة خالدة ، وكلها تضحية وفداء ، واستمروا في تدمير ذلك الحيّ اليهودي والمحافظة على بيت المقدس ، وظل المجاهدون وأهل القدس عرضة لهجمات يهودية شديدة متواصلة ، طيلة أيام ١٥، ١٦، ١٧، ١٨ أيار ولكنهم ظلوا

صامدين يردون هذه الهجمات « وكانت النسوة يقفن الى جانب رجالهن وكن يصرخن : لعيونك يا بيت المقدس ، لا نوم ولا طعام حتى نحفظ الاقصى ونحمي القيامة » (١) .

وهكذا صمد الرجال وثبتت النسوة أمام أكبر قوة جمعها اليهود ، وردّوا أفضع هجوم قام به المعتدون ، وسقطوا صرعى وجرحى بالمئات ، ولكنهم حفظوا المدينة المقدسة بدك معالم الحيّ اليهودي ، فكان الاستسلام ، وكان النصر المبين .
وقد خسر اليهود في هذه المنطقة (١٣٠٠) قتيل ، وكان عدد المنازل المدمّرة (١٨٣) منزلا بالضبط (٢) .

٣ - شارع مأمن الله (مامبلا) :-

كان المجاهد (محمد أبو ناب) مسؤولا عن الدفاع عن هذا الحيّ ، فتمكن بفضل النجدة ، من صد هجمات اليهود المتتالية على هذا الحي ، فلم يتمكن اليهود من الوصول إليه ، بالرغم من أنه يقع في قلب المدينة الجديدة ، وتسيطر عليه أبنية الوكالة اليهودية والأحياء الأخرى ، وقد كانت عمارة الأوقاف الكبيرة ، مركزا للقيادة العربية ، وقد حاول اليهود نسفها مرات عديدة ، إلا أنّهم لم يفلحوا .

(ولم يتمكن اليهود من احتلال هذا الحيّ ، إلا بعد نفاذ العتاد والذخيرة من المجاهدين) (٣)

٤ - باب الخليل وحي النبي داود :-

وكان يشرف على الدفاع عنهما المجاهد (صبحي بركات) وهو من خيرة المجاهدين البارزين ، الذين يثق بهم عبد القادر .

كان اليهود يتسللون لإلقاء المتفجرات في منطقة باب الخليل ، أو يدخلون منها الى البلدة القديمة ، إلا أن أعين الحراس ورجال الدفاع العرب ، حالت دون بلوغهم مرادهم ، (وقد ألقى القبض على أحد اليهود اليمينيين ، بينما كان يركب سيارة مملوءة بالمتفجرات ، ويحمل هوية عربية موقعة من حاكم اللواء الانكليزي ، كما ألقى القبض على يهودي آخر ، يحاول ارتكاب نفس الجريمة ، وكان ليقظة المسؤولين الفضل الاول في وقف أعمال النسف ، وإلقاء القنابل على الأحياء والسكان العرب ، كما اعتادوا عمله في السابق ، حيث كانوا يرسلون نساءهم في زيّ نساء مسلمات ، لإلقاء القنابل في (سوق البازار) وغيره من الاسواق العربية في القدس ، ولما فشل اليهود هذه المرة ، قاموا بمحاولة أخيرة ، إذ تقدمت سيارة مملوءة بالمتفجرات ، ولما أصبحت على مقربة من الحرس انتهزها ، ففرت ، ولحقوا بها وهم يطلقون النار

(١ + ٢) جريدة البلاد تان ١٩٤٧ .

(٣) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر

عليها ، فألقت السيارة قنبلة أصابت المجاهد صبحي بركات بجراح سقط على أثرها شهيدا ، ولم يتمكن اليهود من احتلال هذه المنطقة ، الا بعد ١٥ أيار ١٩٤٨ (١).

اما حامية النبي داود ، فإنها كانت تتمركز على مرتفع جبل صهيون ، وتسيطر على حيّ (المنتفيوري اليهودي) ، وتتصدى لسكانه اليهود ، وتصليهم وابلا من نيرانها كلما حاولوا التعرض للسيارات العربية ، التي كانت تسلك طريق القدس - بيت لحم - الخليل ، وأخيرا تمكن الفدائيون العرب من نسف هذا الحيّ بأكمله كما سيأتي .

٥ - حيّ القطمون :-

يقع هذا الحي الى الجنوب والجنوب الغربي من القدس ، ويواجه الأحياء اليهودية في تلك المنطقة ، وكان أمر الدفاع عنه موكولا الى المجاهد (شفيق عويس) وبالرغم من شدة الجنود الذين عهد اليهم بالدفاع عن هذا الحيّ ، إلا أن كفة اليهود كانت الراجحة ، وذلك راجع إلى زيادة عددهم وتوفر عتادهم ، وإلى ضعف قيادة الحيّ .

لقد تمكن اليهود من التسلل إلى حيّ القطمون ونسف بعض العمارات فيه ، كما تقدموا الى قلب الحيّ حتى وصلوا بناية (فندق سميراميس) ، بعد أن غطوا تقدمهم بنيران أسلحتهم الغزيرة ، وقاومتهم الحامية العربية مقاومة عنيفة ، إلا أنهم استطاعوا الوصول الى فندق سميراميس ونسفه على من فيه من النزلاء العرب ، وقد استشهد في هذا الحادث (١٨) رجلا وامرأة وطفلا ، كما جرح أكثر من (٢٠) شخصا . كما استشهد المجاهد الشهيد (محمد عبد الرزاق الريماوي) أثناء صدّ الهجوم اليهودي .

أوجس أهالي الحيّ من العرب - ومعظمهم من الطبقة الراقية والأغنياء - أوجسوا خيفة وطلبوا المدد ، فحضر القائد عبد القادر الحسيني إلى الحيّ وأشرف بنفسه على إقامة خطوط الدفاع ، ومكث بضعة أيام ، ثم رجع إلى مقر قيادته بعد أن عهد إلى المجاهد (ابراهيم أبو دية) أمر السرية الثالثة للدفاع عنه .

أبلى المجاهد أبو دية بلاء حسنا ، فتمكن من صدّ هجمات اليهود المتكررة ، وتكبيدهم أفدح الخسائر ، وأخذ يهاجمهم في عقر دارهم ، ورغم إصابته بجراح طفيفة إلا أنه بقي مرابطا في ذلك الحي ، حتى يوم ١٥ آذار ١٩٤٨ ، حيث شن اليهود هجوما قويا ، قام به الوف منهم ، فاستشهد معظم حماة الحيّ ، وزاد عددهم عن (٨٠) شخصا ، أما اليهود فكانت خسائرهم بالمئات ، وقد تمكن المجاهد ابراهيم ابو دية وعدد من جنوده من النجاة ، (وقد تم ذلك بعد دخول الجيوش العربية وبعد استلامها مهمة الدفاع عن تلك المنطقة .

(١) المدجع نفسه .

وقد كانت بعض قوى جيش الانقاذ ترابط في تلك المنطقة ، إلا أنها انسحبت في بدء المعركة تاركة مراكزها الدفاعية^(١) . مما ساعد اليهود على احتلال هذه المنطقة .

٦ - حيّ (دير ابو طور) الطّور :

وهو من الأحياء العربية الواقعة الى الجنوب الشرقي لمدينة القدس ، وقد عهد الى المجاهد (حمدي بركات) مهمة الدفاع عنه ، فتمكن من السيطرة على الموقف وصد جميع هجمات اليهود المتكررة ، وذلك لأهميته الاستراتيجية ، وسيطرته على طرق المواصلات التي تربط القدس بالمناطق العربية الأخرى في هذه المنطقة .

٧ - حاميات الدفاع في ضواحي القدس :

حامية بيت صفافا :

بيت صفافا قرية تتصل بناياتها بمدينة القدس من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية، وتتصل بحي (ميقور حاييم) اليهودي، فكانت مهمة الدفاع عنها مهمة شاقة، لأن اليهود يحيطون بها ويستطيعون فصلها عن القدس، ولعدم وجود قرى عربية كبيرة بجانبها اللهم الا قرى بني حسن وهي تبعد عنها (٢٠ كم)، وقد اطلق عليها نظام الدفاع من القسم (أ) اما سكانها العرب فقد غادر معظمهم، نظرا لحراجه موقفها، ورغم ذلك فقد ثبت فيها بعض مسلحي القرية بقيادة المجاهد (محمود العمري) الذي رفض هو وأقاربه وأفراد عشيرته مغادرة القرية، وصمموا على الدفاع عنها حتى الموت.

بدأت المناوشات بينهم وبين اليهود فصدوا هجماتهم واخذت نجدات القرى العربية تهرع اليهم وترابط في قريتهم، الا ان هذه الأعداد من المجاهدين لم تكن كافية للدفاع عن القرية، فحضر القائد عبد القادر، فشن منها هجوما كبيرا على الحي اليهودي المجاور (حي ميوقور حاييم)، ونسف بعض استحكاماته، ولم يغادر القرية حتى ترك سرية كاملة من رجال الجهاد المقدس الأشداء، ومعظمهم من السودانيين بقيادة المجاهد (محمد علي) بعد استشهاد المجاهد (محمود العمري في المعارك الأولى للدفاع).

ابلى المجاهد محمد علي بلاء حسنا، واذاق اليهود أهوال الحرب ومرارتها، ورد جميع هجماتهم، حتى ان اليهود لم يجرؤوا على مهاجمة القرية، وكانوا يفرون من امام الاخوة السودانيين، لأنهم من الرجال الأشداء.

«وهكذا بقيت هذه القرية شوكة في حلق اليهود، تدافع بهمة عالية، حتى لم يستطع احد من اليهود الاقتراب منها، لا قبل دخول الجيوش العربية ولا بعد دخولها لعدة أشهر...

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر

حامية صور باهر:

تقع قرية صور باهر الى الجنوب الشرقي من مدينة القدس، «وان صح للفلسطينيين ان يفخروا بمحافظتهم وقوة شكيمتهم في الدفاع، فان صور باهر وبيت صفافا، مجال للفخر ومدعاة للعزة، وشاهدتان على قوة واستماتة الفلسطينيين في الدفاع عن بلادهم وارضهم، واستعدادهم لبذل الدم والنفس في كل شبر فيها»^(١).

تقع هذه القرية على مقربة من الاحياء اليهودية الجنوبية، وتكاد تتصل بيوتها بحي مستعمرة (رامات راحيل). لقد برهن اهالي صور باهر انهم رجال اشداء بعزيمة حديدية، فانخرط شباب القرية في سلك الجهاد المقدس، فشكوا سرية كاملة، وعهد الى المجاهد (جاد الله الخطيب) بالقيادة.

وهو من خيرة رجال الجهاد المقدس، ومن اقربهم مودة الى القائد عبد القادر الحسيني، فقد صاحبه في معظم المعارك التي خاضها في فلسطين في الثورات الاولى عام ١٩٣٦م، وفي العراق، حيث ابلى بلاء حسنا في جميع ادوار حياته، فقام هذا القائد المجرب ببناء الاستحكامات القوية المنيعة، واخذ ينازل اليهود ليل نهار، ويقض مضاجعهم، حتى تمكن في احدى المعارك من اقتحام قلب مستعمرة (رامات راحيل) ونسف معظم استحكاماتها، ولم يتمكن اليهود من احتلال شبر في تلك المنطقة، لأنهم كانوا طيلة تلك الفترة في حالة دفاع مستمر وعرضة لاطار الهجمات المتتالية التي يشنها المجاهد جاد الله الخطيب واعوانه، كما تعرضت استحكاماتهم للنسف مرات عديدة، كما تعرض رجالهم لرصاص القناصة العرب الذين كانوا يتربصون بهم ويجندلونهم، كلما لاح منهم شخص او بدت معركة.

هكذا عجز اليهود عن إحراز اي تقدم في تلك المنطقة، الا انهم تمكنوا من الاستيلاء على بعض الاراضي التابعة للقرية فيما بعد...

حامية عين كارم:

تقع هذه القرية في الجهة الجنوبية الغربية من القدس في واد، وتمتد على سفح جبلين، تقوم على احدهما الابنية والحصون اليهودية، المسماة بحي (بيت هاكيريم)، وقد قام اليهود بهجوم قوي في بداية الاشتباكات على القرية، فتصدى لهم حراسها من مسلحي القرية ووقعوا بهم خسائر فادحة، الا انهم فقدوا أمر الحرس الشهيد (محمد اشخامة) وهو من ابطال الجهاد المقدس المعروفين، ومن رجال عبد القادر الأولين وبالرغم من استشهاده فقد صمم الاهالي على الدفاع حتى الموت فتولى المجاهد (خليل منون) قيادتهم.

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

بقيت القرية بالرغم من خطورة موقعها، طيلة الاشهر الأولى ثابتة، ولم يغادرها سكانها اطلاقاً حتى سقطت بعد دخول الجيوش العربية بشهرين (١)

ورغم ذلك لم يترك مسلحو عين كارم الميدان، بل استحكموا في الجبال المحيطة بقريتهم وشكلوا سرية كاملة بقيادة (خليل منون)، وكانت هذه السرية تغير على اليهود ليلاً نهاراً في منطقة الولجة وعين كارم، الى ان حلت قوات الجهاد المقدس وتفرق شملها.

حامية قرية لفتا:

تقع هذه القرية الى الغرب من القدس على طريق القدس - يافا، وكانت بيوتها متداخلة بالبيوت اليهودية، ولهذا غادر معظم سكانها بعد شهرين من بدء الاشتباكات، وبقيت فيها حامية من النجديات، الا انها لم تستطع المحافظة عليها، لانقطاع وسائل تموينها، ولاحاطة اليهود بها من كل جانب، وقد تمكن اليهود من نسف بعض بيوتها المجاورة لبيوتهم فيها، وكانت معظم هذه البيوت التي نسفت تخص عائلة (آل صيام) الذين رفضوا مغادرة البلدة، حتى نسفت بيوتهم فوقهم، بعد ان دافعوا عنها اقدس دفاع.

حاميات شعفاط والنبي صموئيل وبدو وبيت سوريك وكفر عقب وقالونيا والقسطل:

ان هذه القرى تتمتع بمواقع استراتيجية هامة، بالنسبة لمدينة القدس نفسها، فهي تشرف عليها وتحيط بها، بالاضافة الى سيطرتها التامة على طريق القدس - تل ابيب، ومعظم هذه القرى قلاع حصينة، كما هي الحال في النبي صموئيل والقسطل، وقد كان امر الدفاع عن هذه القرى موكولا الى مسلحي اهل القرية انفسهم، الذين نظمتهم القيادة كما امدهم بما تيسر من السلاح والذخيرة، بعد ان عينت مجاهداً مسؤولاً عن مسلحي كل قرية، تساندهم حاميات دفاع ثابتة ترسل للمرابطة في قراهم من قبل قيادة الجهاد المقدس بالاضافة الى مفارز ثابتة من رجال جيش الجهاد المقدس النظاميين، وعلى رأسهم مسؤول من القيادة العامة.

وقد هجر معظم سكان هذه القرى - من الشيوخ والنساء والاطفال - بيوتهم، وبقي المسلحون وقد شهدت هذه القرى معارك عنيفة دامية، كانت تتوقف في نتائجها على مقدار ثبات مسلحي القرية، ومقدار تصميمهم وثباتهم للدفاع عن بيوتهم وقد تحطمت قوات اليهود المرة تلو الاخرى على ابواب هذه القرى، ففي النبي صموئيل مثلاً، قام اليهود بهجوم قوي جداً لاحتلال القرية في نيسان ١٩٤٨، لما تتمتع به هذه القرية من حصانة استراتيجية لوقوعها على جبل مشرف، يسيطر على مدينة القدس وضواحيها، والطريق الموصل اليها من تل ابيب، واستمات اليهود في هجومهم حيث اختاروا مطلع الفجر لمباغته الحامية العربية، الا ان رجال الحامية كانوا لهم بالمرصاد، فقاومهم وصدوهم على اعقابهم خاسرين، بعد ان تركوا عدداً من اقتلامهم، وقد اسرقائد الحملة اليهودية (وهو برتبة كابتن)، ومن اصل مسكوبي، واحضر الى مقر القيادة في بير زيت، حيث جرت محاكمته ثم اعدم رمياً بالرصاص.

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي.

هذا وقد شهدت قرى قالونيا ودير ياسين وبيت اكسا والقسطل معارك دامية مستمرة، شنها يهود المستعمرات المجاورة لها، فكان حماة هذه القرى يصدونها، وبقيت هذه القرى شوكة في حلق المواصلات اليهودية حتى استشهد القائد عبدالقادر في معركة القسطل.

حاميات دير ايوب وبيت محسير:

كانت هذه القرى مفتاحا لباب الواد وكانت ترابط فيها حاميات ثابتة من رجال الجهاد المقدس الاشداء، الذين تمكنوا من المحافظة عليهما من محاولات العدو المتكررة لاحتلالهما، وفتح طريق باب الواد.

وقد اتخذت جميع هذه القرى مراكز رجال الجهاد المقدس، الذين كانوا يغيرون على القوافل اليهودية فيدمرونها ويقضون عليها قضاء تاما، وظلت كذلك حتى كانت معركة القسطل واستشهد القائد عبدالقادر الحسيني.

حاميات قرى الطور والعيسوية والعيزرية وسلوان وابو ديس:

هذه القرى تحيط بالقدس من الجهة الشرقية والشمالية الشرقية ولكنها لم تتعرض لهجمات عنيفة كباقي القرى، ومع ذلك فقد كانت ترابط فيها قوات كبيرة من مسلحي تلك القرى وكان الرئيس الاول (رشيد عريقات) مسؤولا عن تنظيم المسلحين في تلك القرى، وقد اشتبك مع يهود مستشفى هداسا والجامعة العبرية، بعد استشهد القائد عبدالقادر الحسيني في قرية الطور، ووقع بهم خسائر فادحة، بينما كان المجاهد (عثمان بدران) مسؤولا عن مسلحي قرية الطور، والمجاهد (ابراهيم ابو الريش) مسؤولا عن مسلحي قرية العيزرية بينما كان المجاهد (احمد علي) مسؤولا عن مسلحي قرية العيسوية.

الباب الخامس

الفصل الاول

المستدروت والوكالة اليهودية

تأسست الهستدروت (نقابة عمال اليهود) عام ١٩٢٠م لتكون اداة العمال اليهود في النضال، ثم تحولت الى اداة لتنفيذ سياسة العمل (العبري)، واحتلال العمل من العمال العرب، الذين يعملون في المزارع والمنشآت اليهودية، ومن هنا اصبحت اداة ممارسة المخطط الصهيوني الاساسية حين راحت تتشدد في ممارسة سياستها القومية اليهودية من جهة والعدوان من جهة اخرى، واتباع سياسة احتلال الارض والعمل معا.

وهنا يصف (ولتر بريوس) في كتابه (حركة العمال في فلسطين)^(١) يصف نهج قيادة الهستدروت في فترة ١٩٢٥-١٩٢٩م:

(ان الجماهير الواسعة من العمال غير المنظمين (واكثرهم من العرب) الفوا هيئة منافسة، ومارسوا ضغوطا على شروط العمل التي فاز بها العمال المنظمون مما جعل الاعتراف القانوني بمبدأ الاحتلال محتوما وضروريا).

وكان س. ليفنبرغ في كتابه (اليهود في فلسطين)^(٢) اكثر صراحة فكتب:

(ان على العمال اليهود ان يدافعوا عن انفسهم ضد استبدادهم بعمال عربي رخيص وغير منظم، ويعتقد زعماء العمل اليهود، ان على العمال العرب - في الوقت الحاضر - ان يستخدموا لا في الاقتصاد اليهودي، بل في القطاع العربي والحكومي).

وأكمل أ.س. والدشتين الصورة في كتابه (فلسطين العصرية)^(٣) فكتب يفسر احتلال العمل باعتباره عملية المحافظة على النفس:

(فاليهود لا يزالون اقلية في فلسطين، ومستقبلنا ان نصبح اكثرية فيها، وحتى نحقق ذلك الهدف لا نستطيع ان نسمح للعامل العربي، ان يهيمن في الزراعة والصناعة على حساب العامل اليهودي، وبذلك نهدد مستقبلنا بذاته في فلسطين).

والتزام احتلال العمل اصبح مبدأ من مبادئ الكيبوتسات، كما اقرها مجلس توحيدها الذي عقد في (بتاح تكفا) في ٥ آب ١٩٢٧م وجاء فيه:

(١) ولتر بريوس - حركة العمال في فلسطين ص ٩٠

(٢) س. ليفنبرغ - اليهود في فلسطين ص ٦٦

(٣) أ. س. والدشتين / فلسطين العصرية ص ١٤٠

(السعي لاحتلال الأعمال للعمال اليهود وتحسين اوضاعهم الاقتصادية، أي احتلال العمل في المنشآت اليهودية والحكومية، وتطوير فروع عمل جديدة)^(١) كما أكد هذا الاتجاه (بيرتس ميرحاب) في كتابه (تاريخ الحركة العمالية في فلسطين) ففي تعريفه برنامج (هبوعيل هتسعير - اي العامل الشاب) كتب:

(في تحقيق الصهيونية، يقوم العامل الشاب بدور حاسم في احتلال المواقع الاقتصادية والثقافية في ارض اسرائيل، وان الشرط الضروري للاحتلال الاقتصادي، هو تركيز الممتلكات والعمل في ايدي يهود، وازضاف: ان دور هبوعيل هتسعير في ارض اسرائيل هو العمل على تحقيق الصهيونية والاهتمام باحتلال العمل)^(٢).

وكان ابرز حدث في تاريخ الحركة الصهيونية عام ١٩٢٩، قيام الوكالة اليهودية، لقد نصت الفقرة الرابعة من نظام الانتداب الذي أعدته حكومة الانتداب، على ان الحكومة البريطانية في فلسطين ستعترف بالوكالة اليهودية على انها «هيئة عامة تقوم بدور النصح، وتتعاون مع الادارة الفلسطينية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، مما يؤثر على بناء الوطن القومي اليهودي ومصالح السكان اليهود في فلسطين».

وكان القصد من وراء اقامة الوكالة اليهودية، استنفار يهود العالم وخاصة الاغنياء، لمد يد المعونة لاقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، واستقرارهم فيها، مما ساعد على استفزاز الشعب الفلسطيني، وليس من قبيل الصدفة ان تعتبر المصادر البريطانية والصهيونية حوادث عام ١٩٢٩ ردا على قيام الوكالة اليهودية.^(٣)

ومما جاء في دستور الوكالة اليهودية المادة الثالثة:

(ان الوكالة تستملك الاراضي كملك لليهود، وتسجل باسم صندوق رأس المال اليهودي، وتبقى مسجلة باسمه الى الابد، كما تظل هذه الاملاك ملكا للأمة اليهودية، غير قابلة للانتقال، وتنشط الوكالة الاستعمار الزراعي عن طريق العامل اليهودي المبدأ العام الذي يشيع في جميع الاشكال والمشاريع التي تقوم بها الوكالة اليهودية (هو استخدام اليهود). كما نصت عقود منظمتي الكيرن كاييمت والكيرن هايسود (وهما منظمتان متخصصتان في شراء الاراضي العربية وتطويرها بالاستيطان) الدعوة الى قصر العمل على العمال اليهود، وقد نص عقد ايجار الكيرن كاييمت (على المستأجر ان يتعهد باجراء جميع اشكال الفلاحة باستخدام عمال يهود).

اما عقود الكيرن هايسود (شركة اعمار الاراضي الفلسطينية) فقد نصت:

(١) جذور القضية - اميل توما -

(٢) بيرتس ميرحاب / الحركة العمالية في فلسطين ص ٢٧

(٣) كتب هذا بالضبط حايمم وايزمن في كتابه - التجربة والخطأ ص ٢٢١

(يتعهد المستأجر ما دام لم يسدد السلفيات المعطاة له، بان يقيم على الاراضي الزراعية وان يقوم بذاته او بمساعدة عائلته بجميع اشغال الفلاحة اللازمة في مزرعته، ويتعهد ايضا بان يستأجر عمالا من اليهود فقط، اذا اضطر لاستخدام عمال). وجدير بالذكر ان هذا الشرط لا يزال قائما.

كما اسست الوكالة اليهودية مكاتب لها في برلين لتسهيل هجرة اليهود، كما تعاونت تعاوننا وثيقا مع المانيا لهذا الغرض.

وبين عامي ١٩٣٢-١٩٣٥ شهدت الصهيونية ٥٥ اضرابا، وحاول حزب الاصلاحيين بقيادة (فلاديمير جابوتنسكي) تحطيم هذه الاضرابات كما حصل في اضراب عمال الميناء في «بتاح تكفا» وشركة فروميين للبسكويت، ولذلك لم يكن غريبا، ان تحاول قوى الاصلاحيين ضرب التنظيم العمالي بأي شكل من الاشكال.

وفي حزيران ١٩٣٣ اطلق مجهولان النار على «حاييم ارزلورف» (رئيس الدائرة السياسية في الوكالة) وعلى الاثر اعتقلت الشرطة يهوديين من تل ابيب، واتهمتهما بتنفيذ عملية الاغتيال، وكان احدهما (ابا احمئير) وجها يمينيا معروفا، وبعد التحقيق معهما اتضح انهما ينتميان الى خلية شبه فاشية سميت عصابة الاشداء.^(١)

وعلى الرغم من ان الاصلاحيين نفوا ان يكون لهم علاقة بالحادث، فالتهمة ثبتت على منتسبين منهم، وحكم على اثنين منهم بالسجن ولا جدال ان اغتيال حاييم كان اغتيا لا سياسيا، فقد كان في ذلك الوقت حسب ما كتبه «ولتر بريوس» ينتهج سياسة تتوافق مع سياسة الانتداب، الامر الذي يغضب الاصلاحيين.

ولا بد من الملاحظة هنا.. ان الصراع بين الاصلاحيين ومنظمات العمل واهمها: حزب مباي وزعيمه ابن غوريون، كان صراعا سياسيا وطبقيا، ففي حين سارعت منظمات العمال في طريق التعاون مع سلطات الانتداب، اكتفت بالدعوة الى الهجرة والاستيطان وتثبيت الوطن القومي، كان الاصلاحيون يتجهون نحو التعاون مع دول اخرى، وينادون باقامة الوطن اليهودي حالا.

ورغم وجود مثل هذا الصراع الحاد، فقد حاول ابن غوريون عام ١٩٣٤ بوحى من مصلحة الصهيونية العليا ان يتفاهم مع جابوتنسكي، فاجتمع الاثنان في لندن واتفقا على توحيد حزبيهما (مباي والاصلاحي)، ولكن اعضاء الحزبين رفضوا ذلك، مما دفع جابوتنسكي ورفاقه الى الانسحاب، وفي هذا المؤتمر انتخب ابن غوريون رئيسا للجنة التنفيذية الصهيونية، ورئيسا للوكالة اليهودية، فدخلت الحركة الصهيونية في فلسطين طريقا اعنف. ازاء الشعب العربي الفلسطيني.

(١) موسى براسلافسكي - حركة العمال في أرض اسرائيل تل ابيب ١٩٦٦م

ونقول طريقا اعنف لأن هذه الفترة تميزت باجلاء الفلاحين عن اراضيهم، وتشديد سياسة العمل العبري وطرد العمال العرب من المنشآت والمزارع اليهودية، فبن غوريون (لا يحب العرب) وكان يشير اليهم بالاعداء، حين كان يذكرهم في يومياته^(١).

(١) جذور القضية - ٥ . اميل توما - الناصرة

قوة العصابات الصهيونية

من ١٩٠٧ / ١٩٤٨ م

عند دراستنا لقوة العصابات الصهيونية، لا بد من بحث ذلك من الأساس، وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على كتاب الدكتور حمدان بدر (تاريخ منظمة الهاغانا في فلسطين)، ولا يسعنا الا الاعتراف بالجميل وبوافر التقدير للدكتور المؤلف، لما قام به من دراسة وتمحيص في هذا الموضوع خاصة، وأن المكتبة العربية لا تزال خالية من مثل هذه الدراسات.

كانت الاضطرابات والاعتداءات التي نظمت ضد اليهود في روسيا، خلال سنتي ١٨٨١ - ١٨٨٢ م، لها تأثيرها البالغ وربما الحاسم في تقوية الفكرة الصهيونية، ودعمها ثم دفعها الى الخروج من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ «بل يبدو أن الحركة الصهيونية ما كانت لتبرز وتتمو بهذا الزخم، لولا وقوع تلك الأحداث»^(١).

ولهذا فإن «اتساع نطاق العمليات التي أصابت التجمعات اليهودية في أماكن عديدة في روسيا وبولونيا، والطرق البدائية القاسية، التي نفذت بواسطتها، ثم استمرارها لمدة تزيد عن سنة، أثارت ردود فعل عميقة بين اليهود الروس على اختلاف فئاتهم»^(٢)

وكان من نتائج تلك الأحداث نشوب جدال على نطاق واسع، بين اليهود، حول جدوى البقاء في روسيا، ثم بروز الأفكار الداعية الى الهجرة من البلد إلى امريكا أو إلى فلسطين، ليليتها اتخاذ الخطوات العملية لتنفيذها، ثم إقامة العديد من الجمعيات الهادفة الى العمل على هجرة أعضائها، وكانت حصيلة ردود الفعل هذه، انطلاق موجة واسعة من الهجرة اليهودية من روسيا، توجه أكثرها إلى امريكا، وتوجه الآخرون إلى فلسطين، حيث قاموا بإنشاء المستعمرات الأولى، في الوقت الذي كان فيه مؤيدوهم في روسيا - الذين ينتظرون أن تسمح لهم الظروف بالهجرة الى فلسطين - يوحّدون قواهم، ويقيمون ما عرف باسم (محبى صهيون) «حوفيقي تسيون» أو حركة «أحباء صهيون» (البيلو)، كما كان هناك «حزب البوند» (حزب الشغيلة اليهود)^(٣).

وكان من نتائج تلك الأحداث والاعتداءات أيضا، بروز المطالبة بتشكيل منظمات من اليهود، تقوم بالعمل على حماية التجمعات اليهودية، من تلك الاعتداءات والاضطرابات، وقد حملت تلك الدعوة الطابع الفردي، حيث تأسست بعض المجموعات الصغيرة لدى مختلف التجمعات اليهودية، ولم تكن هناك منظمة دفاعية بمعنى الكلمة، سوى المنظمة التي تشكلت في

(١) إسرائيل كلويزير - الحركة الصهيونية في روسيا - القدس ١٩٥٨ صفحة ٩١-٩٣

(٢) شموئيل يفنثيلي (فترة هوى صهيون) القدس ١٩٦١ صفحة ١٩ - ٢٠

(٣) إسرائيل كلويزير - الحركة الصهيونية في روسيا

مدينة (أوديسا) في روسيا، حيث توجد جالية يهودية كبيرة، ولكن هذه النوى الدفاعية قد تمت تصفيتها تصفية كاملة، بعد انتهاء الاضطرابات الاولى «وهكذا يمكن القول أن الهجرة الاولى التي جاءت الى فلسطين نتيجة لمذابح ١٨٨١/١٨٨٢، لم تجلب معها إلى فلسطين اي تجربة دفاعية أو عسكرية ذات شأن»^(١).

أما المهاجرون الذين رحلوا عن روسيا بعد مذابح (كيشينيف) في جنوب روسيا سنة ١٩٠٢، وذهب ضحيتها حوالي (٤٥) قتيلا وحوالي ٤٠٠ جريح، فقد حملوا معهم روح الدفاع، وكان منهم أعضاء في منظمة الدفاع الذاتي التابعون لحزب عمال صهيون (بوعلي تسيون)^(٢).

وفي نهاية ١٩٠٧ وضع هؤلاء المهاجرون الأساس للمنظمة المسماة (بارغيورا)، والتي تفرعت منها فيما بعد منظمة (هاشومير) الحارس^(٣).

ومنذ الأيام الاولى لبدء النشاط الصهيوني، لم يغب عن قاداته ضرورة وجود قوات دفاعية، تعمل على المساعدة والاسراع في عملية العودة الى صهيون، وكانت الخطوات الاولى في المجهود الصهيوني إقامة معسكرات في المناطق التي تزدهم بالسكان العرب، وقد فرضت تلك الاوضاع التفكير في إنشاء قوة عبرية مسلحة، حيث ظهر ذلك في كتابات المبشرين الاوائل لجماعة احياء صهيون، فقد كتب الحاخام (ص. هـ. كليسنر) حول «ضرورة إعداد حراس يعرفون الحرب كيلا يأتي العرب لإبادة كرومهم وإبادتهم»^(٤).

وكان قد تمّ خلال الهجرة الاولى، محاولات عملية لتأسيس منظمات من المتطوعين للدفاع عن الأرواح والأموال، ففي (زخرون يعقوب) زمّارين سابقا، تشكّلت عام ١٨٨٧ م منظمة مسلحة لحماية هذه المستعمرات، وأطلق عليها إسم (أغودات مكابيم فنوطني منوحات هموشافاه) كما تأسست في رحبوت ١٨٩٢ م رابطة سميت (أغودات عسروت) - رابطة العشرات بمبادرة من ميخائيل هلبرن (إحدى الشخصيات البارزة في النشاط الصهيوني في روسيا). وفي مستعمرة (بتاح تكفا) - عتبة الامل - وهي أول مستعمرة يهودية في فلسطين ١٨٧٨. تم تنظيم وحدات دفاعية تضم الفرسان والمشاة، كما تشكلت في (ريشون لتسيون) - الأول في صهيون - عيون قارة سابقا - منظمة للحراسة من قسمين: الأول للحراسة الداخلية، والثاني للحراسة الخارجية، وكانت هذه المنظمة تتألف من الفرسان الذين يحرسون الحقول^(٥).

(١) د. حمدان بدر تاريخ منظمة الهاغاناه في فلسطين - بيروت

(٢) وهو حزب عمال ظهر في روسيا، ثم انتقل الى فلسطين حيث تطور الى حزب (احدوت هعفودا) (العمل الموحد أو وحدة العمل)، ثم الى حزب (الماباي) (مفيلجت بو على آرتس يسرائيل) (حزب عمال ارض اسرائيل)، ثم الى حزب العمل. وكان فيه حوالي ١٦٠ ألف يهودي روسي. برئاسة كل من (يحرزئيل خانقين) واسحق بن تسفى ويسرائيل شوحط واسكندر زايد وغيرهم

(٣) + (٤) + (٥) نيف دافيد (معارك المنظمة العسكرية القومية) تل ابيب ١٩٦٥ ص ٣٤ - ٤٠

وخلال فترة الهجرة الثانية، تم وضع الأسس العسكرية للمنظمات العسكرية الصهيونية في فلسطين، وقد قامت طلائع الهجرة الثانية (من حزب بوعلی تسيون) الذين كانوا يؤيدون احتلال العمل في المستوطنات اليهودية من قبل العمال اليهود، لكنهم لاحظوا أن الحراسة في المستوطنات «محتلة» من قبل العرب والشركس، إذ كانت كل واحدة من المستعمرات قد عهدت بشؤون حراستها إلى إحدى القبائل البدوية، أو الشركس الذين يسكنون بالقرب منها^(١). وفي أواخر أيلول ١٩٠٧ عقد المؤتمر الثالث لحزب عمال صهيون (بوعلی تسيون) في يافا، وتم عقد الجلسة في مكتب (يتسحاق بن تسفي) حضرة ثمانية من أعضاء المجموعة، تقرر في نهايتها إقامة منظمة سرية، أطلق عليها اسم (بارغيورا) تخليداً لأسم أحد قادة اليهود الذين حاربوا الرومان في فلسطين، قبل سقوط مملكة إسرائيل الثانية سنة ٧٠ م.

وكان الهدف الرئيسي لهذه المنظمة إقامة قوة دفاعية مقاتلة، «وقاموا بتجميع أنفسهم في مستوطنة «السجرة» للقيام بأعمال الحراسة فيها، وتدريب أنفسهم على استعمال السلاح خلال تنفيذ تلك الأعمال، وكان شعار تلك المنظمة (بالدم والنار سقطت يهوذا، وبالدم والنار ستنهض يهوذا) وكان هدفهم المعلن هو احتلال الحراسة والعمل معاً من أيدي العرب، وإقامة مستوطنات زراعية عسكرية على غرار القوقاز»^(٢).

منظمة هاشومير (الحارس):

بعد مرور سنة ونصف على قيام منظمة (بارغيورا)، عقد أعضاؤها مؤتمراً في منتصف نيسان ١٩٠٩، وقرروا إقامة منظمة علنية أطلقوا عليها اسم (هاشومير)، بعد أن شعروا أنه ليس باستطاعتهم القيام بالمهمة الملقاة على عاتقهم^(٣).

وفي ١٢ نيسان ١٩٠٩ عقد الاجتماع التأسيسي لهاشومير، في مستوطنة (مسحة) بالجليل، وتقرر خلال ذلك إنشاء منظمة تتولى الحراسة في المستوطنات، وكذلك تنظيم الحراس الحاليين، واعداد غيرهم بتدريبهم على ركوب الخيل واستعمال السلاح، كما قامت بتأسيس صندوق لاعطاء الحراس القروض، وتقرر أن يتراأس هاشومير لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص ينتخبون من قبل المؤتمر، ويتم توزيع العمل فيما بينهم^(٤).

كانت هذه المنظمة علنية وشبه شرعية، بعكس (بارغيورا) التي كانت سرية وغير معترف بها شرعياً من قبل السلطات، وبالرغم من كافة الصعوبات التي واجهت هاشومير بعد إقامتها، فقد نشطت في العمل للسيطرة على الحراسة في المستوطنات، حيث استطاعت حتى سنتي ١٩١٢/١٩١٤ من استلام زمام أعمال الحراسة بصورة أو بأخرى، في معظم المستوطنات التي كانت قائمة في فلسطين عدا (بتاح تكفا وزخرون يعقوب وروش بينا)^(٥).

(١) اسحق بن تسفي (الحارس) تل ابيب ١٩٥٧ ص ٥

(٢) عناحيم تلمي (المحاربون من أجل حرية اسرائيل) تل ابيب ١٩٥٥ ص ١٩

(٣ + ٥) اسحق بن تسفي (الحارس) ص ٤٥١

(٤) صبري جريس (تاريخ الصهيونية) بيروت ١٩٧٧

غير أن هذا النجاح لم يدم طويلا، وذلك لأسباب تتعلق بطبيعة هاشومير، وطرق عملها. فالمنظمة كانت تتصرف من خلال نظرها إلى نفسها، على أنها طليعة قوى الدفاع عن المستوطنين (اليشوف) (١) اليهود في فلسطين، وأصرّت في الوقت ذاته على رفض أية رقابة عليها، أو التنسيق مع زعماء المستوطنين أو احزابهم، ومحاولة أعضائها التقرب من العرب وتقليدهم، وتعلم لغتهم وعاداتهم من جهة، ومن جهة أخرى لجأت الى استعمال القوة مع العرب في أثناء قيامهم بأعمال الحراسة، مما دفع العرب إلى استعمال قوة مضادة، كان من نتائجها سقوط عشرة قتلى من أعضاء المنظمة خلال السنوات الخمس الاولى لقيامها، رغم أن عدد أعضائها لم يزد آنذاك على ثلاثين شخصا، مما أدى إلى فشل الحراسة العبرية، وحلت محلها الحراسة المختلطة (٢).

منظمة جيش العمل:

كانت منظمة «بارغيورا» لا تزال قائمة حتى سنة ١٩٠٩ م، ولم تنجرف عن مخططها الرئيسي المتمثل في إقامة قوة طلائعية دائمة، لا تنحصر مهمتها في الحراسة فقط، لهذا اقترح زعماء بارغيورا في تلك الفترة تشكيل منظمة جديدة موازية لهاشومير باسم (جيش العمل)، وقام «يسرائيل شوحط» بعرض هذه الفكرة على أعضاء شومير، فتمّ قبول هذا الاقتراح، حيث قامت هاشومير بتنظيم مجموعات وذلك بصورة سرية، ومن ثمّ وضع نظام لهذا الجيش من أربعة عشر بندا من أهمها: -

(على كل شاب في أرض اسرائيل، يجب أن يخصص من حياته سنتين للعمل والحراسة، وأن يضع نفسه طوال مدة خدمته تحت إمرة الجيش، وأن يكون مستعدا لقبول أية مهمة، والذهاب الى أي مكان (٣) وكان الهدف من ذلك احتلال العمل والحراسة معا.)

وقد أقام رجال من هاشومير مجموعتين من العمال في مزرعة (السجرة) في الجليل والثانية في الخضيرة، وقد شارك رجال هاشومير ورجال منظمة جيش العمل، في المحاولة الاستيطانية التاريخية في أراضي (أم جوني)، التي أصبح اسمها فيما بعد (دغانيا) قرب طبريا. ورغم ذلك فلم ينجح رجال جيش العمل في اجتذاب أعضاء جدد إلى تلك المجموعة، ويعود السبب الى تلك الشروط الصعبة، وهي الالتزام بالخدمة لمدة سنتين، وكذلك الانضباط العسكري الصارم، ومعارضة الاحزاب العمالية لهذا الجيش، مما أدى الى صعود نجم هاشومير ثانية في أعقاب احتلالها لأراضي القرية العربية (الفولة) الواقعة في مرج بن عامر سنة ١٩١١ م، ونجحت في النهاية، في الاستيطان فيها بفضل الجهود التي بذلتها عائلة (سرسوق) البيروتية، التي باعت

(١) كلمة عبرية تعني كافة المستوطنين اليهود الذين كانوا في فلسطين قبل عام ١٩٤٨

(٢) ميخائيل اساف (العلاقات بين العرب واليهود في أرض اسرائيل) تل ابيب ٩٧٠ ص ٧٨ - ٧٩

(٣) برخا حفسا (كتاب الهجرة الثانية) تل ابيب ١٩٤٧

الأراضي لليهود. وفي العام نفسه، انتقلت الحراسة الى اليهود في مستعمرة الخضيرة، بعد أن بقيت طوال عشرين عاما بأيدي العرب، بعد أن أخذت تقوم بعمليات انتقامية وتأييدية في منطقة الخضيرة ضد القرى والبدو المقيمين في المنطقة^(١).

أدى نجاح الحراسة العبرية في هذه المستعمرة، إلى تعبيد الطريق أمام هاشومير في المستوطنات الأخرى، فقد اتصلت بها (رحوبوت وريشون ليتسيون وملحميا) وغيرها. وبهذا رأى رجال هاشومير أنهم وصلوا إلى قمة نجاحهم، فرأت اللجنة المشرفة عليها أنه حان الوقت لإنشاء منظمة دفاعية قطرية في فلسطين، وهذا يدلّ دلالة واضحة على أن رجال هاشومير لم يعتبروا أنفسهم مجرد منظمة للحراسة^(٢).

ورغم هذا النجاح، فقد اعترضت هاشومير عدة أمور مهمة منها: -

١ - المسألة المالية: حيث أنّ الانتقال من الحراسة العبرية إلى العبرية قد زاد من نفقات الحراسة ضعفين على الأقل.

٢ - الانتقاد الذي وجه لتصرف هاشومير إزاء العرب.

٣ - أمر تنظيم هاشومير وعملها، حيث أنها كانت عبارة عن منظمة مغلقة لا سلطة عليها لأحد، مما أدى إلى ابتعاد الفلاحين عنها، وبخاصة الشيبية (الموشافيم).

أدى كل ذلك إلى تدعيم المعارضة، وفي سنة ١٩١٢ م بدأت تظهر النتائج العملية للمعارضة، وقد تمثلت في طرد هاشومير من أكبر حصنين لها، وهما: (الخضيرة ورحوبوت)، مما زاد من هجمات العرب، حيث قتل العديد من اليهود في (دغانيا) و (كنيرت) وكافة الجليل الأسفل، مما اضطرّ هاشومير إلى تركيز قوتها في الجليل.

وفي ١٨ ايار ١٩٢٠ عقد مؤتمر عام لهاشومير، في ظروف يسودها التوتر والاضطراب، وقد جرت مصادمات عنيفة داخل المؤتمر، بين الخط الذي مثله عن المؤسسة الصهيونية (اسحق طبنكين) و (الياهو غولومب) من جهة، وبين رجال هاشومير من جهة أخرى، وقد طالب الفريق الأول بإعادة تنظيم هاشومير، وتحويلها إلى مؤسسة للدفاع، بحيث تخضع للمؤسسات السياسية العامة، لكن رجال هاشومير لم يوافقوا على ذلك، ولما لم يتوصل إلى قرار، اقترح (يسرائيل شوحط) حلّ هذه المنظمة، وقد تم حلها فعلاً في ربيع ١٩٢٠ م، بعد أن صوتت الأغلبية إلى جانب هذا الاقتراح^(٣).

ولكنّ معظم أفرادها واصلوا اتصالهم ببعضهم البعض، بعد أن التفوا حول يسرائيل شوحط (رئيس هاشومير)، الذي حاول الاندماج في منظمة الهاغانا، التي أخذت تتبلور في تلك الفترة، ولكن سرعان ما حدث صدام بينهم وبين جماعة الياهو غولومب، حيث بدأوا بتكوين

(١) ن. كسنلسون (فصول في تاريخ الحركة العمالية) « بركيم لتولدوت تنوعات هبوعليم » ص ٢٢٢ مجلد ١١

(٢) صبري جريس (تاريخ الصهيونية) بيروت ١٩٧٧

(٣) دينور بن تسيون - كتاب الهاغاناه - مجلدا ٢ - ص ٦٦٦ - ٦٦٧ تل ابيب ١٩٥٤ (٨) أجزاء.

تكتل خاص بهم (داخل الهاغانا)، وهكذا نشأت منظمة سرية داخل صفوف الهاغانا، إلى أن أعلن انفصالها عنها سنة ١٩٢٢ م، وقد سميت هذه المنظمة باسم (الكيبوتس).

كما ظهر في تلك الفترة عدد من المنظمات الأخرى منها: (المجموعة اليافاوية)، التي أسسها الشباب اليهودي في تل أبيب سنة ١٩٢٠ م، وكان من بين أعضائها:

(موسى شاريت (شرتوك) الذي أصبح فيما بعد رئيساً للدائرة السياسية في الوكالة اليهودية، وأول وزير خارجية لاسرائيل.

كما ظهرت منظمة (جدعونيم) في زخرون يعقوب عام ١٩١٣ مهمتها حراسة المستعمرة، كما تأسست في تل أبيب سنة ١٩١٢ منظمة باسم (مكاببي) تحت غطاء رياضي، مهمتها كانت أصلاً التدريب على السلاح، وحماية المدينة والحراسة فيها. كما ظهرت أيضاً منظمة المدافع (همجين) التي تأسست في المستوطنات الجنوبية سنة ١٩١٥، كما قررت بارغيورا تشكيل منظمة للرعاية تكون مهمتها تعليم الحراس المهاجرين مهنة الرعي، وذلك لكي يتمكنوا من احتلال الأرض والحراسة، وكانوا يعلمونهم دراسة المحيط العربي، وتجميع المعلومات حول ما يجري فيه، حيث عمل هؤلاء الرعاية لدى بارغيورا مقابل الطعام والكسوة فقط^(١).

الكتائب العبرية

عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى، وجدت الصهيونية نفسها أنها بدون قوات مسلحة لاشراكها في الحرب، وكذلك بدون أية مخططات عسكرية، ولهذا بادر زئيف جابوتنسكي (أحد الزعماء الصهيونيين) فأنشأ ما يعرف «بالكتائب العبرية» التي شاركت في الحرب، بعد أن انشق عن المنظمة الصهيونية العالمية، وأنشأ منظمة صهيونية بدلا منها، ثم أصبح زعيماً للصهيونية الإصلاحية.

كما ثار (أهرون أهرونسون) ضد السياسة الصهيونية الرسمية ومؤسساتها، فترك فلسطين في سنة ١٩١٦، واتصل بالبريطانيين الذين نقلوه إلى مقر قيادتهم في مصر، ليتولى عملية التنسيق بينهم وبين شبكته (جماعته)، التي أطلق عليها اسم (نيلي)، وهو اختصار لجملة في التوراة مؤلفة من أربع كلمات: (نيتسخ ليسرائيل لو يشكير) - نصيح اسرائيل لا يكذب - وقد كلفت هذه الشبكة لجمع المعلومات العسكرية والسياسية وغيرها، التي قد تفيد المجهود الحربي البريطاني، وبلغ عدد أفرادها حوالي (٤٠) شخصا.

وفي أواخر عام ١٩١٧، اعتقل الاتراك بعض أفراد هذه الشبكة الذين أفضوا بمعلومات كشفت أمرهم، لذا قامت القوات التركية بفرض حصار حول بعض المستوطنات اليهودية، ونكلت بسكانها، واعتقلت أعداداً كبيرة منهم، وأعدمت بعض قادة نيلي وطرقت العديد منهم^(٢).

(١) اسحق بن تسفي - هاشومير مرجع سابق.

(٢) دينور بن تسيون - الهاغانه - مجلد ١ ج ٢ ص ٣٥٤.

ويعتبر زئيف صاحب فكرة الكتائب العبرية، الذي أيقن لدى دخول تركيا الحرب الى جانب دول المحور، أن الكيان الصهيوني لن ينمو ولن تشرق شمسها، إلا بتفكيك الامبراطورية العثمانية، ولهذا سافر إلى مصر في بداية كانون اول ١٩١٤، وهناك قام بتجنيد حوالي ١٠٠٠ من اليهود الذين طردهم الاتراك من فلسطين، حيث أقاموا في معسكرات بالقرب من الاسكندرية، وشكل هو «ويوسف ترمبلدور» كتيبة أطلق عليها اسم كتيبة (البغالة)، التي يركب أصحابها البغال، وقد أرسلت إلى غاليبولي (شبه جزيرة في تركيا الاوروبية)، وكانت تلك الكتيبة تحت إمرة خمسة من الضباط البريطانيين وثمانية من اليهود، وكانت مهمتها نقل المؤن والاسلحة الى الجيش البريطاني هناك، ولكن هذه الكتيبة، حلت في أيار ١٩١٦، وانتقل حوالي (١٢٠) من رجالها إلى لندن، حيث شكّلوا هناك نواة الكتيبة اللندنية، وهي الأولى في الكتائب العبرية، التي أقيمت بفعل جابوتنسكي ورفاقه، حيث استطاع هو ويوسف ترمبلدور تشكيل كتيبة يهودية في ١٣ آب ١٩١٧، وتمّ تعيين الكولونيل «باترسون» قائدا لها، وتمّ تغيير اسمها إلى الكتيبة ٢٨، ومن ثمّ انتقلت عن طريق فرنسا ومصر إلى فلسطين، وفي ١٨ ايلول ١٩١٨ اشتركت تلك الكتيبة في الهجوم على شرق الاردن، حيث احتلت مخاضة (أم الشّريط) على نهر الاردن، لتمكين الجيوش الحليفة من اجتياز النهر، ثم اشتركت فيما بعد في احتلال مدينة السلط، وهناك اشتركت معها كتيبة عبرية أخرى جاءت من الولايات المتحدة وكانت تدعى الكتيبة (٣٩)^(١).

الكتيبة (٣٩):

في ربيع ١٩١٥ وصل الى الولايات المتحدة (بنحاس روتنبرغ)، من أجل الدعوة لكتيبة حسب ما اتفق عليه مع جابوتنسكي في برنديزي وصادف ان وصل (دافيد بن غوريون واسحق بن تسفي) الى الولايات المتحدة بعد ان طردتهما السلطات التركية، فعارضا فكرة الكتائب لاعتبارات صهيونية، ولكن دخول الولايات المتحدة الحرب، أدى الى تغيير رأيهما، فانضمّا بنفسيهما الى الكتائب، وفي كانون ثان ١٩١٨ بدأ التطوع، وبلغ عدد المتطوعين حوالي خمسة آلاف شخص، (من الولايات المتحدة وكندا والارجنتين) وقد نقل قسم منهم إلى الاردن، حيث شاركوا في القتال هناك كما ذكرنا، والباقي وصل الى فلسطين عندما كانت الحرب قد وضعت أوزارها.

الكتيبة الفلسطينية:

تمّ في نهاية عام ١٩١٧ احتلال الأجزاء الجنوبية من فلسطين، على أيدي القوات البريطانية، وبقيت الأجزاء الشمالية تحت الحكم التركي، وحدث أن استدعى قائد الفرقة الاسكتلندية (الجنرال هيل)، عدداً من قادة الحركة الصهيونية (راحيت نيئيت والياهو غولومب ودافيد عوز) وغيرهم، واقترح عليهم تشكيل كتيبة يهودية من يهود فلسطين، يتمّ ضمها إلى الكتيبتين (٣٨ و ٣٩)، وقد وجدت تلك الفكرة استحسانا لدى الجميع، وفعلا تمّ البدء في حزيران ١٩١٨، وبلغ عدد أفراد هذه الكتيبة (١١٠٠) جندي. كما كان هناك الكتيبة رقم (٤٠).

(١) دافيد نيف (معارك المنظمة العسكرية القومية ص ٢٤ -)

وقد اشتركت هذه الكتابب في الأحداث التي وقعت خلال السنوات ١٩١٨ - ١٩٢١ م وفي أيار ١٩٢١ تمت تصفيتها بصورة نهائية^(١).

وعلى هذا يمكن القول بأن عدد اليهود الذين اشتركوا خلال سنوات الحرب ١٩١٤ - ١٩١٨ حسب احصاء وزارة الحرب البريطانية كالتالي: -

ككتيبة البغالة وعددها ٧٢٧

الكتيبة (٣٩) وعددها ٧٢١

الكتيبة (٣٨) وعددها ١١٥٤

الكتيبة (٤٠) وعددها ١٤٤٠

الكتيبة الفلسطينية وعددها ١١٠٠^(٢)

الهاناا^(٣)

كان من نتيجة تعرض مستعمرات (تل حاي والمطلة وكفار جلعادي) في الجليل، والتجمعات الصهيونية في فلسطين، للاعتداء والهجوم من قبل العرب، أن تزايد الاحساس لدى مختلف الفئات والاحزاب اليهودية والصهيونية، بضرورة إيجاد منظمة موحدة للدفاع عن المستعمرات، وعن كافة المستوطنين الصهيونيين في فلسطين، بحيث تخضع لقيادة واحدة، وتدريب واحد، على أن الأحداث التي وقعت في القدس في بداية ١٩٢٠ م وغيرها، سارعت إلى إنشاء هذه المنظمة الواحدة للدفاع عن المستوطنات، وإيقاظ سكانها من أجل تحصين مواقعها، وإقامة الأسيجة العسكرية وتركيب الأضواء الكاشفة وأبراج المراقبة، والحصول على الأسلحة الشرعية وغير الشرعية ومضاغفة الحراسة، وفسر بن غوريون الأسباب التي دعت إلى إقامة الهاناا فقال: -

(للدفاع عن المستوطنات، لأنه ليس من الممكن الاعتماد على الانتداب للدفاع عن هذه المستوطنات التي انتشرت في البلاد، إذ أن ذلك يعني أن يصبح المقرر في عددها ومواقعها)، وهكذا فقوة الدفاع هذه لم تكن قوة دفاع بالمعنى الحقيقي للدفاع، بل كانت قوة هجوم ترافق الاستيطان الصهيوني، الذي كان يجري حسب خطة مرسومة، تأخذ بعين الاعتبار طاقة الصهيونية المالية والبشرية.

«كانت المجموعة اليافاوية التي تعمل في تل ابيب، والتي نشأت في الحرب العالمية الاولى لا تزال قائمة، ولهذا تجمع أفراد هذه المجموعة في المدرسة الثانوية (هرتسليا)، وهي المدرسة التي

(١) دافيد نيف - معارك المنظمة العسكرية القومية

(٢) عيفر هداني - شعب في معركة - تل ابيب ١٩٤٨ م

(٣) اختصار لاسم (منظمة الدفاع العبرية في ارض اسرائيل) (هاجدود هاجناه فهبودا بأرتس يسرائيل) وقد سميت أيضا (هأرغون) وكذلك (هشوراه) ، وهي أكبر نذراع عسكري لليشوف اليهودي ، وهي المنظمة الوحيدة التي كانت لسلطة اللجنة القومية ، تأسست سنة ١٩٢٠ م

درس فيها غالبية القادة الصهيونيين، وشكلوا منظمة سرّية للدفاع عن المدينة، وكان من بينهم (الياهو غولومب وموسى شرتوك (شاريت) ودوف هوز)، وقد أجرت هذه المجموعة عدة اتصالات مع المستوطنات الأخرى، وخاصة في الجليل، وأخذت على عاتقها حماية مستوطنات الجليل. أما في القدس فكانت هناك جمعية (مكابي)، التي كانت نواة سرّية للهاغانا، وكانت المدرسة الفنية (بتسلئيل) مقرّاهم في بداية ١٩٢٠ وصل الى البلاد (بنحاس روتنبرغ)، وانضم الى جابوتنسكي في جهوده من أجل تشكيل منظمة دفاعية، وفي آذار ١٩٢٠ تمّ تشكيل لجنة دفاعية، تمثل كافة العاملين في مجال الأمن، وكان عدد أفرادها حوالي (٢٠٠) شخص، وفي كانون أول ١٩٢٠، اجتمعت جماعة هاشومير وجنود الكتائب العبرية وجابوتنسكي واتفقوا على ضرورة تنظيم الدفاع، بواسطة انتخاب لجان في كل مستعمرة، وعن طريقهم يتمّ انتخاب لجنة مركزية لإدارة شؤون الدفاع.

وتمّ في هذه الجلسة انتخاب لجنة أولية، اشترك فيها ممثلان عن كل منهم، وتمّ أيضا ضمّ (يوسف ترومبلدور) اليها، وكذلك ممثلين عن الحزبين العماليين: (أحدوت هعفودا وهبوعيل هتسعر).

والقي على عاتق هذه اللجنة، الإعداد لاجراء الانتخابات للجان محلية، ومن ثمّ اللجنة المركزية وقد لعبت الخلافات في الرأي بين مختلف الجهات الصهيونية حول طريقة تنظيم الدفاع دورا كبيرا، في عدم التوصل إلى إيجاد منظمة دفاعية موحّدة، وقد تركّزت الخلافات حول من يقوم بتعيين قيادة الهاغاناه (الدفاع): القيادة السياسية للحركة الصهيونية أم أعضاء الهاغاناه. وكذلك الخلافات في حول شكل المنظمة: هل ستكون منظمة شعبية موسعة لتشمل كافة المواطنين ام جمعية محدودة، تختار أعضائها بصورة دقيقة، ومن هي الجهة التي تحدد وتقرر سياسة الهاغاناه؟ هل هي القيادة السياسية لليشوف (المستوطنين)، أم نشيطو الهاغاناه أنفسهم، وقد لعب الحزب الجديد (أحدوت هعفودا) وحدة العمل «الذي تأسس عام ١٩١٩ م دورا كبيرا في عملية توحيد الدفاع، وإنشاء منظمة واحدة لذلك، وبعد عدة مشاورات، تمّ الاتفاق على إقامة منظمة قطرية دائمة للدفاع، وتشرف على الدفاع في القرية والمدينة، ولها فروع في كافة انحاء البلاد، وتمّ انتخاب جابوتنسكي رئيساً لها، ولكن المستعمرات الثانية الكائنة في منطقة يهودا، لم تقبل بهذا القرار بدعوى أنه سيؤدي إلى إثارة الجيران ضدّهم، ويجعل الوضع أكثر خطورة وقرروا بالإجماع رفض تشكيل منظمة دفاعية، تشمل كافة المستوطنات، وعندما رأى قادة حزب (أحدوت هعفودا) هذا الوضع المتردّي، عقد اجتماعا له في الفترة الواقعة بين ١٣ - ١٥ حزيران ١٩٢٠ في طبريا، وقرر تشكيل منظمة للدفاع، تتولى مسؤوليّة الدفاع عن المستوطنات، كما قرر تشكيل لجنة مسؤولة عنها، مؤلفة من لجنة هاشومير، على أن ينضم اليها الياهو غولومب، وهكذا تكوّنت اللجنة الأولى لمنظمة الهاغاناه ومن أجل أن يرضى حزب أحدوت همفودا كافة الأطراف، أعلن أن الهاغاناه منظمة مفتوحة للجميع، وأنها ستخضع لكافة المشتركين فيها، على أن تتولى الهستدروت (منظمة العمل) الاشراف عليها.

وبعد ذلك بدأت عملية التنفيذ، وقام مسؤولو الهاغاناه بجمع الاسلحة من المستوطنات، ووضعها في مخازن خاصة، معتمدين على أن السلطات البريطانية هي التي ستؤمن عملية الدفاع، وقرروا إبقاء بعضها مع تلك المستوطنات للحراسة فقط، وقرروا أيضا جمع مبالغ رمزية، وهنا قابلت لجنة الهاغاناه مشكلة صعبة جدا، ألا وهي مشكلة القوى التي ستعتمد عليها أثناء الطوارئ، ولكنها وجدت الحل في المهاجرين الجدد، الذين بدأوا يصلون من روسيا، وكان هؤلاء قد تلقوا تدريبات جيدة، وتمّ عقد اجتماع بين ممثلين عنهم، وبين ممثلين عن هاشومير، وأسسوا (كتيبة الدفاع والعمل) ولم يذكر اسم الهاغاناه لأسباب أمنية^(١).

يقول بن غوريون في محادثاته مع موشي بيرلمان في كتابه (بن غوريون ينظر الى الوراثة): «إن اسم المنظمة في البداية (فرق العمل) بحذف الدفاع، ولكن باتساع فرق الدفاع وازدياد قوتها، أصبحت تعرف (بفرق الدفاع والعمل) (هاغاناه) ولصق بها الاسم، وأن هذه القوة انتقلت من إشراف الهستدروت إلى إشراف المجلس القومي اليهودي عام ١٩٣٠»^(٢).

وهكذا بدأوا يدرّبونهم على السلاح، وعلى معرفة البلد، وأصبحوا هم النواة الحقيقية لمنظمة الهاغاناه فيما بعد.

كانت هذه المنظمة خلال العشرينات منظمة سرية ضعيفة، مؤلفة من عشرات الخلايا الصغيرة، وثلاثة فروع في كل من تل ابيب وحيفا والقدس، ويرأسها (يوسف هخط) الذي كان يعد التقارير حول سير الامور، ويرفعها إلى سكرتير الهستدروت (دافيد بن غوريون).

وقد جاء في أول دستور لمنظمة الهاغاناه (الذي صدر عام ١٩٢٤ م): (أن الهاغاناه منظمة عسكرية سرّية، غايتها الدفاع عن المستوطنات وعن اليشوف، ومن ثمّ التحول إلى ميليشيا شعبية، وأن أبوابها مفتوحة أمام كل عبري وعبرية، ممن بلغوا سن السابعة عشرة)^(٣).

وقد تمّ أيضا تحديد نظام لقبول الاعضاء وطرق إدارة الفروع، كما نصّ الدستور على وجوب اجتماع مجالس المدن كلها بصورة مستمرة، وذلك مرة كل أربعة أشهر.

وفي ٨ كانون اول ١٩٢١ ضبّطت عملية تهريب ٣٠٠ مسدس، وكمية من الذخيرة في ميناء حيفا، مرسله بصفة (أدوات زراعية باسم اسحق روتنبرغ)، مما أصبح يقينا لدى الشعب العربي الفلسطيني بأن هناك عملية يهودية منظمة لجلب السلاح والذخائر، وسرعان ما قدّمت الجمعية الاسلامية - المسيحية بيانا في ١٥ كانون اول ١٩٢١ ومذكرة إلى المندوب السامي أشارت فيها؛ إلى أن التوتّر قد تكاثّر الى حد يصعب معه تهدئة القلق، الذي استحوذ على الوطنيين، واحتجت المذكرة على تسليح المستوطنات الصهيونية، وعلى التسامح بعدم تفتيش ما يرد الى البلاد باسم أدوات زراعية في الجمارك وعلى السماح بإنزال المهاجرين الجدد من اليهود إلى فلسطين، وكلهم في سنّ الجنديّة كما طلبت المذكرة من المندوب السامي بجمع كل الاسلحة،

(١) كتاب الهاغاناة ج ٢ ص ٦٨ مرجع سابق

(٢) جذور القضية الفلسطينية . د . اميل توما مرجع سابق

(٣) شلوموليف عامي - في النضال والثورة

التي وزعتها الحكومة على المستعمرات اليهودية، وإتلاف جميع ما ورد مؤخرا من الأسلحة والذخائر الى ميناء حيفا علنا، وأن يصدر أمره إلى جميع جمارك فلسطين بوجوب تحري وتفتيش كل ما يرد باسم أي محل تجاري صهيوني كان أم غير صهيوني^(١).

وفعلا بدأت الشرطة السرية البحث عن الهاغاناه وأسلحتها، كما حدثت موجة من التحريض ضدها، وكان من نتيجتها أن اتصل المندوب السامي (هربرت صموئيل) بالإدارة الصهيونية، وباللجنة القومية اليهودية، وطالبهم بتصفية الهاغاناه، وقامت السلطات برد عملي لمحاربتها، حيث قامت بتزويد المستعمرات بالأسلحة، وأعلنت عن استعدادها لإمدادهم بالأسلحة الأخرى وعن تشكيل قوة دفاعية يهودية شرعية، على شرط حل الهاغاناه.

وبعد عام ١٩٢٩ قامت الوكالة اليهودية بتكليف الكولونيل (كيش) بتوسيع الهاغاناه، عن طريق إشراك جماعة أخرى من المستوطنين في إطار اللجنة التنفيذية للهستدروت.

وبالرغم من هذا، ورغم الانجازات التي حققتها الهاغاناه فقد حدث عام ١٩٣١ م أول انشقاق داخل الهاغاناه وذلك احتجاجا على الأسلوب الذي تداربه، إذ أعلن قائد منطقة القدس (ابراهيم تهومي) عن تشكيل منظمة جديدة سماها (الدفاع الوطني) (الهاغاناه «ب») ومن ثم باسم (هارغون هتسفئي هلئومي) «المنظمة العسكرية القومية».

وفي أيار ١٩٣١ وبعد شهر واحد من الانشقاق تم للمرة الأولى تشكيل قيادة قطرية عليا، لمنظمة الهاغاناه الموحدة وكان عدد أعضائها متساويا من كلا الطرفين^(٢).

ومن نشاط الهاغاناه، أنها نجحت في تهريب اليهود إلى فلسطين عن طريق الحدود الفلسطينية السورية - اللبنانية المشتركة، وعن طريق البحر، خاصة سنة ١٩٣٤ (ولهذا قام شباب فلسطين بجهود ذاتية في محاولة لمقاومة هذه العملية، وأخذ مؤتمر الشباب على عاتقه تنظيم عملية حراسة السواحل وحدود فلسطين، ففي ١٣ تموز ١٩٣٤ تقرر تشكيل لجنة حراسة السواحل والحدود، حتى حدث اصطدام في ١٧ آب ١٩٣٤ بين كشافه أبي عبيدة وبعض المسلحين اليهود، الذين قدر عددهم (١٥٠) يهوديا، قرب قرية «ام خالد» المجاورة لمستوطنة نتانيا على ساحل البحر، وأسفرت المعركة عن جرح ثمانية من العرب، وعلى الأثر أصدرت الحكومة بلاغا رسميا في نفس اليوم جاء فيه «إن المندوب السامي يتفق الآن مع وزير المستعمرات لاتخاذ الاجراءات اللازمة، لحماية حدود فلسطين، ضد جميع الهجرة غير الشرعية، وسيصير في القريب العاجل إدخال إجراءات ينتظر منها أن تمنع بصورة فعالة، الهجرة غير المشروعة عن طريق البر والبحر، و«اعتبر عمل (لجنة حراسة السواحل والحدود العربية)، عرقلة أكيدة وتشويشا من شأنه أن يساعد على إخلال الأمن، وأنذر البلاغ بأن

(١) كامل خلة - فلسطين والانتداب البريطاني - مركز الأبحاث ١٩٧٤ ص ١٧٢

(٢) كتاب الهاغاناة - مصدر سابق

الحكومة ستمنع جميع المحاولات التي يقوم بها افراد وهيئات لأخذ القانون في أيديهم، ومن يخالف يعرض نفسه للاجراءات بموجب قانون منع الجرائم^(١).

ومن الجدير بالذكر أن الهجرة اليهودية غير الشرعية، لم تتوقف سواء كانت من البرّ أو البحر، وأن الاجراءات البريطانية الصارمة كانت موجهة أساسا ضد العرب فقط.

«وفي ١٧ آب ١٩٣٧ عقد اجتماع لقادة المناطق في تل ابيب، وأعطيت لهم الأوامر بفتح النار على العرب»^(٢).

وقد تمّ بالفعل إلقاء القنابل اليدوية، على بعض البيوت العربية في يافا، مما أدّى الى مقتل وجرح الكثيرين من العرب، وفي ٢٠ آب ١٩٣٦ تمّت مهاجمة قرية الطيرة العربية قرب حيفا، وفي ٢٧ آب قتل اثنان من العرب على طريق بتاح تكفا، وتعترف المصادر الصهيونية بفضل الشرطة البريطانية، خلال تلك الفترة، من حيث المساعدات التي قدمتها لحماية المستوطنات اليهودية (فقد قامت الشرطة ببذل جهود كثيرة في هذا المضمار، حتى أنها فاقت ما كان يتصوره اليهود أنفسهم فقد قيل أنّ الشرطة في حيفا قامت بعمل يفوق قدرتها)^(٣).

ففي حالات كثيرة غصّ رجال الشرطة الطرف عن الأسلحة غير الشرعية، ولم يكتفوا بذلك بل قاموا بمدّهم بالأسلحة، مما دفع أحد القادة الصهيونيين (اسحق بن تسفى) إلى القول: «إن هناك جبهة بريطانية - يهودية في تلك الأحداث، وإذا لم تكن تلك الجبهة قائمة في الميدان السياسي، فإنها موجودة في الخنادق على الأقل»^(٤).

وبلغ عدد أفراد الهاغاناه يوم اتحاد الهاغاناه مع المنظمة ب المنشقة عنها، في ٢٧ نيسان ١٩٣٧ (٢١ ألف عضو) منهم (٤ آلاف) من النساء، منتشرين في ٢٧ مستعمرة ويملكون ٢٣٠ رشاشا و ٤٠٠٠ بندقية و ١٠ الف مسدس^(٥).

ومع اشتداد هجمات المجاهدين الفلسطينيين ضد تجمعات اليهود ومستعمراتهم، فقد طلب إلى (اسحق ساديه) أحد مؤسسي الهاغاناه، إعداد قوة متحركة لحماية مستوطنات جبال يهودا في منطقة القدس، فبدأ مهمته في صيف ١٩٣٦، حيث أعدّ قوة كانت النواة الاولى فيما بعد، لظهور الكتائب الميدانية والبالماخ والجيش الإسرائيلي، فقد شكل مجموعة مؤلفة من خمسة أعضاء من الهاغاناه من القدس وفتاتين تحملان السلاح لحماية مستعمرة (هاعرطوف)، ثم وصلت أخباره إلى (الياهو كوهين وإلى يعقوب بات) قائد المدينة، الأمر الذي دفعهما إلى تنظيم الأفواج المتحركة في القدس وضواحيها، وكان إسحق ساديه قائدا ومدربا لها، وتقرر استخدام تلك الأفواج

(١) عيسى السفري فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية - يافا ١٩٣٧

(٢) كتاب الهاغاناة - مصدر سابق

(٣) جريدة ها أرشس ٢٨/١٠/١٩٣٦م

(٤) كتاب الهاغاناة - دينور بن تسيون - مرجع سابق

(٥) كتاب الهاغاناة - مرجع سابق

للحراسة والدوريات المتحركة بدلا من الثابتة. وكان مركزها القدس «حيث يتم كل ليلة إرسال مجموعات من هؤلاء الى المستوطنات المجاورة، ثم يعودون ليلا قبل طلوع الفجر، وقد بدأوا يقيمون الكمان على مداخل القرى العربية، واصطياد ما يمكن اصطياده من أهلها، كما جرت محاولة من قبلهم للقيام بدوريات متحركة، لحماية المواصلات على الطرق الموصلة الى القدس»^(١).

فروع الهاغاناه ومؤسساتها

١ - رجال اليهود في البوليس الفلسطيني (الشرطة العامة) :-

اشترك العديد من رجال الهاغاناه في البوليس الفلسطيني للمحافظة على الأمن . وفيما يلي

جدول يبين عدد الشرطة في فلسطين وزيادة عدد اليهود فيها^(٢) :

سنة ١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩	
٣٦٥	٤٧٥	٧٥٨	٧٤١	٦٨٢	يهود
١١٨٧	١٢٣٢	١٣٠١	١٢٣١	١١٩٨	مسلم
٢٧٨	٢٨٤	٣٣٧	٣١٠	٢٨٧	مسيحي
٧	٨	١١	١٣	١١	اخرين
٧٤٦	٩١١	١١٧١	٢١٧٢	٢٩٤١	انجليز

بينما كان العدد سنة ١٩٢٦ كالتالي :

انجليز ٢٤٥

مسلم : ١٠٢٨

مسيحي : ٢٦٧

يهودي : ٢١٢

وفي أيلول ١٩٣٩/٩/٢٤ تم الاعلان عن نتائج الإحصاء الذي دل على وجود (١٣٦٠٤٢)

شخصا يمكنهم حمل السلاح

(١) اسحق سادية - ماذا جدد البالمخ تل ابيب ص ٢٩

(٢) ب . ابراهام - النضال من اجل جيش عبري تل ابيب ١٩٤٦

٢ - جيش الخفراء (هنوطروت) -- الشرطة الخاصة -

بدأ هذا الجيش خطواته الأولى في نيسان ١٩٣٦ ، عندما اقترح مركز الهاغاناه على الوكالة اليهودية ، التقدم بطلب الى الحكومة البريطانية لتجنيد عدد من أفراد الشرطة الخاصة ، لدعم الشرطة العامة ، ومهمة الحراسة المحلية ، وفعلا استجابت السلطة البريطانية لمطالب الوكالة ، فبدأت باعطاء رخص وأسلحة لمختلف المناطق التي يتهدها الخطر ، وقد اعطيت تلك الرخص تحت (غطاء الشرطة الإضافية والخفر) ، ومن هذين المصطلحين ظهر اسم (هنوطروت) النواطير وبلغ عددهم في ايلول ١٩٣٦ م (٢٨٦٣) شخصا .

وقد اشترطت السلطة البريطانية أن يرتدي هؤلاء الجنود لباسا موحدًا ، وأن يحملوا البنادق العسكرية، كما تعهدت الحكومة بدفع نصف رواتبهم . وما أن هدأت الأمور بعد أحداث ١٩٣٦ ، حتى طالبت الحكومة بتقليص عدد الخفراء ، وهكذا تمّ في بداية عام ١٩٣٧ تحديد ٤ أنواع من الخفراء :

- ١ - النوع الاول وعددهم ٧٤٠ خفيرا مجندون تجنيدا كاملا ، ويتسلمون رواتبهم من الحكومة .
 - ٢ - النوع الثاني وعددهم ٧٤٠ خفيرا وعليهم الحضور إلى مراكز الشرطة خلال ساعتين .
 - ٣ - النوع الثالث وعددهم ١٤٨٠ خفيرا وعليهم الحضور إلى مراكز الشرطة خلال ٢٤ ساعة .
 - ٤ - النوع الرابع وعددهم ١٥٠٠ خفير احتياطي في الشرطة الإضافية .
- وفي صيف ١٩٣٧ تغير هذا الاسم إلى (شرطة المستوطنات العبرية) ، وبقيت تحمل هذا الاسم حتى نهاية الانتداب البريطاني .

لقد فتح جيش الخفراء آفاقا جديدة لتدريب الشباب اليهودي على الاسلحة ، فعند نهاية الأحداث ١٩٣٦ ، قررت الجهات والمؤسسات المسؤولة عن الدائرة السياسية في الوكالة والهاغاناه ، فتح دورات رئيسية علنية للتدريب على الأسلحة ، تحت شعار تدريب الخفراء وهكذا تمت التدريبات دون حاجة للتصويه والخداع ، وفي نهاية الحرب بلغ عدد افراد هذا الجيش (٢٤٣٦٨) جنديا عام ١٩٤٣^(١) .

كما أدت عملية إنشاء جيش الخفر إلى حلّ المشكلة الرئيسية ، التي شغلت اليشوف منذ الأيام الأولى لحكم البريطانيين ، وهي مشكلة الدفاع عنه ، فقد اضطرت الحكومة البريطانية في النهاية ، إلى الاعتراف بحق اليهود بالقيام بذلك ، حيث وصلت في شتاء ١٩٣٨ شرطة المستوطنات العبرية إلى مكانة ميليشيا قطرية ، يزيد عدد أفرادها على ١٤ الف خفير منتشرين في كافة أنحاء فلسطين ، كما ضمّ إليها حوالي ٦٠ دورية متحركة تنقلها على الغالب سيارات مصفحة^(٢) .

(١) كتاب الهاغانة مجلد ٣ ج ١ ص ٣١٩-٣٢٤ ، كما ذكر المصدر في فقرة ثانية ان عدد افراد هذا الجيش بلغ في نهاية الحرب حوالي (٣٠٧٤٥) وهم يشكلون ٨٣ بالمائة من أعضاء المنظمة عدا أفراد الشبيبة .

(٢) الهاغانة مجلد ٢ ج ٢ ص ١٠٧٩

٣ - الشبيبة في الهاغاناه :

مع توسيع اطار المنظمة بهدف احتوائها كافة القوى البشرية القادرة على تحمل عبء حماية اليشوف ، برزت الحاجة إلى إقامة إطار ملائم لاستيعاب (الشبيبة - الموشافيم) ، وقد أثبتت التجربة أن باستطاعة الشبيبة الذين تتراوح أعمارهم بين ١٥-١٨ سنة ، تحمل عبء المسؤولية ، كما كانت هناك أسباب أخرى لتوسيع النشاط بين صفوف الشبيبة ، خلال سنوات الحرب أولها : توقف الهجرة : وهي المصدر الأساسي للهاغاناه . وثانيها : التطوع في الجيش البريطاني . وثالثها : خوف الهاغاناه من وقوع الشبيبة في شبك المنظمات المنشقة الأخرى مثل (الإتسل وليحي) ، ولهذا قررت القيادة العليا في بداية ١٩٤١ ، أن تأخذ الهاغاناه على عاتقها مسؤولية إعداد الشبيبة العبرية في البلاد ، للدفاع عن اليشوف ، ومن أجل تنفيذ ذلك كان على المنظمة العمل بالتعاون مع جهاز التعليم ، ومنظمة الشبيبة ، وتمّ لهذا الغرض تشكيل كتائب للشبيبة أطلق عليها اسم (جدناع) ، وهي اختصار لكلمتين عبريتين (جدودي نوعر) « كتائب الشبيبة » وأطلق عليها في بعض المناطق (الجيش الميداني الفني) ، وتمّ تقسيم تدريبات الشبيبة إلى ثلاث مراحل : ففي المرحلتين الأولى والثانية ، اهتموا بالتدريب على النظام والرياضة والملاكمة ، كما أعدت لهم مسيرات للتعرف على البلاد ، وفي المرحلة الثالثة (بسن ١٦-١٨) كانوا يتدربون على السلاح^(١) .

٤ - القوة المتحركة (الطائرة) :-

كانت مهمتها تقوم خلال النهار بالحراسة الراجلة للطرقات والحقول القريبة من المستوطنات ، كما تقوم بحراسة العاملين في تلك الحقول ، ثم أخذت تستخدم السيارات غير المصفحة في خريف ١٩٣٨ م ، ووصل عدد رجالها إلى ٤٠٠ رجل توزعوا إلى ٦٠ مجموعة^(٢)

٥ - حرس القطارات والسكك الحديدية والمطارات والموانئ :

أعلنت الشرطة في بداية ١٩٣٧ ، عن رغبتها في تدريب خفراء يهود ، لحماية السكك الحديدية الممتدة من حيفا إلى اللد ، وخاصة في المنطقة القريبة من قلقيلية وطولكرم ، وتم تجنيد (٧٣٢) مجندا لهذا الغرض ، وأخذوا على عاتقهم حراسة السكك الحديدية بين اللد ومجدل جاد وبين حيفا وسمخ ، وفي أيلول ١٩٣٨ تم البدء بتجنيد الخفراء الاوائل لحماية المطارات في كل من (قلندية واللد والرملة) ، كما تمّ في تلك السنة إنشاء الحراسة في ميناء حيفا ، من قبل (٤٨) شخصا من الخفراء اليهود ، كما تسلموا الحراسة على مضخات المياه من رأس العين الى القدس ، ووصل عدد هؤلاء المجندين في شتاء ١٩٣٩ م الى (٨٠٠) رجل^(٣) .

(١) كتاب الهاغاناه مرجع سابق

(٢) عرشون ريفلين - تاريخ جيش الخفرص ٣٦-٣٧

(٣) عرشون ريفلين - تاريخ جيش الخفرص ٣٦-٣٧ .

٦ - كتائب الليل الخاصة :-

كان الهدف من إنشائها حماية خط أنابيب البترول (التابع لشركة الاحتكار البريطانية) ، الذي يأتي من العراق ، ويمر في طريقه إلى المصافي في حيفا ، في منطقة غور الاردن ، حيث كلف الضابط البريطاني (أورد تشارلز وينجيت) الذي كان يعمل ضابطا في الاستخبارات العسكرية في فلسطين ، بتأسيس هذه الكتائب ، وكان عددها أربع كتائب ، لكنها حلت جميعها في شباط ١٩٤٠ ، بعد أن أبعد أورد نهائيا عن البلاد .

وكانت مهمة هذه الكتائب أيضا ، حراسة معسكرات الاعتقال ، أو بالعمل مرشدين للجيش ، وبخاصة في الليل أثناء عمليات التفيتش ، وقد جند في البداية ١٠٠ شاب من قادة الهاغاناه وبعد ذلك تم تجنيد ١٠٠ آخرين لمساعدة الفرقة الانجليزية المرابطة في منطقة السامرة .

٧ - الكتائب الميدانية (بوش) :-

وهي عبارة عن (جيش شعبي منظم ومدرب) ، أنشئ لكي يقوم بالمهام التاريخية الملقاة على عاتقه ، وكان (بن غوريون) يقصد من تشكيل هذا الجيش ، إيجاد قوة تكون خاضعة فقط لإدارة الوكالة اليهودية ، ورغبة في الاقتراب من الصبغة العسكرية قدر الامكان ، وقد وضع القائمون على هذا الجيش هدفا لهم ، وهو خلق نموذج من الجندي القادر على الحركة بسرعة ، وتحمل المشاق ومعرفة الأماكن وطبوغرافيتها واستخدام الاسلحة .

وكانت مهمة هذه الكتائب حراسة العمال في المحاجر ، وخاصة في محاجر (الجشار في القسطل) وكذلك تأمين الطريق إلى مستعمرة (عطاروت - قلنديا) ، واستخدمت أيضا للتدريب ونقل الاسلحة . وبلغ عدد أفراد هذه الكتائب في ١٥ آذار ١٩٣٨ اكثر من (١٠٠٠) رجل ، ينضون تحت لواء الكتائب الميدانية موزعين على ١٣ قطاعا .

كما بلغ عدد أفراد هذا الجيش سنة ١٩٤٣ (٩٠٠٠) رجل موزعين على ٤٠ كتيبة كالتالي :

٩ كتائب في الجليل الاوسط

٥ كتائب في حيفا

٣ كتائب في القدس

١٣ كتيبة في الجليل والسهول

٤ كتائب في الجنوب

٦ كتائب في تل ابيب

ونظرا لتراكم الشكاوى والاحتجاجات ضد هذه الكتائب ، فقد قررت القيادة القطرية حلها ليحل محلها البالماخ (القوات الضاربة) ، إذ كان معظم قادة البالماخ من خريجي تلك الكتائب الميدانية^(١) .

(١) كتاب الهاغاناه مرجع سابق.

٨ - مصلحة المعلومات - المخابرات - (الشاي) :-

أسس هذا الجهاز لجمع المعلومات عما يجري في الجانب العربي ، وكان من بين أعضائه البارزين (عزرا دنين وأهرون كوهين والياهو إنشتاين (ايلات) ، ورؤوفين شيلواح) ، كما ساهمت هذه المصلحة في نقل الأسلحة إلى منظمة الهاغاناه ، عن طريق استخدام سيارات الشرطة^(١) ، واحتلت هذه المصلحة مكانا خاصا في الجهاز الحربي السياسي ، وفي إقامة منظمات تجسس في الأقطار العربية ، لخدمة الدول الاستعمارية ، وفي هذا الصدد كتب (إسرائيل بير) في كتابه في يوم من الأيام « أنه من سنة ١٩٤١ م ، ويعدها استخدمت دائرة المخابرات البريطانية ، ودائرة الاستخبارات الأمريكية ، ودائرة الحلفاء الاستراتيجية أعدادا متزايدة من اليهود » . كما أضاف ليؤكد أهمية هذه الفرق ، « إن الكولونيل الأمريكي (هيمبر) من دائرة الاستخبارات الأمريكية قال : « حتى لولم يقيم اليهود (يعني الخدمة في دائرة الاستخبارات) وحتى لولم يكن لهم أي ادعاء آخر ، فخدمتهم الأمنية كسبت لهم حقا في أن يكونوا أمة حرة في بلادهم »^(٢) .

٩ - قسم التجسس المضاد (ران) :

في بداية ١٩٤٠ بدأت السلطات البريطانية تطارد منظمة الهاغاناه ، وتصادر أسلحتها وتم لهذا الغرض إنشاء شبكة للتجسس ، واستعان في ذلك ببعض الجواسيس اليهود ، ولهذا فقد طلب من (شأول منيروف) إقامة قسم للتجسس المضاد (ران) ، لإجباط مهمة السلطات البريطانية وإفشالها ، وفي آذار ١٩٤٢ تم توحيد المصلحتين (ران وشاي) بصورة نهائية ، وتم فتح مكتب لها في تل أبيب تحت اسم مستعار وهو (اللجنة من أجل الجندي) ، ومن أجل تطوير العمل في هذا القسم ، فقد تم ضمّه عام ١٩٤٤ م إلى الدائرة السياسية التابعة للوكالة اليهودية برئاسة (الياهو ساسون)^(٣) .

١٠- وحدة الاتصالات :

طورت هذه الوحدة مع بداية الهجرة ، حيث أقيمت اتصالات لاسلكية مع السفن التي تنقل المهاجرين ، حيث كانت تذاق القطع الموسيقية ولكل منها مفهوم خاص : منها ما يعني الابتعاد ومنها ما يعني الاقتراب ، وقد أقيمت لهذا الغرض محطتان إحداهما ثابتة والأخرى متنقلة^(٤) .

(١ + ٢) افرايم ديكل - قضايا المخابرات - الشاي تل ابيب ١٩٦٥ ص ١٢-١٤

(٢) جذور القضية الفلسطينية - اميل توما مصدر سابق

(٤) افرايم ديكل ص ١٥٧

١١- الخدمات الطبية :

بدأت تلك الخدمات كمؤسسة دائمة ومنظمة بعد أحداث ١٩٢٩ م ، وبلغ عدد أفرادها في البداية ٣٥ طبيباً وحوالي ٧٠ ممرضاً وممرضة ، وكانت تعمل في المدن أيضاً منظمة (نجمة داود الحمراء) ، وكانت هذه المنظمة تقوم بنقل الأسلحة للهاغنة في سيارات الاسعاف التابع لها ، كما كان لها مركز سري في حيفا ، لتجنيد الأعضاء في صفوف المنظمة^(١) .

١٢- وحدة المهمات الخاصة (فوم) :-

أسست هذه الوحدة في ٥ حزيران ١٩٣٩ ، وجاءت (فوم) اختصاراً لكلمتي (بلوغوت ميوحدوت) - وحدات خاصة - حيث قامت بقطع الاسلاك الموصلة الى محطة الاذاعة بالقدس ، وكذلك تفجير مواد ناسفة في دوائر الهجرة ، وإطلاق النار على الشرطة ، وكانت الأوامر تصدر مباشرة عن (دافيد بن غوريون) وينفذها (اسحق بن تسفي) وكانت تهدف الى:

- ١ - تنفيذ عمليات انتقامية ضد العرب .
 - ٢ - تنفيذ عمليات تمهيدية ضد الحكم البريطاني .
 - ٣ - تنفيذ عمليات ضد الحكم .
 - ٤ - تنفيذ عمليات ضد الجواسيس والخونة اليهود .
- ولكنها أوقفت نهائياً ، بعد مرور شهر واحد على اندلاع الحرب العالمية الثانية^(٢) .

١٣- الحرس الوطني :-

قامت القيادة العليا لمنظمة الهاغنة في ٢٢ حزيران ١٩٤٢ ، بتقديم خطة تدريبية لمدة ستة أشهر ، وقد اشتملت على تدريب ١٥ الف رجل شهرياً^(٣) ، ولكن هذه الخطة باءت بالفشل ثم طرأ عليها بعض التحسن ، حتى وصل عدد الذين تدرّبوا في مثل هذا الإطار حوالي ٥ آلاف شخص ، حتى نهاية آب ١٩٤٢ ، وكان هذا الحرس على وشك التحول إلى حركة جماهيرية ، إلا أن الاستهانة والاتكالية التي ظهرت بعد الانتصار في معركة العلمين ، قد أدّت في النهاية إلى حلّ هذا الجيش ، فانضم قسم منهم إلى صفوف الهاغنة ، وقسم منهم عاد إلى بيته^(٤) .

١٤- المتطوعون في الجيش البريطاني :-

كتب ولتر بريوس « كون عدد كبير من اليهود الجنود ، قد خدموا في الجيش البريطاني ، وشاركوا في معاركه ، وبذلك تدرّبوا عسكرياً ، لم يكن بدون أثر على التطورات في السنوات التي سبقت قيام الدولة »^(٥) .

(١ + ٢) بن تسيون / البلاخ ص ٦٦

(٣) الهاغنة مجلد ٣ ج ١ ص ٣٢٩

(٤) اليميلخ افنير - الهاغنة تل ابيب ١٩٥٦ ص ١٣٨

(٥) ولتر بريوس - حركة العمال في اسرائيل

ولهذا تمّ خلال أحداث ١٩٣٦-١٩٣٩ م ، تجنيد شبان يهود بواسطة مكاتب النواير ، لمساعدة واستكمال بعض وحدات الجيش البريطاني المختلفة ، وقد استمرت تلك المكاتب في العمل ، وتحولت الى واسطة رسمية تمّ بواسطتها عملية التجنيد لوحدات الجيش اليهودية ، طوال سنوات الحرب . وبالرغم من معارضة السلطات البريطانية والإدارة البريطانية في فلسطين لفكرة إنشاء وحدات يهودية مقاتلة ، إلا أنها أعلنت عن تجنيد الحفارين^(١) حيث تمّ إعداد سريتين في كل واحدة منهما ٦٠٠ جندي .

وبلغ عدد المتطوعين في الجيش البريطاني كالتالي :

سلاح المشاة ٤٨٠٠
 سلاح الهندسة ٣٣٠٠
 سلاح الحفارين ٣٤٠٠
 سلاح المواصلات ٤٤٠٠
 سلاح العتاد ١٢٥٠
 سلاح المدفعية ٦٥٠
 سلاح الاشارة والخدمات الطبية ١١٠٠
 سلاح الطيران ٢٠٠٠
 سلاح الاسطول الملكي ١١٠٠
 سلاح النساء المساعد ٤٠٠٠^(٢)

كما تطوع حوالي ٣ آلاف رجل في الجيوش الأخرى وخاصة في الجيش التشيكوسلوفاكي^(٣) .

١٥- النشاط البحري:

تم في عام ١٩٢٥ تأسيس وحدة الصيادين بالقرب من مصب نهر العوجا (اليركون)، وكان الهدف من تأسيس تلك الوحدة، الاتصال مع السفن وانزال الاسلحة التي يتم شراؤها بصورة خاصة من السفن الايطالية والبلجيكية، وفي سنة ١٩٢٩ تأسس نادي الرياضة البحري (دلفين) في حيفا، وتم شراء احد الزوارق وفي عام ١٩٣٣ جرت محاولة لتأسيس شركة ملاحه يهودية في فلسطين، كما تم خلال سنة ١٩٣٤-١٩٣٨ اقامة مدرسة بحرية يهودية في ايطاليا، واعترفت الحكومة بتلك المدرسة وباستقلالها، وجرت خلال عام ١٩٣٧ تأسيس منظمة عبرية يهودية في فلسطين، هدفها ادخال الروح الطلائعية البحرية بين صفوف الشباب اليهودي، وفي عام ١٩٣٨ تم تأسيس مدرسة بحرية في حيفا^(٤).

(١) الحفارون هم الذين يقومون بأعمال الحفر والخنادق والتحصينات وشق الطرق .

(٢) يعقوب غيل - كتاب الفرقة اليهودية - تل أبيب ١٩٥٠ ص ٣٩

(٣) الهاغانة مجلد ٣ ج ١ ص ٦٦٩-٧٠٠

(٤) الهاغانة مجلد ٣ ج ١ ص ٤١٩-٤٢١

واثناء اوج المعارك في الحرب العالمية الثانية، حاولت قيادة البالمخ اعداد خطة تستهدف انقاذ اليهود لدى انتهاء الحرب، وقد توصلت القيادة في تلك الفترة الى استنتاج يقضي بالاسراع لاقامة قوة بحرية، تأخذ على عاتقها المسؤولية العسكرية، في عملية الهجرة غير الشرعية، وقد جرى في كانون ثان عام ١٩٤٣ عقد اول دورة بحرية في (قيسارية) لمدة ثلاثة اشهر متواصلة، اشترك فيها ٣٠ شخصا من اوائل رجال البالمخ، ثم عقدت بعد ذلك دورة اخرى، وقد حددت لها (اي للبحرية) اربع مهمات:

١ - تنفيذ الهجرة غير الشرعية ابتداء من نقل السفن للمهاجرين، وانتهاء بنقلهم بواسطة الزوارق من سفنهم الى الشاطئ في فلسطين.

٢ - التخريب البحري: اي اعداد مخربين لتنفيذ عمليات تخريبية ضد السفن والمنشآت البحرية التي تخص العدو الالمانى، وكذلك ضرب السفن البريطانية، التي تحاول عرقلة عملية الهجرة غير الشرعية.

٣ - النقل البحري: تشغيل السفن من اجل نقل الوحدات والتموين والذخيرة في حال خضوع الطرق البرية، للاشراف البريطاني المعادي، او في حال الهجوم العربي على طرق المواصلات البرية.

٤ - وحدات انزال تكون مدربة على وسائل النقل البحرية الحرة، وذات القدرة على النزول في شواطئ العدو خلال نشوب معركة^(١).

وفي صيف ١٩٤٣، تم وضع البحارة في البالمخ تحت تصرف المكتب ، حيث تم تجميع كافة الذين انهموا كافة التدريبات البحرية في قاعدة خاصة، في كيبوتس قيسارية (سدود يام)، وبعدها تم نقلهم الى ميناء حيفا.

وفي نيسان ١٩٤٥ قررت قيادة البالمخ فصل البحارة عن السرية السابعة، وزيادة عددهم، وتنظيمهم في سرية خاصة، وهكذا اصبحت تحمل اسم (السرية التاسعة) حيث تمركزت تلك السرية في النقاط القريبة من الشاطئ، مثل ميناء حيفا وشفاميم وقيسارية وغيرها. وبهذا شكلت هذه السرية البحرية سلاح البحرية الاسرائيلية فيما بعد^(٢).

(١) يغنال الون ص ٧١-٧٢ مرجع سابق

(٢) الهاغنة مجلد ٣ ج ١ ص ٤١٩-٤٢١

١٦ - عام لوحيم «شعب مقاتل»

بعد فشل المفاوضات بين الهاغاناه والاتسل، للوصول الى اتفاق للاتحاد بينهما، وكذلك بعد فشل التعاون بين الاتسل والسلطات البريطانية، ظهرت هناك بعض الجماعات داخل الاتسل والهاغاناه، التي ابدت استياءها من الوضع السائد، وكذلك من عدم تجديد المعركة ضد البريطانيين، لأنهم لم يغيروا سياستهم التي عبروا عنها في الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩، ومن بين هؤلاء المبادرين الى الوحدة بين المنظمتين كان (الياهو لانكين) الذي انفصل عن الاتسل وزميله (الياهو متسادي) «رفيد»^(١).

ثم انضم اليهم الدكتورن. لوبوتسكي (من زعماء الحركة الاصلاحية) وقد نجح الدكتور روبين (من قادة الجنود الاصلاحيين) في تجنيد (يوسف ايدلبرغ) - ضابط في الهاغاناه في منطقة حيفا -، وكذلك حاول المبادرون تجنيد رجال ليحي كذلك، الا ان قادتهم (الدكتور يسرائيل داد واسحق شامير) رفضا هذا العرض^(٢).

وقد اطلق (يغئال هورفيتس) على هذه المنظمة الجديدة اسم (عام لوحيم) وذلك من اجل التأكيد - حسب رأيه - على ان الشعب بأسره هو الذي يقاتل وليس مجموعة صغيرة تابعة لاحدى المنظمات^(٣).

واثناء قيام قيادة عام لوحيم بمناقشة بعض الخطط للقيام بعمليات ضد البريطانيين، كان هناك من اقترح القيام بعمليات ضد (دائرة التحقيقات الجنائية)، ومنهم من اقترح تصفية قادة المخابرات الانجليز، وفي النهاية تم الاتفاق على اختطاف المندوب السامي البريطاني (ماك مايكل)، والاحتفاظ به في مكان سري، وتم تحديد يوم ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٣ لتنفيذ العملية لكنها فشلت في اللحظة الاخيرة، بسبب رفض قائد الاتسل في القدس، تسليمهم الاسلحة المتفق عليها حسب الخطة^(٤).

اما الاتسل نفسها، فقد قامت بمحاكمة قائد منطقة القدس، الذي رفض تزويد المجموعة بالاسلحة لتنفيذ عملية الاختطاف، وقد صدر الحكم عليه يوم ٢٩ كانون اول ١٩٤٣، بفصله من قيادة المنطقة وابعاده عن صفوف الاتسل لمدة سنة كاملة.

وهكذا وصلت قضية عام لوحيم الى نهايتها^(٥).

(١) الهاغاناه مجلد ٢ ج ١ ص ٥٠٤

(٢) الهاغاناه مجلد ٢ ج ١ ص ٤٨٩

(٣) دافيد نيف ج ٣ ص ٢٦٧ مرجع سابق

(٤) الهاغاناه مجلد ٢ ج ١ ص ٤٩١

(٥) دافيد نيف الكتاب الثالث ص ٢٧١

١٧ - الطيران العبري:

اقيم ناد للطيران المدني عام ١٩٣٣م تحت اسم (الجمل الطائر)، يترأسه (يسرائيل هخط)، وفي سنة ١٩٣٥ تأسس ناد للطيران في غور الاردن، وكان من مؤسسيه (يوسف نحمانى)، وفي صيف ١٩٣٧ تم شراء طائرة التدريب الاولى من بولونيا، وفي سنة ١٩٣٩ فتحت الدورة الرسمية للطيران واشترك فيها (١٠) اعضاء ممن يحملون رخصا حكومية، وعندها اسسوا رابطة للطيارين، وافتتحت دورة للطيران في اللد، وقد تخرج منها (٦) طيارين في نيسان ١٩٣٩م^(١).

وفي تلك الفترة استمرت شركة (افيرون) في تطويرها، فاشترت المدرسة الجوية التي انشأها (كاتس)، واشترت عدة طائرات من بولونيا ومع اندلاع الحرب العالمية الاولى، كان الكيان الصهيوني يملك (٢٠) طيارا مؤهلا، اما بالنسبة لعام ١٩٤٣ فقد كان غنيا بالاعمال والنشاطات حيث تم وضع الاساس للطيران العبري المقاتل حيث حصلت قيادة البالمخ على اذن بذلك من قيادة الهاغاناه، وذلك من اجل تدريب الطيارين وقد تم في صيف ١٩٤٣، عقد اول دورة في (كفار يلدیم) في مرج بن عامر لطيارى البالمخ، اشترك فيها (٢٠) شخصا من كافة السرايا وقد استمرت جهود القيادة للحصول على الاموال لتدريب الطيارين على طائرات شركة افيرون في مطار الرملة وفي نهاية ١٩٤٤ تم تجميعهم في (كيبوتس ناعن) بقيادة (شلومو ميلر) وكان عددهم (١٧) عضوا وشاركوا في اقامة النواة الاولى لسلاح الجو الاسرائيلي^(٢).

واصبح هذا الكيبوتس قاعدة ثابتة لهم، وعمدوا على اخفاء نشاطهم، والظهور على انهم اعضاء في نواد مدنية، دون ان يثيروا اية شبهة امام البوليس السري وعمالئه، الذين عملوا في المطار، وعندما وصل الطيارون الى مرحلة السيطرة التامة على الطائرات الصغيرة، طلب اليهم القيام بمهمات استطلاعية والتصوير من الجو، حيث قاموا بتصوير القرى العربية ذات الاهمية الاستراتيجية، وكان لمثل هذه الصور اهمية كبيرة خلال محاربة حكومة الانتداب وخلال حرب ١٩٤٨م، وقد تم ارسال بعض الطيارين الى فرنسا وانجلترا والولايات المتحدة لاكمال دراساتهم وتدريبهم هناك^(٣).

وفي عام ١٩٤٥ تم تجميع الطيارين الثمانية الاوائل في شعبة خاصة في (مشمار هعيمق) تحت قيادة (بنحاس بن فورات) وهو من اوائل الطيارين التابعين للهاغاناه، ولكن لم تعط لهم امكانية التدريب، حيث عملوا لمدة سبعة اشهر في الكيبوتس، وهكذا شكلوا (وحدة مستقلة لا تعمل بالطيران لانه لا يوجد طائرات لاستخدامها).

(١) دافيد نيف - مرجع سابق

(٢) كتاب البالمخ - زوربال جلعاد - تل ابيب ١٩٥٦

(٣) يغئال الون - معارك البالمخ تل ابيب ١٩٥٧ ص ٧٦/٧٧

ولكنهم حافظوا بقوة على استقلال وحدتهم، وعارضوا اية محاولة لحلهم، اولضمهم الى الوحدات الاخرى، وقد حددت هذه الوحدة نشاطها (١٧) شخصا في نهاية الحرب العالمية الثانية في (ناعن) بقيادة (شلومو ميلر) وشارك اعضاؤها باقامة النواة الاولى لسلاح الجو الاسرائيلي^(١).

(١) كتاب البالماخ زوربال جلعاد تل ابيب ٩٥٦ ص ٤١٥

دستور الهاغاناه

اشتمل هذا الدستور الذي صدر في ١٥ ايار ١٩٤١ على ١٠ بنود:

- ١ - تعرف المنظمة على انها القوة العسكرية للشعب اليهودي، الذي تبني استقلاله السياسي في ارض اسرائيل.
- ٢ - يحدد خضوعها لسيادة المنظمات العليا للحركة الصهيونية.
- ٣ - تحدد مهمات الهاغاناه: وهي الدفاع عن اليشوف اليهودي وحماية المشروع، وحقوق الشعب اليهودي السياسية على ارض اسرائيل.
- ٤ - يحدد مبدأ وجود منظمة عسكرية واحدة ووحيدة في الكيان
- ٥ - تعرف المنظمة على انها كتلة قطرية واحدة، تديرها قيادة قطرية واحدة تملك السيطرة على كافة الاعضاء.
- ٦ - يحدد العلم والنشيد الوطني، حيث يتم تحديد العلم باللونين الازرق والابيض ونشيد (هتكفا) «الأمل»، نشيدا وطنيا.
- ٧ - ان حق العضوية في الهاغاناه، هو واجب وحق لكل امرأة ورجل من اليهود.
- ٨ - يتعلق بالعضوية: وهي الانضباط الكامل والاستعداد لكل امر رسمي.
- ٩ - ان المنظمة غير مقيدة بالقوانين غير اليهودية وان قيامها وتسلمها مرهون بالسرية التامة^(١).
- ١٠- ان المنظمة تربي اعضاءها على الاخلاص للشعب والارض وحب الحرية، وتحمل الاعباء والمصاعب والاستعداد والتضحية^(٢).

قسم الهاغاناه

كان القائد يقرأ القسم، والاعضاء المرشحون يرددون من ورائه واهم ما جاء فيه:

(اعلن الانضمام الى الهاغاناه بمحض ارادتي، واقسم انني سأخلص لها طول حياتي، وان اضع نفسي تحت تصرفها مدى الحياة، وان اقوم بتنفيذ كافة اوامرها مهما تكن الظروف، وانني اقسم أن أكرس كل قوتي، والتضحية بحياتي، للدفاع عن شعبي ووطني، وعن حرية اسرائيل وانقاذ صهيون)^(٣).

(١) شلوموليف عامي - في النضال والثورة تل ابيب - وزارة الدفاع

(٢) الهاغاناه - مرجع سابق

(٣) الهاغاناه - مصدر سابق

تسليح الهاغاناه

خلال الحرب العالمية الثانية

تم فتح باب جديد لعملية شراء الاسلحة، وذلك مع الغزو البريطاني لسوريا في صيف ١٩٤١، وقبل ذلك بعام واحد تدفق السلاح على الهاغاناه عن طريق الجنود الفرنسيين (غالبيتهم من السنغال)، الذين اخذوا يهربون من جيش (فيشي) ويستسلمون للبريطانيين، وكان هؤلاء مستعدين لبيع اسلحتهم باي ثمن قبل استسلامهم ولهذا قامت الهاغاناه بشراء الكثير من تلك الاسلحة، كما ان القيادة العليا للمنظمة، ارسلت بعض مندوبيها لجمع الاسلحة المنتشرة في ارض المعارك وشرائها، وكانت المشكلة الرئيسية التي جابهتهم هي كيفية نقل تلك الاسلحة، وقد وجدوا حلا لها، حيث قاموا بنقلها بواسطة سيارات المخابرات البريطانية في اطار التعاون بينها وبين الهاغاناه، ومع تزايد تلك العملية قررت القيادة العليا بتاريخ ٦ تشرين ثان سنة ١٩٤١، اقامة شعبة للتسليح تكون مهمتها: السعي للحصول على الاسلحة والذخيرة والمتفجرات، وتخزينها والاهتمام بها، وكذلك امداد المستوطنات والوحدات العسكرية التابعة للهاغاناه بالاسلحة وقامت تلك الشعبة بانشاء عدة فروع لها، لشراء الاسلحة واخرى لتخزينها ولنقلها وتسجيلها^(١).

كما كان هناك مصدر آخر للحصول على الاسلحة من قبل منظمة الهاغاناه، وذلك عن طريق شرائها. من مستودعات الجيش البريطاني فعندما انتشرت الاشاعات خلال معركة «العلمين» حول احتمال الانسحاب البريطاني من فلسطين اعلنت قيادة الهاغاناه الاوامر بزيادة شراء الاسلحة والتي تركزت في البداية بواسطة الجنود البريطانيين، الذين كانوا يسرقونها ويبيعونها للهاغاناه، ثم اخذت الكمية تكبر شيئا فشيئا، وقد تمت الصفقات الكبرى لشراء الاسلحة حوالي عامي ١٩٤٢/٤١ وذلك من المستعمرات البريطانية بالقرب من حيفا، وخاصة الصناديق التي كانت تحمل في القطارات والتي كان يحرسها اليهود انفسهم، حيث يتم استبدالها بصناديق اخرى، كما جرت عمليات لشراء الاسلحة من مصر ومن الصحراء الغربية، فقد تبين للهاغاناه ان الاسلحة الالمانية والايطالية منتشرة في الصحراء الغربية، ولذا ارسلوا بعض رجالهم لشرائها، وكانت تنقل بواسطة اليهود انفسهم، حينما كانوا يؤخذون اسرى وهميين، وهم يحملون اسلحتهم ويرفقتهم الحراس، وهكذا كان يتم ايصالها الى مراكز الهاغاناه في الجنوب، كما طلب هؤلاء الى هؤلاء المندوبين ان يقوموا خلال تواجدهم في مصر، بالعمل على تهجير اليهود بصورة غير شرعية^(٢).

(١) الهاغاناة - مصدر سابق

(٢) كتاب الهاغاناة مصدر سابق ص ٢٦٩-٢٧٠

شراء الاسلحة خلال الاعوام ١٩٤١-١٩٤٥م^(١)

نوع السلاح	سنة ١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥
رشاشات ثقيلة	٢٣	٢٥	٩٦	٣	٣٦
رشاشات خفيفة	٨٧	٦٨	٥٢	١٢	٥
بنادق	٩٧٧	٢٥٧١	٧٩٠	٢٥	١٣٠
بنادق رشاشة	١٣	٦٩	١٣٥	٤٨	٨٢
مسدسات	-	١٦٣	٥٩	٤٢	١٧٠
طلقات	٨٩٤٨٩٤	١٦٨٢٧٢٤	١١٠٨٧٠٠	٣٦٢١٠٠	٣٣١٠٠

الاسلحة التي تملكها الهاغناه حتى تشرين اول ١٩٤٥
عندما كان يتسلم القيادة (موشي سنيه)^(٢)

مسدسات	بنادق	رشاشات			مدافع		مدايع	
		رشاشات متوسطة	رشاشات	مدافع ضد الدبابات	هاون ٣	هاون ٢		
٢٣٠٠	٤٥٨٩	٢٣٠	١٤	-	٥	١١٥	٣٥٨	المستوطنات
٩٠	٤٧٢	٢٩	٧	-	٧	٧	١٠١	البالمخ
٦٦	٢٥٦	١٢	٢١	٦	٢٣	٧١	١٧٥	الجيش الميداني
-	٥٠١	٢٢	٦٤	١٥	٥٩	٤١٣	٤٧٧	المستودعات
٢٤٥٦	٥٨١٨	٣١٣	١٠٦	٢١	٩٤	٦٠٦	١١١١	المجموع

(١) كتاب الهاغناه مصدر سابق مجلد ٢ ج ١ ص ٢٧٦

(٢) الهاغناه مصدر سابق مجلد ٣ ج ١ ص ٢٩٠

كمية الأسلحة في مخازن الهاغناه سنة ١٩٣٦-١٩٣٩ (ما عدا اسلحة الخفر)

نوع السلاح	اسمه لدى الهاغناه	سنة ١٩٣٦	سنة ١٩٣٩	ملاحظات
بنادق	مواسير	٦٢١٩	٦٠٠٠	
مسدسات	ادوات صغيرة	٣٣١٦	؟	
رشاشات متوسطة	شحروت (سوداء)	٢٤	٢٤	
رشاشات خفيفة	تركتوريم عدوليم (كبيرة)	١٥٧	٢٠٠	
	تركتوريم كشنيم (صغيرة)	٢٦٩	٤٠٠	
طلقات	مسيميريم (مسامير)	١١٢٠٠٠٠	١٩٠٠٠٠٠	
قنابل يدوية	حقيوت ياد (براميل يدوية)	١٠٠٠٠	٢٤٠٠٠٠ (صنع محلي)	
قنابل بندقية	حقيوت كسنيور (براميل مواسير)	٤٠٠٠	١٢٠٠٠	
هاون ٢	ستوكسيم	-	عدد قليل (١)	

وقد بلغ عدد افراد الهاغناه في نهاية ١٩٣٦م (١٦٨٣٦) جنديا، اما في سنة ١٩٣٧م فبلغ (٢٤٩٤٧ جنديا)^(٢).

(١) الهاغناه مصدر سابق مجلد ٢ ج ٢ ص ١٣٩٢

(٢) الهاغناه مصدر سابق مجلد ٢ ج ٣ ص ١٣٩٢

الفرقة اليهودية المقاتلة

بعد مرور خمس سنوات على اندلاع الحرب العالمية الثانية، تمت الاستجابة الى مطالب الجهات الصهيونية لانشاء فرقة يهودية، وذلك بفضل المساعي التي بذلها رئيس الوزراء البريطاني حينذاك (ونستون تشرشل)^(١).

ففي آب ١٩٤٤ قررت الحكومة البريطانية انشاء فرقة يهودية موسعة، حيث قام رئيس الحكومة باطلاع ذلك الى الوكالة اليهودية، وبتاريخ ١٧ آب ١٩٤٤ ارسلت وزارة الحربية البريطانية، اشعارا رسميا للوكالة اليهودية حول هذا القرار، ثم عقدت سبع جلسات بين وزير الحربية البريطاني، وبعض ضباط الاركان من جهة، وبين مندوبين عن الوكالة اليهودية من جهة اخرى، وقد اشترطت وزارة الحربية في البداية - وبناء على اقتراحات قادة الجيش في الشرق الاوسط - ان تتعهد الوكالة اليهودية بتجنيد (٣ آلاف) جندي جديد بدلا من الكتائب الثلاث، التي ستذهب الى الجبهة وكذلك تجنيد اليهود الناقصين من اجل استكمال الفرقة.

ولكن الوكالة اليهودية نجحت في الغاء هذا الشرط واقترحت في تلك المفاوضات، تغيير اسم الفرقة الى «الفرقة اليهودية المقاتلة» بدلا من «الفرقة اليهودية الموسعة» وقد تم الاتفاق خلال تلك الجلسات ايضا على نص البيان الذي سنتذيعه وزارة الحربية البريطانية حول تشكيل هذه الفرقة وقد صدر ذلك البيان يوم ١٩ ايلول ١٩٤٤ ونص على ما يلي:

(قررت حكومة جلالته الاستجابة لاقتراح الوكالة اليهودية، انشاء فرقة يهودية مقاتلة موسعة للاشتراك في العمليات القتالية، وستكون هذه الفرقة من المشاة، مؤلفة من الكتائب العبرية التابعة للفرقة الفلسطينية، ويضاف اليها بعض الوحدات اليهودية الاخرى، ويحق الى جانب اليهود في فلسطين ايضا، اليهود الذين لا يحملون اية جنسية، التطوع في الفرقة، وكذلك المواطنين البريطانيين الذين يعيشون في فلسطين وبريطانيا)^(٢).

وقد تم تشكيل الفرقة من الكتائب اليهودية الثلاث في الجيش البريطاني، وكذلك ضم اليها بعض الوحدات المساعدة، وعلى رأسها كتيبة مدفعية يهودية، ووحدة اتصال ووحدة ميدانية، تابعة لسلاح الهندسة، ووحدة نقل ووحدة خدمات طبية (معظمهم غير يهود) ووحدة للبريد واخرى للعتاد وللشرطة العسكرية، ووحدة متحركة لتصلح الاليات^(٣).

(١) يعقوب غيل الفرقة اليهودية ص ٤٢

(٢) الفرقة اليهودية ص ٤٣ + ص ٥٣

(٣) الفرقة اليهودية ص ١٩٠

وقد كان عدد افراد هذه الفرقة (٦٥٠٠) جندي وكذلك (٦٠٠) في الاحتياط، وهكذا كان ينقص كادرها حوالي ٢٠٠٠ جندي، ولهذا جرى القيام بعملية تجنيد في فلسطين لاستكمال هذا العدد، حيث تطوع فيها، خلال الاشهر الثمانية الاخيرة من الحرب حوالي ١٥٠٠ جندي، وتم تعيين الكولونيل «ليفي بنيامين» قائداً لها - وهو من مواليد كندا - ولم يسمح لهم الا بوضع شارة الفرقة الفلسطينية، ولكن سمح لهم بوضع «شارة نجمة داود صفراء» على اذرعهم واثارت مشكلة العلم العبري نقاشا طويلا، الى ان تم حلها من قبل ونستون تشرشل نفسه حينما وافق على جعل العلم العبري علما لها، وفي ٣ نيسان ١٩٤٥ تم رفع العلم العبري^(١).

وقد تم تنظيم هذه الكتائب الثلاث بناء على النظام القائم في جيش المشاة البريطاني، وقد اصبحت كل كتيبة تشتمل منذ الآن على اربع سرايا مزودة بالبنادق والرشاشات وعلى سرية مساعدة لها، فيها اسلحة مضادة للدبابات والهاونات، وتضم ايضا سرايا للقيادة، (للاتصال وللادارة وللإسعاف الاولي الخ..) ووضعت حوالي مائة آلية وسيارة تحت تصرف كل كتيبة (وفي ٢١ تشرين اول ١٩٤٤ سافرت الفرقة الى ايطاليا عن طريق ميناء الاسكندرية^(٢)) وفي اليوم الثامن من تموز ١٩٤٦ تم تسريح كافة جنودها وعادوا الى فلسطين^(٣).

«حين اعلم ونستون تشرشل» عن انتهاء هذه القوة العسكرية، رغم التحفظ الذي ابداه الجنرال (وايفل) القائد البريطاني العام في الشرق الاوسط، وكان وايفل يرى بعدم الاعلان عنه على المستوى الرسمي، مراعاة لشعور العرب، الا ان الاستعماري الضليع قد سفه رأي القائد البريطاني، وقال في مذكراته بالحرف الواحد:

«لقد تحديت وايفل، وكتبت الى الدكتور وايزمن سامحا بتأليف ذلك الجيش، فلم يتحرك عربي واحد»^(٤).

(١) الفرقة اليهودية ص ٣٠٩

(٢) الهاغنة مجلد ٣ ج ١ ص ٧٨١

(٣) يعقوب غيل - الفرقة اليهودية تل ابيب ١٩٥٠ ص ٤١١

(٤) حقائق عن فلسطين - الحاج امين الحسيني - تصريحات واحاديث القاهرة ٩٥٧ الهيئة العربية العليا

الوحدات المقاتلة | الوحدات الفلسطينية

في آب ١٩٤٠ اقترح «اللورد لويد» البدء بتجنيد وحدات مقاتلة يهودية وعربية، على اساس المساواة في العدد بين كلا الطرفين، وقد اعطيت الضمانات بان تستخدم هذه الوحدات داخل فلسطين والبلدان المجاورة فقط وقد سميت هذه الوحدات «بالوحدات الفلسطينية» وقد اقيمت كسرايا ضمن احدى الكتائب الانجليزية.

وقد خصصت تلك السرايا للقيام باعمال الحراسة على المنشآت ومعسكرات الاعتقال والمطارات كما ان العتاد والاسلحة التي زودت بها كانت من الدرجة الثانية، وكذلك كانت تدريباتها بسيطة، وانها لم تضم للكتائب المقاتلة، وبقيت دون اي عمل له شأن^(١). وتم رفض اعطاء هذه الكتائب اليهودية شعارا يهوديا، كما منعوا من رفع العلم العبري، ولم تعط لهم الاسلحة المطلوبة^(٢).

(١ + ٢) الهاغنة مجلد ٢ ج ١ ص ٦٥٤

منظمة الأتسل

بعد ان أنشقت منظمة الهاغاناه (ب) عن صفوف الهاغاناه برئاسة (إبراهيم تهومي) سنة ١٩٣١م ، وخلال فترة الأحداث قبيل ١٩٣٦ ، حدثت اعمال انتقامية ضد السكان العرب ، قسم منها بموافقة الهاغاناة « ب » وقسم منها بغير موافقتها ، وقد دار نقاش داخل صفوف المنظمة حول هذا الموضوع ، وذلك بين مؤيد ومعارض ، مما أدى إلى تدهور الامور في المنظمة ب ، إلى أن أصبح واضحا لتهومي وجماعته ، أنه لا يوجد أي مخرج لذلك الاتحاد مع الهاغاناه (الأم)^(١) .

واخيرا تم الاتفاق على تشكيل إدارة مشتركة جديدة للهاغاناه الموحدة ، بحيث تتألف من مركز موحد مؤلف من (١٦) عضوا وقيادة مؤلفة من ستة أشخاص ، وعندما وصل الأمر الى مرحلة التنفيذ ، رد المعارضون من المنظمة « ب » على ذلك باستياء بالغ ، وعلى رأسهم (موشي روزنبرغ) ودافيد رازينيل وحانوخ قلعي وابراهيم (ابراهام اشتيرن) ، وانفصلوا عن المنظمة « ب » وذلك بتاريخ ١٢ نيسان ١٩٣٧ ، حيث أخذوا معهم بعض مخازن الاسلحة التابعة للمنظمة وكان عدد افراد المنظمة المنشقة حوالي (١٥٠٠) شخص من بين (٣٠٠٠) كانوا في المنظمة ب^(٢) .

وجرى بتاريخ ٢٧ نيسان ١٩٣٧ عقد اجتماع موحد للقيادة الجديدة ، وقد كان عدد قوات الهاغاناه يوم الاتحاد حوالي (٢١) الف عضو منهم (٤ آلاف) من النساء منتشرين في (٢٧٠) مستعمرة ويملكون ٢٣٠ رشاشا و٤٥٠٠ بندقية و١٠ آلاف مسدس^(٣) .

اما المنشقون عن المنظمة ب - واكثرهم مقربون من الحركة الاصلاحية ، أو كانوا تحت تأثير بعض القادة الاصلاحيين ونفوذهم - فقد قرروا تشكيل منظمة جديدة ، أطلق عليها جابوتنسكي اسم (إتسل) اختصارا لـ (آرغون تسفئي لئومي) - المنظمة العسكرية القومية - وقد ترأس هذه المنظمة موشي روزنبرغ (بعد استقالة اول قائد للاتسل وهو) روبرت بيتكر) ، ولما استلم دافيد رازينيل رئاسة المنظمة ، حدثت أعمال قتل كثيرة ، قامت بها المجموعات التابعة لهذه المنظمة ، وخاصة إلقاء المتفجرات والقنابل في كل من حيفا والقدس ويافا وبتاح تكفا وغيرها ، وقد اعترفت المصادر الصهيونية نفسها بهذه العمليات فأشارت إلى أنه تم قتل (١٧) عربيا وجرح المئات في تلك الفترة^(٤) .

(١) الهاغاناة مجلد ٢ ج ٢ ص ٧٢٥-٧٢٦

(٢) الهاغاناة مجلد ٢ ج ٢ ص ٧٣٠-٧٣١

(٣) الهاغاناة مجلد ٢ ج ٢ ص ٧٣٤

(٤) كتاب شلوموليف عامي ص ٨٦

وفي بداية عام ١٩٤٤ ، تسلم مناحيم بيجن قيادة الأتسل من يعقوب مريدور ، وبعد ذلك بأسبوع وجهت القيادة بياناً إلى الشعب العبري ، أعلنت فيه الثورة على البريطانيين^(١) .

وبعد ذلك قامت المنظمة بسلسلة طويلة من العمليات التخريبية ضد المراكز والمنشآت البريطانية ، بمهاجمة مراكز المخابرات في القدس ويافا وحيفا ، كما احتلوا في ١٧ ايار ١٩٤٤ م محطة الاذاعة في رام الله^(٢) وفي ٨ آب ١٩٤٤ جرت محاولة لاغتيال المندوب السامي (ماك مايكل) وهو في طريقه من القدس إلى يافا ، كما قتلوا اللورد « موين » في القاهرة في ٦ تموز ١٩٤٤^(٣) .

لهذا عقدت الوكالة مناقشات طويلة وصعبة ، حول موضوع معاقبة الأتسل على أعمالها التخريبية ، وطالبت بمحاربتها بكل الوسائل ، وقد نجحت وحدات التعقب والتجسس خلال عملها ، على اكتشاف قائمة المتبرعين الرئيسية للإتسل وسلموها للشرطة ، وكانت تضم (٦٤٠) شخصا في تل ابيب وحدها ، حيث تم اعتقال المئات من أعضائها وكان من بين المعتقلين أربعة من قادة الاتسل واولهم الياهو لانكين عضو القيادة ، وشلوموليفي رئيس الاركان ، ويعقوب مريدور نائب القائد ويعقوب تافين رئيس مصلحة المعلومات التابعة للاتسل ، ولم يبق طليقا من قيادة هذه المنظمة سوى مناحيم بيجن واليعيزر ليفنه^(٤) ، وحوالي ٤٠٠ مقاتل ، في حين كان أكثر من ألف شخص داخل السجون ، وفي ٢ آذار ١٩٤٥ تم تصفيتهم^(٥) .

ومن اعمال هذه المنظمة « ان سافر ديفيد رازيئيل الى العراق سنة ١٩٤١ م مع بعض اتباعه للقيام بأعمال تخريبية لصالحهم ، وذلك بعد نشوب ثورة رشيد عالي الكيلاني هناك وكان من أهمها نسف خزانات النفط المكرر في مشارف بغداد (في مطار الحبانية) ، التي كانت تزود الطائرات الالمانية بالوقود ، والعمل ضد الحاج أمين الحسيني الذي كان موجودا آنذاك في العراق وذلك بخطفه أو إذا تعذر ذلك قتله^(٦) .

ولكنه قتل هناك في ٢٠ ايار ١٩٤١ حيث عين بعده « يعقوب مريدور » قائدا للإتسل^(٧) .

(١) اوري ميلشتاين (بالدم والنار يهوذا) تل ابيب ١٩٧٣ ص ٨٩

(٢) الهاغناة مجلد ٣ ج ١ ص ٥٢٣

(٣) ديفيد نيف ج ٤ ص ٨٢

(٤) ديفيد نيف ج ٤ ص ١١٠

(٥) شلوم ليف عامي (في النضال والثورة) ص ٢٥٦

(٦) الهاغناة مجلد ٣ ج ٣ ص ٧٤-٧٢

(٧) مناحيم بيجن (في الحركة السرية) تل ابيب ١٩٥٩ ص ٢١-٢٥

وفي بداية ١٩٤٢ اقتحمت مجموعة من منظمة الاتسل ، مستودعات تابعة للجيش البريطاني بين الرملة ورحبوت ، وقامت بسرقة (٤١) صندوقا كانت تحتوي ٤٢ الف طلقة^(١) .

كما نفذت عملية اخرى سنة ١٩٤٣ ضد مخازن الذخيرة في منطقة اللطرون بالقرب من طريق القدس - تل ابيب ، حيث سرقوا ١٥ صفيحة تحتوي على مواد متفجرة ، قَدْر وزنها بحوالي طنين ، وجرت عملية الثالثة في ربيع ١٩٤٣ ضد مخازن الأسلحة بالقرب من واد الصرار في حيفا ، حيث سرقوا الالغام والقذائف التي ساعدت كثيرا في عام ١٩٤٥ ، المنظمة في عملياتها ضد العرب والانجليز على السواء^(٢) .

(١ + ٢) دافيد نيف - مرجع سابق

اسباب قيام منظمة الاتسل

قام قادة المنظمة في شهر آب ١٩٣٩م بشرح أسباب قيام هذه المنظمة كما يلي :

١ - ان غزو بلد واستقلال أمة مظلومة لا يتوج أبدا بالنجاح ، إلا حين تدعمه قوة عسكرية .

٢ - إن حوادث عام ١٩٢١ و ١٩٢٧ و ١٩٢٩ ، أثبتت بالتأكيد نية العرب في استعمال العنف المسلح لمقاومة إنشاء دولة يهودية ، وكان موقف اليهود السلبي أمام هذا العنف تشجيعا للارهابيين العرب .

٣ - لا يمكن لنا أن نعتمد على قوة الانتداب لقهر العنف العربي ، فإن الإدارة البريطانية هي ضد الصهيونية وضد الصهيونية تماما ، وقد شجعت هذه الإدارة العنف العربي لتبرر نسخ تصريح بلفور والانتداب ، وقد بلغت هذه السياسة ذروتها في كتاب « مكدونالد » الابيض في أيار عام ١٩٣٩ .

٤ - ستكون فلسطين في حالة الحرب نقطة استراتيجية ذات أهمية بالغة للديمقراطية الغربية ، وفي أثناء الحرب سيكون حق اليهود التاريخي والقانوني والعاطفي في فلسطين ، أقل احتراما من جانب بريطانيا ، وأنه بالاحتفاظ بقوة مسلحة للدفاع عن فلسطين ، سيكون في مقدورنا أن نحتل مركزا ، يجعل بريطانيا تقبل بإيجاد دولة يهودية^(١) .

(١) بسام ابو غزالة - الجذور الارهابية لحزب حيروت - مركز الابحاث ص ٢٤

منظمة ليحي أوشيرين

| المحاربون من أجل حرية اسرائيل |

اما المعارضون للمواقف التي اتخذتها إتسل ، وللسياسة التي اتبعتها الجماعة اليمنية وجابوتنسكي خاصة ، فقد أعلنوا انشقاقهم عن المنظمة في حزيران ١٩٤٠ ، وأسسوا منظمة خاصة بهم سميت (ليحي) . وتعرف أيضا باسم جماعة (شتيرين) على اسم قائدها (ابراهام شتيرين) (يائير - الاسم الحركي) ومع تأسيسها ، أعلنت ليحي عن مبادئها التي تتلخص في أن اليهود هم شعب مختار ، ووطنهم هو أرض اسرائيل بحدودها المنصوص عليها في التوراة (من نهر مصر حتى النهر الكبير نهر الفرات) وحقوقهم في ذلك الوطن مطلقة، إذ أنها لم تنته ولا يمكن أن تنتهي الى الأبد) أما أهداف المنظمة فهي « تجديد السياسة اليهودية على الوطن المحرر ، وإقامة دولة إسرائيل الثالثة، وجمع شتات اليهود بأسرهم فيها ، وذلك بعد أن يتم حل مشكلة (السكان) الأجانب بواسطة تبادل السكان^(١) .

وقد اتبعت ليحي منذ تأسيسها سياسة إرهابية معلنة ، تجاه البريطانيين في فلسطين ، وقتل جنودهم بإطلاق النار عليهم في الشارع ، ونسف مكاتبهم ومنشأتهم ، وكذلك التعرض الى البنوك لسرقتها من أجل تمويل نفقاتها ، وكان الدكتور (يسرائيل داد واسحق شامير) من الزعماء البارزين فيها ، بعد أن كان شامير عضوا في المنظمة العسكرية القومية (إتسل) . وفي اعقاب الانشقاق الذي وقع داخل المنظمة العسكرية عام ١٩٤١/٤٠ م ، انضم إلى ليحي وكان اسمه المستعار (ميخائيل) ، وكان شريكا في تصفية (الياهو جلعادي) رجل ليحي ، الذي وصل به التطرف الى التفكير في تصفية زعماء الاستيطان ، وفي أعقاب قتل القائد (يائير ابراهام شتيرين) نظم اسحق شامير من جديد اللجنة المركزية لمنظمة ليحي ، مع الدكتور (يسرائيل ألدن) و (نتان بلين مور) ، كما اشترك شامير مع نتان في اغتيال الوسيط الدولي السويدي (الكونت فولك برنادوت) .

ولم يستطع البريطانيون السكوت طويلا على هذا النشاط ، فقاموا بحملة اعتقالات ضمت معظم نشيطيها « ففي يوم ٢ كانون اول ١٩٤١ اعتقلت الشرطة عددا من قادة المنظمة وعضائها ، وواصلت الشرطة مطاردتها ، إلى أن تمكنت يوم ١٢ شباط ١٩٤٢ من قتل قائد المنظمة ابراهام شتيرين في إحدى الشقق في مدينة تل ابيب^(٢) .

(١) لجنة اصدار مؤلفات ليحي ١٩٥٩ ج ١ ص ٢٧-٢٨

(٢) الهاغنة مجلد ٣ ج ١ ص ٥٠٤

كتاب البلمخ

قررت القيادة القطرية للهاغناه بتاريخ ١٥ ايار ١٩٤١ تشكيل ٩ سرايا ضاربة لأسباب منها :-

- ١ - الحاجة الى الانتقال من الاساليب الدفاعية السلبية الى الاساليب الهجومية الايجابية .
- ٢ - الحاجة الى تشكيل وحدات مجندة تجنيدا كاملا تقف دائما تحت إمرة المنظمة .
- ٣ - ان تجربة محاربة الكتاب الابيض ١٩٣٦-١٩٤٠، أثبتت أنه لا يجوز القيام بنظام سياسي دون ان تكون وراءه قوة عسكرية معبأة .

وبعد أن اتخذ القرار حول إقامتها بدأ (اسحق ساديه) الذي عين مسؤولا عن تدريبها ، وكذلك مساعده بوضع الخطط لتشكيل سرايا وتحديد قادتها ومدربيها ، وكذلك تحديد الأماكن التي يأتي منها رجالها ، وقد كلف كل من (موشي دايان ويغئال ألون) تشكيل السرية الاولى والثانية ، وكان التجنيد يعتمد كليا على التطوع والخضوع التام لقيادة الهاغناة ، وكذلك القيام بأي عمل داخل البلاد وخارجها ، سواء كان مع الجيش البريطاني أو ضده^(٢) .

وبعد مرور خمسة أشهر ، تقرر الاكتفاء بتشكيل « ست » سرايا فقط ، لأنه من الصعب ملء ملاك السرايا التسع (١٢٠ شخصا لكل سرية) ، وكان يغئال ألون على رأس السرية الاولى ، حيث كانت تتمركز في الغابة القريبة من كيبوتس (غينوسار) بالقرب من شاطئ بحيرة طبريا ، وتم تعيين موشي دايان قائدا للسرية الثانية ، التي تمركزت في الجليل الغربي (حيفا ومرج بن عامر الغربي) ، وكان مقرها بالقرب من كيبوتس (بيت آرون) على الكرمل الغربي .

وقد قام موشي دايان ومجموعته باحتلال جسر اسكندرونة الواقع على بعد عشرة كيلو مترات شمال رأس الناقورة ، وهناك اشتبكوا مع قوة فرنسية ، واصيب دايان خلالها وفقد عينه^(٣) .

(١) كلمة عبرية جاءت من الحرفين الاولين للكلمتين (بلوغوت ماحتس) والتي تعني القوات الضاربة

(٢) الهاغناة مصدر سابق ص ٣٧٥

(٣) يغئال عيلام/ الطريق الصهيوني الى القوة/ تل أبيب ١٩٧٩ ص ١٥٧

اما السرية الثالثة فقد تركزت في منطقة الشومرون (السامرة) ، وعميق حيفر والشارون ، وكان مجال عملها يمتد من عتليت في الشمال ، حتى جفعات هشلوشا في الجنوب ، ويقودها (أوري ليفي)

أما السرية الرابعة فقد طلب من بنيامين غولدشتاين (مسؤول الهاغناه في تل أبيب) إقامة السرية في المدينة وضواحيها .

اما السرية الخامسة فقد جاءت من المناطق الجنوبية وكانت تتمركز في المناطق الممتدة من ريشون ليتسيون) وحتى (رفيفيم) وكان يقودها (إبراهيم نيغف) .

اما السرية السادسة فقد كان يقودها (يسرائيل لفرطوفسكي) وقد شملت منطقة القدس وذلك بين مستعمرة (هاعرطوف) حتى العربة وسدوم^(١) .

(١) الهاغناه مجلد ٣ ج ٣ ص ١٦٦٤

أنظمة البالمخ

بعد مرور شهر على تأسيس البالمخ وذلك في حزيران ١٩٤١ ، نشر رئيس القيادة القطرية لمنظمة الهاغانة ، أنظمة البالمخ وقد جاء فيها :-

١ - يشكل البالمخ لواء قطريا ، ولا يخضع لملك القوات المهيأة للدفاع عن المستوطنات ، والمناطق ، وكذلك تستخدم قوات البالمخ احتياطيا قطريا ، وتخضع للقيادة العليا وأوامرها المباشرة .

٢ - للبالمخ عدة مهمات أولها : مهمات قتالية خارج نطاق اليشوف العبري بناء على مخططات الهاغاناه ، وكذلك بناء على أوامر القيادة العليا .

٣ - مهمات تعزيز قتالية يتم إرسالها من قبل القيادة العليا إلى المناطق المختلفة في وقت الحاجة .

٤ - مهمات خاصة تلقىها على هذا الجيش القيادة العليا ، مثل الاستيطان والهجرة وغيرها .

٥ - مهمات ميدانية : في حال اندلاع حرب داخل البلاد ، إلى حين يتم تجنيد سرايا القوات الميدانية وتجهيزها^(١) .

٦ - ان قوات البالمخ معدة للعمل في حالتين رئيسيتين : عمليات ضد العدو سواء كان نظاميا او غير نظامي ، وفي مثل هذه الحالة عليها الدخول الفوري الى المعركة ، واحتلال مناطق دفاعية ، وذلك من أجل إعطاء الفرصة الكافية للقوات المختصة للعمل ، أو القيام بعمليات هجومية ، كالغارة على القرى والغابات ومعسكرات العدو ، أو مخازن الاسلحة والذخيرة ، وكذلك قيادات العدو ومن أجل أن تقوم هذه القوات بواجبها خير قيام ، فإنه يلزمها وسائل النقل المصفحة ، وكذلك قوة نيران كثيفة ، والتدريب على العمليات ضد الدبابات والمصفحات ، واستخدام وسائل الاتصال الحديثة^(٢) .

وقد بدأ العمل بتشكيل قيادة البالمخ في منتصف عام ١٩٤٢ ، يوم أن عين « اسحق ساديه » قائدا للبالمخ ، وكانت القيادة في ذلك الحين تتألف من ستة أشخاص وهم : القائد

(١) اوري ميلشتاين - بالدم والنارتل ابيب ٩٧٣ ص ٨١

(٢) اوري ميلشتاين ص ٨٢

ونائبه وضابط التدريب ومسئول المستودعات وسكرتيرة وسائق ، وقد شغلوا غرفة صغيرة في حيفا ، ثم انتقلوا الى (ألونيم ومزارع) وأخذت القيادة تتطور شيئاً فشيئاً ، حيث كان يضاف إليها بين الفترة والآخرى فروع جديدة إلى أن اكتمل بناء القيادة عام ١٩٤٧^(١) .

وفي ٢١ حزيران ١٩٤٣ أعلنت القيادة العليا ، أن عدد أعضاء البالماخ وصل الى (١١٠٠) مقاتل ومقاتلة^(٢) .

وفي شتاء ١٩٤٤ ، تم إقامة سرية القيادة (السرية السابعة) بقيادة (شمعون أفيدان) ، وقد تمّ في هذه السرية تجميع الشعب الخاصة ، التي لم تكن مرتبطة ببقية السرايا ، واحتلت وحدة الجوالين المكائنة الرئيسية ضمن هذه السرية ، وكان مهمتهم الاشتراك مع شعب مصلحة المعلومات التابعة لهاغناه ، في إعداد ملفّات للقرى العربية ، حيث ألقي على عاتق رجال البالماخ ، مهمة إعداد الملفات للقرى العربية البعيدة جداً عن أية نقطة استيطان يهودية^(٣) .

اما السرية الثامنة فقد كان الدافع إلى إقامتها ، الوضع القائم في مدينة القدس ، وقد عملت القيادة على رفع معنويات السرايا عن طريق القيام بمسيرات جماعية ، وبخاصة في منطقة البحر الميت وصحراء يهودا ، وكذلك التدريب على إلقاء القنابل ، كما رتبت القيادة عمليات مشتركة ، تقوم بها قوات البالماخ ، مثل عقد دورات للمدربين وللقيادة ، وكذلك عقد دورات أولية للبحرية والطيران ، والتدريب على الأعمال التخريبية والاسعافات الأولية ، ودورات إعلامية وثقافية^(٤) .

ومن الأعمال التي قام بها رجال البالماخ أنه « في يوم ١٠ تشرين أول عام ١٩٤٥ نفذت الكتيبة الاولى التابعة للبالماخ (٢٥٠مقاتلا) محاولة لإطلاق سراح المهاجرين غير الشرعيين المحتجزين في معسكر اعتقال عتليت ، وتم إطلاق سراح ٢٠٨ مهاجرين^(٥) »

وفي ٢ تشرين ثان ١٩٤٥ قاموا بعمليات هجومية على السكك الحديدية في طول البلاد وعرضها ، وقاموا بعمليات تخريبية في حوالي ٢٠٠ مكان تقريباً^(٦) .

(١) يغانال الون معارك البالماخ ص ٧٨-٧٩

(٢) الهاغنة مجلد ٣ ج ١ ص ٤٠٦

(٣) معارك البالماخ ص ٨١-٨٢

(٤) الهاغنة مرجع سابق ص ٤٠٧

(٥) معارك البالماخ ص ١٢٠-١٢١

(٦) معارك البالماخ ص ١٢٢

وفي نفس الليلة تم تنفيذ عملية ضد ثلاثة زوارق تابعة لخفر السواحل ، كما جرى نسف اخرى في ميناء حيفا ، وفي ٢٥ تشرين ثان ١٩٤٥ هاجمت وحدتان من البالمخ مركزي الشرطة في (جفعات أولغا) وسيدنا علي ، وقامت بنسفهما بالمواد المتفجرة ، كما تم تدمير محطة الرادار التي أقيمت على جبل الكرمل^(١) ، وفي ١٧ حزيران ١٩٤٦ أغارت وحدات البالمخ على أحد عشر جسرا تربط فلسطين مع البلدان المجاورة ، وقد تم نسف عشرة منها بصورة كاملة وبقي واحد منها على حاله^(٢) .

وفي ٢٨ آذار ١٩٤٣ صادر البريطانيون أسلحة تابعة للهاغاناه ، فقامت مجموعة من البالمخ بهجوم على المستودع ، واستولوا عليها ثانية ، وكان عددها (٢٧٧) بندقية و (٢٢) رشاشا ، وفي ليلة ٢٩ كانون اول ١٩٤٧ هاجمت كتيبة القيادة معسكرات الجيش البريطاني في (تل ليتفنسكي) وسرقت منه (٧٥) بندقية و (٧) رشاشات ستن ، ومسدسات ومواد متفجرة^(٣) .

(١) معارك البالمخ ص ١٧٣

(٢) معارك البالمخ ص ١٤٥

(٣) البالمخ .. مقاتلوه وعملياته - بيرز اوري تل ابيب ١٩٦٨

خطة كتائب البالمخ

وضعت البالمخ خطة عمل لها لمواجهة خطر الحركة الوطنية العربية اشتملت على بنود

ثلاثة :-

١ - معرفة ودراسة المناطق دراسة أساسية ، القريبة منها والبعيدة ، بما في ذلك المدن والقرى ومصادر المياه وطرق المواصلات ، وقد أعدّ المتجولون (الجواله) التابعون للبالمخ عشرات الملفات الأمنية لتلك القرى ، التي تمتعت بأهمية استراتيجية ، على أن هذه الملفات اشتملت على العائلات والشخصيات والمنشآت العامة ، وقد كان لهذه المعلومات أثر كبير خلال حرب ١٩٤٨ .

٢ - عمليات انتقامية ضد العرب ويدّعي المسؤولون عن البالمخ ، أن الشرطة لم تعمل على منع الهجمات العربية ، الأمر الذي اضطرها الى القيام بعمليات انتقامية ضد المتهمين .

٣ - استلام مسؤولية منطقتين مواجهتين للعرب الاولى في النقب ، خلال مدّ انبوب المياه هناك والثانية في الجليل الشرقي لمواجهة الجيش السوري^(١) .

تشكيل كتائب البالمخ

توصلت قيادة البالمخ في خلال صيف ١٩٤٤ إلى استنتاج أنه يجب مواجهة التقدم التكنيكي والاداري للبالمخ ، عن طريق إقامة إطار عملياتي - اداري جديد ، يكون أكبر من السرية . بحيث يكون هذا الإطار وسطا بين الفرقة والسرية (أي الكتيبة) ، وبناء على ذلك فقد اشتملت كل كتيبة على ثلاث سرايا^(٢) .

وقد تمّ تحديد الملاك الكامل بـ (٧٥٠) شخصا توزعوا كالتالي :

٧٥ شخصاً في قيادة الكتيبة وثلاث سرايا في كل واحدة منها (٣٢٥) جندياً وكان هيكل

الكتائب كالتالي:

١ - الكتيبة الأولى : مؤلفة من السرايا ٦،٤،١ بقيادة ناحوم سريغ والتي كانت قواعدها في مرج بن عامر وسهل عكا (زيولون) .

٢ - الكتيبة الثانية : مؤلفة من السرايا ٢ ، ٥ ، ٨، بقيادة أوري بيرنر ، وكانت تعسكر في السهل الساحلي وضواحي القدس .

٣ - الكتيبة الثالثة : مؤلفة من السرايا ٣ ، ٩ ، ١١، بقيادة أوري يافي وكانت تعسكر في غور الاردن والجليل الشرقي .

(١) معارك البالمخ ص ١٧٩-١٨٠

(٢) البالمخ مجلد ١ ص ٢٥٠

٤ - الكتيبة الرابعة : مؤلفة من السرايا : ٧ ، ١٠ (وهي كتيبة الأركان وكانت بقيادة يعقوب سلمون^(١)).

وقبل أن تبدأ حرب ١٩٤٨ القيت على البالمخ مهمات دفاعية ثابتة ، في أصعب المناطق في فلسطين فقد تم وضع الكتيبة الأولى (السهل) لحماية الجليل الغربي ، وبقي نصفها الآخر في الاحتياط ، أما كتيبة الجليل فقد أخذت على عاتقها مسؤولية حماية الجليل الشرقي ، أما كتيبة النقب فقد تسلمت مسؤولية النقب الشمالي ، وبالنسبة إلى السرية الثامنة التابعة لهذه الكتيبة فقد سحبت منها ، لتكون نواة كتيبة القدس التي كانت مهمتها حماية (غوش عتسيون منطقة الخليل) ، وكذلك باب الواد ومدينة القدس ، ومرافقة القوافل الى القدس والى عربة وسدوم ، أما كتيبة القيادة فقد بقيت في الاحتياط ، وكتيبة القدس التي أصبحت مع بداية الحرب فقد عملت في المنطقة ما بين تل أبيب وباب الواد^(٢) .

هذا وقد استنفرت قيادة البالمخ مع بداية الحرب كافة احتياطيها ، وقد أدى هذا الى تمكين القيادة من إقامة الكتيبتين (باب الواد والقدس) ، وفي تلك الفترة بدأت قوات البالمخ بالتخلي عن سياسة الدفاع السلبي ، وانتقلت إلى الهجوم ، حيث قامت بغارات على القرى العربية في الجليل الغربي والجليل الأسفل ، وكذلك ضد التجمعات العربية في حيفا ، فقد قامت قوات البالمخ بتاريخ ٣١ كانون اول ١٩٤٧ ، بمهاجمة القرية العربية (قرية الشيخ) القريبة من حيفا ، كما شاركت قوات البالمخ في الشمال بالتصدي لجيش اليرموك ، وخاصة تلك المعركة التي نشبت في مشمار هعيمق بين ٤-١٧ نيسان ١٩٤٨^(٣) .

وأما كتيبة الجليل فقد عملت في الجليل الاعلى والشرقي فقد قامت بنسف الجسور التي تربط الدول العربية مع فلسطين ، لكي تحول دون عبور القوات العربية عليها ، وكذلك قامت بالهجوم على قرية (سعسع) حيث نسفوا عشرات البيوت وقتلوا عشرات الاشخاص^(٤) .

أما بالنسبة الى كتيبة القيادة ، فقد قرّرت القيادة تسليمها ميناء حيفا ، بعد العملية التي تعرضت لها المصافي في تلك الفترة وقامت تلك الكتيبة في ليلة ١٠ كانون اول ١٩٤٧ بالتسلل إلى قلب مدينة الرملة وقامت بنسف مرآب (كاراج) ومحطة للوقود ، ونسف معظم سيارات الباص الموجودة هناك .

وفي ليلة ٢٩ كانون اول ١٩٤٧ هاجمت معسكر الجيش البريطاني في « تل ليتفنسكي » كما ذكرت^(٥)

(١) معارك البالمخ ص ٩٧ وكان القائد (يغثال ألون) ورئيس الأركان يعقوب دوري ، ومساعدته يسرائيل غاليلي

(٢) البالمخ مجلد ٢ ص ١٠-١١

(٣) البالمخ مجلد ٢ ص ١٨

(٤) البالمخ مجلد ٢ ص ٢٠

(٥) البالمخ مجلد ٢ ص ٢١

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه ابتداءً من آذار ١٩٤٨ تم تشكيل نظام آخر لقوات البالمخ ، فبعد ان كانت الكتبية هي الإطار الكبير لقوات البالمخ ، أصبح اللواء هو الإطار وذلك بسبب زيادة عدد رجال البالمخ من جهة ، وكذلك بسبب المهمات الصعبة والمناطق الواسعة التي القيت على عاتقها مسؤولية القيام بحمايتها . ففي ذلك التاريخ تم إنشاء :

١ - لواء النقب ويتكون من كتيبتين من رجال البالمخ .

٢ - لواء يفتاح - الجليل الاعلى

٣ - لواء هريئيل - في منطقة القدس .

وقد اشتركت تلك الألوية في المعارك التي نشبت في النقب وحول القدس وفي الجليل^(١)

(١) اوري بيرنر - البالمخ مقاتلوه وعملياته ١٩٧٨ ص ٢٢

عملية نخشون

تعتبر هذه العملية من أكبر العمليات التي خاضها البلماخ ، والتي بدأت يوم ٤ نيسان ١٩٤٨ وكان هدف تلك العملية ، السيطرة المؤقتة على طريق القدس ، بواسطة سلسلة من الغارات ، واحتلال بعض القواعد على امتداد الطريق ، وذلك لتتمكن من الاتصال بالقدس .

وقد اشتركت قوات كبيرة من البلماخ في هذه العملية ، من ضمن كتيبة القيادة ، واحتلت يوم ٣ نيسان ١٩٤٨ القسطل ومجموعة من القرى العربية في المنطقة ، ولكن العرب استطاعوا استعادتها مرة أخرى ، غير أن اليهود استولوا عليها يوم ٩ نيسان ١٩٤٨ واستشهد في تلك المعركة (القائد العربي المعروف عبد القادر الحسيني) ، الذي اعترفت المصادر الصهيونية بشجاعته وكفاءته ، وقد اعتقد اليهود أن الطريق أصبحت مفتوحة امامهم الى القدس ، فأعدوا قافلة كبيرة يوم ٢٠ نيسان ١٩٤٨ وكان من ضمنها رئيس ادارة الوكالة اليهودية ، إلا أن القافلة هوجمت في باب الواد وقد خسرت كثيرا سواء في الارواح أو الآليات^(١) .

وفي تلك الفترة لم تبق إلا اسابيع معدودة للخامس عشر من أيار ، ولهذا سعت الوكالة اليهودية إلى التمرکز في المناطق الاستراتيجية ، لتكون من ضمن دولتها ، فأمرت البلماخ بالتوجه إلى النقب وخاصة نحو الطريق الساحلي الموصل إلى هناك ، كما اشتركت قوات البلماخ (كتيبة باب الواد) في ليلة ٢٥/٢٦ نيسان ١٩٤٨ ، باحتلال الشيخ جراح في القدس ، ولكن القوات العربية هاجمتها ، وحزرتها مرة أخرى^(٢) .

وقامت وحدات من كتيبة باب الواد باحتلال القرى الواقعة شمال القدس (بيت إكسا وشعفاط) ، حيث قامت بنسف معظم البيوت هناك ثم عادت الى قواعدها ، كما قامت قوات من كتيبة الجليل والسهل باحتلال مدينة طبريا في ١٢ ايار ١٩٤٨ ، والمالكية على الحدود اللبنانية ، في ١١ حزيران ١٩٤٨ قام لواء النقب باحتلال بئر عسلوج ، وفي ليلة ١٤/١٥ ايار ١٩٤٨ قامت كتيبة الجليل بنسف جسر الليطاني شمال غرب مرج عيون وفي ١٧ ايار ١٩٤٨ احتلت نفس الكتيبة النبي يوشع المطلة على طريق المنارة في الشمال^(٣) .

وفي ٢٥ أيار ١٩٤٨ أعلن وزير الدفاع أمره اليومي (إقامة الجيش الاسرائيلي) وقد أقيمت في معسكرات البلماخ يوم ٢٧ حزيران ١٩٤٨ حفلات لحلف يمين الولاء للجيش

(١) البلماخ المجلد ٢ ص ٢٦

(٢) البلماخ مجلد ٢ ص ٢٨

(٣) البلماخ مجلد ٢ ص ٢٧٦

الإسرائيلي وكان عدد افراد البالماخ في ذلك اليوم كالتالي (١) :

رجال	نساء	
٢٠٦	٤٦	القيادة
٢٠٨٥	٦٠٣	لواء يفتاح
١٧٣٩	٣٧٩	لواء النقب
-	-	وحدة المستعربين ٤٧
-	-	الهجرة غير الشرعية ٥١
-	-	سلك الضباط ٣٩
-	-	افراد ٤٧١

في حين كان عدد أفراد البالماخ عشية الحرب حوالي ٢١٠٠ جندي في الخدمة الفعلية ، وحوالي ١٠٠٠ في الاحتياط وكان ثلثهم من البنات ، وأما أسلحتهم في تلك الفترة فكانت كالتالي :-

٧٠٠	هاون ٣	١٠	بنادق
٥٢	هاون ٢	٣٠	رشاشات
٤٥٠	طلقات	٢٠٠٠٠٠	ستن
٨٠	قنابل (٢)	١٠٠٠٠	مسدسات

حل البالماخ :

منذ أن تسلم دافيد بن غوريون مسؤولية الأمن في الوكالة اليهودية عام ١٩٤٧ ، بالاضافة الى وظيفته رئيسا لادارة الوكالة اليهودية ، وحتى قبل أن يطلع على نمط عمل كتائب البالماخ ، لم يكن معجبا بها ، وأساس موقف بن غوريون هذا ، يكمن في وقوع تلك الكتائب إلى حد كبير تحت تأثير (الكيبتس الموحد) ، التي كانت قد انشقت عن الماباي حزب بن غوريون سنة ١٩٤٤م واتخذت في مطلع ١٩٤٨ مع حركة هاشومير هاتسعير ، وأقامت حزب العمال الموحد (ميام) ، الذي انتهج بدوره سياسة يسارية متشددة ، ولهذا أعلن بعد نحو اسبوعين من إقامة اسرائيل على تأسيس جيش الدفاع الاسرائيلي ، وجند كل المنظمات وأعضائها بما فيها البالماخ ، ثم أمر بتنفيذ التجنيد الالزامي للسكان اليهود بأسرهم ، وعندما تم ذلك أوعز الى تلك المنظمات بحل نفسها، معلنا انه لن يسمح بوجود جيوش خاصة في الدولة اليهودية المستقلة ، ولما تلكأت بعض المنظمات في تنفيذ ما طلب منها ، حلت بواسطة أجهزة الدولة ودمجت الكتائب المختلفة بعضها ببعض (٣) .

(١) اوري بيرنر ص ٤٠

(٢) الهاغنة مجلد ٢ ج ٢ ص ١٢٢

(٣) دافيد بن غوريون - دولة اسرائيل المتجددة تل ابيب ١٩٦٩

ويقول قائد البالماخ «يغئال ألون»: انه عندما اتضح أن بن غوريون قد قرر نهائيا حل البالماخ ، اقترحوا عليه أن يتمهل بضعة أشهر حتى تنتهي المعارك (خاصة معارك النقب) ، لكن بن غوريون رفض هذا الطلب ، ثم اقترح ألون على أساس أن تكون مرتبطة بالأركان العامة ، كذلك اقترحوا أن تصبح أركان البالماخ قيادة لسلاح الدروع الاسرائيلي ، الذي كان في دور التأسيس ، واقترحوا أيضا أن تشكل قيادة البالماخ أساس القيادة في الجبهة الجنوبية ، ولكن بن غوريون رفض ذلك كله ، وتم تنفيذ حل البالماخ في ٧ تشرين ثان ١٩٤٨^(١) .

وبعد.... إن اليهود كانوا يملكون أكثر من ٦٠ الف جندي مدرب أحسن تدريب ، عندما اعلنت بريطانيا انسحابها من فلسطين ، بعد أن أدت مهمتها وواجبها على أكمل وجه تجاه اليهود ، بعد أن تأكد لها وجود قوة يهودية كافية لاحتلال فلسطين ... بعدد كان يفوق بكثير عدد الجيوش العربية التي اشتركت في تلك الحرب مجتمعة .

(١) يغئال ألون - معارك البالماخ مصدر سابق

قوة جيش الجهاد المقدس

(١) التسليح :-

ما كادت الحرب العالمية الثانية تضع أوزارها، حتى هبَّ عرب فلسطين يبعثون الحركة الوطنية من جديد، ولكن موقف الانجليز لم يتغير، فما زالت الحكومة البريطانية تقف منهم موقف الحذر والكراهية، وتواصل اضطهادها لهم بالرغم من قيام اليهود بأعمالهم الإجرامية الإرهابية المعروفة، ضد السلطة البريطانية، وضد العرب أنفسهم، ولم يكن من نتيجة تلك الأعمال سوى زيادة عطف الانجليز على اليهود، وتدليلهم، والإمعان في الحدّ من نشاط العرب السياسي، وفي مقاومة الحركة الوطنية، وفي حزيران ١٩٤٦ م تألفت الهيئة العربية العليا، في دورة مجلس الجامعة العربية في بلودان بسوريا، حيث هبط سماحة المفتي أرض مصر وخرج بعض كبار المجاهدين من سجون العراق ومعتقلات الانجليز، فعاد بعضهم إلى فلسطين، وحلّ البعض الآخر في مصر، وبعودة زعماء البلاد إلى مصر نشطت الحركة الوطنية، وكان أول ما فكّر فيه الزعماء، وعملوا على تحقيقه، هو تسليح الشعب وإعداده، واعترضتهم في هذه المهمة الصعبة عدة أمور منها: قلّة الاموال التي كانت تحت تصرفهم، وصعوبة الحصول على سلاح جيد، وموقف السلطة البريطانية من العرب في فلسطين، ونفوذ اليهود في الدول الاوروبية، التي كان من الممكن شراء الأسلحة منها.

وما أن صدر تقرير لجنة التحقيق التابعة للأمم المتحدة، وتضمن توصية تقسيم فلسطين، حتى تبين للعرب أن القتال أصبح لا مندوحة منه، حيث أثارتهم الغطرسة اليهودية، والاستعداد اليهودي المستمر، فاندفع الشعب الفلسطيني بأكمله من هيئات ولجان قومية ومحلية ومنظمات وأفراد، للتسلح والتبرع بالاموال للحركة الوطنية، وباع الكثير منهم حلي نساءهم ومواشيهم ومنتجات مزارعهم، ورهنوا أملاكهم ليتمكنوا من ابتياع السلاح، وقد بلغ الحماس أشده... حتى وصل الأمر إلى أن يزوج أحدهم ابنته ويشترى بمهرها بندقية.

وقال مراسلو الصحف الاجنبية الذين أوفدتهم صحفهم لمراقبة التطورات في فلسطين، والاقطار العربية، أنه لم يبق قطر في الشرق الادنى إلا ووطأته أقدام الفلسطينيين تفتيشا عن السلاح يبتاعونه، ووصفوا حماس العرب للتسلح بالحماس الجنوني، وكان الفلسطيني يدفع أكثر من (١٠٠) جنيه ثمنا للبندقية القديمة وثلاثة قروش للطلقة الواحدة، وأن بعض الشبان اشتروا المدفع الرشاش من طراز برن بأكثر من (٢٠٠) جنيه، كما عمدوا إلى بقايا الاسلحة التركية ينظفونها ويصلحون قطعها الخشبية المتآكلة، كما عمدوا الى سرقة الاسلحة من الجنود الانجليز، أو تخليصها منهم بعد قتلهم.

وهكذا تجمع لعرب فلسطين بجهود الهيئة العربية العليا واللجان القومية والمحلية والمسامي الفردية، كمية من الاسلحة الخفيفة، التي اعتمدوا عليها في حربهم مع اليهود.

كانت المدة الواقعة بين تأليف الهيئة العربية العليا، وعودة سماحة المفتي من أوربا وتأليف الجهاد المقدس، وبين صدور قرار التقسيم، كانت أقل من سنتين، بينما مضت على اليهود مدة أكثر من ثلاثين عاماً، وهم يتسلحون ويتدربون ويستعدون تحت نظر ومسمع الانجليز وبمعاونة ومساعدة بعض شعوب اوربا وامريكا وحكوماتهم وقد تم ما تقدم ذكره من التسليح والاعداد بفضل جهود الفلسطينيين انفسهم، واعتمادا على مواردهم الخاصة، لأنهم كانوا يعرفون الفرق بين تسلحهم وتسليح اليهود، ويقدرّون التنظيم الشاسع بين تنظيمهم وتنظيم خصومهم، ولكنهم عندما قرروا الكفاح والجهاد، اخذوا بعين الاعتبار استعداد الدول العربية وشعوبها لمساعدتهم، واعتمدوا على مقررات جامعة الدول العربية بشأن مساعدة الفلسطينيين وتنشيطهم ومؤازرتهم في جهادهم، ومن المؤسف حقا ان المجاهدين وجدوا أبواب الجامعة والدول العربية موصدة في وجوههم، فرغم وفرة السلاح والمال، فإن المسؤولين قد ضنوا بها على المجاهدين، بينما كانت كميات السلاح والعتاد الكثيرة ومبالغ الأموال الوفيرة، تبذل جزافا وتنفق على سعة لغير الفلسطينيين من الذين سلحتهم الجامعة واللجنة العسكرية، وارسلتهم الى فلسطين بقصد انقاذها.

كانت المصادر المختلفة التي اعتمد الجيش المقدس عليها لتأمين السلاح سواء بالشراء او التبرع متعددة، مما أدى الى عدم توحيد السلاح والعتاد، الامر الذي أضعف القوة الضاربة وولد المشاكل والصعوبات الادارية للتموين والذخيرة وقطع الغيار، إلى جانب ضعف الجهاز الفني المختص بالتخزين والتوزيع والصيانة والتصليح.

وفيما يلي قائمة بالاسلحة والعتاد التي توافرت لدى القوات وهي متعددة النماذج والعيارات المختلفة الصنع، فبعضها إنجليزي قديم والآخر فرنسي صنع قبل الحرب العالمية الاولى، زد على ذلك بعض البنادق الالمانية والبلجيكية^(١).

(١) الاسلحة الخفيفة: -

٥٢٩٦ بندقية مختلفة الصنع، ٣٦٤ رشيشة توميجن وستن، ٣٠٩ مسدسات مختلفة الصنع، ٣١٩ رشيشة فرنسية وانجليزية، ١٤٦٧٤ قنبلة يدوية.

(٢) الاسلحة المتوسطة: -

١٨٠ رشاشا، ٢٣ مدفع هاون فرنسي وانجليزي

(١) المقدم محمد الشاعر/ الحرب الفدائية في فلسطين الطبعة الثالثة بيروت ص ٢٤٥-٢٦٠

(٣) اسلحة مضادة للدروع :-

٢٤ - مدفع بوبيز مضاد للدروع، ٢٦ مدفعا مضادا للدبابات

(٤) معدات ومواد تخريب :-

٢٨٦٧ لغما متنوعاً ضد الدبابات والاشخاص، ٣٣٠٠٠ صاعق عادي

(٥) ٨ اطنان متفجرات معظمها بارود اسود

الذخائر :-

٦١٠٢٢١٦ طلقة بندقية

٢٦٧١١٨ طلقة رشاش

٥٦٦٢٥٧ طلقة رشيش

٤٢٤٢ طلقة مسدس

٧٤٤٥ طلقة ضد المصفحات

٦٠٠٩٩ طلقة ضد الدبابات

١٢٤٨٣ طلقة قنبلة هاون

هذا وقد قدمت اللجنة العسكرية لحرب فلسطين (١٦٠٠) بندقية فقط.

اما الهيئة العربية العليا فقد قدمت :-

٥٣٩٦ بندقية ٤٩٩ مدفعا رشاشا

٣٦٤ بندقية تومي ٣٠٩ مسدسات

١٢٤ مدفعا مضادا للمصفحات

٦٦ مدفعا مضادا للدبابات

٢٣ مدفع هاون

١٦٠٩ من صناديق المتفجرات

٤٦٧٤٠ قنبلة يدوية

٣٨٦٧ لغما جاهزا

وكميات لا بأس بها من الذخيرة والتجهيزات العسكرية^(١)

(١) المقدم محمد الشاعر - الحرب الفدائية في فلسطين ص ٢٤٥-٢٦٠

ويذكر صبحي ياسين في كتابه (الثورة العربية الكبرى) أنه لم تكن في مدينة حيفا عند إعلان قرار التقسيم وبدء الانفجار الشعبي (بندقية حربية واحدة)، وكان السلاح الموجود عبارة عن عدد من المسدسات والقنابل اليدوية^(١).

أما مجموع ما تلقاه شعب فلسطين فلم يتجاوز (٧٦٨) ألف جنيه وهو مبلغ ضئيل في معركة البقاء أو الفناء، وقد كانت تلك المبالغ من مصادر مختلفة منها: -

(١٠٤) آلاف جنيه من سوريا و (٢٠) ألف جنيه من مصر و (١٥) ألف جنيه من لبنان و (٤٥٠٠) جنيه من اليمن، وهذه الآلاف لقاء الملايين التي وصلت لليهود في فلسطين^(٢).

(١) الثورة العربية الكبرى / صبحي ياسين

(٢) جهاد شعب فلسطين - صالح بويصير - دار الفتح بيروت ١٩٦٨

توزيع جيش الجهاد المقدس

كانت أعمال جيش الجهاد المقدس موزعة الى قسمين: -

(١) القسم الاداري: ويشمل المالية والتموين والنقل والشؤون الاجتماعية، ومهمة توفير متطلبات العسكريين، وتسهيل مهمتهم، وكان يقوم على كل فرع مسؤول خاص.

(٢) القسم العسكري؛ كان العسكريون يوزعون على النحو التالي: -

١ - المجندون الرسميون: وتتكون منهم سرايا القوة الضاربة، وكانت الهيئة العربية العليا تؤمن لهم العتاد والسلاح، وكان عددهم يتراوح ما بين ٦٠٠ - ١٠٠٠ مجاهد. وتدفع لهم رواتب شهرية ضئيلة.

٢ - المجندون المرابطون: وتتكون تنظيماتهم من المجندين المرابطين في القرى، ويقومون بأعمال الدفاع عن قراهم، وتساهم الهيئة العربية العليا في تسليحهم وتقديم لهم بعض الإعانات المالية حسب الحاجة وكان عددهم يتراوح ما بين ٤٠٠٠ - ٥٠٠٠ مجاهد، وكان لهم الفضل الأكبر في نجدة المجندين الرسميين في معظم معاركهم ضد اليهود.

٣ - المجندون المتطوعون: وهم الذين تمكنوا من تجهيز انفسهم بالمال والسلاح، وكان عددهم غير معروف^(١).

اما المجندون الرسميون، فكانوا يقسمون إلى سرايا، وكل سرية تشمل أمرا ومساعد له، وتقسم السرية إلى أربعة فصائل، وعلى رأس كل فصيل منها ضابط وله مساعد برتبة رئيس عرفاء، وكل فصيل يتألف من ثلاث حظائر، وعلى رأس كل حظيرة مسؤول برتبة نائب عريف بالاضافة الى سبعة جنود.

(١) ذكر نبيل خالد الاغا في كتابه قضية فلسطين في سيرة بطل ص ٦٢ ان عدد المجاهدين يتراوح بين ٨ - ١٠ آلاف مجاهد، وان عدد المجاهدين المرابطين يتراوح بين ١٢ - ١٨ الف مجاهد، اما عدد المجاهدين الذين تمكنوا من تجهيز انفسهم بالمال والسلاح يقدر بثلاثين الفا، واعتقد ان هذه الاعداد مبالغ جدا فيها.

وكان لكل سرية طباخ (طاهي) واحد ومراسل وخادمين ومأمور لاسلكي ووحدة طبية.
وقد وزعت السرايا على الشكل التالي: -

- (١) السرايا الضاربة.
- (٢) سرايا القوافل.
- (٣) سرايا الهجوم المستكن.
- (٤) سرايا الدفاع المتحرك.

اما مهمة السرايا الضاربة فكانت مهاجمة قوى اليهود والالتحام بها وجها لوجه.

أما سرايا القوافل فكانت مهمتها «المرابطة على طول طرق المواصلات بين القدس وتل
ابيب وبين القدس والمستعمرات المجاورة لها، فتهاجمها»

أما سرايا الدفاع المستكن فكانت مهمتها محاصرة المستعمرات اليهودية واصطياد
حراسها، وعدم السماح لهم بمغادرة المستعمرات، وكان على رأس هذه السرايا رجال القناصة
العرب.

أما سرايا الدفاع المتحرك فكانت مهمتها، الهجوم على القوى اليهودية للتخفيف من
ضغطهم في حالة هجومهم على العرب، وتختار مكانا لمهاجمة اليهود، غير المكان الذي يهاجمون
هم فيه.

كما شكلت فرقة للمغاوير وفرقة للتدمير، وهي فرق صغيرة تتولى عملية النسف والتدمير،
وقد اختير رجالها من المجاهدين الأشداء الذين يصلحون لأعمال الكوماندوز، وكانت مهمتها
تتخصص في ضرب الاهداف اليهودية التي تعينها القيادة، وفي التسلل الى الاستحكامات اليهودية
والعمل خلف خطوط دفاع اليهود.

ولهذا فقد بنت القيادة العامة للجهد المقدس مخططها الدفاعي على أسس تتفق والمهمات
العسكرية الكبيرة وفقا لامكانياتها الضئيلة، وعدم توافر الوحدات الكافية للدفاع عن قطاعاتها
المتراامية الأطراف.

ان عبء المهمات الملقاة على عاتق قوات غير نظامية، لم تتوافر لها وسائل المخابرات
السلكية واللاسلكية بشكل منظم، أو وسائل النقل لدفع النجيدات. من قرية الى اخرى، عند
وقوع الخطر، أضف الى ذلك عدم توافر الأجهزة الفنية من عسكريين وفنيين، كل هذا أوقع
الجهد المقدس في مواقف يصعب حلها، من قبل قوات نظامية تفوقها عددا وعدة، ومع ذلك فقد
تمكنت هذه الوحدات من القيام بأعمال عسكرية تعتبر ناجحة إذا ما اخذت بعين الاعتبار
أوضاعها المادية والمعنوية، وانتشارها في مساحات واسعة من الجليل في الشمال إلى غزة في
الجنوب.

لقد وزعت قيادة الجهاد المقدس في سبع مناطق رئيسية كانت تغطي أرض فلسطين قبل احتلالها وفقا للجدول التالي^(١):

١) منطقة القدس وقواتها: -

٤ سرايا متحركة، ٤ سرايا تدمير، وحدة طبية

عدة مفارز موزعة في أحياء القدس، وكانت جميع هذه السرايا تقوم بمهمة الدفاع عن القدس وضواحيها.

٢) منطقة بيت لحم وقواتها:

خمس سرايا، عدة مفارز دفاعية، فصيلان فدائيان

٣) منطقة رام الله:

سريتان متحركتان، ٦ سرايا من المتطوعين.

٤) المنطقة الغربية الوسطى:

٣ سرايا متحركة، ٣ سرايا تدمير، وحدتان طبيتان، ٢٠ - ٢٥ مفرزة دفاعية ٣ فصائل تدمير وقسمت الى الجبهات التالية:

أ) جبهة مدينة يافا

ب) جبهات القرى القريبة من يافا

ج) جبهات اللد وقراها

د) جبهات الرملة وقراها

هـ) جبهات مجدل الصادق وقراها.

٥) المنطقة الجنوبية:

٣ سرايا، عدة مفارز دفاعية، فصيل تدمير واحد، وشملت غزة وخان يونس وبيت السبع وقراها.

٦) المنطقة الغربية: -

عدة مفارز محدودة. وشملت قلقيلية وطولكرم وجنين وقراها.

٧) المنطقة الشمالية:

٤ سرايا متحركة، ٣ سرايا تدمير، وحدة طبية من ٣٠ - ٣٥ مفرزة دفاعية وشملت حيفا

(١) خالد الأغا - مرجع سابق ص ٦٤

وعكا والناصرية وطبرية وبيسان وصفد وقراها.

هذا وقد بلغ مجموع عدد المجاهدين في منطقة القدس حتى آخر شهر آذار ١٩٤٨ (٥٨٦) مجاهدا موزعين كالتالي:

١٢٢ مجاهدا ضمن سرية فاضل عبد الله ترابط في الروضة.

١٢٥ مجاهدا يرابطون في القطمون.

٤٠ مجاهدا يرابطون في واد الجوز.

٤٠ مجاهدا في حي الشيخ جراح.

٥٠ مجاهدا يرابطون في البقعة.

١٨ مجاهدا يرابطون في حي الثوري.

١٠ مجاهدين في دار الهيئة العربية العليا.

٢٠ مجاهدا في عمارة الاوقاف.

٣٠ مجاهدا في مامبلا (مأمن الله).

١٥ مجاهدا في حي الشماعة.

٣٥ مجاهدا في حي المصراة وباب الزاوية.

ولم يكن هذا العدد ثابتا، فقد كان يتذبذب أحيانا ويصل الى حوالي ٧٥٠ مجاهدا، ونظرا لعدم تسليحهم جميعا فقد كانوا يتناوبون العمل فيما بينهم. وأما عدد المجاهدين الرسميين في قرى القدس فلم يكن يتجاوز الثلاثمائة مجاهد^(١).

وبالنسبة لعبد القادر يقول عارف العارف:-

«لم يكن عنده يومئذ سوى ١٩ رشاشا، وثمانية مدافع هاون وعددا من البرنات والهوشكس والبراوننج، وأما اليهود فقد كان لهم في القدس بنفس الفترة حوالي الف اراحي يتبعون منظمة الأرغون، والف آخرون يتبعون جيش الهاغاناه، وبضع مئات يتبعون عصابة شتيرن، ولقد عملوا جهودهم على مضاعفة تسليحهم، واعتمدوا في ذلك - خلاف الطرق الرسمية - على نهب معسكرات الجيش البريطاني، سواء بالاتفاق أم بالعبث، كما حدث للارغون حين انقضت مجموعاتها على معسكر رقم (٨٠) البريطاني، وتمكنت من الاستيلاء على كمية وافرة من الأسلحة، حدث هذا بعد أن قتلت المجموعة حرس المعسكر وقائده، وقل عن الشيء نفسه بالنسبة لهجوم يهودي، على قطار حربي بريطاني ونهب كافة ما فيه من أعتدة حربية^(٢).

(١) سيرة بطل / نبيل خالد الاغاص ٩٣-٩٤

(٢) النكبة - عارف العارف .

الفصل الثاني

الاعمال العسكرية التي تمت على يد عبد القادر

الخطة العسكرية :-

عرفنا فيما تقدم خطة عبد القادر ، التي رسمها للدفاع عن المدن والقرى ، وسنذكر فيما يلي خطة الهجوم العامة التي نظمها ، وأشرف على تنفيذها بنفسه ، فكانت تقوم على ما يلي :-

كان عبد القادر قبل أن يعبر إلى فلسطين قد أعد خطة بعد صدور التقسيم لنسف جميع الأهداف ذات الأهمية الاستراتيجية والمعنوية لدى اليهود ، دفعة واحدة ... وكان عددها (١٦٥) هدفا ، ولكن هذه الخطة لم تنفذ لأسباب منها :-

١ - عدم وجود المتفجرات الكافية ، حيث منعت الحكومة المصرية ادخال هذه المتفجرات قبل بدء الاشتباكات كما اسلفنا .

٢ - قيام المظاهرات العارمة في القدس وكل المدن .

٣ - اعلان الهيئة العربية العليا الجهاد العام من على منابر الأقصى ، حيث قام الشيخ (حسن أبو السعود) بإعلانه ، كما أعلنت اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية النفير العام .

وكان من المستحيل في مثل هذه الظروف أن يتحرك القائد لتنفيذ خطته .

كان عبد القادر يعرف تماما أن المستعمرات اليهودية محصنة تحصينا تاما . ففيها البروج المشيدة من الأسمنت المسلح ، وفيها من الخنادق ومن حولها بثت حقول الألغام ، كما أحيطت بالأسلاك الشائكة ، ولهذا فإن الهجوم عليها يحتاج إلى أسلحة ثقيلة ورشاشات وذخائر وعتاد حديث ولما كانت هذه الأسلحة الحديثة غير متوفرة لديه ، عمد إلى تنفيذ خطة أخرى كانت فائدتها أعم وأجدى ، وكان النصر حليفه .

لقد ظهر جليا فشل مهاجمة المستعمرات اليهودية مباشرة ، كما حدث مع جيش الإنقاذ ، فبالرغم من توفير المدفعية والرشاشات والدبابات ، إلا أنه فشل فشلا ذريعا ، حينما هاجم هذا الجيش مستعمرة (مشمار هعيمق) ومستعمرتي الزراعة والخضيرة ، حيث فقد عدد كبير من هذا الجيش .

وبعد دراسة مستفيضة للموقف العسكري ، وعلى ضوء الحوادث التي كانت تقع ، وعلى ضوء استعدادات اليهود ومراكز قواهم ، خرج القائد عبد القادر بنتيجة عسكرية وهي :

(الهجوم خير من الدفاع) و (اضرب واهرب) . ولهذا رسم الخطة التالية :-

١ - القيام بهجمات قوية على أحياء القسم اليهودي من مدينة القدس ، وذلك كجزء من خطة الدفاع المتحرك ، عندما يقوم اليهود بهجوم قوي على المراكز العربية في المدينة .

٢ - محاصرة المستعمرات اليهودية من الخارج ومنع الدخول او الخروج منها ، واستعمال حرب القناصة على نطاق واسع لاصطياد حماة هذه المستعمرات .

٣ - الغارة على قوافل التموين والمواصلات المؤدية الى القدس والمستعمرات ، ومنع وصول المؤن والإمدادات إلى (١٠٠) ألف يهودي يقطنون القدس والمستعمرات الواقعة حولها .

٤ - قطع أنابيب المياه الموصلة الى القدس والمستعمرات .

٥ - نسف أهداف يهودية معينة تقع في قلب المناطق اليهودية ، وذلك ردا على أعمال النسف اليهودية ، وتدمير مراكز التوجيه العسكري والسياسي والتجاري ، وبالتالي تحطيم معنويات الشعب اليهودي .

وبهذه الخطة فقد نجح القائد البطل نجاحا باهرا ، وقد اعترف الجميع بكفاءة عبد القادر العسكرية ، وفي هذا الصدد يقول الكاتب الأمريكي (ليون أويس) :- مؤلف الخروج :-

استطاع عبد القادر في منطقة القدس ، أن يرسم خطة كاملة ، على أساس دحض الحقيقة التي تقول بأن عرب فلسطين والمحاربين غير النظاميين ، لم يكونوا منظمين ، وليست لهم مهارة كافية ليقوموا بعمليات هجومية منظمة ، وكذلك أدرك عبد القادر أن اليهود سوف يتشبثون بكل مستعمرة ، وسوف يقاومون العرب بشكل عنيف ، وكان يحتاج الى انتصارات سريعة ليشجع قومه فاستقر رأيه على ناحيتين :-

١ - إنه سوف يعزل المستعمرات اليهودية ويجوّعها .

٢ - أنه سوف يقوم بعمليات (إضرب واهرب) على النقليات وطرق المواصلات .

ولقد أثبتت استراتيجية عبد القادر كفاءتها ، فقد كان للعرب حرية الحركة بينما أجبر اليهود على أن يظلوا في أماكن ثابتة^(١) .

وما الاعمال العسكرية التالية إلا شهادة ناطقة على نجاح القائد عبد القادر ، واليك موجزا عنها :-

(١) سيرة بطل : نبيل الأغا ص ٩١

١ - الهجوم على حي سانهدريا :-

كان الهجوم الدفاعي أو الدفاع المتحرك ، هو باكورة الأعمال العسكرية التي قام بها عبد القادر في الميدان الحربي ، لتعزيز الدفاع العربي في مدينة القدس وضواحيها ، ولم يلبث بعد ثلاث هجمات من أن يحوّل القتال بصفة عامة إلى حالة هجوم في جميع الميادين ، بينما انقلب الوضع العسكري عند اليهود إلى حالة دفاع شامل .

وخير مثال عل ذلك هذا ، الحيّ الذي يقع في الجهة الشمالية لمدينة القدس ، وهو حيّ يهودي كبير ، كان مركزا لقيادة الهاغاناه ، ومنه تشنّ الهجمات على حيّ الشيخ جراح وباب الساهرة ، ففي ٢٧ كانون أول ١٩٤٧ ، ولما يمض وقت على دخول عبد القادر أرض فلسطين، شنّ اليهود هجوما عنيفا على هذين الحيين ، فاتصل أمر حامية الشيخ جراح بالقائد عبد القادر ، الذي كان موجودا في قرية (عين بيبود) ، وأعلمه بنبا شدة الهجوم الشرس ، فما كان من عبد القادر إلا أن خفّ الى الميدان يرافقه حوالي ٣٠ جنديا ، وما أن وصل قرية « النبي صموئيل » حتى بلغ عدد المجاهدين حوالي (٢٠٠) مسلح ، وهناك قرر مهاجمة مقر قيادة القوات اليهودية في سانهدريا ، بقصد تخفيف وطأة الهجوم اليهودي وإلحاق أكبر نقص ممكن بقوات الأعداء .

أيقنت القوات اليهودية بعد الهجوم الذي شنّه عبد القادر ، أنها قد طوقت تماما ، فانسحبت من ميدان الهجوم في حيّ الشيخ جراح ومن منطقة سانهدريا ، وفي الحال تقدمت قوات الشيخ جراح العربية ، واحتلت المراكز اليهودية في تلك المنطقة ، وبقيت فيها طيلة مدة القتال ، بعد أن نسفت جميع الاستحكامات اليهودية القائمة فيها ، ولكن المجاهدين المقتحمين قد صمموا على مواصلة التقدم ، فاضطر عبد القادر إلى إصدار أوامره إلى قواته التي دخلت معه بالانسحاب ، خشية أن يضطدم المجاهدون بعضهم ببعض ، لأن الرؤيا كانت متعذرة لشدة الظلام ، وترك أمر الاحتلال الى حامية الشيخ جراح ، وانسحب هو وجنوده من سانهدريا إلى قرية بيتونيا ، فوصلها في الصباح ، ولم يصب أحد من رجاله بأذى ، وبذلك تمّ احتلال خطوط اليهود الامامية في سانهدريا ، وتدمير استحكاماتها فيها .

الهجوم على ميغور حاييم :-

يقع هذا الحي في الجهة الجنوبية الغربية للقدس ، ويجاور حيّ القطمون وبيت صفافا ، وقد اتخذه اليهود مركزا لهجماتهم على العرب في هاتين المنطقتين .

وصلت أنباء من قائد حيّ القطمون الى القائد عبد القادر في رام الله ، بأن اليهود شنّوا هجوما قويا على حيّ القطمون وتمكنوا من دخول الحي ونسف فندق سميراميس وبعض العمارات ، وفي الحال أمر عبد القادر بتجهيز جميع قواته النظامية ، والبالغ عددها حتى ذلك

اليوم حوالي (٥٠) جنديا معهم ثلاثة رشاشات ، كما تمّ إحضار عدد من الجنود من حاميات الشيخ جراح البلدة القديمة ، حيث اجتمع الجميع في حيّ (البقعة الفوقا) ، وبلغ عددهم حوالي (٩٠) مجاهدا مسلحا .

وبعد أن وُزِعَ الذخيرة على جنوده ، جهز ثلاثة الألغام ، ولما أرخى الليل سدوله ، اجتمع مع نائبه كامل عريقات وبأمين سره قاسم الريماوي ، وأبلغهما عن خطته التي تتضمن مهاجمة ميوقور حايميم ، وقبل تعيين موعد الهجوم ، قام بعمليات استكشاف بالقرب من الحيّ المذكور وكان يرافقه ثلاثة من حرسه بالإضافة الى أمين سره قاسم الريماوي الذي يقول في مخطوطه :

« تسللنا الى حديقة مغروسة بالأشجار، وتشرف على الحي ، وبعد إجراء الاستكشاف المطلوب ، اتضح لنا أنه لا يمكن مهاجمة الحيّ من تلك الناحية ، لأن الهجوم سيقع بين معسكر للجيش البريطاني وبين الحي ، ويكون عرضة لأنوار الكشافات الكهربائية ، عدا عن حصانة تلك الجهة من الحي ، وانكشاف ظهر المهاجمين تماما . لهذا قررنا مهاجمة الحيّ من جهة بيت صفافا - أي من الجهة الجنوبية والجنوبية الغربية - وقبل انتقالنا إلى قرية بيت صفافا ، أرسلنا في طلب المجاهد عبد الله العمري وجيه القرية والمجاهد محمود العمري قائد المسلحين فيها ، للتداول معهما في كيفية تنفيذ الهجوم . وبعد ذلك قررنا التوجه الى القرية ، حيث عقدنا اجتماعا مع المسلحين فيها ، وكان عددهم حوالي (٤٠) مسلحا ، حيث بين لهم القائد عبد القادر مهامهم وواجباتهم ، وهي حماية مداخل القرية والمرابطة فيها ، كما طلب منهم عدم الاشتراك إطلاقا في الهجوم ، كما عهد الى المجاهد محمود العمري أمر قيادتهم والإشراف عليهم ، أما عبد القادر فقد عمل الخطة التالية لمهاجمة الحيّ . (في تمام الساعة الثامنة ، بدأت قوات الجهاد المقدس تطلق النار من الجهة الشمالية (من جهة حي القطمون) ، حيث فتح اليهود نيران رشاشاتهم الغزيرة عليهم ، حتى أنهم أطلقوا عشرات الألوف من الطلقات ، وبعد نصف ساعة سكت إطلاق النار من الجهة الشمالية ، وبدأت فرقة الرشاشات تطلق نيران اسلحتها من الجهة الشرقية ، وفي نفس الوقت أخذت قوات الاحتلال العربية تتسلل الى داخل الحيّ ، أما اليهود فقد أخذوا في هذا الهجوم المباغت ، وما لبثت مقاومتهم أن سكنت فتقدم عبد القادر ، وأمامه حاملي المتفجرات ، وكنت أنا والسيد كامل عريقات بجانبه حتى دخلنا المستعمرة ، ثم تقدم حاملو الألغام، وكانوا بقيادة الشاويش « عبد الحميد » من قرية زكريا حتى دخلوا قلب استحكام يهودي كبير ، يقع في طرف الحيّ فوضعوا لغما كبيرا فيه .

اما اليهود فقد اختفوا في بروجهم ، ولم يجروا أحد منهم إخراج رأسه ليرى ماذا حل بالحيّ ، ثم اشعل الشاويش الفتيل المتصل باللغم ، ولم تمض بضعة دقائق حتى ثار اللغم فهز المنطقة بأكملها ، وأيقظ جميع سكان مدينة القدس ، وهكذا هوى حصن اليهود الحصين في ذلك الحيّ على رأس من فيه من رجال الهاغناه ، وعندها أطلق القائد الباسل شارة الانسحاب من مسدس إشارات كان يحمله ، فعاد الجميع إلى مقر القيادة في بيت صفافا ، على بعد مائة متر

عن الحيّ اليهودي ، وبقي مرابطا طيلة ذلك اليوم ، خشية قيام اليهود بهجوم معاكس قوي ، وفي الصباح أخذ سكان المدينة يتساءلون عن مصدر الانفجار ، حتى صدر البلاغ الرسمي للحكومة البريطانية من محطة الاذاعة بالقدس ، معلنا خبر الهجوم على ميغور حاييم ونسف بعض حصونها . أما الصحف اليهودية فقد أبرزت هذا الهجوم على صفحاتها ووصفته بأنه أكبر هجوم منظم حدث منذ أن بدأت الاشتباكات في فلسطين ، وأشادت بالخطة الناجحة التي اتبعها المجاهدون .

أما عبد القادر فلم يغادر بيت صفافا ، حتى ترك فيها حامية من خيرة رجاله من السودانيين بقيادة المجاهد « محمد علي » ، وقد حافظت هذه الحامية على تلك القرية طيلة حرب فلسطين .

معركة صوريف :- ١٦/١/١٩٤٨م

تقع قرية صوريف في قضاء الخليل ، وهي مسقط رأس المجاهد ابراهيم أبو دية ، وكان يجاورها بعض المستعمرات اليهودية ، ومنها (مستعمرة كفار عتسيون) وكانت فيها مخازن أسلحة الجهاد المقدس .

في بداية شهر كانون ثان ١٩٤٨ ، تعرضت إحدى القوافل المتجهة إلى مستعمرة كفار عتسيون الى هجوم عربي مسلح ، أسفر عن قتل معظم افراد القافلة وتدمير سياراتها .

وردا على ذلك الهجوم العربي الناجح ، جهّز العدو حملة عدوانية على قرية صوريف ، حيث جمعوا (١٠٠) إرهابي مزودين بأحدث أنواع الأسلحة ، تقلهم (٢٨) سيارة كبيرة (ترك) و(٨) سيارات صغيرة ، للثأر لصرعى مستعمرة كفار عتسيون ، التي مني فيها اليهود بخسائر جسيمة في الأرواح والممتلكات ، ولتدمير مخازن الأسلحة التابعة للجهاد المقدس ، ولما دنا الارهابيون من قروي كان وراء محراثه في أراضي القرية - وكانوا متنكرين باللباس العربي - قالوا له باللغة العربية : سلام عليكم ، فرد القروي التحية المصطنعة المزيفة ، التي تهدف التنكر حتى لا يدرك أنهم يهود ، ثم تابعوا سيرهم نحو القرية .

شك القروي في أمرهم بعد تسللهم في اتجاه القرية ، فترك محراثه واتجه من ممر اخر الى القرية ، حيث أعلم القائد ابراهيم أبو دية بالأمر ، ثم دخل الى قلب القرية ، وراح يحرض أهلها ، ويفصح بنوايا المعتدين ، حتى هبت القرية بأسرها ، واستعدت لمقابلة الغادرين وجها لوجه ، وغادر السكان بيوتهم إلى الأرض العراء ، حيث ضرب المناضلون طوقا محكما على اليهود المهاجمين ، ولم يتركوا لهم فجوة يسهل عليهم التسلل منها أو الفرار ،

وما أن تمّ التمرکز حتى أصدرت قيادة المناضلين أمرا ببدء القتال ، فانهاه الرصاص على المهاجمين كالمنظر ، وفجرت القنابل اليدوية والمحرقه على الأماكن التي اعتصم بها اليهود ، حيث نشبت معركة حامية الوطيس دامت عدة ساعات في وضح النهار واستمرت حتى المساء ، مما زاد في زعزعة قوة المهاجمين ، ولم يترك لهم مجال للفرار ، وتقدم العرب نحو البقية الباقية منهم ، وشتتوا شملهم ، وسقط منهم كثيرون بعد أن التحم المناضلون العرب مع اليهود بالسلح الأبيض ، وقال البيان الرسمي : أن عدد القتلى (٣٥) يهوديا ، لكن فرق الاسعاف العربية التي كانت إلى جوار المحاربين العرب ، قالت إن عدد القتلى (٥٠) جنديا كما أيدت الدوائر العربية هذا العدد ودعمت أقوالها بهويات القتلى الذين طوّح بهم المجاهدون في الميدان^(١) . وقد غنم العرب أعدادا من مدافع الهاون والقنابل والاسلحة الاوتوماتيكية

(١) جريدة الدفاع - الاحد ٧ ربيع اول ١٣٦٧هـ الموافق ١٨ كانون ثان ١٩٤٨ . عدد ٢٨٥٩

والخرائط ، وأسروا إرهابية ، ولم يتعرضوا لها بسوء لما جبلوا عليه من مناعة خلق وشيم شريفة ، حيث سلموها للبوليس .

وكانت حصيلة الغنائم في هذه المعركة (١٢) مدفع برن و (١٨) بندقية ستن و (٢٨) مسدسا وقنابل وذخائر^(١) .

وما أن ذاع خبر هذا الانتصار الذي كان له وقعه الكبير لدى جميع الاوساط الرسمية والعربية واليهودية ، حتى ارتفعت معنويات العرب كثيرا ، ومما زاد في انهيار معنويات اليهود ايضا ، وقوع قافلة أخرى من رجال الهاغناه وهي في طريقها إلى كفار عتسيون في كمين عربي ، وذلك بعد معركة صوريف بيومين ، وعلى الاثر قامت قيامة الصحف اليهودية ، مطالبة بعزل المسؤولين عن المعركتين من رجال الوكالة اليهودية وقوات الهاغناه .

ومنذ ذلك اليوم أخذ نجم القائد إبراهيم ابودية (أمر السرية الثالثة وأحد رجال الجهاد المقدس) يلمع ، وقد استشهد في هذه المعركة ثلاثة من المجاهدين ، كما أصيب خمسة منهم بجراح ، حيث أصدرت القيادة العامة في بيانها الثالث خطة الهجوم المباغت ونتيجة المعركة .

معركة بيت سوريك ١٩٤٨/١/٢٤م

علم عبد القادر من مصدر استخبارات الجهاد المقدس ، أن قيادة الهاغناه تنوي تعزيز قواتها في القدس لرفع الروح المعنوية بين سكانها اليهود المحاصرين وللقيام باعمال عسكرية معينة ، ولهذا قررت القيادة الصهيونية إرسال (٨٠)سيارة مملوءة بالجنود والمعدات والمؤن إلى يهود القدس صباح يوم ١٩٤٨/١/٢٤ ، تحرسها المصفحات ، وستمر من طريق باب الواد الذي تطل عليه قرية بيت سوريك .

وصلت أخبار هذه القافلة إلى القائد العام عبد القادر مساء يوم ١٩٤٨/١/٢٣ في بير زيت ، وفي الحال أرسل في طلب المجاهد فوزي القطب ومعه خمسة رجال من فرقة التدمير ، وأمرهم بالتوجه حالاً لبيت الالغام على طريق القدس - تل ابيب ، وعلى مسافة (٥٠٠) متر ، كما أمرهم ببيت الالغام على الطرق الجانبية ، لمنع وصول قوات الجيش إلى ميدان المعركة لانقاذ اليهود ، ثم توجه القائد مع القوة التي كانت معه وعددها (٣٢) مجاهدا الى قرية بيت سوريك ، بعد أن أمر بإرسال النجدة من مسلحي رام الله إلى القرية المذكورة .

كانت الساعة تشير إلى الثالثة من صباح ١٩٤٨/١/٢٤ ، وبعد أن اطمأن على وضع الالغام ، قسم القوة التي كانت معه ، والنجدة التي خفت مسرعة تلبية لأمر القائد إلى ثلاثة اقسام :-

(١) المصدر نفسه

١ - وضع ٢٨ مجاهدا تحت قيادته في استحكامات تشرف على الطريق العام المزروع بالالغام حيث وزعهم إلى أربع حظائر كل حظيرة تبعد عن الأخرى (٥٠٠) متر ، وبين كل شخص وآخر مسافة (٥٠) مترا .

٢ - اما القسم الثاني فوضعه في قمة الجبل خلف الفصيل المرابط بجانب الطريق العام ، بقيادة ابراهيم ابودية ، ويساعده المجاهد عزمي الجاعوني ، وكانت مهمتهم تتمثل في حماية المؤخرة ، والمرابطة للنجدات اليهودية التي قد تفد من مستعمرة (كريات عنفيم) (قرية العنب) ومن مستعمرة معاليه خمشاة (الخمس) الواقعة الى الغرب من بيت سوريك .

٣ - اما القسم الثالث فجعل مركزه على رأس قمة جبل تواجه طريق باب الواد من الجنوب بقيادة كامل عريقات ، للتصدّي للنجدات اليهودية التي قد تنفذ من مستعمرة (موتزاعيليت) والمستعمرات المجاورة .

وبعد أن وزع قواته أدق توزيع (رشاش واحد مع كل حظيرة وثلاث رشاشات مع فرقته) أمر المجاهد قاسم الريماوي بالتوجه إلى رام الله لإحضار نجدات أخرى ، والإشراف على المعركة من قرية بيت سوريك ، وتوزيع الوافدين من النجدات حسب المواقع المرسومة ، حتى لا تحدث وفود المسلحين من النجدات فوضى في القتال ، كما عين شخصا على كل مركز لاستقبال النجدات وارشادها إلى مكان العدو واتجاه المعركة .

وعند طلوع الفجر حلقت طائرة فوق الطريق لاستكشافها ، كما تقدمت مصفحة انجليزية في اتجاه القدس ، ولما اقتربت من حقول الالغام عادت أدراجها ، ويظهر أنها أبلغت رجال القافلة اليهودية بوجود كمين ، فعادت القافلة ، وبعد ذلك صدرت الأوامر إلى حراس القافلة وحراس المستعمرات بالتوجه فوراً لمقابلة المجاهدين العرب ، فسارت هذه القوات في الوديان المجاورة للطريق للالتفاف حول المجاهدين ، ومحاولة ضرب حصار حولهم .

كانت الساعة قد بلغت التاسعة صباحا ، وما أن وصلت قوات العدو الى نقطة الحراسة الخلفية ، التي يتولى قيادتها المجاهد ابراهيم ابودية ، حتى اشتبكوا معها ، وسقط ابودية جريحا ولما علم عبد القادر بذلك أصدر أوامره الى الحظيرة الاولى بالالتفاف حول الجبل ، الذي تتمركز فيه حظيرة ابودية ، ليقطع خط الرجعة على اليهود ، وأمر كل حظيرة من الحظائر الاخرى بالتقدم الى المرتفعات العالية المحيطة بالوديان ، الموصلة الى الطريق العام لمفاجأة قوات العدو ، ونجحت الخطة فإذا بنيران المجاهدين تنصب عليهم كالطر .

كان عبد القادر ورجاله قد كمنوا لليهود في طريق توقع أن يسلكوه ، إثر نجاح خطته وفعلا .. هام اليهود على وجوههم وسلكوا نفس الطريق ، ولما أصبحوا على بعد ثلاثين مترا من الكمين أصدر عبد القادر أوامره الى حامي الرشاشات بفتح نيرانهم التي راحت تحصد اليهود

حصدا ، فأخذتهم المفاجأة ، وأخذوا يصيحون ، وراحوا يرمون بأنفسهم جماعات في الحفر والاختاديد ، وكنت تجد كل سبعة أو اربعة منهم قتلى في حفرة واحدة .

اتصلت قيادة اليهود بالمستعمرات المجاورة وبالقدس اليهودية طالبة النجدة ، وقبل أن تصل هذه النجدة ، كان مئات من المسلحين المجاهدين قد أغلقت جميع المنافذ الموصلة الى المستعمرات ، مما حال دون وصول النجدة اليهودية .

واستمرت المعركة التي بدأها عبد القادر بأربعين رجلا وخرج منها بـ (٨٠٠) مقاتل من الساعة التاسعة صباحا حتى الساعة الخامسة مساء ، حيث أصدر القائد أوامره بالانسحاب الى قرية بيت سوريك ، وكان هذا القرار صائبا ، لأن عبد القادر لم يرغب في الاشتباك مع القوات البريطانية ، الذي تأكد من قرب وصولها إلى مكان المعركة .

وفي قرية بيت سوريك اصطف المجاهدون لتوزيع اسلحة القتلى وهوياتهم عليهم - بعد أن اصيب المجاهد ابراهيم ابودية بجراح بسيطة ، كما أصيب المجاهد « محمد الفايز » من عرب الصخور بجراح في صدره - وبعد أن اصطف الجميع افتقد القائد عبد القادر أحد الجنود فأمر اربعة من رجاله وشاويشاً يحمل رشاشا ، بالذهاب الى ميدان المعركة لنقل جثة المجاهد إن كان قد استشهد ، وفي الحال ذهبت المفزة ، وبعد نصف ساعة سمعت عدة صليات نارية ، فظن المجاهدون الموجودون في بيت سوريك أن ثمة كميناً ينصب للمفزة فهبوا جميعا ، إلا أن عبد القادر أمرهم بالتريث ، فأرسل المجاهد « قاسم الريماوي » إلى مكان مرتفع يشرف على ميدان المعركة لاستطلاع الخبر بعد أن أعطاه القائد عبد القادر منظاره .

رأى المجاهد قاسم الريماوي أفراد المفزة يقلبون جثث القتلى اليهود ، وأنهم بخير ، فعاد أدراجه ليطمئن القائد ، وبعد نصف ساعة عاد الجنود ومعهم المجاهد المفقود ، وهم يرتدون ألبسة الهاغاناه ويحملون عددا من الرشاشات والبنادق والاختادية ، ولما سألهم القائد أجاب الشاويش :

« عندما وصلنا ميدان المعركة وجدنا الجندي المفقود جريحا في مغارة ، ولا يستطيع الحراك وفجأة رأينا مصفحة يهودية تقف في الطريق العام ، فكنا نستطلع الامر ، فاذا بأحد عشر جنديا من بوليس المستعمرات ينزلون منها ، ويتوجهون الى مكان القتلى فكنا لهم ، ولما وصلوا جثث قتلاهم وحاولوا نقلها ، اصليناهم نارا حامية وهي التي سمعتموها ، وقضينا عليهم جميعا فأخذنا أسلحتهم وجردناهم من ملابسهم الرسمية ، وحملنا هوياتهم وها هي بين أيديكم^(١) »

وفي اليوم التالي حضر قائد الجيش الانجليزي وأمر اهالي قرية بيت سوريك بمساعدة الجنود في جمع جثث القتلى من اليهود التي زادت عن (٦٥) جثة ، كما جرح الكثير ، وغنم

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر

العرب (١٠) مدافع رشاشة (٦ ستن و٤ برن) وأربعين بندقية ، وعددا من القنابل والذخيرة والألبسة الحربية وبعض الخرائط وجهاز لاسلكي .

راع اليهود ما سمعوه عن نتائج المعركة ، حيث ظهرت الصحف اليهودية مجللة بالسواد في اليوم التالي ، وقالت إن (٦٠٠) جندي من رجال الهاغاناه الموكول اليهم حراسة القوافل والمستعمرات ، هزمتهم عشرات الجنود بقيادة عبد القادر ، وطالبت بتغيير القائمين على أمر القيادة في منطقة القدس .

اما الشعب العربي فقد بات تلك الليلة فرحا بالنتائج ، حيث ارتفعت معنوياتهم عاليا وعادت عشرات السيارات التي تنقل المسلحين الى رام الله وهم يهتفون للقائد الباسل ، وكان يرافقهم فرقة إسعاف كاملة بقيادة الدكتور (سليمان سليم) ، وتم نقل الجرحى العرب الى مستشفى الجهاد المقدس الذي كان يشرف عليه الدكتور المذكور ،

وفي هذه المعركة ابلى المجاهد (عوض الترمساوي) - حارس القائد الخاص - بلاء حسنا ، فصدرت الأوامر بترقيته إلى رتبة شاويش ، كما تم ترقية المجاهد عبد العزيز الريماوي الى رتبة آمر حظيرة ، كما منحت بعض المكافئات للجنود الذين استبسلوا في المعركة^(١) .

يقول عارف العارف :-

(وأكد لي من أثق بصدق حديثه من رجال الجهاد المقدس ، الذين اشتركوا في هذه المعركة انه رأى بأى عينه مصفحتين بريطانيتين من مصفحات قوة الطيران البريطاني ، وهما تقاتلان في صفوف اليهود ، وقد أصلت المجاهدين نارا حامية من مدافعها الرشاشة ، ولقد أحاطوا بالقرية وبالمجاهدين الذين كانوا فيها ، إحاطة السوار بالمعصم ، وذاع الخبر أن عبد القادر وصحبه في خطر ، وأتت رسل القرية إلى القرى المجاورة يستنفرون القوم ويستصرخونهم للنجدة ، فلبى هؤلاء النداء ، وانسلوا الى الميدان من كل حذب ، وبلغ عدد المجاهدين الذين خفوا للنجدة (١٠٠٠) مجاهد ، وبلغت حماسة الناس إلى درجة لا توصف ، فرأيت بأى عيني عندما كنت في سنجل ، استنفر المناضلين لنجدة اخوانهم المحصورين ، فتى راح يتوسل الى أبيه الشيخ كي يسمح له بالذهاب الى ميدان الوغى بدلا منه ، وأبى الشيخ في البدء إلا أن يذهب هو ، ثم عاد فاستجاب لرجاء ولده وسلمه بندقية وقال :-

(اذهب يا بني .. وعين الله ترعاك) وكذلك قل عن أخوين كادا يتضاربان ، إذ ود كل منهما أن يكون هو مع الذاهبين ، وما كانا ليختلفا لو كان معهما بندقيتان ، وإني لأقسم غير حانت أنه لم يتخلف عن القتال يومئذ سوى الضعفاء والمرضى ، والذين لم يجدوا دابة تحملهم أو سيارة تنقلهم^(٢) .

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر

(٢) كتاب النكبة / عارف العارف

معركة رام الله - اللطرون

ذهل اليهود لخطط عبد القادر العسكرية ، وشعروا بالضيق الذي يحيق باليهود المحاصرين في القدس والمستعمرات القريبة منها ، فأخذوا يحاولون التخلص من هذه القبضة القوية وجعلوا همهم أن يفكوا ذلك الحصار ، ورفع معنويات الشعب اليهودي ، إثر الضربات المتتالية والمعارك الحاسمة ، التي تعرضوا لها على أيدي رجال الجهاد المقدس ، فقاموا بهجوم على المواصلات العربية للانتقام ورفع المعنويات ، واختارت القيادة فصيلا كاملا من خيرة الجنود من رجال اشتيرن والهاغاناه ، وطلبت منهم الغارة على مواصلات العرب ، فتوجهوا إلى مستعمرة قلنديا (عطاروت) ، حيث كمنوا فيها ، وقرروا مهاجمة الباص العربي الذي ينقل الاهالي من السكان المدنيين العرب من رام الله إلى الرملة .

ففي الأسبوع الاول من آذار ١٩٤٨ م ، هاجم الكوماندوز اليهود أحد الباصات العربية صباحا ، بينما كانت متجهة الى الرملة ، فأصابوا امرأة وطفلا ، وفروا عائدين الى المستعمرة ، ظلنا منهم أنهم سيبلغونها قبل أن يجند لهم رجال الجهاد المقدس .

علمت القيادة - قيادة منظمة الشباب في رام الله - بالهجوم الفاشل فتوجه أمر السرية الثامنة للجهاد المقدس الدكتور بدران وقائد منظمة الشباب^(١) ومعه فصيل من حماة رام الله الى مكان الحادث ، حيث أعد خطة لتطويق المهاجمين ، فتولى الدكتور قيادة الميسرة من الجهة الغربية كما أرسلت قوة من حرس الاذاعة السرية التابعة للجهاد المقدس في سيارة شحن الى الجهة الغربية من مستعمرة عطروت ، فوصلوها قبل أن يتمكن اليهود من الوصول اليها ، وبذلك قطعوا خط الرجعة عليهم ، وكمنوا لهم ، وكانت هذه القوة بقيادة المجاهد « عبد الدايم » : رئيس مسلحي البيرة ، كما أرسلت اشارة الى القائد العام الذي ارسل بدوره مجموعة من رجال الجهاد المقدس ، والتي تقدمت إلى قلب الهجوم حيث تقع المرتفعات الواقعة بين طريق رام الله - اللطرون ورام الله - القدس ، وفجأة وجد اليهود انفسهم في طوق محكم فخارت قواهم ، وأخذ كل منهم يحتمي بالآخر وهم يتساقطون كل خمسة منهم في حفرة يقول الدكتور قاسم الريماوي :

وقد حدث أن فاجأنا سبعة منهم كانوا يختفون عند سفح جبل ، فحاولنا أسرهم ، وطلبنا اليهم التقدم نحونا حبوا على أيديهم وأرجلهم ، ففعلوا إلا واحدا كان جريحا ودمه ينزف ، وكان يحمل قنبلة في يده فصاح بالعبرية .. فالقى الجنود اليهود انفسهم على الارض ، وفي الحال عرفنا أنه سيلقي القنبلة ، فانبطحنا جميعا .. ورمى بالقنبلة حيث انفجرت وأصابت عددا من

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر

رفاقه بجراح ، كما اصيب المجاهد « عبد الدايم » بجراح في وجهه ، وسرعان ما اطلق
المجاهدون النار عليهم ، فقتلوا عليهم جميعا .

وعند نهاية المعركة لم يسمح المجاهد قاسم الريماوي لأحد بمغادرة المكان حيث كمن
الجميع ، انتظارا للقوات اليهودية التي ستأتي لنقل قتلاها ، إلا أنهم لم يحضروا ، وهنا يتابع
الدكتور قاسم الريماوي حديثه قائلاً :-

(ثم أمرت المجاهدين بجمع جثث القتلى ، وأحضرت سيارتي نقل ، ووضعت الجثث
التي جمعها المجاهدون فيها ، وركب المجاهدون وهم يهتفون ويرفعون الرايات البيضاء ، وما
أن وصلنا رام الله حتى كانت ألوف من النساء والاطفال والرجال يملأون الطرق والشوارع
وهم يحيوننا وعلامات البشر تطفح من وجوههم وزغاريد النساء تشق عنان السماء، فسرنا
مخترقين شوارع رام الله والبييرة متوجهين الى دار الحكومة الانجليزية، حيث حضر القائد
وطلب الجثث، ولكنني اشترطت عليه إعطائي وصلا بعددها لأنهم ينكرون ذلك في بلاغاتهم
الرسمية، وبعد ان سلمني الوصل سلمته الجثث وكان عددها (٢٢) جثة .

وقد غنم المجاهدون (٥) رشاشات و(٢٠) بندقية و(١٠) مسدسات وكميات كبيرة من
الذخيرة والمعدات ومنظراً ومسدس اشارات .

معركة النبي صموئيل: -

تقع هذه القرية على أعلى قمة تشرف على مدينة القدس في جهة الغرب، وهي مركز استراتيجي هام يهدد مدينة القدس اليهودية مباشرة، وقد حاول اليهود احتلال تلك القرية فقاموا بهجوم مركز عليها بقيادة قائد (مسكوبي) برتبة كابتن وذلك ليلة ١٠/٢/١٩٤٨ م، ولما تقدمت القوة اليهودية من تلك القرية، انتهرهم حراسها، فأجاب بعضهم بالعربية قائلاً:

«نحن أصدقاء... من جنود عبد القادر الحسيني» فقال له الحرس: وما هي كلمة السر؟ فلم يجيبوا، وعندها انهالت عليهم زخات الرصاص من كل جانب، وقتلوا عددا منهم وفرّ الباقون، كما تمكن حماة القرية من أسر قائد الحملة، وأحضره الى بير زيت، حيث جرت محاكمته ثم أعدم رميا بالرصاص. وبعد ذلك أصدرت القيادة العامة بلاغا رسميا جاء فيه:

(حاولت قوة يهودية مفاجأة حماة النبي صموئيل في باكورة يوم ١٠/٢/١٩٤٨، بقصد احتلال القرية إلا أن حماة القرية اليقظين اشتبكوا بقوات العدو، وأوقعوا بها بعض الاصابات وأسروا قائد الحملة وهو يهودي مسكوبي برتبة رئيس أول)^(١).

احتلال معسكر رأس العين:

يعتبر مركز رأس العين من أهم المواقع الاستراتيجية في فلسطين بأسرها، ففيه تقوم المضخات والماكينات والموتورات لضخ المياه، التي تمدّ القدس بأسرها، ويقدر ثمن هذه المعدات بملايين الجنيهات، وفيه تقع أكبر محطة لسكة الحديد التي تتفرع منها خطوط الى حيفا وتل ابيب ويافا والقدس واللد، ومنها إلى مصر، كما أنه يسيطر على الطريق العام الوحيد الذي يوصل الشمال بالجنوب، ويقع هذا المركز على بعد ٨ كم من تل ابيب و ٢ كم من مستعمرة بتاح تكفا (وهي أكبر مستعمرة في فلسطين وأقدمها) وحوالي ١٠ كم من اللد، كما توجد فيه منشآت كثيرة تابعة لمعسكر الطيران البريطاني ومطار عسكري كبير، وتقوم هذه المنشآت والمطار، على اراض ملك للعرب من قرية مجدل صادق وكفر قاسم ودير بلوط.

وفي هذا الصدد كتب الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه يصف عملية الاحتلال فيقول:
(وفي الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ١٠/٢/٤٨، حضر إلى مقر قيادة الجهاد المقدس، وفد من وجهاء المنطقة الساحلية وأبلغوا القائد العام، بأن الانجليز سيجلون عن هذا المعسكر صباح يوم ١١/٢/٤٨ وأنهم يريدون تسليمه للهاغاناه، الذين اشتروه بمبلغ (٨٠٠٠) جنيه، وأوضحوا له العواقب التي تكمن وراء هذا الاحتلال اليهودي لهذا المعسكر، وطلبوا منه احتلاله

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر الحسيني

بالقوة، لأنه لا توجد قوات كافية عند قيادة المنطقة الساحلية لاحتلاله، ففي الحال أمر القائد العام أمين سرّه قاسم الريماوي بالتوجه الى المعسكر الذي يبعد ٤٠ كم الى الشمال من بيرزيت وان يحتله قبل مطلع فجر ١١/٢/٤٨ مهما كلف الثمن.

وفي الحال جهزت قوة من رجال الجهاد المقدس وفي مقدمتهم المجاهدان «محمود عبد المجيد» و«محمد عبد الله الأسمر». ثم يتابع الدكتور قائلاً:

«وتوجهت برفقتي مختار قرية مجدل الصادق التي تبعد كيلومترين فقط عن رأس العين، فدخلت القرية في تمام الساعة السادسة مساءً، وقد بلغ مجموع المسلحين حوالي (١٠٠) مجاهد، وقبل محاولة الاحتلال عازمت على استطلاع حالة المعسكر، فارتديت الملابس المدنية، وذهبت أنا والمختار الى قائد المعسكر الانجليزي (وكان صديقاً للمختار) فقدمني اليه على أنني أحد أقاربه، وأنني أريد التعرف عليه قبل مغادرته المنطقة، وقد سنحت لي الفرصة للتجول في المعسكر وشاهدت الاستحكامات المحيطة به، ومراكز الخفراء اليهود الذين يحرسون مضخات المياه والمعسكر والمزارع اليهودية المحيطة، وبعد أن استوضحت جميع معالم المعسكر عدت إلى مجدل الصادق، ومنها توجهت الى القائد حسن سلامة في مقر قيادته في قرية العباسية، فأعلمته بأنني قادم لاحتلال المعسكر وأنني سأدخله في هذه الليلة، وما عليه إلا أن يهب لنجدتي، بعد أن اشتبك مع القوات اليهودية، وعدت الى القرية ثانية، وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة فوزعت المسلحين إلى عشر حظائر، وأعطيت كل حظيرة رشاشاً، وبعد ذلك أخذت أمراء الحظائر الى مقربة من المعسكر، وبينت لكل واحد منهم المكان الذي يجب أن يدخله، والطريق التي يجب ان يسلكها، وبعد أن تمّ توزيع الحظائر في مواقعها، وسرت مع الحظيرة الاولى شاهدت أمرها متردداً (وهو برتبة ضابط) فاستوضحت منه الأمر فقال: إنه يخشى أن يقع في كمين فأمرته بالعودة في الحال وأوقفته عن العمل، بعد أن جردته من سلاحه وأمرت إثنين من الجنود بحراسته وإعادته الى بيرزيت، وعهدت بقيادة الحظيرة إلى (شاويش من طوباس) وكان شجاعاً مقداماً، فتقدم إلى الامام حيث المراكز التي كان قد أخلاها الانجليز في ذلك اليوم وتقع في الجهة الجنوبية من المعسكر.

وهكذا تقدمت الحظيرة الاولى بعد أن فتحت فجوة في الاسلاك الشائكة واحتلت المراكز الاولى القريبة ثم تقدمت بقية الحظائر واحتلت مراكزها، ولم يشعر بنا احد (لا من الانجليز ولا من اليهود). بدخول قواتنا الى المعسكر، وسيطرتها على جميع الاستحكامات القوية والمحصنة فيه، ودخلت أنا وأعواني إلى دار الضباط الواقعة في منتصف المعسكر واتخذتها مقراً لي، ثم اتصلت في تمام الساعة الواحدة بالقائد عبد القادر لاسلكيا، وأخبرته أنني احتلت المعسكر بدون قتال، ولما أصبح الصباح فوجيء القائد الانجليزي وجنوده والخفراء اليهود والسكان اليهود المقيمون داخل المعسكر بالعلم العربي الفلسطيني وهو يرفرف فوق بناية الضباط والرشاشات مصوبة اليهم من جميع الاستحكامات المحيطة بهم وبالمعسكر، فأخذتهم المفاجأة،

وطلب قائد المعسكر الانجليزي (وهو برتبة ميجر) مقابلة القائد المسؤول، فطلب منه الحرس الذين يحمون أبواب المعسكر الوقوف بعيدا، وبعد أن فتشوه وجردوه من سلاحه، أوقفوه بجانب المدخل الرئيسي للمعسكر فتوجهت إليه وقال لي:

«هل أنت يا سيدي القائد المسؤول... فقلت له نعم. قال: ولكننا نحن نحمي المعسكر وقد باعته القيادة العامة بمحتوياته إلى اليهود. فقلت له: إنني أعرف أن الأراضي التي يقوم عليها هذا المعسكر هي أرض عربية، سلمكم إياها اصحابها لاستعمالها أثناء الحرب، أما وقد عزمتم أن تتركوها، فلن نسمح لأحد بدخولها، إلا على جثتنا، وبعد أن ترتوي بدمائنا. فقال: ولكنني أريد الذهاب لمراجعة القيادة... كيف أضمن أن رجالك لن يتعرضوا لي أثناء مغادرتي المعسكر... فقلت له: عليك أن تعمل ذلك أنت ومن يشاء من رجالك بعد الحصول على تصريح موقع مني... فقال: أرجوك أن تعمل ذلك. فقدمت له تصريحاً.

وبقيت ذلك اليوم في المعسكر، وبعد الظهر حلقت طائرة فوقه على ارتفاع منخفض، فأمرت بعدم التعرض لها، ولما عاد الميجر الانجليزي، أبلغني أن قائد القوات البريطانية يريد مقابلي في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي في مكتب لواء اللد، فذهبت وأخذت معي وجهاء المنطقة الذين يملكون تلك الأراضي. فحضر القائد العام البريطاني إلى مكتب السيد (اسحق النشاشيبي)، وبعد أن أفهمته تصميمنا على الاحتفاظ بالمعسكر حتى آخر رمق، وآخر نقطة من دمائنا قال: نحن لا يهمننا من يحتفظ بالمعسكر، ولكن لنا بالمعسكر براكيات وأدوات ومنشآت تبلغ قيمتها آلاف الجنيهات، وقد دفع اليهود (٨٠٠٠) جنيه ثمنها فزيدوا عليهم وخذوها... فقلت له: نحن لا نقبل بالمساومة في هذا الأمر.. الأرض أرضنا وقد حرمت أهلها من استثمارها طيلة إقامتكم فيها، وعليكم الآن تعويضهم عن الإتلاف الذي لحق بها، وبعد نقاش طويل نزلت القيمة إلى (٣٠٠) جنيه فقط، فقلت له: لا يمكنني الاجابة حتى استشير قائدي المسؤول وهو عبد القادر الحسيني.. سأعطيك الجواب بعد يومين..

ولما اطلعت القائد على الأمر سرّ للنتيجة وقال: «إنهم لا يفهمون إلا هذه اللغة، سندفع لهم (٢٥٠) جنيها فقط... خذ هذه النقود وادفعها لهم، لأنهم قد يهدمون البراكيات ويتلفونها جميعا، وهي تساوي آلاف الجنيهات، فعدت بعد يومين ودفعت المبلغ إلى القائد العام بحضور القائم مقام (إسحق النشاشيبي) وأخذت منه ورقة البيع.

وهكذا تمركزت قواتنا في هذا المعسكر الذي كان غاية في الاتقان والتنظيم. كما اتصلت بقليلية وكفر قاسم والقرى المجاورة، فأخذوا يرسلون كل يوم مائة مسلح للمرابطة مع قواتنا في المعسكر.

أما اليهود فقد هالهم الأمر، فراحت صحفهم تهاجم الحكومة البريطانية، وتطالب بإخراج المجاهدين منه بالقوة، وأنّ الانجليز هم السبب الذي جعل أرواح السكان والمهندسين اليهود المحاصرين في المعسكر تحت رحمة المجاهدين.

وعلى الأثر حضر القائد العام الإنجليزي ومعه أربعة من أركان قيادته، وطلبوا الاجتماع بي لبحث موضوع السكان اليهود، فاجتمعت بهم وقالوا: إنهم يخاطبونني باسم حكومة فلسطين التي نهجها سلامة السكان والمهندسين اليهود، ويطلبون ترحيل اليهود المحاصرين إلى تل أبيب، فأعلنت له موافقتي المبدئية، وطلبت تأجيل الموافقة التامة إلى الساعة الرابعة، كي أستشير القائد عبد القادر في ذلك الامر، فاستشترته فوافق على شرط أن يركب هؤلاء السكان في سيارات مقفلة ومغطاة، ولا يظهر منهم أحد، وأن لا يمروا من داخل المعسكر ومن بين الخفراء بل يسلكوا الطريق الخلفي للمعسكر الموصل إلى مستعمرة ملبس (بتاح تكفا)، فوافقوا، ثم خرجت السيارات التي تنقل السكان اليهود وهي مجللة بستائر سوداء، وقد تبين أن الخفراء اليهود كانوا قد اختفوا بين المدنيين، وبقيت قواتنا تسيطر على المعسكر بعد ذلك عدة أشهر، وقد حاول اليهود احتلاله، إلا أنهم لم يتمكنوا، وقد استشهد الشهيد حسن سلامة في إحدى المعارك التي دارت بين جنودنا وبين اليهود لاحتلال المعسكر، ولما دخلت الجيوش العربية عهد بأمر حماية المعسكر الى الجيش العراقي، فرابط فيه، إلا أنه تخلى عنه إثر هجوم اليهود واحتلالهم لمدينتي اللد والرملة. واصبحت المنطقة كلها اليوم المطار الرئيسي في إسرائيل.

معركة شعفاط والهجوم على مستعمرة النيفي يعقوب:

في مساء يوم ١٥/٣/١٩٤٨ (اي بعد نصف حي المنتفوري بيوم واحد)، وصلت الى القائد العام معلومات من رجال الاستخبارات التابعة للجهاد المقدس، تفيد أن اليهود سيقومون بهجوم قوي هذه الليلة لاحتلال مدينة القدس، وفي الحال أمر القائد عبد القادر المجاهد (أمين السر العام قاسم الريماوي) بالتوجه فوراً إلى رام الله لاجتماع النجديات، وفعلاً استطاع قاسم الريماوي من احضار (٦٠) أمراً من رؤساء مسلحي القرى، وإعلامهم بجمع أكبر عدد ممكن من المسلحين، وفي تمام الساعة الحادية عشرة ليلاً كان المجاهد قاسم الريماوي بصحبة (٦٠) مسلح في طريقهم الى القدس مارين بمستعمرة النيفي يعقوب في ست عشرة سيارة شحن كبيرة، ولما وصل الجميع الى القدس قام عبد القادر بتوزيع المسلحين على خطوط الدفاع في مختلف انحاء المدينة، إلا أن اليهود لم يقوموا بهجوم، ويظهر أن مستعمرة النيفي يعقوب، قد أخبرت القيادة اليهودية بوصول قوات كبيرة من المجاهدين إلى المدينة.

وفي اليوم التالي علم القائد العام أن قافلة يهودية تحمل الجنود والمؤن وتحرسها المصفحات ستتوجه الى النيفي يعقوب، وفي الحال أمر القائد العام بتجهيز (١٠٠) جندي من رجال النجديات والتوجه للمرابطة ونصب كمين لهذه القافلة والقضاء عليها. وبعد نصف ساعة كان المجاهدون يرابطون على طريق القدس - رام الله بالقرب من قرية شعفاط، وفي تمام الساعة العاشرة حضرت القافلة التي تحميتها ثلاث مصفحات، فما أن وصلت المصفحة الاولى إلى مكان اللغم الذي زرعه المجاهدون، حتى تتطايرت في الفضاء، وهوت تحترق بمن فيها، لحظتها حاولت المصفحتان وباقي السيارات الرجوع لكن المجاهدين انقضوا عليها وأصلوها وابلا من

رصاصهم، (وقد بلغت الجراءة بالمجاهد «محمد عمر النوباني» واخيه «ابراهيم» وبعض الشباب أن قفزوا على المصفحتين، بينما اختفى حراسها فقتلوهم بالمسدسات إلا أن محمد عمر أصيب بجرح بسيط نقل على اثره الى المستشفى)^(١).

شدّد المجاهدون هجومهم للقضاء على من بقي حيا من جنود القافلة، وكادوا يتمكنون من ذلك، فقد وصل إلى مكان المعركة قائد القوات البريطانية في فلسطين الجنرال (مكميلان) ومعه (كلوب باشا) قائد الجيش الاردني في طريقهما إلى القدس، ومعهم سيارة من الجنود تحرسهم وهنا نزل الجنرال، ورجا العرب المجاهدين الكفّ عن إطلاق النار وقال:

(من شأن الحاج أمين... كفّوا عن اليهود)^(٢).

وراح القائدان يتوسلان لنقل الجرحى اليهود، واخيرا سمح لهما بنقل (٢١) قتيلًا و (١٧) جريحًا، بعد أن غنم المجاهدون جميع الأسلحة وما بقي سليما من السيارات والمؤن.

وقبل انسحاب المجاهدين، أمر القائد العام أمين سره قاسم الريماوي بوجوب مهاجمة مستعمرة النيفي يعقوب في تلك الليلة، لمعرفة مدى تحصيناتها، وإيقاع أكبر قدر ممكن من الخسائر بها والانتقام من حرسها الذين كانوا يتعرضون لسكان المدنيين من العرب، الذين كانوا يفدون من والى القدس.

وفي الحال توجهت قوة مكونة من (١٠٠) مسلح وعلى رأسها قاسم الريماوي يرافقه المجاهد «محمود عبد المجيد» والمجاهد «محمد عبد الله» إلى مدرسة بيت حنينا الواقعة بالقرب من المستعمرة من جهة الغرب، واتخذ منها مركزا للاسعاف، كما حضرت بعض القوات من بيت حنينا وجزما فبلغ مجموع المسلحين (١٥٠) مجاهدا، وبعد أن وزعت عليهم الذخيرة، رسمت خطة الهجوم، وكانت تقضي بأن يقوم الجناح الأيمن بإطلاق النار من الجهة الشرقية على المستعمرة مدة نصف ساعة، وبعدها يقوم الجناح الايسر بتغطية قوية من نيران الرشاشات من الجهة الغربية، بينما تتقدم قوات القلب فتدخل المستعمرة وتدمر الاستحكامات الامامية.

وكان موعد بدء الهجوم الساعة الثامنة مساء، وكانت كلمة السر «حسين» وعلامة الانسحاب شارة بيضاء من مسدس التنوير الذي يحمله قائد المجموعة المجاهد قاسم الريماوي.

وقبل موعد الهجوم بأربع ساعات أرسلت مفرزة رشاشات، لتكمن في المحاجر المشرفة على المستعمرة من الجهة الجنوبية (وتبعد عن المستعمرة ٨٠ مترا) وذلك خشية تسرب اليهود اليها، وتلافيا لوقوع المجاهدين في فخّ أو كمين، ولمراقبة تحركات حماة المستعمرة. وفي تمام الساعة السابعة تحرك المجاهدون حسب الخطة، وفي تمام الثامنة أخذت الميسرة تطلق نيرانا

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) حياة عبد القادر مخطوط

متقطعة من الجهة الشرقية، ففتح اليهود نيران رشاشاتهم العشوائية، وقد قدر عدد الرشاشات بسبعة عشر رشاشا، وبعد نصف ساعة فتحت اليمينه نيران بنادقها، بينما تقدم حماة القلب نحو المستعمرة، كما تقدمت حظيرة بقيادة الشاويش «عوض الترمسعاوي» حتى وصلت الاسلاك الشائكة المحيطة بالمستعمرة بعد أن تخطت حقول الألغام الميثوثة، حيث قفز كل من عوض واحمد زيب الريماوي وعبد العزيز محمد الريماوي ومحمود عبد الجليل من قراوة وغيرهم (وكلهم من جنود الجهاد المقدس، إلى قلب المستعمرة، فأخذوا يلقون القنابل اليدوية على الاستحكامات اليهودية، حتى قضاوا على جميع اليهود الذين كانوا في تلك المنطقة.

(وكانت الساعة قد بلغت الواحدة بعد منتصف الليل، ولما كانت الأوامر الصادرة إلى لا تتعدى كون الهجوم لمعرفة قوة التحصينات والتأديب، فإنني محافظة على إطاعة الأوامر، وخشية على أرواح الجنود الذين قد يطلقون النار على بعضهم لشدة الظلام، فإنني أصدرت الأمر بالانسحاب، فانسحبت جميع القوات الى مدرسة بيت حنينا، وقد جرح ثلاثة جنود، إما اصابات اليهود فإنها كانت كثيرة، وقد ذكر البلاغ الرسمي لحكومة الانتداب بعد ظهر اليوم الثاني أن مستعمرة نيفي يعقوب قد تعرضت لأكبر هجوم شهدته منذ بدء الاشتباكات، وأن عددا من الأشخاص قد قتلوا كما دمّرت بعض استحكامات المستعمرة)^(١).

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر

معركة بيت لحم الكبرى - الدهيشة ٢٧/٣/١٩٤٨ م

علم المجاهدون في منطقة القدس، أن قافلة يهودية محروسة بحراسة قوية، قد تمكنت من الوصول الى مستعمرات كفار عتسيون الأربع - قرب الخليل - حاملة إلى سكانها وحامياتها المؤن والأسلحة، وأن تلك القافلة تعتزم العودة إلى القدس، فأسرعت مفرز المجاهدين من بيت لحم وبيت فجار وبيت جالا والخضر وبيت ساحور وعرب التعامرة وجبل الخليل وغيرها، إلى التجمع عند نقطة على الطريق العام بالقرب من بيت لحم، وأعدت كميناً للقافلة، بعد أن رتبته خطة حازمة للقضاء عليها.

وفي ٢٧/٣/١٩٤٨ م وصلت القافلة إلى مكان الكمين ففجر المجاهد البطل الشهيد (يوسف الرشماوي) أول مصفحة، بعد أن تمنطق بحزام ناسف، وكان المجاهدون قد أغلقوا الطريق العام في عدة مواقع، واشتبكوا مع رجال القافلة في قتال مرير، كانت جنود الهاغاناه تتساقط كورق الخريف، كما دمر المجاهدون عدداً من السيارات والمصفحات، فاضطر اليهود إلى مغادرتها، فأطبق عليهم المجاهدون، فأخذ الجنود اليهود يفرون ويلوذون بالأخاديد والمنحنيات ورسا ص المجاهدين يحصدهم حصداً، ومضوا يتقهقرون في غير انتظام، إلى أن اعتصموا في بيت مهجور بينما أخذت الطائرات اليهودية تدمم بالذخائر والمواد الغذائية، ولكن دون جدوى، وأخيراً استنجدوا بالحكومة البريطانية التي أرسلت بدورها (الكولونيل هاربر) ومعه عدد من الضباط والجنود لإنقاذ اليهود المحاصرين، فهذد العرب بإطلاق النار عليهم إن هم تقدموا خطوة واحدة، وأبى المجاهدون إلا أن يستسلم اليهود، ويسلموا جميع أسلحتهم وعتادهم، فلما رأى قائد الجيش (الجنرال هاربر) تصميم العرب، وأدرك أنهم لا بدّ متمكنون من القضاء على القوة المحاصرة، راح يفاوض اليهود للتسليم فوافقوا لإنقاذ حياتهم، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى اليهود المحاصرين، نظراً لوجود ألغام مبنوثة حولهم، فعاد مع قوته، وبعد نصف ساعة عادوا ليكرروا محاولة الوصول، وكان برفقتهم هذه المرة ممثل الصليب الأحمر الدولي والسيدان عارف العارف وعيسى البندك رئيس بلدية بيت لحم.

ثم عقد اتفاق كتابي بين قائد الجيش والهاغاناه من جهة، وبين كامل عريقات نائب القائد العام الذي كان يقود المجاهدين يساعده عبد الحليم الشلف ورفيق عويس وجاد الله الخطيب^(١)، وخشى اليهود أن يقتلهم المجاهدون فأعلنوا أنهم يعتبرون أنفسهم أمانة في عنق الحاج أمين^(٢)، فوعد القائد العربي المحافظة على حياتهم إكراماً لعيون الحاج أمين، وأخذ أفراد اليهود يخرجون من المنزل المهجور، ويتقدمون نحو المجاهدين الذين كانوا يفتشونهم ويجردونهم من أسلحتهم وذخائرهم، ثم يتسلمهم رجال الجيش البريطاني، بينما تولى الصليب الأحمر الدولي نقل جثث القتلى والمصابين إلى سيارات الإسعاف.

(١) مجاهد من ابوديس - أمين ابو الشعر عمان ١٩٧٥

(٢) حياة البطل - مخطوط - نخبة من خالصاته .

وقد بلغ عدد القتلى اليهود في هذه المعركة الهائلة (١٢٩) قتيلًا و (٩٥) جريحًا وبلغ عدد الذين سلموا أنفسهم (١٥٩) يهوديًا.

كما استشهد في هذه المعركة (١٢) مجاهدًا وجرح ثلاثة آخرون، كما تسلم العرب أسلحة اليهود، بعضها أعطب عن قصد قبل التسليم، والبعض الآخر كان في حالة صالحة للاستعمال وكانت غنائم العرب ٣ مصفحات و ٨ ناقلات كبيرة (باصات) و ٣٠ سيارة للشحن و ٣٠ بندقية من طراز برن و ٤٠ من طراز ستن و ١٠٠ بندقية عادية وعددا من القنابل والمسدسات وطنا ونصف الطن من ملح البارود والمتفجرات ومقادير كبيرة من الاعتدة والذخائر^(١).

(١) النكبة - عارف العارف

معركة الشيخ جراح (معركة العلماء).

أفادت أجهزة الرصد التابعة لقيادة الجهاد المقدس بأن هناك قافلة يهودية ستعبر طريق الشيخ جراح إلى هداسا والجامعة العبرية، الواقعة على جبل الطور شرقي القدس، ومعها المؤن والذخائر، كما تحمل سياراتها عشرات الطلبة والعلماء من مهندسين وأطباء، الذين يقومون بالتدريس في الجامعة العبرية، فصمم عبد القادر على نصب كمين لهذه القافلة، على الجسر الفاصل بين المشارف والشيخ جراح، وأصدر أوامره إلى عدد كبير من أفراد الجهاد المقدس ومنهم: (محمود سعد الدين الحسيني وعلي الموسوس وحسين عسلان ومحبي الدين صيام (من فرقة التدمير) ومحمود جميل الحسيني وعادل شرف وبهجت أبو غربية والزماميري والحاج احمد شاهين والشلودي ومصطفى صيام ومحبي الدين قطينة وفخري ابو السعود وسرنده وعلي الكسواني وغيرهم) إلى التصدي لهذه القافلة وذلك في بداية سنة ١٩٤٨ م.

كمن هؤلاء على التلال المشرفة على ملعب الشيخ جراح (جبل مونت سكوبس)، وما أن اقتربت سيارات القافلة حتى انهال عليها المجاهدون بالقنابل اليدوية والرصاص، بعد أن قطعوا جميع الطرق المؤدية الى ميدان المعركة خوفا من وصول النجديات، وكانت حصيلة هذه المعركة قتل (٨٤) يهوديا من بينهم (٣٦) عالما، كما جرح العشرات ولذلك سميت المعركة (بمعركة العلماء). كما غنم المجاهدون مغانم كثيرة كما استشهد فيها الشهيدان (مصطفى صيام وسرنده) كما جرح فيها الحاج أحمد شاهين.

وهناك الكثير من المعارك الجانبية التي خاضها رجال الجهاد المقدس وكان النصر والغلبة لهم رغم قلة السلاح والعتاد والمال، ولذلك اعترف الكتاب الاجانب بقدره رجال الجهاد حيث كتب «كريستوفر سايكس» في كتابه (مفترق الطرق الى اسرائيل) يقول: -

(بدأ العرب في نهاية شهر فبراير في وضع عسكري افضل من وضع اليهود، وكان العرب يهاجمون المستعمرتين الواقعتين الى الشمال والجنوب من مدينة القدس، وبالرغم من أن العرب لم يحتلوا أحدهما، إلا أن الهجوم الذي قام به عبد القادر على المستعمرة الجنوبية المسماة (كفار عتسيون)، أدى الى إبادة جميع القوى الضاربة (الدفاع) التي ارسلت لنجدها، ويقول (كمشي) إن هذه الكارثة قد أثرت تأثيرا نفسيا سيئا على يهود فلسطين)^(١).

(١) كريستوفر سايكس - مفترق الطرق الى اسرائيل تعريب خيرى حماد .

الفصل الثالث

عدر اليهود ونذالتهم والرد عليهم

دأب اليهود منذ قيام الثورة على الالتجاء إلى الاعمال الدنيئة والجبن والغدر والخيانة ، في الوقت الذي كانوا يتهربون فيه من ملاقاتة المجاهدين ومقاتلتهم وجها لوجه ، وكانوا يلجأون إلى ضرب المدنيين الأمنين والشيوخ والنساء والأطفال ، فعمدوا إلى إلقاء القنابل المتفجرة والالغام القوية من سيارات تمر بسرعة في الأوساط المكتظة بالسكان الأبرياء ، وفي الشوارع العامة والمراكز التجارية ، كما فعلوا في سوق البازار في القدس ، وسوق الخضار في يافا وفي بعض اسواق حيفا والرملة ، بقصد ترويعهم وإجبارهم على ترك مدنهم ، حيث كانوا يتسللون الى الأحياء العربية ليلا ، أو بحماية الانجليز ، فينسفون بيوت العرب وأسواقهم ملحقين أفدح الاضرار بالنفوس والأموال ، ففي ١٩٤٨/١/٤ نسف اليهود بناية دائرة الشؤون الاجتماعية في يافا (سرايا يافا) ، ودمروها على من فيها من الموظفين وأصحاب المصالح ، وذهب ضحيتها عدد من السكان الأمنين من العرب . وفي ١٩٤٨/١/٥ نسفوا فندق سميراميس في حي القطمون ودمروه على من فيه من النزلاء ، العرب ، واستشهد فيه (١٨) رجلا وامرأة وطفلا ، وزاد عدد الجرحى عن «٢٠» شخصا (وكان من جملة اغراض اليهود من هذه العملية اغتيال عبد القادر ، الذي كان موجودا بالفندق مع عدد من رجال الجهاد المقدس ، إلا أن عبد القادر كان قد غادر المكان قبل لحظات من حادث النسف)^(١) .

وقد ساعدهم استخداء الانجليز أمام إرهابهم ، إلى القيام بأعمال نسف كبيرة ضد مراكز الحكومة في فلسطين فنسفوا مكاتب السكرتارية العامة لحكومة فلسطين في بناية فندق الملك داود في القدس (الكنج ديفيد) على يد الارهابي بيجن، كما انهم القوا القنابل اليدوية على باب العمود مرتين، كما القوا ايضا القنابل في اسواق حيفا ويافا والرملة كما هاجموا بعض القرى العربية ونسفوا بيوتها وحرقوا مزرعاتها.

استاء العرب من هذه الأعمال الهمجية الدنيئة وتهيج شعورهم ضدها ، وذهبت وفود الأهلين الى القائد عبد القادر يطلبون منه معاملة اليهود بالمثل ، وكان العرب يعرفون خبرة عبد القادر بصنع الالغام والمتفجرات وتعبئة القنابل .

(١) المذكرة الفلسطينية/ يوسف الخطيب ١٩٧٦

قابل عبد القادر الوفود وأقنعها بأن مثل هذه الأعمال ليست من شيمة العرب ، وأن عليهم أن يتحملوها ، وأن ينتظروا أفضع منها وأجسم ، وأن يقابلوها بصبر وشجاعة إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا .

ودعا القائد مراسلي الصحف الأجنبية وأدلى اليهم بتصريح قال فيه :-

(إنه يمكنني أن أرد على أعمال اليهود ، بأعمال أشد منها وأفضع ، ولكن هذا ليس من المروءة والشرف ، فميدان القتال هو ميداننا ، وليس ميدان الخديعة والجبن والمكر ، وإني أنصح اليهود أن يكفوا عن هذه الأعمال التي أودت بحياة العشرات من الأبرياء من نساء وشيوخ وأطفال ، وإني أنذرهم باضطراري لمقابلتهم بالمثل إذا استمروا في اقرار تلك الجرائم ، وإذا اضطرت بالقيام ، فإنهم سوف يندمون ، وأنا على يقين أن العرب سيكسرون شوكة اليهود إذا لم يقلعوا عن عبثهم ، الذي يبتعد كل البعد عن أعمال الحرب التقليدية)^(١) .

وكثيرا ما كان القائد عبد القادر ينذرهم ويتوعدهم ، وينصحهم بعدم تكرار مثل هذه الأعمال الاجرامية ، عن طريق الإذاعة المحلية السرية التابعة لقيادة الجهاد المقدس ، ولكن المجرمين لم يأبهوا ولم يرتدعوا ، بل استمروا في تنفيذ أعمالهم البشعة الغادرة ، فاضطر عبد القادر الى مقابلة أعمالهم بالمثل فشن هجوما عنيفا على مستعمرة (ميغور حاييم) في ضواحي القدس ونسف عدة بيوت فيها ، ولكنهم لم يرتدعوا .

ولهذا نشطت فرقة التدمير العربية بقيادة (فوزي نامق القطب) للرد على حصيلة الاجرام اليهودي التي بلغت :-

- ١ - من ١٣/١٢/١٩٤٧ - ١٠/٢/١٩٤٨ ، القيت سلسلة من القنابل والبراميل المدمرة على مقاه وأسواق وشوارع عامة عربية ، أسفرت عن استشهاد (١٠٥) أشخاص وجرح (٢٩٢) عربيا .
- ٢ - من ١١/٢/١٩٤٨ - ٣١/٣/١٩٤٨م هوجمت شاحنات ركاب عربية ، ونسفت قطارات ركاب أسفرت عن (١٠٩) شهداء و(١٩٥) جريحا .
- ٣ - من ٤/٤/١٩٤٨ - ١٩/٤/١٩٤٨ نسفت بيوت وفنادق أسفرت عن (١٦٧) شهيدا و (٩٧) جريحا ، كما تعرضت عشر قرى عربية لهجمات شرسة ومجازر
- ٤ - ١٢/٤/٤٨ - ٢٠/٤/٤٨ وبلغت ضحاياها (٤٨٩) شهيدا و(١٩٦) جريحا^(٢) .

(١) حياة عبد القادر/ مخطوط نخبة من خالصاته
(٢) منير شفيق - شؤون فلسطينية ايار ١٩٧٢م

عمليات النسف المذهلة

صمم عبد القادر على أن يردّ الصاع صاعين ، بعد أن ازداد تمرد اليهود واستمرارهم في تنفيذ أعمالهم الاجرامية البشعة حيث أدلى بتصريح إلى جريدة النداء المصرية قال فيه :-

(إن عرب فلسطين يخوضون معركة حياة أو موت فيما أن نخرج من القتال فائزين وإما أن نموت جميعا في الميدان ، ففلسطين لا يمكن أن تتسع للعرب والصهيونيين في آن واحد ، فيما نحن وإما هم) . وأضاف يقول :-

(ولقد وضعنا أرواحنا على أكفنا ، فمن يشاء يلحق بنا ممن يرغبون في الجهاد لإنقاذ عروبة فلسطين بل عروبة العالم العربي بأسره ، لأن إقامة دولة صهيونية في فلسطين معناها القضاء القريب على استقلال البلدان العربية المجاورة كلها بل وغير المجاورة أيضا)^(١)

ولما رأى القائد العربي تمادي اليهود في اعمالهم قرر تنفيذ خطة لتدمير الأهداف التالية :

- ١ - جريدة البالستين بوست وبنية الهاغنة المجاورة لها .
 - ٢ - تدمير شارع بن يهوذا وفندق الأتلانتيك ومقر قيادة أرفاي لثومي .
 - ٣ - تدمير حي المنتفيوري .
 - ٤ - تدمير بنية الوكالة اليهودية .
- كما وضع خطة لنسف مركز حزبون في يافا وبنية هاسوليل - بونيه في حيفا وغيرها .

١ - نسف دار الصحافة اليهودية في شارع هاسوليل

اتجه عبد القادر هذه المرة إلى الفكر الصهيوني ، الذي يخطط وينفذ ، لينزل فيه أقى الضربات وأعنفها ، ففي يوم ١٩٤٨/٢/١ أعلن القائد أنه مريض ، فاعتكف في غرفته الخاصة في عين سينيا ، ومنع مقابلة أي شخص كان ، وراح يركب لغما كبيرا زنته (طن ونصف الطن) ، في سيارة نقل كبيرة يساعده المجاهد (فوزي القطب) وبعد تركيب اللغم ، وضع معه مركبا خاصا ، لا يعرف سر تركيبه^(٢) ونسب المواد الداخلة فيه ، مما يزيد قوة الانفجار إلى عشرة أضعاف ، وبعد أن أتم تحصين اللغم ، دعا المجاهد (عبد النور خليل جنحو) من أهالي مدينة القدس وعمره (٢٣) عاما ، وأم فرقة المغاوير ، وهو معروف بجرأته

(١) جريدة النداء المصرية ١٩٤٨/١/٦

(٢) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر

وإقدامه وإتقانه للانجليزية اتقاننا تاما ، وألبسه بذلة عسكرية انجليزية برتبة كابتن ، وسلمه سيارة خصوصية صغيرة ، وأمر متطوعا آخر من الأجانب الذين يعملون في فرقة المغاوير ، أن يسوق السيارة الملقومة ، ويسير خلف سيارة المجاهد عبد النور جنحو ، ثم رسم لهما الخطة وحدد لهما مكان وزمان تفجير اللغم . وفي ليلة ١١/٢/١٩٤٨م تسللت السيارة الخاصة التي يقودها « أبو خليل » وتبعتها سيارة الشحن التي يقودها المتطوع رقم (١) مارة بمرام الله وشعفاط فمدينة القدس ، مخترقة الشوارع العربية حتى وصلت بالقرب من الشارع الذي يوصل الأحياء اليهودية بمكاتب مباحث الجنايات الانجليزية ، ثم عرجت عن تلك المكاتب في طريقها إلى الأحياء اليهودية ، وعند مدخل الحي ، اعترض الحرس سيارة أبي خليل عند المستشفى الايطالي ، فكلمه المجاهد عبد النور برطانة انجليزية وبقوة جرأة وجأش ، قائلاً له : ألا تعرفني .. إنني مدير المباحث الجنائية ، وأريد إيصال هذه القاذورات التي خلفي في سيارة الشحن إلى مركز المستشفى « فما كاد الحارس اليهودي يسمع الصوت ويرى الزي والنجوم تلمع على كتفه ، حتى فتح الباب قائلاً بصوت متلعثم ، وقد أخذته هيبة المتكلم : « تفضل يا سيدي بكل سرور » . وهكذا مرت السيارتان في طريقهما إلى عمارة البالستين بوست في شارع هاسوليل ، والتي تضم مكاتب الصحافة اليهودية ومكاتب شركة صحافة القدس ومكاتب جريدتي (علمشمار وهامشكيف اليومييتين) ومكتب وكالة يونيتد برس ومكتب وكالة الانباء اليهودية وبعض مؤسسات المرابين ورجال الأعمال اليهود ، بالإضافة الى مكاتب جريدة بالستين بوست الناطقة باسم الوكالة اليهودية في فلسطين .

كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة ليلا ، عندما أوقف المتطوع السيارة الملقومة في المكان المحدد ، بينما وقفت السيارة الصغيرة على بعد خمسين مترا منها ، ثم قفز المجاهد (ابو خليل) بعد أن ترك محرك سيارته يشتغل ، وقفز المتطوع إلى السيارة الصغيرة ، وراح أبو خليل يشعل الفتيل ويعود بسرعة فائقة إلى سيارته التي انطلقت بسرعة جنونية في نفس الطريق التي قدمت منها ، فلما رآه الحارس حتى فتح له الباب ، وبعد دقيقتين انفجر اللغم فتطايرت عمارة الفكر الصهيوني وجميع العمارات المجاورة لها ، بينما راحت أسنة النيران تلتهمها ، كما امتدت الى معامل الورق المجاورة فأحالت الليل نهارا .

استيقظ جميع سكان المدينة مفجوعين على صوت الانفجار ، وقد هال هذا الانفجار القيادة الصهيونية والشعب اليهودي ، فراحوا يقولون إن خبراء إنجليز هم الذين وضعوا اللغم وتارة يتهمون الألمان .

كانت سيارة الشحن التي استعملت في هذه العملية من السيارات التي تخص منظمة شتيرن اليهودية والتي تمكن المجاهدون من الاستيلاء عليها في إحدى المعارك ، وقد اتهم بعضهم منظمة شتيرن ونسبوا إليها عملية النسف ، أما الشعب اليهودي فقد هالته الضربة وكثرة الضحايا والخسائر المادية ، فأخذوا يكيلون اللعنات والشتائم على قيادة الهاغاناه ،

وصدرت صحفهم مجلة بالسواد ، ولم يسارع عبد القادر إلى اصدار بلاغ رسمي من محطة إذاعة صوت الجهاد المقدس بالحدث ، حتى يعرف مدى ارتباك القيادة اليهودية ، وكان يأمل في أن يوقع هذا الحادث بين اليهود والانجليز ، ولكنه اخيرا أصدر بلاغا قال فيه^(١) :

« إن هذا عمل تأديبي لليهود ورد على أعمالهم السابقة ، وإنه لم يقصد إيقاع الاذى بالسكان المدنيين ، ولذلك اختار ساعة متأخرة من الليل لتنفيذ الانفجار ، لعدم اكتظاظ المنطقة بالناس ، ولأنه يريد أن يتجنب - ما أمكنه ذلك - من قتل النساء والشيوخ والاطفال » .

اما القيادة اليهودية فإنها حاولت رفع معنويات شعبها ، فقامت بهجوم على القطمون ونسفت عمارة شاهين العربية وهي من أكبر العمارات في ذلك الحي ، ولكنها كانت خالية من السكان

٢ - نسف شارع بن يهودا

يعتبر شارع بن يهودا (محن يهودا) من أكبر الشوارع وأجملها في مدينة القدس اليهودية ، وهو قلب المدينة التجاري ، وفيه تسكن الطبقة الراقية من يهود القدس ، ويقع في منطقة منيعة يعتبرها اليهود إحدى قلاعهم الحصينة ، ويقع فيه (فندق الاطلنطي) الذي ينزل فيه كبار الضيوف والشخصيات اليهودية البارزة ، كما تقع بناية رئاسة قيادة الأرغون زفاي لئومي فيه ، وتتضح أهميته من التسمية التي يحملها ، وبعد تفكير طويل ، صمم القائد على نسف هذا الشارع بأكمله في أسرع وقت ممكن ، ولتنفيذ خطته قرر وجوب الحصول على إحدى المصفحات الانجليزية ، وبعض سيارات النقل ومقدار كبير من المتفجرات .

كان السيد (محمد الكاظمي) أحد الموظفين العرب صديقا لبعض أفراد الانجليز ، فأرسل عبد القادر في طلبه إلى بيرزيت ليستفسر منه عن إمكانية الحصول على مصفحة انجليزية ولو باغلى الأثمان ، مع محاولة إغراء سائقها بالمال .

وافق السيد محمد الكاظمي على أن يجمع القائد بسائق إحدى المصفحات ويدعى (المستروايت) ويعمل في يافا وتل ابيب ، فانتدب القائد أمين سره قاسم الريماوي ، للاجتماع بهما ، وبعد مناقشات مطولة وافق المستروايت على ذلك شريطة أن يوافق أفراد دوريته الأربعة الذين يرافقونه .

ولما اتصل المستروايت بجماعته ، وافق الجنود الخمسة على الهرب بالمصفحة ، شريطة أن تدفع لهم القيادة مبلغ ١٠٠٠ جنيه ، مع قبول انضمامهم الى قوات الجهاد المقدس .

وافق عبد القادر على ذلك بعد أن قدموا المصفحة ورشاشا من طراز برن واربع بنادق واربعة مسدسات (كانت البندقية تساوي (٦٠) جنيها والرشاش يساوي (٢٥٠) جنيها) .

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

وصلت المصفحة الى بيرزيت بعد منتصف ليلة ١٥/٢/١٩٤٨ وقام المجاهدون بأخفائها في كراج القيادة بينما نقل الجنود الخمسة الى احد الفنادق في رام الله .

كان عبد القادر في عين سينيا ، حيث ذهب اليه قاسم الريماوي ليلبغه بنجاح العملية ، وليتسلم منه المبلغ المشترط ، فسر عبد القادر ، ولكنه أسف لأنه لم يكن يحمل قرشا واحدا . (وأخذنا نطرق أبواب الأصدقاء في بيرزيت حتى استطعنا أن نجمع المبلغ ودفعناه للمذكورين)^(١).

لم يكن عند عبد القادر ما يكفيه من المتفجرات والألغام ، فأمر أمين سره بالتوجه الى سوريا لاجتراء كمية من المتفجرات تخص الجهاد المقدس من عند اللجنة العسكرية ، فذهب قاسم الريماوي واستلم ثلاثة أطنان من المتفجرات وبعض الكيسول والعتاد ، وبعد جهد وصعوبة شديدين استطاع قاسم الريماوي أن يوصل الشحنة سالمة إلى بيرزيت .

كان رجال الجهاد المقدس قد استولوا على عدد من السيارات التابعة للنقل الانجليزي حيث وضعوها في بيرزيت ، وبعد وصول شحنة المتفجرات أخذ عبد القادر ثلاث سيارات منها الى عين سينيا ، وأعلن كعادته أنه مريض ، واعتكف في مختبره يعد اللغم المشهور ، والذي يعتبر أكبر لغم على الاطلاق عرفته حرب فلسطين ، فقد ملأ سيارات النقل الثلاث بالمتفجرات (٢) أطنان وزودها بمركبات استحضرها بنفسه وحدد لها مواقيت متفاوتة ، لتنفجر الواحدة تلو الاخرى ، ومادة بعد مادة ، ثم عين المكان الذي يجب أن تقف فيه كل سيارة ، ليضمن تدمير الشارع بأكمله وجميع الشوارع المجاورة .

وبعد تجهيز السيارات والألغام نقلها إلى كراج قيادة الجهاد في بيرزيت ، حيث تم إخفاؤها ، وهناك رسم خطة التنفيذ ، وعين الأشخاص الذين يجب أن يتولوا قيادة السيارات وحراسها ، وفي تلك اللحظة استدعي عبد القادر إلى القاهرة وغادر فلسطين .

وفي ليلة ١٦/٢/١٩٤٨م اتصل القائد بأمين سره قاسم الريماوي في رام الله ، وأمره بتنفيذ الخطة المرسومة ، وفي الحال اتصل المجاهد قاسم الريماوي بنائب القائد العام كامل عريقات واتفقا على تجهيز الرجال المسلحين ، وفي تمام الساعة الرابعة من صباح ١٧/٢/١٩٤٨م ، كانت المصفحة التي يسوقها المجاهد (عزمي الجاعوني) ومن خلفها السيارات الثلاث المملوغة ، وعدد من السيارات التي تقل عددا من المسلحين الذين يحمل بعضهم بطاقات عسكرية مزورة ، في طريقها الى رام الله ، ثم انحدرت إلى طريق رام الله - يافا ، حتى بلغت اللطرون ، تلتقي طريق رام الله - يافا بطريق يافا في القدس ، ومن هناك اتجهت السيارات نحو مدينة القدس وكأنها قادمة من يافا ، مارة بباب الواد (على بعد (٣٥) كم غربي القدس) بعد أن تولى قاسم الريماوي حامية من المجاهدين عند اللطرون ، لمواجهة

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

أي هجوم قد تتعرض له القافلة ، كما وضعت حامية أخرى بقيادة كامل عريقات الذي كان يشرف على حراسة القافلة ، في مركز بوليس قرية العنب (كريات عنافيم) غربي القدس .

ولما وصلت القافلة مدخل المنطقة اليهودية واعتقد الحرس أنها قافلة انجليزية (كان يقود سيارات الشحن الثلاث متطوعون أجانب من فرقة المغاوير) ، قادمة من تل ابيب الى القدس ، وقد تأكد عندما رأى وسمع أن الاشخاص الموجودين يتكلمون الانجليزية بطلاقة ، ويلبسون ألبسة الجيش الانجليزي ، فلم يعترض سبيلهم ، وهكذا اجتازت القافلة طريقها إلى شارع بن يهودا ، حيث وقفت السيارات في المكان المخصص لها حسب الخطة المرسومة ، (بين الواحدة والاخرى ٥٠ مترا) .

وفي الحال قفز كل سائق وأشعل الفتيل وركض مسرعا نحو المصفحة ، التي عادت من حيث أتت بسرعة فائقة ، وقبل مغادرتها المنطقة حاول بعض الحراس اليهود إطلاق النار عليها ، إلا أن حرس المصفحة كانوا أسرع فأردوه قتيلا .

وما كادت المصفحة تبتعد مئات الأمتار ، حتى دوى الانفجار (الذي سمع عن بعد ٣٠ كم) الذي كاد أن يقلب المصفحة من شدته . لكنها راحت تنهب الأرض نهبا ، ومن حولها سيارات الحماية حتى وصلت القافلة سالمة إلى بيرزيت .

كان القائد البطل قد وقّت الانفجارات ، فكانت السيارة الأولى الامامية موقوتة لمدة خمس دقائق والثانية لثلاث دقائق والثالثة لمدة دقيقتين ، فانفجرت الواحدة تلو الاخرى ، ودمرت الشارع بأكمله على رؤوس من فيه ، واهتزت المدينة بأكملها ، وتهافت على الارض تسع عمارات وفندق الاطلانطي (الاتلانك) ، وعدة منازل ودار للسينما وعدة حوانيت ومكاتب .

وبلغت خسائر اليهود في هذه العملية حوالي ٢ مليون جنيه ، أما بالنسبة للخسائر في الارواح فقد ورد ذلك في احصائيات ثلاث :-

- ١ - البيان الحكومي : فقد ذكر أن عدد القتلى ٤٩ شخصا وبلغ عدد الجرحى ١٣٢ جريحا .
- ٢ - أذاع اليهود أرقام الضحايا ، وقد بلغوا ٧٤ قتيلا و ٢٠٠ جريح .
- ٣ - بينما قال العرب : إن العدد يزيد عن ٢٠٠ قتيل وأكثر من ألف جريح (١) .

وبعد الانفجار المرّوع راحت بعض الإذاعات تذيع تصريحات كاذبة للقائد عبد القادر الذي كان يوم انفجار شارع بن يهودا في القاهرة فكتبت جريدة المصري تحت عنوان :

(نفي تصريح للسيد عبد القادر الحسيني)

(١) كتاب سيرة بطل - الاغا - مرجع سابق

ادلى الينا ناطق باسم الهيئة العربية العليا بالتصريح التالي :

نشرت بعض الصحف وأذاعت بعض محطات الاذاعة تصريحات معزوة إلى السيد عبد القادر الحسيني قائد المجاهدين في منطقة القدس حول حادث الانفجار ، الذي وقع في شارع بن يهودا، زاعمة أنه أدلى بها إلى بعض المراسلين بالقدس ، ولما كان القائد المذكور موجودا خارج فلسطين منذ بضعة أيام ، فمن الطبيعي أن لا يكون قد أدلى إلى أي مراسل في القدس بمثل هذه التصريحات المزعومة^(١) .

وعلى الأثر كتبت جريدة الاهرام حول نسف شارع بن يهودا قائلة :-

(قال مراسل الاهرام : اتصلت إثر وقوع الانفجار في شارع بن يهودا بالقدس تلفونيا بالقيادة العربية لفلسطين، فادلى الى السيد عبد القادر الحسيني قائد القوات المجاهدة في منطقة القدس بالتصريح التالي :-

(كنا قد حذرنا اليهود وأندرنا مجرميهم مرات عديدة ، بألا يعودوا إلى تكرار أعمال الغدر والاعتداء على العزل الأمنين من العرب ، ولكنهم لم يسمعوا النصح ولم يراعوا، فاضطررنا أن نقابل الاعتداء باعتداء أفظع منه ، وليس حادث نسف شارع بن يهودا في القدس ، إلا صدى مدويا لاجرام اليهود في الرملة يوم الاربعاء الماضي ، إذ وضعوا قبلة في سوقها العربية ، ويؤسفنا أن يضطرونا الصهيونيون إلى مثل هذه الأعمال التي لا تقبلها الشهامة العربية ، إلا إذا كانت من قبيل التأديب والدفاع ، وقد قال الله تعالى : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) صدق الله العظيم^(٢) .

وكتبت جريدة الزمان تحت عنوان (العرب هم الذين نسفوا الحي اليهودي) تقول :-

أعلن راديو العرب أمس تحملهم لمسؤولية الانفجار ، الذي وقع يوم الاحد الماضي بشارع بن يهودا ، وهددوا بالأخذ بثأرهم من الصهيونيين الذين ثارت ثائرتهم ، واشتبكوا مع العرب في قتال عنيف ، أصيب فيه كثير من البريطانيين . وتقول مصادر عربية أن الصهيونيين الذين كانوا يعسكرون قرب مستشفى هداسا ، بالقرب من الجامعة العبرية ، أطلقوا مدافع الهاون على بيت المفتي ، الذي يقع على بعد ١٠٠٠ ياردة من هناك ، وكان هذا المنزل قد تخربت بعض أجزائه من انفجار وقع حديثا .

وضح السيد عبد القادر في بيان صحفي بان العرب سيثأرون بغيرهواودة من اي عمل عدواني صهيوني ، وقد رد الصهيونيون على هذا في إذاعة لهم باللغة العربية « بأن الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين قد أبرق الى السيد عبد القادر من القاهرة يطلب اليه أن يتخذ من الأنباء القائلة بأن العرب هم الذين القوا القنابل وسيلة للدعاية لنفسه ولأتباعه .

(١) جريدة المصري ١٩٤٨/٢/٢٥

(٢) جريدة الاهرام ١٩٤٨/٢/٢٣

وتابعت جريدة الزمان قولها :-

جاء في رسالة تلقفتها جريدة (نيويورك تايمز) من مراسلها في القدس عن شارع بن يهودا ، أن قليلا من الشك يحمل البعض على الاعتقاد ، بأن بعض البريطانيين قد اشتركوا في ذلك الحادث وليس هناك أي دليل على ذلك ، على أن القوات البريطانية قد اشتركت فيه ، ويقول المراسل أنه استقى من بعض المصادر العربية ، أن السيد عبد القادر سيدي ببيان للصحف العربية اليوم ، يذكر فيه أن الرجال الذين تحت إمرته ومن بينهم متطوعون بولنديون وبريطانيون ، قد قاموا بالهجوم الذي أدى إلى ذلك الحادث المروع ، وقد خصصت النيويورك تايمز عناوينها الرئيسية للهجوم على البريطانيين ، إذ جاء في عنوان فرعي : « يقول العرب إن المتطوعين البريطانيين هم الذين تسببوا في هذا الحادث » ، ثم غيرت الصحيفة هذا العنوان الفرعي في طبعة أخرى فقالت : « ويقول العرب إن المتطوعين البريطانيين والبولنديين قد اشتركوا في عملية النسف » .

كما نشرت جريدة نيويورك هيرالد تريبيون رسالة من القدس لم تذكر فيها البريطانيين ، ضمن المشتركين في الحادث ، ثم قالت إن الصحف العربية قد ذكرت ان السيد عبد القادر الحسيني صرح بأن وحدة من المقاتلين العرب هي التي تولت عملية النسف في شارع بن يهودا^(١) .

أما جريدة الأساس فقد كتبت حول عملية النسف فقالت :-

اتهمت اللجنة الثلاثية التي شكلتها الوكالة اليهودية للتحقيق في حادث نسف شارع بن يهودا ، في الثاني والعشرين من فبراير الماضي ، البريطانيين بتدبير الحادث ، الذي تسبب في إصابة مائة شخص وقتل خمسين ، وقد جاء في التقرير الذي وضعته اللجنة ، أنه ثبت أن السيارة المصفحة التي استعملت في جر اللوريات الثلاثة ، التي كانت معبأة بالمواد المتفجرة في شارع بن يهودا ، كانت من سيارات البوليس ، وأن الشخص الذي رئي فيها كان بريطانيا ، وأضاف التقرير إلى ذلك أنه لم يثبت أنه كان بالسيارة أي عربي^(٢) .

أما جريدة المصري فقد كتبت :-

لقد تحدث القائد عبد القادر الحسيني عن نسف المباني في فلسطين فقال :-

« إن العرب لم يقدموا على مثل هذه الأعمال إلا ردا على عدوان اليهود ، مع مراعاة إحداه أقل عدد ممكن من الإصابات بين النساء والأطفال المدنيين على وجه العموم ، ولكن أعداءنا اليهود يواصلون عدوانهم وأعمالهم الخسيسة ، ونحن نضطر ازاء ذلك الى أن نلقي عليهم دروسا قاسية ، وإذا ما أصروا على اتباع أعمالهم العدوانية الخالية من الشجاعة ،

(١) جريدة الزمان ٢٤/٢/١٩٤٨

(٢) جريدة الأساس ١٨/٢/١٩٤٨م

فسنريهم أننا قادرون على نسف مبانيهم إذا شئنا ، وأذكر هنا حادثة نسف جريدة بالبستين بوست ، فقد أمرت بأن يراعي العرب عدم إصابة أحد لا تدعو الضرورة لإصابته . وقد قمت بدراسة هذه المنطقة بنفسي ، وأمرت بالأبداً يبدأوا عملهم إلا عند التأكد من خلو المبنى من الأشخاص . ولما سئل السيد عبد القادر الحسيني عن الحركة المقبلة التي يضطلع بها ، أبى أن يصرح بأكثر من ذلك^(١) .

أما جريدة الشرق فقد كتبت :

كتب أحد المرسلين الذين أجروا مقابلة صحفية مع القائد العام يقول :

لقد انتقل العرب من طور الدفاع إلى طور الهجوم ، والعرب اليوم سواء أكانوا في القدس أو يافا أو بقية القرى العربية هم الذين يبادئون بالهجوم ، وذلك بالرغم من قلة أسلحتهم بالنسبة لاستعدادات الصهيونيين ، ولكننا نحن أقوى منهم بكثير .

ثم أخذ يعدد لي أمثلة عن آخر ما تلقاه من تقارير عن المعارك وعن تفوق العرب في هجوماتهم ، وخلص إلى القول : لقد كان من نتيجة هذه المعارك أن قامت قيامة الصحف الصهيونية ، تحمل على الهاغاناه ، وتصف هجماتها بأنها غير موفقة ، وتنعت دفاعها بالضعف ، وهذا ما يدل بوضوح على قوة دفاعنا وضراوة هجومنا ، وإن كنا في الواقع لم نبدأ حتى الآن بالهجوم الحقيقي .

سأحدثك عن ناحية هامة ، لا نرى فرقاً بين أعمالنا وأعمال الصهيونيين ، إننا نحن العرب إن نضرب لا نوجه ضرباتنا إلا للقوى المحاربة اليهودية ، ولا نعتدي مطلقاً على الأهلين ، بينما نرى ان اعتداءات الصهيونيين لا تستهدف إلا الأطفال والنساء والشيوخ ، ولا يخفى أن خسائرتهم نتيجة أعمالنا تكون في قواهم الحربية ، في حين ان خسائرتنا ، لا تمس قوانا المحاربة ، بل تزيد رجالنا قوة وحماسة ، وهو خير دعاية لنا ضد اليهود في الخارج .

ثم أوضح القائد الحسيني كيف أن رجاله حين قاموا بنسف بناء جريدة بالبستين بوست ، راعوا عدم وجود عمالها ، واختاروا موعد خروج العمال لتناول العشاء في مكان آخر وبلهجة الرجل الممتلىء حماسة وأملاً قال :

إننا لا نزال في حاجة إلى أسلحة ، غير أن ذلك سيؤمّن في مدة قريبة ، وسيبرى الأعداء حينئذ أي منقلب ينقلبون .

ولما قلت له : إن اليهود حددوا يوم أول نيسان للهجوم العربي قال بسخرية :

« نحن نتركهم يقدرون الوقت (على كيفهم) ولكن على كل حال ، سيعرفون موعد هجومنا عندما يتلقون الضربة القاصمة »^(٢) .

(١) جريدة المصري ١٨/٢/١٩٤٨

(٢) جريدة الشرق ٢٢/٢/١٩٤٨

٢ - نسف حيّ المنتفيوري ١٤/٣/١٩٤٨ م

حيّ المنتفيوري من أقدم الأحياء اليهودية في القدس، وهو عبارة عن بيوت كثيرة متلاصقة ومتداخلة كأنها بيت واحد، ويحيط بهذا الحيّ سور به عدة أبواب تعتبر منافذ للحيّ.

يقع هذا الحيّ على سفح الجبل الذي يقابل جبل صهيون ومقام النبي داود، وهو بطبيعة موقعه يسيطر على طريق القدس - بيت لحم - الخليل، وهو الطريق الوحيد الذي يربط القدس بالقسم الجنوبي، وقد بني هذا الحيّ على شكل حصن لحمايته من الهجمات العربية، وحوله توجد الاستحكامات المنيعة والحصون القوية، فاتخذه اليهود مركزا يهدد المواصلات العربية، وتصيد المارة من العرب على يد القناصة اليهود، ولكن حماة حيّ النبي داود الذي يواجه هذه القلعة، كانوا يردون على نيرانهم بالمثل.

وكثيرا ما تعرض هذا الحيّ إلى هجمات مركزة قوية من العرب، ونظرا لخطورته فقد قرر القائد تدمير هذا الحيّ بأسره، فجهز لغما زنته (٣) طن، ووضع في سيارة شحن كبيرة، وطلب إلى ثلاثة من الفدائيين من فرقة المغاوير وهم (أحمد سرحان المغربي وناجي مصطفى وكاظم التونسي) تنفيذ خطة النسف، وكانت الخطة كالتالي :-

يقوم فصيل من حاملي الرشاشات بقيادة القائد بهجت ابو غربية، بإطلاق نيران شديدة على الحيّ من منطقة النبي داود، التي تواجه الحيّ من الجهة الشرقية، في تمام الساعة السابعة من مساء ١٤/٣/١٩٤٨، وكالمعتاد يردّ اليهود إطلاق النار بالمثل، ومع اشتداد صليات المجاهدين سيخفي اليهود رؤوسهم وأجسامهم، وفي تمام الساعة الثامنة تتقدم السيارة الملوغمة التي يسوقها المجاهد أحمد سرحان المغربي، وتتبعها سيارة صغيرة إلى الطريق الموصلة إلى قمة الجبل، الذي يقع الحيّ في سفحه من الجهة الغربية، فينزل السائق ومعاونه من السيارة ويشعل الفتيل (وكان اللغم قد وقّت لمدة ثلاث دقائق) ويترك محرك السيارة يشتغل فتسير في المنحدر، حتى تصطدم ببيوت الحيّ فتنفجر، وكان هذا اللغم كافيا لتدمير جميع البنايات على مساحة كيلومتر مربع.

وتمّت الخطة بنجاح تام، وقد بلغ من جرأة الفدائيين أنهم لم يتركوا السيارة تنحدر بنفسها على الحيّ بل ظلّوا فيها حتى دخلوا منتصف الحي، وتركوا السيارة بعد أن أشعلوا الفتيل، وعادوا مسرعين إلى السيارة الأخرى الصغيرة، التي كانت تنتظرهم لتعود بهم سالمين.

وبعد ثلاث دقائق دوى الانفجار الذي هدم ما يزيد عن (٥٠) عمارة (وأذكر أنني كنت جالسا إلى جانب القائد الباسل في بيت ابن عمته الدكتور محمد الحسيني، فإذا به ينظر الى ساعته وكانت تشير الى الثامنة، ثم يقول «افتحوا النوافذ وشبابيك البيت في الحال، لأن الانفجار

سيحدث بعد ثلاث دقائق» وما أن بلغت الساعة الثامنة وثلاث دقائق حتى دوى الانفجار وهز جميع أحياء المدينة، وبعد ست دقائق كان الأبطال الثلاثة يؤدون التحية للقائد العام وهو يصافحهم مهنتاً إياهم بالسلامة^(١).

وعلى الأثر كتبت جريدة الأساس تحت عنوان:

سلاح النصف لم يعد احتكاراً يهودياً

«صرح عبد القادر الحسيني قائد القوات العربية في منطقة القدس في اجتماع عقده في مكان ما بالقدس، وشهده فريق كبير من الصحفيين الأجانب بأن اليهود نسفوا مساء أمس مسجداً في قرية القسطل العربية على الطريق بين القدس ويافا.

وأشار القائد إلى الهجمات التي يشنّها اليهود على المنازل العربية، من الجامعة العبرية ومستشفى هداسا قائلاً: إنها أدت إلى مقتل كثير من النساء والأطفال، وإن اليهود يحاولون إثارة العرب ودفعهم إلى الأخذ بالتأر، حين يهاجمونهم من هاتين المؤسستين الإنسانيّتين. وسئل إذا كانت ملاحظته هذه تنطوي على تهديد بنسف الجامعة العبرية فنفي ذلك، ولكنه عقب بقوله: إنه إذا ظل اليهود يقومون بأعمالهم الإستفزازية من هذين المكانين، فسيضطر العرب إلى إتخاذ التدابير الكفيلة بوضع حدّ لها، وإن كانت القيادة العربية العليا لا ترغب في القيام بعمل كهذا».

وسئل أيضاً عما أذاعته الوكالة اليهودية من أن مائتي جندي بريطاني قد تطوعوا للقتال في صفوفه، وأنهم متجمعون الآن في مقر قيادته فأجاب بقوله: انه يدعوهم لزيارة مقر قيادته، ليستوثقوا من كذب هذا الزعم»، وأجاب عن سؤال بشأن نسف شارع بن يهودا بقوله: «إنه لا دخل للبريطانيين فيه، فقد قام به العرب وأنه يكره مثل هذه الأعمال، ولكن العرب مضطرون إليها، لدأب اليهود على إثارتهم واستفزازهم. وأضاف قوله: إن اليهود كانوا يظنون أنهم وحدهم القادرون على استعمال هذا السلاح، وقد استعملوه فعلاً عشرات المرات ضد البريطانيين والعرب، فاضطر العرب إلى استعماله هم أيضاً.

وأجاب عن سؤال آخر قائلاً: إن رجاله لن يحاربوا رجال البوليس والجيش البريطانيين، ما داموا يعتزمون ترك البلاد «ووعد جميع المراسلين الأجانب بتنفيذ الحماية الكافية لهم بعد إنهاء الانتداب^(٢).

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) جريدة الأساس ١٨/٣/١٩٤٨م

نصف مقر الوكالة اليهودية في الطالبية

لا شك ان هذه الوكالة هي الجهاز التنفيذي للحركة الصهيونية العالمية، وكانت بنايتها أشبه بقلعة مغلقة تضم أقيبتها وثائق نصف قرن من النشاط الصهيوني، وقد أحيطت هذه الوكالة بسور فولاذي ارتفاعه ثلاثة أمتار ويتولى حراسته عدد من جنود الهاغاناه، كما زرعت الشوارع المؤدية إليه بقضبان حديدية وبراميل مملوءة بالمتفجرات، لتحول دون وصول أية سيارة، إلا ضمن حدود ضيقة، وكان على الداخل إليها أن يحمل تصريحاً خاصاً وهويته الشخصية^(١).

وكان بطل نصف هذا الوكر هو المجاهد البطل (أنطون جميل داود) وإليك وصفا لعملية النصف حسب ما جاء في مخطوط الدكتور قاسم الريماوي على لسان المجاهد البطل.

ولد المجاهد أنطون داود في مدينة بوغوتا عاصمة كولومبيا في أمريكا اللاتينية، عام ١٩٠٩ م، وأتم دراسته الثانوية في مدرسة بوغوتا، والتحق بكلية (سانت جونز) في القسم التجاري وتخرج منها عام ١٩٣٠ م، ثم التحق بجيش أمريكا الوسطى حيث حصل على رتبة ملازم أول، واشترك في القتال ضد الجيش الأمريكي في المكسيك، وحصل على رتبة كابتن بفضل شجاعته في معركة جبال لاسيجوفيا، حيث كان يقود فرق الرشاشات، وبعد انتهاء المعركة عاد الى بيته في هاندوراس عام ١٩٣٢ م حيث أسّس شركة طيران مدنية سميت (تاكا) بالتعاون مع الدكتور باونز الأمريكي وجيمس ويلزبات والطيار الاسترالي بركس.

ولما سمع بنشوب حرب بين كولومبيا (مسقط رأسه) وبيرو، إتجه إلى كولومبيا للاشتراك في الحرب، وما أن وصل حتى وضعت الحرب أوزارها سنة ١٩٣٣، ثم اتجه الى فرنسا عن طريق البحر، وبقي في باريس عند أقاربه آل جاسر سنة كاملة، ومن هناك عاد الى بيت لحم في فلسطين (مسقط رأس آبائه وأجداده) ماراً بمرسيليا، وهناك تعرف على عدد من اليهود، واستطاع الوصول إلى فلسطين بدون جواز سفر على اعتبار أنه يهودي مهاجر.

ولما حضر الموظف البريطاني المسؤول عن التحقيق في جوازات السفر في ميناء حيفا، وطلب منه جواز السفر، أبلغه أنه يهودي فقال له الموظف: هيا أسرع مع جماعتك فوراً. ولم يحاول إعاقته وسهّل نزوله إلى البرّ.

أضافه مرافقوه اليهود إلى تل ابيب حيث حلّ في بيت يقع في (٧٥ شارع النبي) في تل ابيب حيث تعرف عليها، ثم طلب من مضيفيه الذهاب لزيارة القدس وبيت لحم والناصره فقالوا له:

(١) ايه يا قدس - دومنيك روبير ولاري كولينز

إن هؤلاء (اهلها) عرب وقطاع طرق). لكنه ذهب إلى يافا، ومن هناك اتجه الى القدس فبيت لحم سنة ١٩٣٥، ولما نشبت ثورة ١٩٣٦ خشي من الالتحاق بها، مع تشوقه وحبه لإنقاذ بلاد أجداده وحبه للحرب بسبب عدم إتقانه للغة العربية، لهذا أثر أن يخدم بلاده عن طريق التحاقه بقوة البوليس الفلسطيني، فالتحق به عام ١٩٣٦، ونقل الى مركز زخارين وهناك أخذ يعمل لصالح بلاده مستغلا مركزه الرسمي.

وفي أحد الايام أطلق أحد المجاهدين النار على يهودي فقتله بالقرب من زخارين، وأراد اليهود الانتقال من القرية العربية المجاورة واسمها (مراديس)، فطوقوا العمال بالليل وألقوا القبض على رئيس العمال، وهو من المجاهدين ويدعو (مصطفى) وقد وضع اليهود مسدسا في جيبه وسلموه لمركز البوليس في زخرون، ولما علم أنطون بذلك، ذهب إلى مكتب الاحوال وتمكن من الحصول على المسدس، فأتلفه من الداخل ووضع علامات على جميع قطعه الداخلية بمبرد رفيع، وأعاد المسدس إلى الخزانة وسجل رقمه على علبه سجائر، وأبلغ المتهم بضرورة إنكار المسدس، واتصل بأهله ليطلبوه للشهادة، ولما قدم مصطفى المذكور للمحكمة العسكرية وشهد ضده ضابط المركز اليهودي، تقدم انطون فشهد بأن الضابط اليهودي قد أعطاه المسدس المذكور قبل ثلاثة ايام من تاريخ القبض على مصطفى، وطلب اليه إصلاحه بصفته خبيراً في الاسلحة، ولما تأكد من عدم صلاحيته أعدته اليه وقال: إن المتهم مسلم وانا مسيحي من كولومبيا ولا تربطني به أية علاقة أو معرفة...

وهكذا كتبت النجاة للمتهم الذي كان سيسنق حتما، على يد هذا الرجل الشهم، وحدث أن ذهبت قوة من البوليس لتفتيش بيت أحد المجاهدين في القطمون ومعهم أنطون، ولما ذهب الضابط لاحضار المختار، إنسل أنطون إلى صاحب البيت بسرعة خاطفة وأعلمه الخبر، وأخذ بندقية الرجل ودفنها بعيدا... ولما حضر الضابط، وأمر بتفتيش البيت لم يعثر على شيء، وهكذا كتبت النجاة لعائلة كبيرة بفضل جهوده... ولما شكّت السلطات في أمره، أوقفته عن العمل، لكنه اتصل بواسطة جماعة من جمعية الشبان المسيحية بالقنصلية الامريكية، حيث اشتغل فيها عام ١٩٤٧ م، في قسم التأشيرات، وهناك استطاع أن يتعرف على أسرار القنصلية الأمريكية، من خلال البرقيات والمكالمات التليفونية، كما تعرف على فتاتين إحداهما من الأرغون والثانية من أفراد الهاغاناه، وتعملان في القنصلية، ومن خلال ذلك عرف أن جميع قوى اليهود السياسية والعسكرية، تحت امرة الوكالة اليهودية ولا صحة لما يقال عن اختلافها مع بعض المنظمات.

كان الميجر (أنجرونوفيتش) ملحقا عسكريا في القنصلية (وقد علمت أنه على اتصال دائم بالوكالة اليهودية هو وزوجته، وهما يسكنان في حي القطمون العربي، وأذكر أنه في إحدى الليالي، أقام الميجر حفلة ساهرة في بيته، ضمت عددا من الشخصيات المهمة، فتسللت حتى وصلت خلف صخور تطل على الدار، وفي هذه الأثناء حضرت سيارة صغيرة تقل شخصين من رجال الوكالة اليهودية، الذين يترددون على القنصلية. فنزل أحدهما وأطلق صفيرا، فخرج على

الأثر الميجر المذكور، وقابلهما وسلم كل منهما الآخر شيئاً لم أتبين حقيقته، وبعد نصف ساعة انفجر لغم كبير في القدس، وفي هذه اللحظة صممت على نسف الوكالة اليهودية لأنها مصدر الجرائم الرئيسية، ولا فائدة بدون تدميرها ودكها من أساسها، ومن هنا قررت العزم على تنفيذ هذا الأمر ولو كلفني أعز ما أملك من حياة أو مال....)

عرفت بفضل وجودي في القنصلية، وبطريقة سرّية أن ضابطين من أعظم الشخصيات البارزة في الوكالة اليهودية، سوف يحضران الى القنصلية الأمريكية صباح يوم السبت في تمام الساعة العاشرة، فذهبت إلى عاملة التليفون اليهودية واسمها (فكتوريا) وقلت لها:

(إن غدا السبت وأنت امرأة ولك أولاد. وأنا أريد أن أعمل مكانك لتقضي عيد السبت مع أهلك وأبنائك، فسرت سرورا عظيما وقالت: لا مانع عندي إذا وافق القنصل...)

وكلمت القنصل قائلاً: إن هذه السيدة خجلانة منك بسبب غيابها يومين في الأسبوع الماضي وابنها مريض وأنا مستعد أن أشتغل مكانها غداً، فوافق القنصل وقدّر شعوري نحوها، وبانسانيتي رفقة بها وبابنها المريض، ومن شدة سروره وتقديره وعد بإعطائي إجازة يومين، مقابل ذلك الشعور فقال: كيف أستطيع مكافأتك يا أنطون.. فقلت لها: يكفي ان تعرفي أن العرب عندهم شهامة، ولا تمنعهم أعمالكم معهم عن بذل المعونة لكم.

وبقيت تلك الليلة في القنصلية، ولما سألني القنصل عن سبب تأخري حتى ساعة متأخرة من الليل أجبته: إنني لا أتمكن من الذهاب إلى بيت لحم لبعدها، ولأنني لا أستطيع أن أترك التليفون...

وفي تلك الليلة رسمت خطة كانت كالتالي: -

صعدت إلى غرفة القنصل التي كانت خالية في الساعة الثامنة من صباح يوم السبت، ورفعت سماعة التليفون، ووضعت (شيئاً ما) بين السماعة ونقطة ارتكازها على جسم التليفون ووضعت بينهما عود كبريت لتفصل بين السماعة والجسم، وبفضل ذلك بقي التليفون مفتوحاً، بالرغم من أنه مقفل، وبفضل هذه العملية، أصبح في إمكانني أن أستمع من مكتب التوزيع الهاتفي الى جميع الاحاديث التي ستدور بينهم وبين القنصل في غرفة مكتبه، ومنها استطعت معرفة:

(ان من بين الحاضرين ضابطين من كبار ضباط الجيش الأمريكي، وهما ينويان على تأليف قوى الميليشيا اليهودية، وأنهم سيعقدون يوم الخميس الموافق ١١/٣/١٩٤٧ م اجتماعاً في تمام الساعة العاشرة في دار الوكالة اليهودية، وكان هؤلاء يقطنون في فندق (عدن) بالقدس، وقد عرفت بعد ذلك أن الميجر المذكور يتردد كثيراً على هذا الفندق...)

وفي الحال اتصلت بالقائد عبد القادر الحسيني، وأعلمته بالموضوع وبالخطة لتجهيز الالغام...

وفي صباح يوم الخميس ١١/٣/١٩٤٧ ودّعت زوجتي وأولادي الوداع الذي كنت أعتقد أنه الأخير، وذهبت الى مكان عملي في القنصلية كالمعتاد، فعاقلت موظفي القنصلية، وأخذت السيارة في تمام الساعة ٤٥ : ٨ وذهبت إلى المدينة القديمة، حيث وضعت اللغم فيها، وفي تمام التاسعة وخمس دقائق توجهت إلى هد في المنشود، حسب الخطة المرسومة التالية: -

(كان عليّ أن أجتاز قبل الوصول إلى الهدف حاجزين انجليزين، وأربعة حواجز يهودية، وكنت أحمل مسدسين أوتوماتيكيين وقنبلتين يدويتين وأربع علب سجائر أمريكي، ولما وصلت الحاجز الاول من حواجز المناطق المنظورة، والتي يتولى حراستها الجنود الانجليز، حبيت الحارس بالانجليزية، وقدمت له سيجارة أمريكية فقال: شكراً. وبهذه الطريقة اجتزت الحاجزين. وعند وصولي إلى أول حاجز للهاغناه في شارع الملك جورج، حضر إليّ الضابط المسؤول وأربعة من رجال الهاغناه الموكول إليهم أمر الحراسة، وكلمني بالعبرية فقلت له: إنني أعرف قليلاً، تكلم معي بالاسبانيولية أو الانجليزية، وسألني إلى أين أنت ذاهب فقلت له:

ألا تعرف أنني ذاهب من القنصلية الامريكية لإحضار الشخصين العسكريين من غرفة رقم ١٤ في فندق عدن إلى الوكالة اليهودية... ؟

فلما سمع ذلك قال : أهلاً بك ... تفضل .. فشكرته ، وقدمت لكل واحد منهم سيجارتين أمريكيتين واجتزت الحاجز الثاني بنفس الطريقة ، وبرباطة جأش . لأنني أيقنت أن أمامي هدي، وأن وراء وصولي الموت المحقق، وبعد أن اجتزت الحاجزين، وقفت أمام فندق (عدن) واشترت جريدة (البالستين بوست)، وأخذت أقرأ. فيها وأنا في السيارة كأني أنتظر أحد الأشخاص، وفي هذه الفترة ضببت ساعة توقيت الانفجار، ووضعتها على العشر دقائق، وعدت إلى دار الوكالة من حيث أتيت، وأوقفت عند الحاجز الاول. فقال لي المسؤول أين الضابطان اللذان ستحضرهما؟ فقلت له: لقد أجلاً الموعد حتى الساعة الحادية عشرة والنصف.... فبدلاً من الانتظار سأذهب لأتناول قطعة من الساندويش. صدق الرجل كلامي، وقدمت له سيجارة أخرى، ثم واصلت سيرتي في طريقي إلى القنصلية الأمريكية عن طريق شارع الملك جورج مارا بالوكالة اليهودية، وقبل وصولي إلى دار الوكالة أوقفت أمام الحاجز الثاني، وكلمت حراسه بالاسبانيولية (وهي اللغة المحببة لدى اليهود الاسبانيولين)، وأبلغت قائد الحرس أن الشخصين قد تأخرا حتى الساعة الحادية عشرة والنصف وقدمت له علبة سجائر فشكرني وقال:

- عندما تعود يجب أن تحسب حسابك أن نقضي بعض الوقت، لنحدث في الأوضاع الحاضرة فأنا أتشوق للحدث بالاسبانيولية... وهنا تقدمت إلى الساحة.. ساحة الوكالة اليهودية. وكانت هذه الساحة محاطة بشريط كهربائي على شكل بكرة، وقد وضعت براميل مملوءة بالمتفجرات في المدخل وتدلّ من البكرة سلكان كهربائيان، وفي مؤخرة البكرة يوجد جرس كهربائي، إذا ضغط عليه حصل تيار كهربائي قوي يدفع البراميل إلى الامام مسافة كبيرة،

تحطم أية قوة تقف أمامها مهما كان ثقلها، وهذه الترتيبات للحيلولة دون اقتحام باب الوكالة بالقوة....

وما أن وصلت حتى فتح المسؤول الحاجز على مصراعيه لاعتقاده أنني أحمل الضابطين معي في السيارة (سيارة القنصلية الامريكية) للاجتماع... ولما دخلت الساحة، وشاهد الحارس أنه لا يوجد أحد بداخل السيارة سواي حتى صرخ: عربي... عربي... فأسرعت في الحال وأدرت محرك السيارة واتجهت إلى الحائط الذي تقع فيه مكاتب الكيرن كايمت ومكاتب الملة اليهودية ومركز ألماني، وقربت السيارة اليه، وكنت أعلم أن اللغم قد أوشك أن ينفجر، لأنني وقتّه في ساحة فندق عدن على عشر دقائق، حيث مضى نصفها على الأقل في الطريق، ونزلت بسرعة من السيارة وأقفلت بابها، ورميت بالمفتاح بعيداً حتى لا يتمكن اليهود من فتح الباب ورفع الألغام إن هم قبضوا عليّ..

وعلى أثر صيحات الحارس.. عربي... عربي... هجم عدد كبير من قوات الهاغاناه من الداخل والخارج نحوي، فالقيت القنبلة الاولى (وكنت أحمل قنبلتين من نوع ملز) ولكنها لم تنفجر، والقيت الثانية فلم تنفجر، وعندها استللت المسدسين اللذين أحملهما ووضعت السيارة خلفي للدفاع عنها وعني، وفي هذه الأثناء شاهدت مصفحة للهاغاناه، تقف على بعد خمسة أمتار مني على شمال الشريط الموصول الى شارع الملك جورج، ولا أحد فيها عندها وجه إلى الحرس المقيم على الزاوية الشمالية من الوكالة صلية رشاش، فأطلقت عليه طلقتين من مسدسي، فأصابته إحداهما، فسقط على أكياس الرمل التي أمامه، ثم قفز أحد ضباط الهاغاناه إلى سيارة تقف بجانب المصفحة، وأخذ منها مسدسا، فلما لمحته أطلقت عليه النار فأصوبته وخرّ صريعا، وارتمى تحت قدمي مضرجا بدمائه، وعند ذلك وجه أحد حاملي رشاش هوشكس النار تجاهي، من البناية المقابلة لعمارة الوكالة صليتين من الرصاص، ولم يتمكن من مواصلة الرمي خشية أن يصيب رجاله الذين احتشدوا في الساحة.

وفي هذه اللحظة نزل أحد الضباط من بناية الوكالة من الجهة اليسرى، وفي الحال أطلقت الرصاص عليه من مسدسي فهوى على وجهه وسقط منه المسدس الذي كان يحمله، فخرجت منه رصاصتان أصابت أحد الجنود المتقدمين نحوي...

ولما لاحظت أن قوة الخصم قد زادت من الجهة اليسرى شعرت بحراجة موقفي، وتأكدت من ان اللغم سينفجر حتما بعد لحظات، وفي الحال ألقىت بنفسي على الأرض وتدرجت حتى أصبحت تحت المصفحة اليهودية وبسرعة فائقة، تدرجت من تحت المصفحة وفجأة وجدت نفسي في الشارع العام.. وفجأة وجدت نفسي أترنح يمينه ويسرة، وشعرت أنني أكاد أطيّر في الهواء... كان اللغم قد انفجر، فطير العمارة وجميع ما حولها من استحكامات وأكياس الرمل. وما أن تماكنت شعوري ووقفت على قدمي، حتى رأيت سيارة خضراء يهودية تقف وسائقها في حالة ذعر شديد، فأسرعت نحوها، وضربت السائق على رأسه بعقب المسدس فأغمي عليه

وأنزله من السيارة، وصعدت عليها، وأدركت محرك السيارة وبسرعة جنونية سرت حتى وصلت ترانسنة، ولما سمعت زامور الخطر تركت السيارة، بعد أن أخذت منها رزمة ملفوفة، وسرت إلى جانب الطريق المزروع بشجر الزيتون، حتى وصلت كراجا يملكه رجل عربي، وهناك حشوت المسدسين وجهزت نفسي لمغادرة مدخل المنطقة المحظورة، الذي يتولى حراسته الجنود الانجليز، وكان يحرسه ثلاثة من الانجليز يحمل أحدهم رشاش برنّ، كما يحمل الآخران اسلحة اوتوماتيكية، فلما وصلت اليهم وقد قرّرت القضاء عليهم إن حاولوا التعرض لي، إلا أنني وجدتهم مذعورين من شدّة الانفجار، ويحلقون في أعمدة الدخان المتصاعدة، وتقدمت إلى الشاويش وقلت له: لقد نسف الإنجليز عمارة الوكالة اليهودية.. فصاح بي... إذهب من هنا حالا..

وهكذا تمكنت من الخروج من المنطقة المحظورة، ومنها توجهت إلى الحرم الشريف، ومنه إلى مدينة اريحا، ومن اريحا الى نابلس حيث تناولت الكنافة...

ثم توجهت الى بيرزيت لمقابلة القائد عبد القادر، وفعلنا قابلته في رام الله في بيت الدكتور سليمان سليم، وعندها قدمت له المائة جنيه التي كانت ملفوفة في سيارة اليهودي وكانت ثمنا لبنزين شركة شل، وقلت له:

(هذه غنمتها من اليهود وهي ملك للقيادة). فرفض عبد القادر أن يأخذها وأصررت على ذلك، فما كان منه إلا أن أخذها وعدّها، فوجدها ناقصة خمسة جنيهات فتناول من جيبه خمسة جنيهات وأعادها جميعا إليّ وقال: «إنها حلال لك حرام على غيرك».

وبعد ذلك انتقل أنطون إلى خارج فلسطين، ورغم محاولاته للعودة إلى صفوف الجهاد إلا أن المصلحة العامة اقتضت بقاءه خارج البلاد محافظة على سلامته...

وهكذا خطط المجاهد «أنطون جميل داود» ونجح في تدمير الوكالة اليهودية وما جاورها من عمارات اخرى، واندلعت النيران والتهمت بسعيها المكاتب اليهودية بما تحويه من ملفات وأسرار وسجلات... كما أصاب التدمير بيت المال اليهودي، ومكاتب المجلس الملي اليهودي... وكانت خسارة اليهود في هذه العملية ٣٦ قتيلا... وجرح حوالي ١٠٠ بعد أن كان اليهود يعتقدون أن دار الوكالة أمنع من عقاب الجو.....

الباب السادس

الفصل الأول

عبد القادر يبحث عن السلاح

كان الشهيد عبد القادر الحسيني شعلة متقدة من العزم ، وحركة دائبة لا تهدأ ، فما أن وطأت قدماه أرض فلسطين في أواخر عام ١٩٤٧م ، حتى راح ينظم حركة الجهاد المقدس بنفسه^(١) ولكن قلة السلاح والمال كانت العقبة الكأداء في وجه سرايا الجهاد المقدس ، فاضطر الشهيد ان يترك عرينه مؤقتا للبحث عن السلاح ، وتأمين العتاد والذخيرة للمجاهدين ، فكان يذهب الى مصر- بدأ التحضير منذ وصوله الى مصر ١-١-١٩٤٦ حيث بدأ جمع السلاح من مخلفات الحرب العالمية في الصحراء - في طلب الاسلحة ومقابلة سماحة المفتي الاكبر تارة^(٢) والى دمشق حيث اللجنة العسكرية تارة أخرى ، وكان مراسلو الصحف ووكالات الانباء يتابعون خطواته أينما توجه وحيثما حل ... كتبت جريدة المصري بتاريخ ٢٢/٢/١٩٤٨م تحت عنوان (المعركة تبدأ قريبا) (استطاع مندوب المصري ان يقابل الزعيم الفلسطيني المعروف السيد عبد القادر الحسيني في مكان ما بالقاهرة ، فشرح له الاحوال الحاضرة في فلسطين قائلا :-

« إن الحوادث التي جرت اخيرا في فلسطين بين العرب واليهود ، كانت على نطاق ضيق ، غير أن خسارة عصابة الهاغاناه والقوات الصهيونية على العموم كانت فادحة ، ومن هنا اضطر اليهود الى المغالاة في وصف هذه الحوادث ، ولم يكن اليهود يتوقعون أن يقوم العرب بمثل هذا العمل السريع المنظم القوي في فلسطين ، والواقع أننا الآن نفخر بتفوقنا تفوقا كبيرا على عصابات الهاغاناه وأرجون وأشتيرن معا ، وأصبح لدينا الآن كثير من الاسلحة والذخائر ، وأنا وإن كنت لا أستطيع الإفصاح بالأرقام الدقيقة الآن ، إلا أنني أستطيع أن أؤكد لك أن لدينا من الرجال المدربين في فلسطين وحدها ، ما يكفي لمحاربة اليهود والتغلب عليهم ، ولكننا مع ذلك نستعد ونأخذ أهبتنا لكل ما يقع في الحسبان ، ونحن على اتفاق تام فيما يتعلق بوسائل الدفاع التي نظمتها جامعة الدول العربية ..»

(١) كتبت جريدة المقطم بتاريخ ١/١/١٩٤٨م ان الجنرال عبد القادر الحسيني قائد الكتائب المجاهدة في منطقة القدس ما زال يواصل زيارة مختلف الاقضية لاعداد وسائل الدفاع والهجوم في كل مدينة وقرية ، وقد عاد اخيرا الى مقر قيادته بلواء القدس بعد جولة في قضاء الخليل جنوبا وقضاء رام الله في الشمال ، كما بعثت اللجنة القومية في نابلس ببرقيات الى زعماء الدول العربية تستحثهم فيها ارسال السلاح الى عرب فلسطين ..

(٢) كتبت جريدة المصري ٢١/٢/٤٨ ان السيد عبد القادر الحسيني الزعيم الفلسطيني الكبير وقائد منطقة القدس قد وصل الى القاهرة منذ يومين وانه قابل سماحة الحاج امين الحسيني مفتي القدس وقدم له تقريرا مطولا عن حالة المعارك في البلاد كلها .

وقال السيد عبد القادر الحسيني « إنه يقوم ببعض المشاورات في القاهرة مع الجنرال اسماعيل صفوت باشا ، وانهما على اتفاق تام فيما يتعلق بالخطط الحربية التي ستنفذ في القريب العاجل في فلسطين .. وقال : إن النية لم تكن متجهة إلى الاشتباك مع اليهود ، في معارك واسعة النطاق في الوقت الحاضر ، ولكن الظروف اضطررتنا إلى الاشتباك بهم في بعض المصادمات ، ومنها معركة بيت صوري حيث قتل العديد من اليهود وغنم المجاهدون العديد من الاسلحة والذخائر.

وقال « إن بعض المعسكرات البريطانية خلت الان من الجنود البريطانيين ، ولكنه ليس مقتنعا الآن أن البريطانيين سوف يجلون جلاء تاما عن فلسطين ، وتدأب القوات البريطانية الآن على الوقوف في طريق العرب دون اليهود ، وهم يساعدون اليهود بشتى الوسائل ، فتراهم حين يخلون بعض المعسكرات ، يأخذون معهم كل المهمات والذخائر ، ولا يستطيع العرب أن يأخذوا منها شيئا ولو عن طريق الشراء ، وقد أعلنت السلطات البريطانية أنها إذا تدخلت بين العرب واليهود ، فسوف تعمل على مساعدة الطرفين على السواء ، ولكنهم لا يعملون بهذه السياسة في الواقع ، وقد أراد العرب اختبار نوايا البريطانيين ، فأرسلوا رسالة إليهم يقولون ان اليهود هاجموا بيت صافا ، ولكن البريطانيين صموا آذانهم ولم يحركوا ساكنا .

وسأله مندوبنا عن موعد بدء المعركة الحقيقية بين العرب واليهود فقال :-

« استطيع أن أقول إن هذه المعركة ستبدأ قريبا ، ولكنني لا أستطيع التصريح بالموعد الدقيق لبدئها ، على أن خططنا أصبحت الآن كاملة ، وروحنا المعنوية عالية جدا ، ومما يذكر ان مسترونستون تشرشل قال عام ١٩٣٩م إن الجنود البريطانيين من خيرة جنود العالم تدريبا لانهم تدربوا في فلسطين أثناء محاربتهم للعرب ، وعلى ذلك يكون جنودنا العرب هم خيرة جنود العالم .. والواقع أن لدينا من الشبان المتأهين لحمل السلاح ما يزيد عن السلاح نفسه ، وذلك بالرغم من أننا الآن أعظم تدريبا وأوفر سلاحا مما كنا عليه أثناء الثورة^(١) .

ويقول المجاهد عبد الله يوسف عمر^(٢) :

(علم الشهيد من بعض المخلصين ، بوجود كمية كبيرة من السلاح استطاع أن يشتريها مكتب فلسطين في بيروت ، لتقديمها إلى الفلسطينيين ، فذهب عبد القادر إلى بيروت لمراجعة المكتب ، واستلام هذه الاسلحة ، ولكن رئيس مكتب فلسطين الدائم آنذاك (الحاج حسين العويني) رفض أن يسلمه قطعة واحدة ، لأنه سبق له أن اتصل بطه الهاشمي (المفتش العام بجيش الانتقاذ) ، وأخبره بوجود الأسلحة ، فأمره طه الهاشمي بعدم تسليمها لأحد قط ، إلا للجنة العسكرية بصفتها المشرفة على تسليح وتموين الحركات في فلسطين ، فقفل الشهيد راجعا الى دمشق ، وهناك اتصل باللجنة المذكورة ، فصار طه الهاشمي يعده مرة بعد

(١) جريدة المصري ٢٢/٢/١٩٤٨م

(٢) من رسالة المجاهد عبد الله يوسف عمر الى الدكتور موسى الحسيني

أخرى ، ولما رأى عبد القادر ، أن هذه المراجعات لا تفيد ، دخل على طه المذكور في مكتبه الموجود في وزارة الدفاع السورية ، وشرر الغضب يقدح من عينيه ، وطلب منه أن يسلمه كمية من الأسلحة المتنوعة ، فاعتذر طه الهاشمي هذه المرة لعدم وجود سلاح .. فأجابه القائد : إن مستودعات اللجنة مملوءة بالسلاح وهناك كمية السلاح الموجودة في مكتب فلسطين الدائم في بيروت ..

فقال طه : إن هذه الاسلحة تخص جيش الانقاذ .. عند ذلك انتفض القائد وقال له :-
- لماذا تزودون جيش الانقاذ بمختلف الاسلحة وتمنعونها عنا ؟ نحن اهل البلاد الذين سمعتم بانتصاراتنا في المعارك والبطولات التي سجلناها ..

فارتبك طه الهاشمي وظهرت الحدة على وجهه وقال له بسخرية لاذعة :-
- انتم لا تحسنون استخدام الاسلحة الثقيلة .. فرد عليه القائد : أليس من الأفضل لنا ولقضيئتنا ، أن نستخدم المدفعية الموجودة عند جيش الانقاذ الموضوع على بعد (٣٠) كلم عن مناطق اليهود ، والتي أعدت للعب أطفال تلك القرى وكأنها في متحف ؟ فاشتد غضب طه الهاشمي وقال : أنت تتحدى جيش الانقاذ واللجنة العسكرية ..؟ إنني سأخذ ضدك الاجراءات اللازمة .

فأجابه القائد :-

نعم . إنني أتحدى جيش الإنقاذ الذي تنفقون عليه الملايين ، وتزودونه بكافة أنواع الاسلحة الخفيفة منها والثقيلة ، وتوفرون له اللباس والغذاء والرواتب ، وليس له إلا أن يتدخل في شؤون الأهلين والاعتداء على البعض منهم^(١) وإذا اضطر إلى دخول معركة ، فإنه يخرج

(١) يقول السيد احمد فراج طابع احد الديبلوماسيين العرب (قنصل مصر العام في فلسطين) عام ١٩٤٨ م «ضمن خطاب بعث به للوزارة المصرية بتاريخ ١١ يوليو ١٩٤٨ (ويهمّ الوزارة ان تعلم، ان هذا الجيش قد ترك أسوأ الأثر في المنطقة التي يعمل فيها سابقا، وهي منطقة نابلس / طولكرم / جنين، فقد استولى على كل ما وقعت يده عليه، فنهب المستشفيات وسرق بالإكراه مئات السيارات من اصحابها الفلسطينيين، وكان بعض ضباطه يعملون كما يعمل قطاع الطرق، وارتفعت الشكوى منه في كل مكان احتله، وتكلم بعض الزعماء الفلسطينيين مع القاوقجي عن تصرفات جيشه فلم يحرك ساكنا....» (صفحات مطوية عن فلسطين - احمد فراج طابع ص ١٦٢)

وجاء في تقرير طه الهاشمي المرفوع لجمعية إنقاذ فلسطين ببغداد سنة ١٩٤٩ ما يلي :-
(ان محكمة قوة اليرموك حكمت على الملازم «شناوة عودة» والمرشح «اسماعيل قاطع» اللذين جاءا مع عادل نجم الدين (من المتطوعين العرب) الى ياقا، بالسجن ثلاث سنوات لانصرافهما الى سلب المدنيين الفلسطينيين وزجهم في السجون وتعذيبهم وبيع الاسلحة بدلا من الدفاع عن المناطق المكلفين بها....)

(تقرير طه الهاشمي بتاريخ ٦ تموز سنة ١٩٤٨ م)
كما جاء في تقرير سابق للهاشمي نفسه (إن الملازم «مهدي صالح» (من متطوعي جيش الانقاذ) تصرف بالاسلحة تصرفا غير مشروع، وانه باع في اسواق بيروت تلك الاسلحة التي غنمها المجاهدون من العدو، وانه سجن شهرا وطرده من الخدمة...)

(تقرير طه الهاشمي رقم ٥١٠٧ بتاريخ ٦ تموز ١٩٤٨ م)

منها فاشلا ، بعد أن يذهب العديد من الجنود الأبرياء^(١) وأتحداك أنت بالذات إذا كنت تستطيع أن تنكر شجاعة أبناء فلسطين والانتصارات التي أحرزوها ، ولا يهمني تهديك ولك أن تفعل ما تشاء ، فأنا ما جئت هنا للراحة والاستجداء ، بل جئت أطلب بحقي ونصيبي من الأسلحة، والموت الذي اشتهيته.. وإذا كنت جادا في انقاذ فلسطين فافتح ابواب مستودعاتك للفلسطينيين ، وسلمنا السلاح ، ونحن الذين سنخلص فلسطين بسواعدنا ودمائنا وليس انتم ..

ولما سمع طه هذا الهجوم عليه ، كاد يجن من غضبه ، وأخذ يرتجف ، وفي هذه اللحظة دخل العقيد محمود الهندي ، واتجه إلى القائد ، وأخذه إلى مكتبه ، وصار يلاطفه ليهدئ من غضبه ووعدته خيرا ... وبعد أن استراح قليلا غادر وزارة الدفاع وذهب إلى الفندق حيث كان ينتظره إخوانه ومرافقوه ..

وفي صبيحة اليوم التالي كان السيد رياض الصلح والقائد عبد القادر الحسيني يسيران في إحدى ممرات الفندق ، فرأهما طه الهاشمي ، ولم يتمالك المذكور نفسه فاتجه نحوهما وراح يذكر لرياض الصلح حملة عبد القادر عليه ، ولكنه تمادى في الهجوم ، فقاطعه عبد القادر بكلام عنيف واقترب منه ليضربه ، فحال بينهما رياض الصلح الذي أمسك بالقائد وراح يقبله ويلاطفه ليهدئ من غضبه وأخذه بعيدا ، وكان الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد (عبد الرحمن عزام) ينزل في نفس الفندق ، فأخذ علما بالحادث ، وطلب الاجتماع بعبد القادر بواسطة رياض الصلح ، فاجتمعوا ، وخلال الاجتماع صار عبد الرحمن عزام يحاول

(١) يقول العميد المتقاعد محمد فايز القصري (احد ضباط المدفعية العرب الذين شاركوا في اعمال جيش الانقاذ) في كتابه (حرب فلسطين عام ١٩٤٨) طبع دمشق ١٩٦٢م. «لم يكن تدريب جيش الانقاذ في مستوى لائق، فكانوا يعملون كعصابات أو كأفراد يدخلون ويخرجون من المعركة متى شاءوا وبدون امر، وكان الجميع يخشون الليل ويتركون اماكنهم بمجرد الهجوم عليهم ليلا، ولم يكن لديهم انضباط نار، اي كانوا يطلقون النار بكميات كبيرة ثم ينسحبون بعد ان تنفذ ذخيرتهم، وربما لاستلام ذخيرة جديدة، ولم تستخدم المعدات الحديثة كأجهزة اللاسلكي والمخابرات اللازمة وادوات الهندسة الضرورية، وما يتبعها من الغام وافخاخ، ولم تستخدم المدفعية رغم وجودها في المهمات المناسبة، لقد استخدم المدفع لاحتلال الاهداف والقضاء على المقاومات الصغيرة عوضا عن المشاة والمغاور، وحيانا كان المدفع يقف في الصفوف الاولى قبل المشاة لرفع المعنويات والمحافظة على الخطوط الامامية....»

(حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م - العميد المتقاعد محمد فايز القصري دمشق ١٩٦٢م
كما تؤكد تقارير المقاومة الفلسطينية في تلك الآونة بأن بعض مفارزها كانت تهب لنجدة بعض وحدات جيش الانقاذ، حينما يضيق عليها الصهاينة الخناق، كما حدث في معركة (الزراعة والخضيرة) وكما حدث في معركة مشمار هعميق. كما تذكر التقارير ان بعض حامياتها قد انسحبت من مدينة القدس ويافا عندما اشتد الخطر عليها بعد ان تركت الكثير من اسلحتها....

كما يرى السيد هاني الهندي «أن التدني في مستوى التدريب العسكري في الانقاذ كان ظاهرا، وهو دون العدو بكثير ولا تجوز المقارنة....»

(هاني الهندي - مجلة شؤون فلسطينية العدد ٢٢ تموز ١٩٧٣م).

تهدة غضب القائد ووعده بأنه سوف يحقق له كل طلباته ، فأوعز إلى اللجنة العسكرية لتقدم للقائد كمية من العتاد والسلاح والمال ، فقبلها عبد القادر مع أنها كانت قليلة ، وفي اليوم التالي اصلى الامين العام بين القائد وطه الهاشمي (...)^(١) .

وفي هذه الاثناء أخذ المغرضون ينسجون الأراجيف ضد القائد عبد القادر ، وقالوا بأنه يريد مهاجمة مركز فوزي القاوقجي لأخذ الأسلحة الثقيلة من عنده ، لاستخدامها في المعارك ، والبعض الاخر يشيع بأن القائد يدبر مؤامرة لاغتيال القاوقجي وغيرها الكثير من الاشاعات الباطلة ، ويبدو أن القاوقجي علم بتلك الافتراءات ، وراح يتهم القائد من جهة وليظهر نفسه من جهة ثانية^(٢) وعندما كانت تصل هذه الإشاعات إلى مسامع القائد عبد القادر كان يبيد استخفافه بها ، ويستصغر أولئك المروجين ، لأنه كان مشغولاً بالأمر الهامة ، وهي قتال الاعداء ، ولم تكن تثن من عزيمته شيئاً ، ولم تنل من جهاده وشهرته وبطولته ، بل كانت كالسراب .. وليس أدل على حسن نية هذا القائد الانسان ونبل أصالته وأخلاقه ما كتبه جريدة الشرق^(٣) تحت عنوان : (القائد الكبير عبد القادر الحسيني منقذ فلسطين بقلبه ورأسه ويمينه يرحب بالقائد العربي الكبير القاوقجي) .

لا تزال استحكامات فلسطين والنطاق الحديدي المضروب حولها من العرب ، تمنع أنباء كثيرة من الوصول إلى دنيا العرب ، وهذه الأنباء بعضها طريف وبعضها الاخر حديث بطولية وتضحية واستشهاد ، وهي ان وصلت يوماً الى ابناء العروبة، لاهتزت لها دنيا العرب وصفق

(١) كان المجاهدون يقبلون اية كميات من الاسلحة مهما ضوئلت لشدة حاجتهم اليها .

(٢) يروي الصحافيان (دومنيك لابير ولاري كولينز) مؤلفا كتاب «ايه يا قدس» (كان اليهودي (يهوشوا بالمون) يحاول الاتصال بفوزي القاوقجي سراً، وكان هذا العميل للمخابرات في الوكالة اليهودية، يتقن اللغة العربية، وقد عاش فترة من الزمن في الصحراء مع قبائل البدو، وبقي في سوريا سنة كاملة، متنكراً بزّي بائع متجول ومتنقلاً من مكان الى آخر على ظهر بغل، وقد كان يهوشوا مقتنعاً بأن الصهيونية تستطيع ان تستثمر الى ابعد حد النزاع العنيف بين القاوقجي والحاج امين....

واخيراً تم اللقاء بينهما واستمر لساعتين، فجاءة نقل بالمون الحديث الى ما يتعلق بالحاج امين الحسيني، فغضب القاوقجي فجأة، وراح برغم وجود عدد من رؤوسيه يهاجم عائلة الحسيني ويصفها بأنها «عائلة قتلة» وان اطماع الحاج امين مناقضة لمصالح الامة العربية...

ولما اشار بالمون الى عبد القادر الحسيني وصفه القاوقجي بأنه يغذي اطماعه السياسية، وعندما نذى بالمون هذه الغضبية قال القاوقجي: (النص الحرقي):

«انني لا ابا لي بعبد القادر الحسيني، بل انني أمل ان تلقنوه درساً لا ينساه، لا سيما انه لا يستطيع الاعتماد على اية مساعدة من ناحيتي، لانني عاكف الآن على تهيئة انتقامي بعد قتل قواتي في «تيرات زفي» يجب ان اهرزمك، وسأقاتلكم بعنف، واسحقكم في «وادي جزرائيل» عما قريب)

وكانت نتيجة تحديد مكان هذا الهجوم في وادي جزرائيل عشرات من الشهداء والقتلى والجرحى ضحية لهذا الورم الدعائي. عن مجلة الحوادث اللبنانية - ربيع مطر بتاريخ ١٩٧٢/٦/٢٠ العدد ٨١٧.

(٣) جريدة الشرق ١٠/٣/١٩٤٨م

الأبناء بملء القلوب والجوارح ، ونذكر من هذه الأبناء ما تساعدنا الظروف عليه في الوقت الحاضر . فلم يكد القائد العام البطل المغوار عبد القادر الحسيني رجل الإنقاذ الأول في فلسطين يعلم بوصول القائد العربي الفذ فوزي القاوقجي الى قضاء السامرة ، حتى أرسل وفداً لتحيته والترحيب به ، وكان المشهد مؤثراً لما نطقت به الألسن من عبارات الود والولاء والمحبة ، مما يجعل السنة الخصوم تتمزق على شسع نعال المخلصين للقضية العامة في فلسطين .

فمرحى للقواد يتعانقون لانقاذ الوطن ، وهنيئاً لهم يوم يتعانقون ثانية بعد الانقاذ

الفصل الثاني

صورة الوضع في باب الواد

باب الواد (واد علي) اسم لمركز يقع على طريق القدس - يافا الرئيسية، وعلى بعد (٢٣) كم غرب القدس، ومن هذه المنطقة تبدأ الطريق بالالتواء والاعوجاج نحو القدس مارة بين جبلين عاليين.

كانت القوافل اليهودية تجتاز هذه الطريق بحراسة الجيش البريطاني، لتموين يهود القدس بالموءن والسلاح، وكان المجاهدون ينصبون كمائنهم لتلك القوافل في هذا المركز (باب الواد) على مسافة طولها (٣) كم، وكان عبد القادر قد أقام عددا من القناصة على جانبي الطريق، للانقضاض على القوافل، وقطع الطريق عليها، بعد أن فجر أنابيب المياه التي يرتوي اليهود منها، وأمر بردم الطريق التي تؤدي إلى القدس، حيث أغلق المجاهدون باب الواد بالصخور والحجارة وربطوا فوق السفوح، وعلى أعالي الجبال، يمتطرون بالرصاص والقنابل كل من يحاول فتحها من القوى البريطانية والصهيونية.

ولهذا فقد وقعت سلسلة من المعارك الهائلة بين المجاهدين من ناحية، وبين الجنود الانجليز واليهود من ناحية ثانية، وبلغ الضيق بيهود القدس ذروته في منتصف شهر آذار ١٩٤٨ م من جراء الحصار الكامل، الذي فرضه المجاهدون على يهود القدس، وعلى الطرق المؤدية إلى مستعمراتهم، ففي تلك المنطقة شدد المجاهدون القبضة على هذا الشريان الحيوي، حتى وهنت قوى اليهود، وتفجرت المظاهرات من بينهم مطالبين لوضع نهاية الآلام، وعندما شعرت قيادتهم بضعف معنوياتهم، لجأت كالعادة الى تقويتها بطرق العدوان، فانقضت مجموعة من عصابة اشنتين الاجرامية على قطار حيفا - القاهرة المدني، وأصلته وابلا من قذائفها ورصاصها مما أدى إلى استشهاد (٤٠) عربيا وجرح (٦٠) آخرين، كما قذفوا بالعديد من القنابل على الشوارع والمساجد العربية، كما دبرت اشنتين ايضا مكيدة لنسف (ملجأ الرجاء) وذلك بإغرائها ماليا لجنديين بريطانيين للهجوم ليلا على الملجأ المذكور الذي كان مقر قيادة الدفاع الغربي الذي يقوده (الشيخ حسن سلامة)، واستشهد في هذا الحادث ستة اشخاص وجرح آخرون....

كان المجاهدون قد اتخذوا من قرية القسطل المنيعة، والمتحكمة في طريق المواصلات من وإلى القدس، قاعدة رئيسية لقطع الطريق، والانقضاض على القوافل اليهودية، والفتك بها، حتى غدت القسطل مصدر رعب شديد لليهود.

عندها أدرك اليهود العياء - كما ذكرنا - وأيقن الأمريكيون والانجليز باستحالة تنفيذ قرار التقسيم فحسب، بل بعدم إمكان اليهود من الثبات مطلقا أمام المجاهدين العرب، حتى أعلنت الولايات المتحدة رسميا عدولها عن تأييد قرار التقسيم، واقترحت وضع فلسطين بأسرها تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة، ولجأ المندوب السامي إلى الهيئة العربية العليا، وإلى القائد عبد القادر، راجيا وقف القتال ومتوسلا السماح بوصول الغذاء والكساء والماء إلى يهود القدس ومستعمراتها، ولكن العرب وعلى رأسهم عبد القادر، رفضوا قبول الالتماس إلا إذا سلم يهود القدس أسلحتهم وعتادهم، وإعطاء ضمان بعدم عودتهم إلى أعمال الغدر والخيانة.

كما صرح القائد لوكالة الانباء العربية في حيفا، عن تحول امريكا عن تأييدها لمشروع تقسيم فلسطين (بأن هذه المناورات السياسية لا شأن له بها، وأنه سيواصل جهاده المقدس إلى أن تتحقق جميع الأمناني القومية، وأنه لن يعدل عن خطه، إلا إذا تلقى أوامر صريحة من القائمين على شؤون الجهاد)^(١).

اتخذ القائد عبد القادر هذا الموقف، لأن العرب كانوا منتصرين وواثقين من أنفسهم، ولأنهم كانوا يعتقدون أن الجامعة العربية ودولها ستزودهم بالسلاح والعتاد - كما وعدوا بذلك - لمواصلة الجهاد..

بدأ اليهود يئنون تحت ضربات المجاهدين، وبدأوا يستنجدون بهيئة الامم والدول الاجنبية لانقاذهم، وتزويدهم بالسلاح ليتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم، وأرسلوا مندوبيهم الى موسكو وواشنطن وبراغ ووارسو وغيرها من عواصم اوربا، يستغيثون ويلتمسون المساعدة، بينما كان زعمائهم على اتصال دائم ومستمر مع الانجليز في فلسطين، للحصول على الاسلحة والمؤونة والحماية.

طالب زعماء اليهود بوقف القتال، وإعلان منطقة القدس منطقة مفتوحة، واستنجدوا بمجلس الأمن وهيئة الأمم، لاكتساب فترة من الزمن، ريثما تصل اليهم الإمدادات والمساعدات التي وعدوا بها، ولخداع العرب وحملهم على الاعتقاد أن اليهود على وشك التسليم، فيخف الضغط العربي وتنحصر روح الحماس المسيطرة على نفوس المجاهدين، وهكذا طبّق اليهود المثل المعروفة (تمسكوا حتى تمكّنوا)

تدخل المندوب السامي - كما قلنا لدى الهيئة العربية العليا، ولدى عبد القادر، كما توسط السفراء والقناصل التابعون للدول الغربية، راجين فكّ الاطواق عن المائة الف يهودي، الذين أوشكوا على الموت جوعا (كما قال موسى شرتوك على لسان الوكالة اليهودية) لمجلس الأمن القومي، (مما جعلهم يأكلون الاعشاب ويتظاهرون بالتسليم)^(٢).

(١) جريدة الاساس ١٩٤٨/٣/٢٣

(٢) جريدة مصر الفتاة ١٩٤٨/٥/١٧

وفي الوقت نفسه ضغطت السياسة الاستعمارية على بعض الديبلوماسيين العرب بفلسطين، للتوسط لدى قادة الجهاد المقدس للغرض ذاته.

ورغم جميع الوساطات فقد أصرت القيادة الفلسطينية على ضرورة استسلام اليهود، وتسليم أسلحتهم كشرط أساسي لفك الحصار. ولكي يقاوم اليهود هذا الحصار المضروب، استعملوا قوافل مصفحة على نطاق واسع في رحلات يائسة، حيث تصدّى لها المجاهدون، حتى امتلأت الطريق الى القدس (طريق باب الواد) باشلاء هذه المصفحات التي ما زالت باقية في مكانها حتى الآن، ورغم هذا فقد شدد المجاهدون الحصار حتى وافق اليهود على الاستسلام، شريطة عدم تسليمهم لقوات الجهاد المقدس.

رفض عبد القادر ذلك وزاد من ضغطه في تقوية الحصار، ورغم ذلك فقد رفض اليهود الاستسلام بعد أن فتحت دولة الانتداب مصاريع معسكراتها الحربية في (واد الصرار ورأس العين وصرفند) ليأخذ اليهود منها احتياجاتهم لفك الحصار، كما نشطت حركة ميناء تل ابيب البحري بسبب وصول الاسلحة والذخائر، وكثيرا ما كانت صناديق السلاح متهورة بالعبارة التالية: (مواد بناء الى أديس ابابا)^(١).

اليهود يستعدون:

كان المجاهدون - كما قلنا - يسيطرون على الموقف العسكري في فلسطين في شهر آذار وفي ٢١ آذار ١٩٤٨م، علم القائد أن اليهود قد ضاعفوا سلاحهم، وأصبح لديهم سيارات مصفحة كثيرة وديبابات وطائرات ومدافع ميدان، وأنهم أدخلوا إلى فلسطين ألوف الرجال من اليهود وغير اليهود الذين تدربوا في أوروبا، على حروب الميدان وقتال المدن والشوارع، كما علم القائد بأن حكومات روسيا وبعض دول اوربا الوسطى والولايات المتحدة والانجليز في فلسطين، كانوا يتسابقون في إرسال الأموال والامدادات لليهود فلسطين، وأدرك عبد القادر أنه لن يكون في استطاعة المجاهدين أن يقفوا في وجه اليهود إذا لم يزودوا بالسلاح الثقيل والعتاد، فرفع تقريرا مفصلا عن حقائق الأوضاع إلى سماحة الحاج أمين والأمانة العامة لجامعة الدول العربية، واللجنة العسكرية في دمشق، وطلب الإسراع بتزويد المجاهدين بالمال والسلاح والعتاد، وأرفق بتقاريره خرائط عسكرية تبين خطة اليهود وأهدافهم العسكرية في فلسطين.

ومما جاء في هذه التقارير: -

(ان قوة الجيش البريطاني مقسومة الى قسمين: شمالي وجنوبي وإن القسم الشمالي يتألف من ستة عشر الف جندي، يحتلون المنطقة الممتدة من بلدة (نتانيا) على الساحل الفلسطيني الى ضفة نهر الاردن الغربية مارّة بمدن طولكرم وجنين وبيسان، وإن هؤلاء الجنود ينتشرون شمالا حتى الحدود اللبنانية).

(١) سيرة بطل / الاغا

كما أضاف إلى ذلك، معلومات عن المعسكرات البريطانية ومطار كفر ياسيف الذي أطلق عليه البريطانيون (سانت جين)، وما فيه من أوكار بعضها فوق سطح الارض وبعضها تحت سطحها، وكذلك عن مطار البصة الذي يقع على مسافة ٣ أميال جنوبي الحدود اللبنانية على طريق الناقورة - البصة، وعلى مسافة ميلين من الطريق العام الممتد من الناقورة الى عكا، وأنه رغم إخلائه فما يزال صالحا للعمل..

كما أورد في التقرير معلومات عن اليهود وكيف أنهم اتخذوا من مستعمرة (حانوتا) المجاورة للحدود اللبنانية مركزاً لتهديب الاسلحة من لبنان وتركيا إلى فلسطين. كما تضمن التقرير بعض المعلومات عن شركات أجنبية تعمل على تهريب الاسلحة لليهود عن طريق بيروت، وأورد أسماء اشخاص من يهود لبنان يشتغلون في التهريب، ويقومون بأعمال تخريبية ضد الفلسطينيين، كما تناول في تقريره ضرورة التصدي للبواخر التي تحمل المهاجرين اليهود إلى فلسطين وذلك بنسفها او اقتيادها إلى أماكن محددة، ثم اتباع الاجراءات الكفيلة بالتقليل من هذه الهجرة).

كما اشتمل هذا التقرير على معلومات إضافية عن استراتيجة القدس والمستعمرات المحيطة بها، والتي حصّنها اليهود تحصينا قويا، وقال إن المنافذ الرئيسية للقدس إلى كل من يافا ونابلس والخليل وأريحا وعمان، يحاول اليهود إغلاقها بواسطة مستعمراتهم، التي يطوقون بها القدس وأن أربعة أخماس هذه المستعمرات قد تمّ القضاء عليها، وإن لليهود مركزين محصنين يسيطران على منفذ القدس إلى الشرق وهما (الجامعة العبرية وهداسا)، ويساعدان في السيطرة على منفذها في الشمال، ولهم على ساحل البحر الميت (مستعمرة الكابوتس) التي يمكنها السيطرة على جسر اللنبي.

أما طريق القدس الغربية إلى يافا فيسيطر عليها اليهود سيطرة تامة، وهي محصنة تحصينا قويا ولا يستطيع العرب أن يطأوها، ولذلك استعاضوا عنها بالطريق الفرعية الممتدة من رام الله غربا الى ان تتصل بطريق يافا، وإن لليهود على طريق يافا القدس مستعمرات (موتزا وقرية العنب والخمس). ثم أوضح التقرير الخطة القويّة التي وضعها اليهود للاستيلاء على العمارات الكبرى والمراكز الاستراتيجية لاحتلالها داخل القدس، وعدّد أسماءها ومواقعها (٦١) مركزا وارفق التقرير خريطة تبين هذه المراكز..

ثم أورد التقرير خطة كل من العرب واليهود للاستيلاء على القدس وقال «إن محاولات اليهود لاحتلال حي الشيخ جراح استمرت ثلاثة اشهر، وما تزال وإنهم قبل بضعة ايام هاجموا هذا الحي بالف جندي...»^(١)

(١) مجلة فلسطين من مذكرات الحاج امين الحسيني العدد ٥٦

خطة نخشون

تعتبر هذه العملية من أكبر العمليات التي خاضتها عصابة البالماخ، والتي بدأت يوم ٤ نيسان ١٩٤٨ وقبل موعد التنفيذ تم تشكيل نظام آخر لقوات البالماخ، فبعد ان كانت الكتبية هي الاطار الكبير للبالماخ، اصبح اللواء هو الاطار، وذلك بسبب زيادة عدد رجال البالماخ من جهة، وكذلك بسبب المهمات الصعبة والمناطق الواسعة التي ألقيت على عاتقها مسؤولية القيام بحمايتها.

وفي أول آذار ٤٨ تم تشكيل لواء النقب من كتيبتين من البالماخ، ولواء هرتيل ولواء يفتاح الذي اشترك معظم أفراده في المعارك التي نشبت حول القدس، وخاصة في معركة القسطل..

(وفي الثلاثين من آذار رفع قلم الاستخبارات التابع للجهاد المقدس تقريراً خطيراً للقائد العام حيث وقع مضمونه على القائد وقع الصاعقة، فاتصل فوراً بسماحة الحاج أمين في القاهرة، وبرجال الهيئة في دمشق وبيروت، ونقل اليهم خلاصة ذلك التقرير، ونصح عبد القادر بالسفر فوراً الى دمشق لمقابلة اللجنة العسكرية واطلاعها على حقيقة الأوضاع، وأننا نثبت فيما يلي قسماً من ذلك التقرير الخطير....

«في ٢٦ آذار الحالي عقد في نادي حزب الماباي (حزب بن غوريون) في تل ابيب اجتماع سرّي هام، حضره دافيد بن غوريون (رئيس الوكالة اليهودية) والمحامي برنارد جوزيف، وموشي دايان (عن الهاغاناه) ودافيد هاكوهين والياهو ساسون والسيدة غولدا مايرسون، وشخص انجليزي قالوا لي إنه من الانتلجنس (الاستخبارات) الانجليزية، والتابع لأبي حنيك (كلوب باشا)، ودام الاجتماع أربع ساعات وخرج الجميع ما عدا بن غوريون، ثم جاء الى نادي الماباي مناحيم بيجن (قائد عصابة الارغون)، وشخص يماني من عصابة اشنتين لم اعرف اسمه، كما عاد موشي دايان إلى النادي، وظل الأربعة مجتمعين أكثر من ساعة ونصف، ولم يعرف أحد من مقررات ذلك الاجتماع، وحاول الشيوعيون والاشكنازي والمتدينون أن يفهموا (شيئاً) عن ذلك الاجتماع فلم يفلحوا»

ومنذ ٢٦ آذار وأنا أجرب أن أفهم شيئاً، ودفعت مبالغ كثيرة لأعرف أسرار المجتمعين، واليوم ٢٩ / آذار ١٩٤٨ عرفت كل شيء وان اجبرت ان أدفع للزميلة شوشانا (السمراء لا البيضاء) سبعا وثلاثين ليرة فلسطينية بالدولارات، لأنها أصرت على ذلك.. وواحدة وثلاثين ليرة انجليزية لزميلنا جوزيف حلبي الذي ادعى أنه صرفها على بعض البنات في مقهى (بلاتين) وبار لوكاندة (كات ريمون) وجربت ان أرسل هذه المعلومات للعم أبو علي (حسن سلامة)، ففهمت أنه مشغول في وادي الصرار وبيت محسن، فبناء عليه أرسل هذه الرسالة إلى سعادتك مع حاملها (ب.ج.ب.) الذي اعطيته قزازتي ويسكي وعلبة سجائر وخمس ليرات وآتمل أن تشوفوا خاطره ايضا.....^(١)

(١) جريدة الشرق اللبنانية بتاريخ ٨/٤/١٩٤٨م

وفيما يلي خلاصة للمقررات التي اتخذها بن غوريون وزملائه في ذلك الاجتماع السري (عملية نخشون) نقتطفها من تقرير قلم استخبارات الجهاد المقدس:

(أصبحت حالة اليهود صعبة، ومن الضروري وقد وصلت اليهم كميات كبيرة من السلاح والرجال والاموال، أن يقوموا بأعمال سريعة قبل أن تصل إلى عرب فلسطين الاسلحة الموجودة في دمشق، ويجب ان تكون الضربة قاسية وقوية للقضاء على كل مقاومة عربية الآن وفي المستقبل، وقرر المجتمعون القيام بالأعمال التالية:-

(١) فتح طريق تل ابيب - القدس وذلك باحتلال قرى بيت محسير وساريس وبيت نقوبا وبيت اكسا ويكلف جيش الهاغاناه للقيام بهذا العمل...

(٢) لما كان من الصعب احتلال القرى ما دام أهلها فيها، فإنه يجب إرهابهم وتخويفهم لإجبارهم على النزوح عن القرى، فتصبح مهمة احتلالها سهلة، وتكلف عصابة الأرغون بالقيام بهذه المهمة، ويباح لافرادها أن يعملوا ما يريدون بحق الأهالي من سلب وقتل وتفضيع، فالغاية تبرر الوسطة (فإذا انتقدتنا الحكومة أو غيرها، نعلن أن الذين قاموا بتلك الأعمال هم فريق من الخارجين على القانون، وعلى الوكالة اليهودية وتنبأ منها^(١)).

(٣) إذا بقي المفتي حيًا، فإن المقاومة العربية ستستمر، لذلك يجب اغتيال المفتي وعزة دروزة وإميل الغوري، وخطف عبد القادر الحسيني وحسن سلامة ومنير أبو فاضل (وكان لا يزال ضابطا في بوليس فلسطين) وكامل عريقات ومحاكمتهم وشنقهم، وتكلف عصابة اشتيرن بالقيام بهذه الاعمال.

وأكد الياهو ساسون (وهو رئيس القسم العربي في الوكالة اليهودية)، بأن بعض العرب من خصوم المفتي في فلسطين وشرق الاردن (لم اعرف اسماءهم بالضبط مستعدون للتعاون في تنفيذ اغتيال المفتي وجماعته^(٢)).

وبعد أن علم عبد القادر بخطة نخشون التي استطاع رجال الاستخبارات في الجهاد المقدس أن يحصلوا عليها، رغم السرية التامة، وبأن اليهود قد حددوا يوم السادس من آذار ١٩٤٨م لتنفيذ العملية، قام بتعزيز حاميات القدس وحاميات قرى بيت محسير وساريس وصوبا والقسطل، كما عزز حاميات: بدو وبيت سوريك والنبي صموئيل وقلونيا وبيت إكسا....

ثم عقد اجتماعا ضم كبار قادة المجاهدين لمجابهة الخطة، وقد حضر هذا الاجتماع كل من: (كامل عريقات، الشيخ حسن سلامة، ابراهيم ابو دية، عبد الحليم الشلف، توفيق الابراهيم وغيرهم من قادة الجهاد) وفيه تقرر ما يلي:-

(١) ادلى منحيم بيجن في ٢٧/١٢/١٩٤٨ في نيويورك بتصريح للصحف أشار فيه الى هذا الاتفاق .

(٢) جريدة الشرق اللبنانية ٨/٤/١٩٤٨م عملية ناخسون : اطلق الصهاينة اسم ناخسون (نخشون) على هذه العملية لأنهم يزون نخشون هذا هو أول من عبر الحدود من اليهود الى فلسطين ، أثناء هروبهم من مصر في عهد الفراغة .

- ١ - استنفار كافة قطاعات الجهاد المقدس والمتطوعين.
- ٢ - إعادة تخطيط مراكز الدفاع والقيام بحركة تنقلات حسبما تستدعي الظروف.
- ٣ - تعزيز بعض المواقع بما يتوافر من الأسلحة.
- ٤ - سفر عبد القادر إلى دمشق للاتصال باللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، للحصول على بطاريات مدفعية ورشاشات وبعض الأسلحة الأخرى...

عبد القادر في دمشق

يزعم البعض أن عبد القادر قد تهور حينما هاجم بنفسه قرية القسطل ، فاحتلها واستشهد . ويزعم الآخرون أنه انتحر ، وهم يعللون رأيهم بالقول: إن القائد يجب أن يبقى في المؤخرة بعيدا عن ميدان المعركة لإعطاء الأوامر وإدارة الحرب .

لا شك أن طريقة الموت التي اختارها عبد القادر ، هي التي توجت أعماله وحياته بهالة المجد والفخار ، وفيها تتركز عظمته ومقدار خلوص نيته وجهاده لله وحده ، فمن كان يدين بدين عبد القادر ويعمل بوحيه وعقيدته ، يرى أن ما عمله هذا القائد كان واجبا لا بد منه ، وأن رجال العقيدة والمبادئ ، يقدمون على الموت بطيب خاطر ، فإما النصر أو الاستشهاد ..

كان عبد القادر يطلب هذين الأمرين .. ففي النصر العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، والسؤدد لأبناء هذا الوطن ، وفي الاستشهاد الوفاء بالواجب المقدس ونيل وعد الله .. فلما حيل بين عبد القادر وبين النصر طلب الموت والاستشهاد ، وكان يعرف تماما نتائج ما هو مقبل عليه لكنه رأى ان لا بد من ذلك الأمر ، وأن التراجع عنه كفر وجبن ونذالة فاقتحمه .

وللحقيقة والتاريخ لا بد من ذكر الظروف التي سبقت استشهاده ، وجعلته يركب هذا المركب الصعب ويوجد بنفسه ، بعد أن سدت جميع المسالك في وجهه ، وحيل بينه وبين النصر ، وإنقاذ البلاد عن عمد وإصرار ..

يقول الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه :-

« ..وبعد أن طاف بجميع قناصل الدول العربية في مدينة القدس واحدا بعد الآخر ، شارحا لهم حراجه الموقف وشدة عوزه للمال والعتاد ، وطالبا اليهم الاتصال بحكوماتهم ، للطلب من اللجنة العسكرية مساعدته .. وانتهى به المطاف إلى جمعية الاتحاد النسائي بالقدس ، وكان ذلك قبل ظهريوم ٢٧/٣/١٩٤٨ م ليطلب اليهن العون والمعونة ، علهن يبرقن إلى الجمعيات النسائية في الاقطار العربية ، للتوسط لمساعدة المجاهدين ، وما أن سرى نبأ وجوده في تلك الدار ، حتى اكتظت ساحتها والطريق المؤدية اليها بالمراجعين ، فمن طالب ذخيرة ومن طالب رشاشات ومن محتاج الى نقود للتموين او النقليات ، ومن متذمر من موقفه الحرج .. والحق أنهم كانوا زمرة من المسؤولين الذين ذاقوا الأمرين نتيجة نقص الاعتدة والسلاح ، وكان - رحمه الله - يعرف أن مراجعتهم على حق ، ولا يملك ما يسد به رمقهم ، أو يفرج عنهم قليلا ، فأظلمت الدنيا في وجهه ، واذا به ينهض ويأخذني بيدي ، ويسير بسرعة وسط هذا الحشد من قادة الفصائل والمسلحين ، ويركب السيارة ويأخذني بجانبه ، ويسير متجها صوب الشرق ، وكنت أعتقد أنه يريد الابتعاد قليلا عن هذا الجو كعادته في مثل هذه

الظروف ، إلا انه واصل سيره حتى وصلنا أريحا ، حيث عرج على بيت خاله محيي الدين الحسيني (وكثيرا ما كانوا يبذلون له المساعدات)، وكان طيلة الطريق يتدمر ويتأوه من هذا الضيق ومن السلوك الذي تسلكه منه اللجنة العسكرية ، وإذا به يتجه إلى دمشق مارا بعبان متخفيا كعادته ..»

وبناء على ما تقرر في الاجتماع الاخير ، فقد سافر القائد الى دمشق ووصلها يوم السبت ٣ نيسان ١٩٤٨ م ، لمقابلة اللجنة العسكرية وطلب المساعدات ، وكان يرافقه في رحلته هذه بعض اركان حربه ومنهم :-

(قاسم الريماوي ، عبد الرؤوف الفارس ، جريس خليف ، ومالك الحسيني) بينما تولى كامل عريقات مسؤوليته كقائد العام ، إضافة إلى قيادة سرايا الجهاد المقدس .

قابل القائد عبد القادر سماحة المفتي الأكبر ، وشرح له دقة الموقف ، وأبدى قلقه وتدمره من موقف اللجنة العسكرية ، ورؤي من الواجب الاجتماع برجال اللجنة العسكرية فرادى ومجتمعين ، وقد أجرى مندوب جريدة المصري بدمشق مقابلة صحفية مع القائد قال فيها^(١) :-

(ان قوات الجهاد المقدس تسيطر سيطرة تامة على منطقة القدس بأكملها ، كما أنها تشرف على خطوط المواصلات اليهودية في أريحا وبيت لحم ، وأن مصير المائة الف يهودي في القدس ليس بأحسن من مصير الألوف من اليهود في تل أبيب ، لأن القتال وحدة لا تتجزأ) . وقال أيضا :-

(انني كقائد عسكري يتولى الدفاع عن سلامة العرب في القدس ، لا يهمني ما يجري في (اليك ساكس) من مناقشات ، وما دام مشروع التقسيم قائما ، فإن القتال سيستمر ولن نسمح بإنشاء دولة يهودية في فلسطين) .

ويقول المراسل معلقا : وأماط القائد عبد القادر الحسيني اللثام عن الجهود التي يبذلها رجال المخابرات البريطانية في فلسطين ، لمعرفة أسرار المعادلات الكيميائية التي تم بواسطتها نسف شارع ابن يهودا ، والوكالة اليهودية ، وقال إن بعض هؤلاء الاشخاص عرضوا أموالا طائلة على المجاهدين العرب ، لإعطائهم أسرار هذه المعادلات التي فاقت بقوة انفجارها ، كل ما استخدم حتى الآن من متفجرات في فلسطين ، ولكن العرب رفضوا هذه العروض وأجابوهم ، بأن هذه الأعمال ليست الا بداية النهاية ...

وفي اليوم التالي ، وصل الى دمشق المجاهد « منير أبوفاضل » وأحضر معه تقارير خطيرة تمكن من الحصول عليها بطريقة سرية ، من قلم الاستخبارات الانجليزي ، وخرائط عسكرية تبين خطط اليهود وأهدافهم وسلمها الى القائد عبد القادر ، كما سلم نسخا عنها لرجال الحكومات العربية ، وكانت تلك التقارير والخرائط على جانب عظيم من الاهمية .

(١) جريدة المصري ٤ نيسان ١٩٤٨ م

كما وصل كل من المجاهدين «محمد نمر عودة» و«فخري مرقة» وبعض الإخوان لمراجعة اللجنة العسكرية أيضا ، وهناك جرت عدة إتصالات بين القادة الفلسطينيين ورجال الحكومات العربية ، والامين العام واللجنة العسكرية .

يقول أحد المجاهدين المرافقين للقائد :-

« اجتمع القائد صباح اليوم ٤ نيسان ١٩٤٨ بطله الهاشمي ، في وزارة الدفاع السورية بحضور سماحة المفتي ، فأخذ عبد القادر يشرح له الخطة التي تهدد مدينة القدس ، والطرق المؤدية إليها .. لقد تعب القائد كثيرا في التفاصيل إذ أن عطوفة الباشا لا يعرف تلك المنطقة فهو لم يدخلها اطلاقا ، لا قبل تعيينه ولا بعده ، بالرغم من أنه المفتش العام لجيش الانقاذ» .

وبعد شرح طويل قال القائد :-

« إنني أهدف القضاء على القوات اليهودية في منطقة القدس ، واحتلال المدينة الجديدة ، وتطهيرها وبعد ذلك أتحوّل بقوات المجاهدين إلى يافا وحيفا للدفاع عنهما وإنقاذهما ، ولكن يجب ان نعمل الان وقبل انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥ أيار ١٩٤٨ م ، وإني أطلب سلاحا وعتادا .. وقد رأيت مخازن اللجنة العسكرية المليئة بالعتاد والأسلحة ، فإذا أعطيتم اليوم ما أطلبه من السلاح والعتاد ، فإنني قادر على تحقيق اهدافي .. إنني واثق من نفسي ومن إخواني المجاهدين ، ان الموقف لا يزال حتى هذه الساعة في أيدينا ، فلا تدعوه يفلت منا ، فإذا قدمتم ما أطلبه وهو في استطاعتكم كسبنا المعركة ، وليتفضل القائد العام إسماعيل صفوت باشا ليقود المعركة بنفسه ، فيرى من المجاهدين ما يثلج الصدور .. وإذا فشلت في مهمتي فإن دمي محلل لكم ولكم أن تشنقوني أو تقتلوني رميا بالرصاص في أوسع ميادين الشام ..

ولما رأى القائد تردد الهاشمي قال :-

« والله يا باشا ، اذا ترددتم وتقاعستم عن العمل ، فإنكم ستحتاجون بعد يوم ١٥ ايار الى عشرة أضعاف ما أطلبه منكم الآن، ومع ذلك فإنكم لن تتمكنوا من اليهود .. إنني أشهد الله على ما أقول ، وأحملكم سلفا ضياع القدس ويافا وحيفا وصفد وطبريا .. وأقسام أخرى من فلسطين ..»

فلم يهتم هؤلاء بالأمر ، « وجعلوا يتهمون ويسخرون من أقوال عبد القادر ، فاستشاط عبد القادر غضبا ، ورمى بإضبارة كانت في يده في وجوههم وقال :-

« إنكم تخونون فلسطين .. إنكم تريدون قتلنا وذبحنا ...»

فقال طه الهاشمي :- لماذا كل هذا الاهتمام بالقدس يا عبد القادر ..؟ إنها لا تستحقه ، ولو كانت القدس ميناء على البحر ، لاستحقت الاهتمام ، وقمنا بمساعدتك ..

انعقد لسان عبد القادر ، ولم يكن ليصدق ما يسمع ، وارتاب في كل شيء ، وقبل أن يفارق من ذهوله إذ بإسماعيل صفوت يقول :-

« يا عبد القادر يظهر انكم تخافون من اليهود ، ولذلك فإنكم تقدرتون قواتهم أكثر من اللازم ، ونحن نعرف الحقائق أكثر منكم ، ولدينا من القوات ما نستطيع معها القضاء على اليهود ، أعني دعمهم يحتلون القدس وحيفا ويافا ، فإننا سنسترجعها حالا .. »

خرج القائد وسماحة المفتي وشرر الغضب يتطاير من عيونهما ، واتجها الى مكتب محمود الهندي ، وبعد شرح مفصل ومناقشات اعتذر محمود الهندي قائلاً :-

« إنه لا يوجد لدى اللجنة العسكرية ، رشاشات أو مدفعية أو أي نوع من السلاح الثقيل » ولكنه وعد بإعطاء عبد القادر خمسين بندقية ، شريطة أن توافق بقية أعضاء اللجنة العسكرية على ذلك . فقال له عبد القادر :-

« إنكم حرمتونا من أية مساعدة ، وهل تبخلون علينا ببضعة رشاشات وبعض الأسلحة الحديثة ، التي أعرف أنها مكدسة في مخازن المزة فرد عليه محمود :-

- ولكن هذه الأسلحة تخص جيش الانتقاذ .

- فاستشاط عبد القادر غضبا وقال :-

- ولكن أين جيش الانتقاذ .. وهل اشترك في أية معركة حتى الان ..؟ نحن نريد واحدا بالمائة من الاسلحة التي تقدمونها لهذا الجيش ، أو لستم قادتنا ، وأنتم الذين عهدتم الينا بتنظيم القوى الشعبية ومقاومة اليهود ؟ فلماذا تمنعون عنا كل عون أو مساعدة ..؟ وطالما يصلنا منكم بين الآونة والأخرى كتبا تطلبون فيها أسماء القواد والمناطق التي يشرفون عليها ، ان هذا شيء لا يطاق يا محمود .. اني اتوسم فيك خيرا ، ولذلك أرجو أن تبشعر معنا ، فتساعد على مد يد العون إلينا ، وسنرفع رأسكم عاليا ورأس كل عربي وسنقوم بأعمال حاسمة وهنا حاول محمود الهندي التخلص منه فقال :-

« سننقد اجتماعا للبحث في هذا الموضوع ... »

يقول الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه :-

(وما أن خرجنا من وزارة الدفاع ، حتى شاهدنا عددا من البوليس السري يحيط بنا ، ويتنقل معنا من مكان إلى آخر فاستغربنا ، فلما استفسرنا عن ذلك قيل لنا : إن الدافع الى ذلك هو المحافظة على حياة القائد الباسل ، إلا أننا عرفنا فيما بعد أنها رقابة فرضها المسؤول عن شعبة فلسطين ، تلبية لرغبة فوزي القاوقجي) .

وبعد خروج القائد ، اجتمع أركان حربه بأعضاء الهيئة العربية العليا وسماحة الحاج أمين ، حيث أطلعهم على سوء معاملة اللجنة العسكرية له ، وأوضح لهم المؤامرة التي تدبر ضد فلسطين وشعب فلسطين ..

كانت اللجنة العسكرية قد طلبت بيانات وتفاصيل تامة ، عن جميع أعمال الجهاد المقدس ، وخرائط وتفاصيل إدارية عن الحسابات وعدد الجنود وغيرها .. وفي اجتماع عبد القادر بأعضاء الهيئة العربية تم إعداد جميع المعلومات المطلوبة ، حيث أرفقها عبد القادر بتقرير شامل قدمه إلى اللجنة المذكورة .

وفي تمام الساعة الثامنة من مساء ٤ نيسان ١٩٤٨م توجه عبد القادر بصحبة سماحة المفتي ، ومعهما كل من إميل الغوري وقاسم الريماوي إلى فندق (أوريون بالاس) حيث يقيم الامين العام (عبد الرحمن عزام) ، ولما علم بقدوم عبد القادر ، استقبله عند مدخل الغرفة وأخذ يقبله من رأسه قائلاً له :

« لقد رفعت رأس العرب عاليا يا عبد القادر » . فحجل القائد وقال :-
« إنني لم أقم بشيء غير الواجب »

ثم راح القائد يشرح للأمين العام حقيقة الموقف ، وخطة اليهود التي يودون اتباعها بعد جلاء الانجليز ، ويبين له مدى تقصير اللجنة العسكرية في مساعدته ، وطلب منه التدخل في الامر لمنحه بعض قطع السلاح والمساعدة قائلاً :-

« إنه بفضل هذه المساعدة سننهي الحرب في فلسطين ، لأننا سنحتل مدينة القدس والمستعمرات المحيطة بها ، وبذلك يتم تشريد ١٠٠ ألف يهودي ، بل الشعب اليهودي بأكمله ، لأنه لن يستطيع تحمل مثل هذه الهزيمة » ... فتحتمس الأمين العام وقال :-

« سأدعو اللجنة العسكرية لاجتماع تحضره أنت وإنني أنا شخصياً سأحاول مساعدتك فإن أحد أصدقائي قال : إنه مستعد لدفع ١٠٠ ألف جنيه للجهاد في فلسطين ، وسأخصص منها ٤٠ الف جنيه لمساعدتكم ... »

وفي الساعة العاشرة من مساء ٤ نيسان ١٩٤٨ ، عقد الاجتماع ودام حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

وفي صباح يوم ٥ نيسان ١٩٤٨ أذيع نبأ احتلال اليهود لقرية القسطل (فتارت ثائرة عبد القادر ، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ، وبسرعة كالنمر الهائج في القفص وهو يقول : « لقد احتلوا القسطل .. يا للعار .. انهم يريدون تسليم بلادنا للاعداء » وكان في حالة تهيج ما بعده تهيج ، وأخذ يتمتم بكلمات لم أستبئها من شدة غضبه ، وإنني أؤكد انه ما لحق الغضب لاحتلال اليهود للقسطل ببشر أكثر من عبد القادر)^(١) .

وبعد ذلك توجه القائد ومعهم أركان قيادته الى معسكر (قدسية) حيث تقيم اللجنة العسكرية وهناك عقد اجتماع ضم كلاً من :

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر.

(اسماعيل صفوت ، احمد الشرباتي ، محمود الهندي ، طه الهاشمي ، سماحة المفتي
وعبد القادر الحسيني) وقد تأخر رياض الصلح وعزام باشا قليلا عن موعد الاجتماع ، إلا
أنهما كانا على اتصال مستمر بالمجتمعين ، وبعد أن شرح عبد القادر خطورة الموقف باحتلال
اليهود لقرية القسطل قال اسماعيل صفوت بصفته القائد العام :-

« إطلعنا على تقريرك .. ولكن القسطل قد سقطت فإن كنت عاجزا عن استردادها ،
فسنطلب من القاووجي أن يسترجعها . فقال له عبد القادر : القسطل يا باشا ، مأخوذة من
كلمة (Castle) ومعناها حصن .. أنت تعرف أن خطتي هي محاصرة القدس والمستعمرات
اليهودية ، وقطع التموين والماء عنها ، وضرب القوافل القادمة إليها ، وقد نجحت هذه الخطة ،
حتى أدت بالعدو إلى طلب الهدنة في القدس ، وبالولايات المتحدة بالعدول عن مشروع
التقسيم ، وأنت تعرف أنه لا يمكنني مهاجمة القدس والمستعمرات أو استرجاع القسطل
بالبنادق الايطالية والذخيرة القديمة التي احضرتها من مصر ، ولكن إن قدمتم لي مدفعية فإنني
على استعداد لاسترجاع القسطل واحتلال مدينة القدس والمستعمرات المحيطة بها ، وإعطائكم
إياها مستسلمة قبل يوم ١٥ أيار ١٩٤٨ م ، وإن عجزت عن ذلك فيمكنكم محاكمتي عسكريا
وشنقي في أوسع ميادين الشام . فرد عليه طه الهاشمي بقول لاذع :-

« يا اهل فلسطين .. لا شغل لكم إلا طلب السلاح ، وليس لدي سلاح هل أخلقه من
الهواء .. فرد عليه القائد : (لازم تعيرنا إن نحن طلبنا سلاحا ، نحن ندافع عن فلسطين وعن
البلاد العربية .. إن السلاح الذي لديكم جمع باسم فلسطين ..)

فازداد الهاشمي تهكما ، وراح يقوم بأعمال بهلوانية^(١) ، ورفع يده اليمنى وقبض على
الهواء وقال : هذه دبابات .. ورفع يده اليسرى وقال هذه مدافع .. خذها .. حبيبي ماذا تريد ؟
ما في سلاح .. ما في مال .. ونحن نعرف شغلنا .

فرد عليه عبد القادر حانقا :- « إن هذا هراء .. ما هذا العبث بمصير الأوطان ؟؟ أنتم
تريدون وأين ذهبتم بالثمانمائة بندقية ؟ وبالمائة والعشرين رشاشا ؟ تلك التي تبرع بها
اخواننا اللبنانيون والتي اشترطوا تسليمها لي ولأخي حسن سلامة ؟ إن مخازن اللجنة
العسكرية ملأنة بأنواع الاسلحة رأيتها بعيني هذا الصباح ..)
فوجيء الموجودون لدى سماعهم هذه الحقيقة على لسان عبد القادر ، والتي أرادوا لها
ان تكون سرا لديهم فقط .. فرد عليه طه الهاشمي ..:

« صحيح .. ولكن هذا السلاح يلزمني لأفواج جديدة سنؤلفها قريبا .. ثم أردف
قائلا :- « أف ... يا سما .. نزل مورتر لعبد القادر .. »

وهنا التفت عبد القادر إلى احمد الشرباتي ، وطلب منه أن يتدخل للمساعدة في الحصول
على السلاح ، لكنه لم يحرك ساكنا . ولما رأى عبد القادر تنكر القوم له قال :-

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر.

« لا تعطوني سلاحا من عنابركم ، أرجو أن توزعوا الى القاوقجي ليرسل لنا بطارية من مدفعية جيش الانقاذ إلى منطقة القدس لمساعدة المجاهدين ...»

فكان جواب الهاشمي بالرفض وقال :-

« يعني ما تخاف على المدفعية أن يستولوا عليها اليهود ؟ فقال عبد القادر :-

« يا باشا .. ما هو الأهم القدس وفلسطين أم مدفيعتكم ...؟»

فرد عليه طه وقال :- « أخشى أن ينتصر اليهود عليكم فيستولوا على المدفعية .. فاجاب

عبد القادر :-« وما فائدة المدفعية إذا انتصر علينا اليهود وأخذوا فلسطين ..

فرد عليه اسماعيل صفوت بلهجته العراقية^(١) :-

« خلاص .. ماكو مدفعية .. ماكو مدافع .. ماكو مال .. ماكو سلاح ... فهاج النمر

الغاضب من جديد وصاح :-

(إن التاريخ سيتهكم بإضاعة فلسطين أنتم ومن يقفون وراءكم .. وهل المدافع لتطويق

مزابل جبع^(٢) يا باشا .. لقد أضعتم بلادنا ، أنتم المسؤولون عما سيحل بنا من دمار ايها

الخارجون المتآمرون .. سأحتل القسطل وأموت أنا وكل جنودي ، وسيسجل التاريخ ،

وسيشهد العالم أنكم أنتم المجرمون الخونة الذين أضعتم البلاد ...)

وقذف بالخريطة الكبيرة التي كان يشرح لهم فيها الخطة في وجوههم وقال :-

(إنني مستقيل من قيادتكم) ثم خرج من غرفة الاجتماع وأقفل الباب بقوة هزت العمارة

ثم لحق به رفاقه وقال لهم :-

(إما أن ننتحر هنا في دمشق ، أو نذهب إلى العراق حيث نختفي ، أو نعود الى فلسطين

للموت في سبيلها .. ولكن .. لا .. سنعود إلى فلسطين ...)^(٣)

وبعد ذلك عقد اجتماع ضم القائد عبد القادر ، وأميل الغوري وعبد الرؤوف الفارس

وجريس خليف وقاسم الريماوي وفوزي جرار ورفيق عويص وخالد الفرخ ومحمد سليم ابولبن

ومنير ابوفاضل ، وفيه شرح القائد ما جرى وأفهمهم أنه ينوي الاستقالة ، فثار عليه الاخوان

وقال اميل :

« صحيح إنك عسبي .. دعهم وشأنهم .. نعم إننا سنواجه مصيرا مظلما ونتيجة

سيئة ، وستنزل بنا كارثة خاصة نحن الشعب الفلسطيني ، وخير لنا أن نقاتل حتى الموت قبل

أن نرى مؤامرات الخيانة يتم تنفيذها علينا وعلى وطننا .. ولنقاتل حتى النهاية بما لدينا من

سلاح ولا نقطع الامل .. سنحصل على السلاح ...)^(٤)

(١ + ٢) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر

(٢) يشير الى المدافع والدبابات التي قدمتها اللجنة العسكرية الى القاوقجي والتي تمركزت في جبال جبع وطوباس

بعيدة عن ميدان القتال .

(٤) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

ولكن القائد ظل مصمما على الاستقالة ، لأنه أدرك أنه يستحيل عليه العمل بسبب الموقف المستهجن الذي وقفته اللجنة العسكرية من طلباته .

وفي زاوية من الغرفة التي كان يقيم فيها سماحة المفتي في فندق أوربان بالاس ، جلس عبد القادر يكتب استقالته من قيادة الجهاد المقدس ، ثم سلمها إلى سماحة المفتي وقال :-

« والله يا عماء ... انه يعز علي هذا ، لقد قمت بالواجب حتى الآن، ولكن لا يمكنني ان اقاتل وأضحى بأولاد الناس دون جدوى» فنصحته المفتي بالتريث وحاول التخفيف عنه ، وساعده كل من كان حوله من الإخوان ولكن بدون نتيجة ، ولما علم رياض الصلح بخبر استقالة عبد القادر ، توجه الى الفندق ، وألح عليه بوجوب سحب استقالته ولكنه أبى ، وفي النهاية نجح اخيرا وأقنع القائد بالعدول عن الاستقالة ، ووعده أن يبذل أقصى جهوده للمساعدة في إرسال الأسلحة للمجاهدين (وبالرغم من ذلك فإنه لم يوفق في إرسال قطعة سلاح واحدة) .

وبعد ذلك غادر الفندق متوجها الى مخازن اللجنة العسكرية حيث شاهد بأمر عينه مئات الرشاشات والبنادق والمتفجرات المكسدة فيها ، فطلب كمية من المتفجرات ليحضر لغما ينسف به مشروع روتنبرغ الذي يدير جميع المصانع اليهودية ، ويزودها بالمتفجرات ، ولكن اللجنة رفضت ذلك ايضا .

ونزولا عند رغبة المجاهدين الذين نصحوا القائد بمراجعة اللجنة مرة أخرى قبل العودة الى فلسطين ، فقد تكون التقارير الموثوقة من رجال الحكومات العربية (من مصر وسوريا ولبنان في القدس) عن الحالة في فلسطين وسقوط القسطل قد فعلت فعلها في نفوسهم ، وفعلا .. قابل القائد اللجنة المذكورة وطلب منها سلاحا وعتادا ، وبعد عدة وساطات قام بها سماحة الحاج أمين ورياض الصلح ، (تمخض الجبل فولد فأرا ..) فقد أجابه طه بأسلوب جديد « إننا موعودون بوصول شحنة جديدة من الأسلحة وسنخصص لك كمية » فقال القائد :-

« ربما تأخرت هذه الشحنة ، وأنا لا يمكنني البقاء في دمشق تاركا ميدان المعركة والمجاهدين بدون عتاد ...»

فقال طه :- ما يخالف .. إنتظر قليلا لتتدبر الامر ..

وأخيرا وبعد جهد جهيد ، أمر الهاشمي بتقديم (٥٠ بندقية و ١١٠ الاف طلقة و ٣٠٠ قنبلة يدوية وكمية من المتفجرات ومبلغ ٥٠٠ جنيه فقط)^(١) ولما رأى عبد القادر هذه الكمية المهينة ، واطلع على حالة الخمسمائة بندقية التي كانت عبارة عن حديد بلا خشب وأكثرها غير صالح للاستعمال جن جنونه ، واتجه إلى الفندق ودخل على سماحة المفتي وهو لا يكاد يتميز من الغيظ والغضب وقال له :-

(١) مخطوط حياة عبد القادر - نخبة من المخلصين ، وجريدة الشرق اللبنانية .

(والله يا عماء .. إنهم يريدون القضاء علينا ، ويريدون إضاعة فلسطين إنهم يخونونا يا عماء .. إنهم متآمرون علينا وعلى بلادنا .. لا أمل لنا بوجودهم ، فهل يمثل هذه الاسلحة يريدون تخليص فلسطين ؟.. إنني قررت العودة ، وسأعود جنديا يعرف كيف يدافع عن بلاده) .

فحاول رياض الصلح الذي كان موجودا بالتعاون مع سماحة المفتي من تهدئة خاطر القائد الثائر .. ثم تقدم اليه ، وناوله مسدسه الخاص والمكتوب عليه (الأمن العام اللبناني) وقال : (خذهُ وليكن الله معك) . كما زوده سماحة المفتي بمبلغ ٨٠٠ جنيه فلسطيني لانفاقها في سبيل الجهاد .

وبعد ذلك التفت عبد القادر إلى رفاقه وقال :-

(أما أنا فإنني ذاهب إلى القسطل ، لأموت هناك قبل أن أرى ثمرة التقصير ونتائج التواطؤ ، سأعود الى القسطل وسأسترجعها من اليهود مهما كلف الثمن وسأموت هناك وليسقط دمي على رأس عبد الرحمن عزام وطه الهاشمي واسماعيل صفوت الذين يريدون تسليمنا لأعدائنا كي يذبحونا ذبح النعاج ...) .

كانت ساعة رهيبة حاول سماحة المفتي خلالها تهدئة ثائرة عبد القادر ، ورجاه أن يراف بنفسه وبأتمته وأطفاله ، وطلب منه أن يتجنب التلفيات الكثيرة بالمجاهدين ، فالتفت عبد القادر إلى سماحة المفتي وقال :-

« إن احتلال اليهود للقسطل أكبر عار يلحق بنا ، فعلينا أن نمحو هذا العار باستعادة القسطل مهما كلف الامر ... وكيف يمكن عدم إلحاق تلفيات وتجنب الاصابات والخسائر ، ولدى اليهود الدبابات والمصفحات والطائرات والمدافع .. أما نحن فسنقاتل بدمائنا ولحومنا ، وليبق السلاح مكدسا في دمشق ...)

(... وإنه ليؤسفنا بالحقيقة أن نسجل في هذه المذكرة أن رجال اللجنة العسكرية المسؤولين الذين اجتمع بهم القائد وزملاؤه ، لم يعيروا طلبات الفلسطينيين وملاحظاتهم اي اهتمام ، بل قابلوها بالسخرية والازدراء ، ولم يحركوا ساكنا لتلافي الأخطار الفظيعة التي كانت ظاهرة للعيان ، وكان رجال اللجنة العسكرية يقولون لمن كان يراجعهم من اهل فلسطين ... لا تخافوا ولا تهتموا فإننا قد اتخذنا كل الاحتياطات اللازمة ، وليست هناك اهمية يعول عليها إذا سقطت القدس ويافا وحيفا ، ذلك لأننا سنستعيدها في الوقت المناسب ، فلما رأى السيد عبد القادر ورجاله تعنت رجال القيادة العامة ، واللجنة ، واستهتارهم بطلبات المجاهدين ، ومن عدم اكتراثهم بحقيقة الأوضاع في فلسطين ، عادوا إلى بلادهم بخفي حنين ، وقد امتلأت نفوسهم يأسا وغيظا ، وقرروا مقابلة استحكامات اليهود ومدافعهم ومصفحاتهم

وطائراتهم بدمائهم ولحومهم بدل السلاح الذي ضن عليهم به ، وكان استشهاده أشبه بالانتحار الذي تولد عن يأس وقنوط بسبب موقف القيادة العامة واللجنة العسكرية^(١).

وتقول جريدة العرب :

(بعث الينا صديقنا المجاهد العربي الكبير الأستاذ « محمد علي الطاهر » برسالة خاصة ، وصف فيها الكارثة الكبرى التي حلت بالمجاهدين العرب في فلسطين ، بفقد فتى المجاهدين وزين شباب العرب القائد عبد القادر ، وقد قال الاستاذ الطاهر ما نصه بالحرف الواحد :-

(.. هذا ومن حق الجيل المقبل أن يعرف أن دم عبد القادر الحسيني قد راح رخيصة ، يوم طلب إمداده بالقليل من السلاح والمال ، فبخل عليه المسؤولون بهذا الحق ، وجامعة الدول العربية تعرف ذلك ويعرفه عبد الرحمن عزام باشا أمينها العام ، الذي لا يستجيب لمستغيث بل لقد استغاث به اليمانيون فتركهم ولم يتدخل ...

والكلمة الآن لعزام باشا .. فماذا يقول سعادته .. أفنوننا مأجورين ...)^(٢)

ومن المؤكد أن عزام باشا قد رد على رسالة المجاهد الطاهر حين قال :-

(لقد تورطنا .. فلم أظن أننا سندخل الحرب بهذا الشكل .. كنت أعتقد أن تهديدات العرب بالدخول الى فلسطين ، لن تصل إلى حيز التنفيذ ، وإنما هي بضاعة خاصة للاستهلاك في الأمم المتحدة ...)^(٣).

(١) من كتيب « مأساة فلسطين » ويضم قرارا بإجماع بعض الشباب الوطنيين في لبنان

(٢) جريدة العرب ايار ١٩٤٨م

(٣) من كلمات عبد الرحمن عزام للجامعة العربية (ماذا جرى في الشرق الاوسط) . (ناصر الدين

النشاشيبي)

العودة الى فلسطين

في تمام الساعة السابعة من مساء يوم ٥ نيسان ١٩٤٨ م ، غادر عبد القادر دمشق عائدا الى القدس ومعه (٥٦) متطوعا ، بعد أن ودع اخوانه وقبله سماحة المفتي بين عينيه وودعه ثلاث مرات ، وكأته كان يعرف أنه الوداع الأخير ، لما رآه من إصرار القائد على استعادة القسطل ، ومع روح اليأس التي استولت عليه بسبب موقف اللجنة العسكرية ، الذي كان منسجما مع السياسة التي ترمي الى تجميد الوضع القائم في فلسطين ، حتى تدخل الجيوش والقوات العربية الى فلسطين ..

وفي درعا استقبل مدير الامن العام (الذي كان صديقا لعبد القادر) عبد القادر ورجاله وقال له^(١) :-

« لقد وردت برقيات من القدس من أحمد حلمي باشا والدكتور الخالدي ، إلى اللجنة العسكرية عن طريقنا يطلبان فيها عودتك في الحال ».

وما أن سمع عبد القادر النبأ حتى ثارت ثائرتة وقال :-

« نعم ... إنني ذاهب فوراً إلى القسطل وسأقتحمها وسأحتلها ، ولو أدى ذلك إلى موتي ، والله لقد سنمت الحياة وأصبح الموت أحب إلى نفسي ، من هذه المعاملة التي تعاملنا بها الجامعة وطه اسماعيل والشرباتي واخوانهم .. إنني أصبحت أتمنى الموت الآن قبل أن أرى اليهود يحتلون فلسطين ، ويحزنني أن أقول لكم وأنا نا مزعم على اقتحام القسطل ، إن رجال الجامعة والقيادة ، يخونون فلسطين ، ويريدون ذبحنا وزوالنا وسترون ذلك ، وإنه لشرف عظيم لي وللمجاهدين ، أن نخوض المعركة ونستشهد ، أما أعضاء اللجنة فلينعموا بالسلاح والمال أما نحن فعلينا أن نموت ».

وصل عبد القادر ورجاله جسر اللنبي الساعة الرابعة من صباح يوم ٦ نيسان ١٩٤٨ م ،

حيث التقى بسرية من متطوعي الاخوان المسلمين بقيادة الشيخ (مصطفى السباعي) في طريقهم الى القدس ، فصافحهم عبد القادر ورافقهم إلى المدينة المقدسة .

وبعد أن وصل عبد القادر إلى دار أخيه ، وضع أمتعته الخاصة ، وقفل راجعا الى

مدرسة الروضة ، حيث حضر كل من القائد إبراهيم ابودية وعبد الله العمري وحافظ بركات

وغيرهم وأخذوا يسردون له قصة احتلال القسطل بشكل مثير ، لم يتمالك معه الا ان صمم

التوجه في الحال لمهاجمتها .. ثم أمر ابراهيم ابودية آمر سرية القطمون ، باحضار أكبر عدد

ممکن من حماة الحي لمهاجمة القسطل ، كما أرسل في طلب النجدات من بيت صفافا والمالحة

وعين كارم ودير ياسين وصوبا ، كما ارسل مالك الحسيني وعزمي الجاعوني الى بيرزيت ،

لاستنفار قوات الجهاد المقدس ومهاجمة القرية من الجهة الشمالية والغربية والشمالية

الشرقية .

(١) مخطوط الدكتور قاسم الريماوي - حياة عبد القادر

معركة القسطل واستشهاد القائد

المعركة الاولى ٤ نيسان ١٩٤٨ م:

تقع قرية القسطل على هضبة عالية تبعد نحو ٨ كم عن القدس غربا، وتشرف إشرافا تاماً على طريق القدس - تل ابيب - يافا، وهي بذلك تؤلف موقعا استراتيجيا مهماً، إذ أن من يحتلها، يتحكم بالشريان الرئيسي للقدس الغربية، وقد جرت فيها المعركة المسماة باسمها.

ففي ٣ نيسان ٤٨ قامت مجموعة من اليهود (البالماخ) مؤلفة من سرية مصفحات وفصيلة هندسة ميدان ونحو ٥٠٠ مقاتل من حرس المستعمرات بهجوم مباغت على هذه القرية، بقصد فك الحصار المضروب وتأمين تموين مائة الف يهودي في القدس الغربية، وفي المستعمرات المحيطة بها، ولم تكن القرية محصنة، ومع ذلك فقد صمد أهلها العرب بما تيسر لهم من اسلحة خفيفة وبنادق عادية وذخيرة، لم تكن تكفيهم للصدوم طويلا، وقاوموا بضراوة وعنف الهجمات المتكررة والمستمرة، لعناصر يهودية مستميتة، ومزودة بأحدث أنواع الأسلحة ومدافع الهاون. وفي النهاية نفذت ذخيرة المدافعين العرب (ولم يكن فيها من القوة ما يكفي للدفاع عنها) حيث كان فيها ٥٠ مسلحا فقط^(١). فانسحبوا من قريتهم التي احتلها اليهود وتمركزوا فيها، وراحوا يعملون على تحصينها وتشديد استحكامات قوية فيها، وفي نفس الليلة سقطت على مدينة القدس العربية (١٠٠٠) قذيفة بعد أن رفض (تيدي كوليك) الاستسلام مما سبب في رحيل بعض السكان الى اريحا.

أثار سقوط القسطل في أيدي اليهود حمية المجاهدين العرب، وقررت قيادة منطقة القدس مهاجمة القرية قبل أن تستقرّ فيها أقدام اليهود، فتجمع ما يقارب من (٣٠٠) مجاهد، اتجه قسم منهم بقيادة (صبحي أبو جبارة) إلى مستعمرة موتساعيليت بالقرب من القسطل فاحتلها، ثم احتل قالونيا والهضاب المجاورة لها، واتجه القسم الآخر بقيادة كامل عريقات - الذي جاء من بيرزيت - وآخرون بقيادة ابراهيم ابودية الذي جاء من القطمون، وآخرون بقيادة عبد الله العمري من بيت صفافا، ومن مدينة القدس جاء حافظ بركات وخليل متون من عين كارم، وعبد الفتاح درويش من المالحه، واتجهوا جميعا ومن جهات مختلفة وخاصة الجهة الجنوبية للقسطل. (عين كارم والمالحه). لمحاصرتها، وقطع الإمدادات عنها بقصد احتلالها.

وبدأت المعركة صباح ٤ نيسان ١٩٤٨، فطوّق المجاهدون البلدة، واحتلوا التلال الواقعة بينها وبين عين كارم، وذلك بعد معركة عنيفة خسر فيها المجاهدون ثلاثة شهداء وخمسة جرحى بينما خسر اليهود خمسة وعشرين قتيلًا وعشرات الجرحى.

(١) مجلة تاريخ العرب والعالم - العقيد الدكتور ياسين سويد

وفي ٥ نيسان ١٩٤٨ نسف المجاهدون جسرا يقع بالقرب من قالونيا، ويصل القسطل بالمستعمرات اليهودية المجاورة لها (جبعات شأول ومنثفيوري وبيت هاكريم) إلا ان اليهود تمكنوا من إعادة بنائه في اليوم نفسه.

وفي ٦ نيسان هاجم المجاهدون بقيادة كامل عريقات وأبو دية وحافظ بركات محاجر (الجيشار) اليهودية ونسفوها، بعد أن قضاوا على الحراس فيها واحتلوها وخسر اليهود في هذه الهجمة الكثير من جنودهم، وقد قدرت الخسائر المادية بآلاف الجنيهات، إلا أن المجاهدين لم يتمكنوا من الاحتفاظ بهذا الموقع، نظراً لأن ذخيرتهم قد نفذت أو كادت، فشنَّ اليهود عليهم هجوماً معاكساً، بعد أن وصلتهم إمدادات كثيرة من الرجال والسلاح والمؤن، بواسطة الطائرات، وتمكنوا من استرداد الموقع في اليوم نفسه، واستشهد من المجاهدين خمسة رجال وجرح عدد منهم ومن بينهم كامل عريقات، ثم أخذ اليهود يضيقون الخناق على القرى المجاورة، حتى لا يتحرك أهلها لنجدة المقاتلين حول القسطل، وأخذ القتال يتحول ضدَّ المجاهدين العرب بعد أن اصبحوا محاصرين من يهود مستعمرات عطاروت والنيفي يعقوب. (واستنجد المجاهدون بالجيش العربي المتمركز في رام الله فلم يتحرك لنجدهم، حيث لم يكن في استطاعته أن يبدأ القتال في فلسطين ضد العدو، قبل إنهاء الإنتداب في ١٥ ايار ١٩٤٨ م، وكان رسول المجاهدين الى الجيش العربي في رام الله (عارف العارف)، وكان قائد القوة العربية هو (أحمد صدقي الجندي قائد اللواء الرابع والجنرال كلوب باشا وعبد الله التل)^(١).

معركة القسطل الثانية: -

التحق عبد القادر بالمجاهدين صباح ٦ نيسان ١٩٤٨ م، بعد أن غادر القدس عن طريق المألحة - عين كارم، وفي عين كارم اجتمع القائد مع المجاهد عبد الفتاح درويش فترة، ثم ودعه فقال له عبد الفتاح: -
(أرجوك يا عبد القادر لا تدخل مثل هذه الدخلات....)

فقال عبد القادر: لقد وهبنا فلسطين دمنا وأرواحنا، فكيف نبخل عليها أو نضنَّ بها^(٢). وما أن وصل إلى منطقة القسطل، حتى تسلم القيادة، وهو يدرك جيدا أنها معركة يائسة يخوضها بأسلحة قديمة ومهترئة ودون ذخيرة، ضد عدو مجهز بأحدث أنواع الأسلحة.

وفي غرفة تقع على سفح الجبل الذي يواجه القسطل بالقرب من المحاجر المدمرة، جلس عبد القادر والى جانبه عدد من أمري السرايا وقوات الفصائل منهم:

(ابراهيم أبو دية - أمر السرية الثالثة، وفاضل رشيد أمر حامية القدس، وعبد الله العمري أمر السرية السابعة، وهارون بن جازي (من البدو) أمر السرية الثامنة (سرية القوافل) وعدد كبير من المسلحين يقرب من ٣٠٠ مجاهد، حيث راح يوزع قواته على جبهة القتال كالتالي: -

(١) مجلة تاريخ العرب والعالم - ياسين سويد.

(٢) من احاديث المجاهد لافي محمد سعادة

- ١ .. الميمنة - بقيادة حافظ بركات (قائد السرية الرابعة) وتبدأ هجومها من الجهة الشرقية من القسطل.
- ٢ - الميسرة - بقيادة هارون بن جازي، وتبدأ هجومها من الجهة الجنوبية الغربية.
- ٣ - القلب - بقيادة ابودية مع فصيلين من سرية وتبدأ الهجوم من الناحية الجنوبية
- ٤ - القيادة - وتتكون من القائد عبد القادر وعبد الله العمري وعلي الموسوس وجودت العمدة، واثنين من شباب القدس.
- ٥ - الاحتياط - ومركزه قالونيا: فرقة بقيادة صبحي أبو جبارة وأخرى بقيادة الشيخ عبد الفتاح المزرعاوي.

وبعد أن وُزِعَ عبد القادر الذخيرة المطلوبة، طلب المجاهد إبراهيم ابودية، السماح لحارس عبد القادر الخاص (عوض محمود احمد الترمسعاوي) وكان من المجاهدين والذي يحمل رشاشا من نوع (برن) الممتاز، أن يشترك معه لنقص الرشاشات والأسلحة، فلما رأى القائد ضرورة ذلك سمح له بالاشتراك.

(وكان هناك أربعة من الجنود الانجليز المتطوعين يديرون أربعة من مدافع الهاون)^(١)

وبعد ظهر يوم ٧ نيسان ١٩٤٨ زحف القائد بقوات المجاهدين حسب الخطة المرسومة على معاقل العدو المحيطة بالقسطل، وكانت الخطة أن يبدأ إطلاق النار بصورة مكثفة ومركزة من الجهة الغربية، لمناوشة العدو وإيهامه أن الزحف العربي قد بدأ من هذه الجهة، وبعدها يتقدم القلب والجناح الايمن لاحتلال القرية من الجهة الجنوبية والشرقية والقيام بنسف الاستحكامات اليهودية فيها...

وفي تمام الساعة الحادية عشرة من مساء الاربعاء ٧ نيسان ١٩٤٨، تمكّن رجال عبد القادر من تطويق القسطل، حيث بدأ إطلاق النار من الجهة الغربية حسب الخطة، فقابل اليهود النار بالمثل، وفي هذه الأثناء زحف المجاهد ابراهيم ابودية وستة عشر مجاهدا من رجاله، ودخلوا القرية، إلا أنّ اليهود تصدوا لهم، فطوقهم من الجهة الشرقية، بعد أن تأخرت الميمنة التي يقودها حافظ بركات عن الدخول من الجهة الشرقية، وبذلك وقع الستة عشر مجاهدا تحت رحمة القوات اليهودية التي أصلتهم نارا حامية، فقتلت منهم من قتلت، بينما أصيب ابودية إصابات عديدة، وبذلك تمزقت قوى القلب، واختلّ نظام المعركة، فعلت أصوات المجاهدين أن المجاهد ابودية قد جرح بعد دخول القرية، وأن الهجوم قد فشل بسبب نفاذ الذخيرة من كثير من المجاهدين، وبسبب إصابة العديد منهم بجراح أقدعتهم عن متابعة التقدم.

وصل النبأ الى القائد عبد القادر، فما كان منه إلا أن نهض ليتولّى توجيه المعركة، وقيادة المجاهدين، وكان لا بدّ له من ذلك لأن جموع المجاهدين أخذت تتقهقر، وأصبح الفشل مؤكداً... فتوجه الى القلب، وما أن رآه المجاهدون من رجال الميسرة والقلب، حتى التفوا حوله، ودخل القرية والتحم باليهود الذين هالهم ما رأوه من تصميم المجاهدين واستماتتهم في الهجوم، بعد

(١) النكبة - عارف العارف

أن أخذت استحكاماتهم وبيوت القرية تسقط واحدة بعد الأخرى، وهو يهلل ويكبر ويزمجر كالأسد متنقلا من بيت الى آخر وهو يقاتل بما لديه من أسلحة، فجرح ثلاثة من رفاقه وبقي واحد ظل يقاتل معه، وليس لديهما من الأسلحة سوى رشاش ستن ومسدس عيار ٩ ملم. بقي عبد القادر وحده دون ذخيرة أمام مراكز العدو المحصنة، والتي عززت بإمدادات كثيرة من الرجال والعتاد، وكان الكثير من رجال عبد القادر قد نفذت ذخيرته فتراجع، وشعر اليهود بحراجة وضع عبد القادر فأطبقوا عليه وحاصروه بإحكام...

وما كاد فجر ٨ نيسان ١٩٤٨ يبرزغ، حتى كان عبد القادر ورجاله يقاتلون يأسين، بعد أن أخذ العدو يضيق الحصار حولهم ولا ذخيرة كافية لديهم. وما أن عمّ خبر محاصرة اليهود لعبد القادر ورجاله في القسطل، حتى زحف المتطوعون والمجاهدون من كل حذب وصوب لنجدته فجاءه: -

- ١ - قاسم الريماوي على رأس فرقة من جيش الجهاد المقدس.
- ٢ - الحاج عبد المجيد المدني الحجازي. على رأس فرقة من حرس الحرم الشريف.
- ٣ - بهجت ابو غربية ومحمد عادل النجار على رأس فرقة من شباب القدس.
- ٤ - جمال رشيد العراقي - مساعد آمر حامية القدس على رأس فرقة من المتطوعين.
- ٥ - عبد الحلیم الشلف على رأس فرقة من شباب الخليل.
- ٦ - رشيد عريقات على رأس فرقة من شباب الوادية.
- ٧ - عدة دبابات تابعة للمجاهد الشيخ حسن سلامة.

وبلغ عدد المجاهدين الذين هبوا لنجدة عبد القادر ورجاله حوالي ٥٠٠ مجاهد، وأطبقت هذه النجدة على القسطل من جميع الجهات خاصة من الجهة الشمالية.

ولما علم عبد القادر بوصول النجدة اشتد ساعده، وارتفعت مغنويات رجاله، فاندفع مزمجرا مكبرا... الله اكبر... إلى الامام يا أبطال القسطل، وهاجم تلاً عاليا وحسينا، بعد أن قاد بنفسه جنوده مخالفاً قوانين الحرب التي تحتم بقاء القادة الكبار في المؤخرة، حرصا على سلامتهم... وانتصر البطل وحقق معجزة حربية.

انقض العرب على الحاميات اليهودية من الجهات الأربع، واشتبكوا معهم بالسلح الابيض فتهاوت مراكز تلك الحامية، وفرّ اليهود مهزومين من الجهة الشمالية، وفي تلك الأثناء وصلت قوات الجهاد المقدس القادمة من قالونيا وموتزا، فاصطدمت بالقوات الهاربة فطوقتهم، وقتلت منهم عددا كبيرا، واحتمى الباقون في حرش بجانب الطريق العام، إلا أنهم لم يسلموا، بل قتل المجاهدون منهم ٣٥ شخصا، وجرحوا عددا آخر، وتقدمت مصفحة تابعة لقوات الشيخ حسن سلامة من الجهة الشرقية حيث أسرت مصفحة يهودية، وفي هذه الأثناء وصلت الدبابات البريطانية كعادتها لنجدة القوات اليهودية التي خلفت وراءها حوالي ١٥٠ قتيلًا و ٨٠ جريحا حيث احتفى هؤلاء الجرحى بهذه الدبابات فنقلتهم....

دخل المجاهدون القرية منتصرين بين التهليل والتكبير، وراحوا يتعقبون أفراد العدو من بيت الى آخر ومن ركن الى ركن، وراحوا يرفعون العلم الفلسطيني على أعلى بناية فيها وكان ذلك في تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم ٨ نيسان ١٩٤٨ م.

ولكن أحداً من المجاهدين لم يكن يعلم في نشوة الانتصار هذه، أن القائد عبد القادر بطل القسطل، قد جاد بأنفاسه، والتحق بالرفيق الأعلى ...

«فانقلبت افراحنا اتراحاً لما رأينا قائدنا المحبوب مستندا الى حائط الجامع، ويده على جنبه، وقد أسلم الروح وبيده مسدسه»^(١) فأسرع الرفاق يتلقفونه بصدورهم عندما وجدوه جثة هامدة، وقد أصيب في عنقه وأذنه وبطنه بشظايا قنبلة (سلبند) القاتلة، ووجدوا قرب جثته عدداً من الجنود اليهود صرعى، وأغلب الظن أنه تبادل معهم القتال، كما وجدوا الى جانبه رشاشا فارغ الطلقات من نوع (توميجن) ومسدس وسلحك. كما وجدوا ما كان يحمل من أوراق ووثائق ونقود، مما يدل على أن اليهود لم يتعرفوا على شخصه عندما قتلوه ..

دوى نبأ الفاجعة في صفوف المجاهدين فأبیت نفوسهم أن تتقبله، وراحت العيون المتألمة بنشوة الظفر تفيض بدموع الحزن والأسى، وفجأة صحا المجاهدون من هول الفاجعة، فانتابتهم جميعا ثورة من الغضب الشديد، فهبوا يطاردون العدو المنهزم حتى اوقعوا فيه نحو (٥٠) قتيلاً آخر، ولكنهم وقد أصيبوا بذهول المفاجأة وهول الفاجعة، لم يتبصروا بالأمر ويقدروا الخطر، فتفرقوا بعد انتصارهم في القسطل، وبعد استشهاد قائدهم، فغادر فريق منهم القرية لنفاذ ذخيرته، وغادر فريق آخر تبعاً من القتال، وغادر فريق ثالث ليحضر ماتم الشهيد الذي نقل جثمانه الطاهر إلى المصفحة التي سارت باتجاه قرية صوبا، ومنها الى القدس، بينما نقل المجاهدون الجرحى وعددهم حوالي ٣٥ جريحا في سيارات الشحن الى مستشفيات القدس والرملة ..

لقد نزف دم الشهيد البطل بغزارة، وأصبح جسده كالنبيع المقدس الذي يفيض بالبركة، حيث راح دمه الطاهر يروي تراب الوطن، عندما عانق عبد القادر الأرض التي عشقها وسقط عليها، وكأن الدم يفيض بمارش الشهادة الخالصة .

في هذا اليوم ٨ نيسان ١٩٤٨ سالت فيه على خد فلسطين دمعة، لعلها انبل دمعة على ابنتها البار الجريء الجريح القاتل الشهيد ...

وعندما بكت فلسطين عبد القادر كانت تبكي فيه الوطن ... تبكي فيه الوطن .. وبعد رحيله ... اشتد ارهاب العدو ونزف شعب فلسطين ما نزف، وارتفعت راية الشؤم على ثرى فلسطين وخرج الشعب طريدا لاجئاً ...

وهكذا طوت سماء القسطل وتخضب ثراها بدم شاب عربي، قل ما يوجد الدهر بمثله .. صدق إيمان ومثانة خلق وبعد همّة وشرف منزّه ونبيل غاية وجرأة نادرة وكفاءة عسكريّة عالية منقطعة النظير...

(١) حياة الشهيد عبد القادر - مخطوط

كيف توبل نعي البطل

ما كاد نبأ مصرع المجاهد البطل عبدالقادر بك الحسيني ينتشر في بلاد العرب حتى هزّما هزّاً عنيفاً، فهذا ركن من أركان الجهاد المقدس وقطب من اقطاب النضال وامل من آمال الأمة والعروبة، يغيب عن الميدان وهو احوج ما يكون الى كفاءته وحنكته وبراعته، ويتوارى وليالي الخطوب لا تزال محلولكة السواد، فراحت الجرائد العربية في اقطار العرب تنشر الخبر والنبأ الفادح في أولى صفحاتها، مودعة الفقيد النبيل بمداد قلوب محرريها وكتّابها، فخسارة عبدالقادر الحسيني خسارة قومية فادحة، وكارثة وطنية فاحمة، كما نعاه المؤذنون من على المآذن، وأقيمت عليه صلاة الغائب في اغلب البلاد العربية، وجعل خطباء المساجد في صلاة الجمعة حادث استشهاده موضوعاً لخطبهم، واكتظت الصحف العربية بأنباء جهاده وعرض صور لبطولاته وأمجاده، بينما أذاعت المحطات الاذاعية في اول نشراتها الاخبارية نبأ استشهاده .

نعي الهيئة العربية العليا

أذاعت الهيئة العربية العليا لفلسطين البيان التالي تنعى فيه الفقيد الغالي : - «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» صدق الله العظيم .

«تنعى الهيئة العربية العليا لفلسطين بمزيد الأسى، مع الفخر والاعتزاز للأمة العربية الكريمة، في فلسطين وسائر الأقطار العربية والعالم الاسلامي، رجل فلسطين وقائدها البطل الفرد الشهيد المرحوم السيد عبدالقادر الحسيني، الذي سقط شهيدا في معركة القسطل، بعد ما ربح المعركة واسترد ذلك الموقع الخطير من أيدي اليهود .

إن الخسارة التي حلت بالأمة الفلسطينية بفقد هذا البطل القائد العظيم، الذي خاض كقائد بطل، معارك الجهاد في سبيل الدفاع عن فلسطين منذ سنة ١٩٣٦، ولم يخسر في حياته معركة واحدة حتى المعركة التي استشهد فيها ..

ان الخسارة لكبيرة ، وإن الرزء بفقده لعظيم .

وسيشيع جثمان الفقيد العظيم في تمام الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الجمعة من منزل شقيقه السيد سامي الحسيني بالقدس إلى المسجد الأقصى، حيث يصل عليه ثم يدفن في ضريح والده المرحوم موسى كاظم باشا الحسيني بجوار المسجد الأقصى .

فعزاء لآل الفقيد ، ولفلسطين المجاهدة وللأمة العربية الكريمة بهذا المصاب الفادح ..
ولتحيا فلسطين حرة عربية الى الأبد ..

١٩٤٨/٤/٨ م

الهيئة العربية العليا

وهنا بدأت الدعاية الصهيونية المغرضة تنتشر، حيث روجت الاشاعات ان الشهيد عبدالقادر حينما اقتحم مركزا يهوديا في القسطل، كلم المستحكمين فيه بلغتهم العبرية، ولما وصل امام الباب حتى انفجرت قنبلة بجانبه، وأصابته منه مقتلا، وزعم اليهود أن الرجل الانجليزي الذي كان يرافق عبدالقادر، والذي تبرع بنفسه لمقاومة اليهود، هو الذي قذف اليه بالقنبلة، وقبل ان يسلم عبدالقادر الروح، اطلق نيران رشاشه فأردى الانجليزي قتيلا.

وقيل إنه جرح في المعركة فوق أرضاً، وظل دمه ينزف، وإن أحد اليهود قد عرفه فأفرغ فيه رشاشه، وقيل إن رصاصة طائشة قد أصابته منه مقتلا، وقيل غير ذلك .

ولم تقف الاشاعات عند هذا الحد، بل زعمت أن اليهود سارعوا الى نقل جثته الى داخل المنزل ولفوه بالبطانيات - بعد أن تأكدا من هويته - يريدون نقله الى مقر قيادتهم، ولكن شدة المقاومة العربية حالت بينهم وبين تحقيق رغبتهم، كما زعمت الاشاعات أن اليهود قد شوها جثمان الشهيد القائد، ومثلوا بجثته .

ولهذا اضطرت الهيئة العربية العليا الى تنفيذ هذه المزاعم فأصدرت بيانا جاء فيه :-

(لقد أشيع أن اليهود قد شوها جثمان القائد العربي، وفصلوا الرأس عن البدن قبل انسحابهم، وهذا زعم لا أساس له من الصحة، إذ أن القائد الكبير عبدالقادر الحسيني استشهد أمام رجاله الذين اسرعوا إلى الاحاطة به، ولم يتمكن اليهود من الوصول اليه، وما كان اليهود ليتورعوا - لو أتيح لهم - عن اقتراف مثل هذه الجريمة الشنعاء)^(١).

وما أن أذيع النعي حتى تقاطرت على المدينة الحزينة، منذ صباح يوم الجمعة الباكر، وفود المدن والقرى من مختلف أنحاء فلسطين، لتوديع الجثمان الطاهر الوداع الأخير، في منزل شقيقه سامي الحسيني بباب الساهرة، وكانت الجموع الزاخرة تمتد من المنزل حتى الحرم الشريف، وقد لبست القدس الحزينة ثياب الحداد، واغلقت جميع المحال والمؤسسات والمتاجر ابوابها ورفعت الأعلام السوداء .

التحية العسكرية :-

وفي الساعة العاشرة والنصف صباحا، حيا فريق من المجاهدين الشهيد الغالي التحية العسكرية، بإطلاق العيارات النارية في الفضاء، ثم بدأ موكب الجنازة سيره، يتقدمه حملة

(١) سيرة بطل / نبيل الاغا ص ١١٢-١١٣

الأكالييل وطلاب الكليات والمدارس الوطنية، وفرقة موسيقى دار الايتام الاسلامية التي عزفت بعض الألحان الصامته الحزينة، فحملة اعلام المسجد الأقصى فأعلام النبي داود والنبي موسى عليهما السلام، فشباب القدس وفريق كبير من من المناضلين كانوا شاكبي سلاحهم الكامل، وعلقوا عليه شارات الحداد، ثم نعش الفقيد ملفوفا بالعلم العربي الفلسطيني محمولاً على الأكف، ومجلاً بأعلام سائر الدول العربية، ويتبعه فريق آخر من المناضلين، ثم آل الفقيد الأكارم، فالمشيعون وفي مقدمتهم أصحاب الفضيلة أعضاء المجلس الاسلامي الأعلى . ورئيس أعضاء محكمة الاستئناف الشرعية، وقاضي القدس الشرعي واصحاب السيادة الرؤساء الروحويون لمختلف الطوائف المسيحية والعلماء واصحاب السعادة قناصل الدول العربية وأعضاء اللجنة القومية، وهيئة اركان حرب قيادة الجهاد المقدس، ومدوبون عن جميع الهيئات والجمعيات والاندية والمؤسسات الوطنية، واعيان البلاد ووجهائها وشيوخها، والاطباء والمهندسون والمحامون وكبار الموظفين والادباء .. وفريق من ضباط الجيش الاردني وعشرات الألوف من المشيعين .

وكانت فرق الكشافة العربية بمساندة المناضلين والبوليس البلدي تتولى المحافظة على النظام .

سارت الجنازة من باب الساهرة الى المدينة القديمة، وكانت الأماكن المرتفعة وسور المدينة والمنازل التي تمر بها محتشدة بالألوف من الأهالي الذين وقفوا لتحية شهيد الأمة الغالي .

وفي حوالي الساعة ١١,٣٠ دخلت الجنازة الى ساحة الحرم الشريف من باب الملك فيصل الأول، وكانت ساحة الحرم الشريف غاصة بالجماهير، ويقدر عدد الذين اشتركوا في تشييع الجنازة أكثر من خمسين ألف شخص، وكان الحزن الشديد يعلو وجوههم لهذه الخسارة الفادحة..

وأدخل النعش إلى باب الجنة في الصخرة المشرفة بين التهليل والتكبير، حيث قام سادن الحرم الشريف (من آل الانصاري) بتلاوة القرآن الكريم والمشهد، ثم قرئت الفاتحة في باب المغارة الشريفة على روحه الطاهرة .

ومن هناك حمل النعش على الأكف، وواصل موكب الجنازة سيره إلى المسجد الأقصى المبارك، حيث صلي على الجثمان الطاهر بعد صلاة الجمعة، وكان المؤذنون آنذاك ينعون الفقيد من على المآذن، وكانت أجراس الكنائس تقرر دقات الحزن، كما اطلقت (١١) قنبلة من المدافع تحية للمجاهد الراحل .

وبعد الصلاة نقل الجثمان الى ساحة الحرم الشريف بين التهليل والتكبير، حيث تدفقت الجماهير لتحظى بالنظرة الأخيرة .

كلمات التأبين :-

ثم اعلن السيد المحامي سعد الدين العارف - عريف الخطباء - بدء كلمات التأبين والرتاء، وقد اعدت مكبرات الصوت لهذه الغاية، وقال السيد العارف ان الالوف من أفراد الشعب العربي تسابقت اليوم من كل حذب وصوب لتشجيع جنازة هذا البطل، الذي سار مع قافلة الشهداء الابرار نحو المجد .

كلمة سماحة المفتي :-

ثم ألقى كلمة حضرة صاحب السماحة المفتي الأكبر وقد جاء فيها ما يلي :- «إننا نودع اليوم رجلا شهماً إلى جنات الخلد وفرديوس النعيم، قضى نحبه عزيزا كريما، واستشهد في ميدان العز والشرف في سبيل الذود عن حياض الوطن المقدس، ولا مشاحة في أن استشهاده يعتبر خسارة فادحة للعرب في فلسطين، لشدة الحاجة لمثله في هذه الظروف. لقد أوقف الراحل الكريم حياته منذ نعومة أظفاره لخدمة أمته ووطنه، وقد ضرب بتضحيته الفذة، المثل الأعلى في صدق الوطنية والقى على الشباب درسا خالدا في البطولة والتضحية، في سبيل المبدأ الأسمى والله والوطن، إن الأمة لا تندبه ولا تبكيه، بل تتخذ من سيرته مثلا اعلى تحتذى به، ونبراسا تهتدي بهديه، وعلينا متابعة الجهاد المقدس بنفوس عامرة بالايمان.

ان عبد القادر وان يكن من أعز شهداء الأمة، فهو ليس اول شهيد يضاف اسمه الى سجل اسماء الشهداء الابرار، يجب ان لا يجزع العرب لهذه الكارثة الفادحة، إذ أن معركة الحرية ما برحت في اولها، وهي تتطلب التضحيات الجسام، فلنوطد العزم على بلوغ النصر الذي لا ريب فيه، والشئ الذي يبعث في نفوسنا التعزية في فقده، أعماله البطولية وتاريخه الوطني الحافل بالأعمال المجيدة، والأمة التي خرج منها هذا البطل جديرة بأن تخرج عوضا عنه لیتّم رسالته» .

كلمة الهيئة العربية العليا :-

ثم ألقى كلمة الهيئة العربية العليا في القدس، فعرض الخطيب فيها لجهاد العرب المقدس في سبيل فلسطين العربية أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين واليها الاسراء ومنها المعراج وفيها مهد المسيح وقبره والبراق، حبيبة العروبة والاسلام خلال القرون الثلاثة عشر الماضية، و اشارت الكلمة الى ان فلسطين ومن ورائها الدول العربية والاسلامية قد وطدت العزم على اعادة حريتها المسلوبة والذبّ عن حياضها، والقضاء على الصهيونية العدوانية قضاء مبرما، والى بطولة الفقيد في هذا السبيل ...

ثم تعاقب الخطباء على النحو التالي :-

فضيلة الشيخ عبدالحميد السائح، الذي القى كلمة المجلس الاسلامي الأعلى، ثم كلمة السيد محيي الدين مكي، عن الاتحاد النسائي العربي، ثم نياقة المطران جبرائيل ابوسعدى

عن سيادة المطران الحكيم والاتحاد المسيحي، ثم كلمة القائد الشجاع (ابراهيم ابودية) الذي رافق البطل في معركة القسطل (وأصيب بسبع رصاصات في أنحاء مختلفة من جسمه). وأبى المعالجة إلا بعد انتهاء التشييع، ثم كلمة السيد فوزي النشاشيبي عن جمعية الكشاف العربي ثم كلمة فضيلة الشيخ اسعد الامام عن جماعة الاخوان المسلمين، ثم كلمة فضيلة الشيخ محمد جمعة السلواوي عن اللجنة القومية في رام الله، ثم كلمة السيد حكمت المصري عن لجنة شؤون المناضلين في نابلس ..

وجاء في كلمة المجلس الاسلامي الأعلى :-

«خسرتك الأمة وهي في اشد الحاجة إلى إخلاصك ومغامراتك وتفانيك، واستشهدت بعد ان حملت نور النصر في اعظم المعارك، وسيحدث التاريخ عن بطولتك واعمالك الخالدة، لقد قضيت في ساحة الوغى والجهاد في ساحة العز والكرامة مطمئن النفس، الى ان قمت بواجبك وأرخصت الغالي في سبيل الوطن واستعادة كرامته المسلوبة وحرية المفقودة» .

وجاء في كلمة الاتحاد النسائي :-

(هذه فلسطين قد دفعت اليك بفلذات أكبادها مشبعة ومقدرة وبأكية، والوانس في الجموع زائفة مترجمة حيرى، فامل عليها ما تمليه العلى على ذوي العزائم الماضية .

تباركت ربنا وتعاليت، منحتنا عبدالقادر نعمة كبرى، يقودنا في الحرب ويرسم لنا المثل العليا في سبيل الشهداء الأبرار، مشيت يا عبدالقادر لتلقي آخر درس في معنى الايمان في تكوين الرجال الابطال للدفاع عن الحقيقة، ولتبقى في شباب أمتك معنى من هذا الايمان، ولن تستطيع قوة في الدنيا ان تنال منه او تغالبه، ولو كان بعضها لبعض ظهيرا، إذ معنك باق يكون الأجيال وينشئ منهم ومن بطولتك وإخلاصك ما تقر به عينك ويهدأ به مثواك).

وجاء في كلمة الاتحاد المسيحي :-

(إن روح الفقيد تناشدنا ان نمد الأيدي ونصافحه لنعقد معه العزم ونوطد النية على ان نتم ما قد بدأ به، لنفدي الوطن المقدس، بنفس الشجاعة والتضحية، لقد ضرب مثلا في التضحية العليا، جعلته يخرق صفوف انقتال مع انه القائد الأعظم)....

وبعد ذلك وقف الدكتور اسحق الحسيني وشكر المعزين بالنيابة عن آل الفقيد، ثم جرى دفن الجثمان الطاهر في ضريح والده المغفور له موسى كاظم باشا الحسيني في الحرم الشريف باحتفال مهيب، وقد تقبل التعازي عن آل الفقيد في ساحة الحرم الشريف السادة :-
توفيق صالح الحسيني (مدير الحرم) وشقيقا الفقيد سامي وفريد، والسيد نافذ الحسيني وعلي محيي الدين الحسيني، وكانت الساعة قد بلغت منتصف الساعة الثالثة من بعد الظهر..

فإلى جنات الخلد يا أبا موسى

فلسطين بأسرها تذرف الدمع حزناً عليك ايها البطل الشهيد

وفيما يلي وصف الصحف لما جرى في ذلك اليوم الأليم في مدن فلسطين وقراها :

الحداد العام في حيفا :-

ما أن أذاع المذيع نبأ استشهاد القائد البطل عبدالقادر الحسيني، حتى طفرت الدموع من المآقي، وأصبحت المدينة تلبس أسود الثياب حدادا على البطل الشهيد، ونعاه المؤذنون، وقرعت أجراس الكنائس حزناً، وأقفلت المخازن التجارية وتعطلت حركة المواصلات واشترك الموظفون والعمال العرب في الحداد، وتوقفوا عن العمل من الساعة العاشرة حتى الحادية عشرة صباحاً، في جميع دوائر الحكومة والجمرك والميناء، واضطر الموظفون اليهود الى الانسحاب من المكاتب خشية وقوع أمر .

هذا وقد اعلن الحداد في القرى المجاورة، ففي شفا عمرو عطلت البلدة ونعى المؤذنون الشهيد، وقرعت أجراس الكنائس، وأبرقت اللجنة القومية معزية آل الحسيني والهيئة العربية العليا .

وقد أرسلت برقيات من : اللجنة القومية بحيفا، ومن قائد حامية لواء حيفا ومن الموظفين العرب في دائرة الحسابات في سكك حديد فلسطين ورئيسة الاتحاد العربي، ومن شعبة الاخوان المسلمين، إلى الهيئة العربية العليا بالقدس ودمشق، وإلى اللجنة العسكرية التابعة للجامعة العربية .

أما في اللد :-

استيقظ سكان مدينة اللد على أصوات قرع الأجراس ونعي المؤذنين وهم ينعون المغفون له القائد العربي الباسل عبدالقادر بك الحسيني، القائد العام للجهاد المقدس، وما هي الا فترة قصيرة حتى بدأت الجماهير تتدفق نحو مقر القيادة في المدينة، واللجنة القومية مستفسرة، فأغلقت جميع الحوانيت وتوقفت الحركة في المدينة وبدأ الهجوم على كل وجه لهول هذا الحادث المؤلم .

وعند الساعة العاشرة والنصف ، ذهب الجموع الى المسجد الكبير للاشتراك في صلاة الغائب عن روح الفقيد، وبعد الانتهاء من صلاة الجمعة سارت جنازة صامته من المسجد الكبير أعد برنامجها على الترتيب التالي :-

(طلبة المدارس الثانوية والاهلية يحملون الاكاليل وصور الفقيد وبعض آيات من الذكر الحكيم، ثم حملة الاكاليل المقدمة من الأندية والجمعيات والهيئات والعلماء ورجال الأكليروس،

فالعلم العربي منكسا، ثم حملة النعش الرمزي ملفوفا بالعلم العربي تحيط به جموع المناضلين، حاملين الأسلحة منكسة، ثم قائد المدينة واعضاء اللجنة القومية وألوف المشيعين بينهم عدد كبير من النساء اللواتي كن يذرفن الدمع على (أبي موسى) وعندما وصلت الجنازة الى المقبرة الغربية، وضع النعش على احد قبور الشهداء، ثم القيت كلمات التأبين المؤثرة على النحو التالي :-

كلمة اللجنة القومية . كلمة المدارس، كلمة العلماء ورجال الأكليروس، كلمة الشباب ثم أعلن العريف انتهاء الجنازة الصامتة، مقدماً لآل الفقيد وللأمة التعازي الحارة وقبل ان تغادر الجموع المقبرة اطلق المجاهدون مائة طلقة وطلقة تحية وداع للراحل العظيم .

وفي نابلس :-

وصلت أنباء انتصارات العرب في القسطل الى المدينة مساء أمس، وعلى الأثر عمت المدينة موجة من الفرح والسرور، وأقبل الاهالي يهنئون بعضهم بعضاً، وأنيرت المآذن والمشاعل وبينما كانت المدينة على هذه الحالة، إذ وصل نبأ استشهاد البطل عبد القادر الحسيني، فانقلبت الأفراح إلى ماتم، ورفعت الاعلام السوداء فوق شرفات المنازل، وأغلقت المتاجر أبوابها طوال اليوم، ونعاه المؤذنون من على المآذن، ودقت أجراس الكنائس، ورفع الجمهور على صدره الشارات السوداء، وأقيمت صلاة الغائب في المدينة وخرج منها سيل من السيارات يقل وجهاً وشباب المدينة والقضاء، للاشتراك في تشييع الجنازة، ومر بالمدينة عدد من السيارات والمصفحات العسكرية، مرسله من المجاهد فوزي القاوقجي في طريقها الى القدس، لتحية جثمان الشهيد بإطلاق قذائفها، وطيرت مئات من البرقيات الى سماحة رئيس الهيئة العربية العليا والقيادة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية، معزية بالفقيد .

وفي جنين :-

قابل الرأي العام نبأ استشهاد المجاهد البطل المرحوم عبد القادر الحسيني قائد الجهاد المقدس بالحزن والأسى العميقين، وما هي الا فترة قصيرة انقضت على تلقي النبأ المفجع، حتى كان سكان المدينة بأسرها يغلقون متاجرهم حدادا على الفقيد الكريم، وخرجت من المدينة وفود عديدة الى القدس للاشتراك في تشييع الجنازة .

وفي طولكرم :-

اقلقت المدينة اليوم حدادا على فقيد الوطن الغالي المرحوم عبد القادر الحسيني، وقد سافرت عدة سيارات تحمل افراد منظمة الشباب الى القدس للاشتراك في تشييع جثمانه الى مقره الأخير .

وفي قلقيلية :-

نعى المؤذنون ليلة امس القائد المجاهد عبدالقادر الحسيني فشق نعيه على الجميع، وقد غادر الى القدس في الصباح أعضاء اللجنة القومية لحضور تشييع الجنازة، وصلي عليه في مساجد قلقيلية صلاة الغائب، رحمه الله وعض الأمة عنه خيراً ..

وفي القدس الحزينة :-

لم تشهد مدينة القدس في تاريخها الحافل يوماً كيوم جنازة خير الأبطال، وعنوان التفاني ورمز التضحية، ولم يعم فلسطين الحزن كما عمها في ذلك اليوم الأليم، ولقد امتلأت صفحات الصحف العربية في كافة بلاد العرب، بوصف تشييع جثمان الشهيد العظيم، كما نشرت الصحف العالمية بأسرها وصف تلك الجنازة العظيمة، ونحن نقصر هنا على وصف جريدة فلسطين لهذا اليوم الأليم، فقد قالت في عددها الصادر في ١٠/٤/١٩٤٨م :-

«الأمة التي افتداها عبد القادر الحسيني بدمه، مشيت أمس تستودعه الله في موكبه» (٥٠ هـ) الفا شيعوا جثمان قائد الشهداء، متواصين بالصبر متعاهدين على ورود المنايا، وإرخاص الضحايا في سبيل الفوز والنصر) .

«لقد كتب البطل الخالد المغفور له عبد القادر بك الحسيني، القائد العام للجهاد المقدس بدمائه الزكية اروع سطر في جهاد فلسطين العربية، وضرب أعلى مثل للتضحية والجرأة، في سبيل دفع العدوان الأجنبي عن الوطن المفدى .

لقد ذهب للقاء وجه ربه راضياً مرضياً، فقد بذل أقصى غاية البذل، وما حياته سوى سجل حافل بالأعمال البطولية النادرة، وستكون مثلاً أسمى يحتذى بها المناضلون في جهادهم، لخلاص هذه البلاد من خصومها الغادرين، وإعادة الحرية الكاملة لها ...

إن مخاطراته وبسالته لتعيد الى الأذهان سيرة ابطال العرب الأمجاد، الذين جبلت ارض فلسطين بدمائهم الطاهرة، وان المجاهدين من ابناء العروبة سيتمون ما بدأه هذا البطل المغوار، ومن عرف هذا البطل عرف ان الله قد اودع في قلبه سرأ علوياً، لم يودعه إلا في القليل من عباد الصالحين، فهو إن علمته : الايمان عقيدة، والاخلاص وطنية والوفاء عشيرة والعزيمة إقداما والثبات إرادة والنبل طبعاً والبطولة نضالاً، فهو إن سنحت له سانحات النضال، اقتحم على المنايا مواضعها، وتكشفت مزاياه وتألقت في مجالها، فما كانت الحادثات ولا تقلبات الزمن إلا لتزيد مزاياه تلالواً...» .

فوزي القاوقجي يؤبن الشهيد : -

«ألقى القائد فوزي القاوقجي في جنوده الكلمة التالية بمناسبة استشهد البطل عبد القادر الحسيني :

«في سبيل الله والوطن، في سبيل العروبة والعرب، في سبيل تحرير فلسطين وانقاذها من ريقة الاكتساح الصهيوني، استشهد المجاهد عبد القادر الحسيني، انها لساعة رهيبة، ساعة استشهد فيها، وإنها لساعة رهيبة ساعة ننعيه، ونستمطر عليه شآبيب الرحمة .

لقد كان البطل الشهيد مثلاً للتضحية والرجولة، وقد قام بكل ما يمكن للرجل الحق ان يقوم به لخدمة وطنه وبنى قومه، لقد قدم روحه فداء لفلسطين، وروى بدمه الزكي تربة فلسطين فأعطى بذلك مثالا للبطولة والتضحية ...

ففي سبيل الله والوطن يا عبد القادر، وسيجزيك الله جزاء الشهداء، وسيسجل لك تاريخ الوطن مفخرة استشهادك ليس بالحبر بل بالدماء، وان العرب لمصرعك لناقمون، وانهم سيجدون في السير على الطريق التي سلكتها، للوصول إلى الغاية المثل الى الحرية ... إلى الحياة ومن أحب الموت وهبت له الحياة .

لقد جاء العرب من مختلف اقطارهم لنصرة فلسطين، فأعطاهم الشهيد اليوم ابن فلسطين البار مثلاً صالحاً لن ينسوه أبداً، بنفس ملؤها الحزن والأسى ننعى البطل الشهيد .

وبقلب ملؤه الايمان والفخر نحمل ذكراه، وبارادة جبارة أعاهد الله والوطن لناخذن بثأره، بما يشرف العرب ويجعل اسم الشهيد رمزا للبطولة الحقّة، وانه ان زال عنها شخص عبد القادر، فإن روحه سترقرق دائماً بين صفوف المجاهدين، وعلى رؤوسهم، لتزيد في اندفاعهم في ساحة الجهاد، والى النصر الذي ينشدونه، والذي عاهدوا الله صادقين عليه، ان يبذلوا له ثمناً أرواحهم بسخاء، وإن الله لناصرتنا، ومن ينصره الله فلا غالب له»^(١).

(١) حياة عبد القادر - مخطوط نخبة من خالصاته

كيف استقبل سماحة المفتي الأكبر نعي الشهيد

كتب أحد أصدقاء عبد القادر الحسيني (وكان حينذاك في دمشق) يصف كيف استقبل سماحة المفتي الأكبر نعي الشهيد فقال^(١) :

« كان سماحة السيد محمد أمين الحسيني ، يعلم مقدار شجاعة عبد القادر وإقدامه وتصميمه ، كما كان يدرك التأثير السيء الذي تركه في نفس عبد القادر ، عجزه عن الحصول على السلاح من دمشق ، فلما ودع القائد سماحة الزعيم عند مغادرته دمشق في ١٩٤٨/٤/٥ م في طريقه الى معركة القسطل أخذ سماحته يشجعه ويطيب خاطره ويهدىء من روعه ويدعوله بالنصر والنجاح ، وأوصاه بالحاح شديد ، بألا يعرض نفسه للخطر ، وأن يتجنب قدر المستطاع أن تلحق بالمجاهدين إصابات كثيرة ، ولما تحركت سيارة القائد التفت سماحة المفتي الى من حوله وقال :- (الله يستر عبد القادر) .

وبعد ظهر يوم ١٩٤٨/٤/٨ غصت دار الهيئة العربية العليا بدمشق كعادتها ، عندما يكون فيها سماحة الزعيم ، بوفود البلاد وزعماء المجاهدين ورجال الحركة الوطنية ، ووفود عدد من النواب السوريين لتحية الزعيم ، فنزل سماحة المفتي الأكبر حوالي الساعة الرابعة الى حديقة الدار لاستقبالهم ، وكان كعادته باسم الثغرياب الطلعة كريم النفس لطيف الحديث ، يستقبل زائريه ببشاشته المعروفة ، ويحدثهم أحاديثه الوطنية المشهورة ، ويتنقل بين حلقات الناس يقضي حاجة هذا ويستمع الى حديث ذاك ، ولكني لاحظت أن شيئاً كان يشغل بال الزعيم ، ويقلق خاطره على غير عادته ، فتقدمت اليه وسألته هل به شيء ..؟ فقال : لا شيء وبعد نصف ساعة دعاني اليه وقال : هل وصلتكم اخبار جديدة عن القسطل ؟ قلت : لا وانصرفت والحقيقة أنه لم يكن لدينا خبر جديد سوى أن المعركة كانت تدور لصالح المجاهدين ، وبعد هنيهة دعاني مرة أخرى وقال : استخبروا .. ففعل هناك شيئاً جديداً .. قال هذا بقلق بالغ ظاهر ، ثم التفت الى زائريه يواصل حديثه معهم .

وفي الساعة الخامسة والنصف تلقى فندق (الاوريان بالاس) بدمشق ، رسالة تلفونية من القدس تنعي الشهيد ، ونقل الفندق الخبر السيء الى مكتب الهيئة العربية العليا ، فوقع الخبر علينا وقع الصاعقة ، وحاولنا اخفاءه عن الموجودين ولكن هيهات .. فقد كنا نحدث الاخوان بدون شعور ، ولكننا اتفقنا جميعاً على ضبط عواطفنا ، وكبت شعورنا أمام سماحته واخفاء الخبر عنه ، أولاً لانشغاله مع زائريه الكثيرين وثانياً ، لأننا شرعنا نتصل بالقدس والقاهرة تلفونياً ، لجمع كافة المعلومات عن الحادث الأليم قبل إعلام سماحته .

(١) مخطوط : حياة عبد القادر نخبة من المخلصين لمبادئه

واستدعاني سماحته للمرة الثالثة وقال : هل من جديد ؟ قلت : لا .. والعبرات تكاد تخنقني .. ثم استدعى بعض الاخوان الآخرين وسألهم : هل لديكم من جديد عن القسطل ؟ وعن عبد القادر ؟ فقالوا : لا .. فاننفض سماحته وقال : لم هذا الوجوم الذي يسيطر عليكم ؟.. وبعد قليل دعاني وسألني : لا بد ان تكون قد وصلتكم اخبار جديدة فما هي ؟..

قلت : لقد جرح عبد القادر ، ولكن المجاهدين استعادوا القسطل . فقال الزعيم : جرح؟! أو لمثل هذا الخبر يسيطر عليكم الوجوم ؟ ثم واصل حديثه مع زائريه .

وبعد بضع دقائق دعاني اليه وقال : يا فلان ... أعلمني الحقيقة ... حقيقة القسطل وحقيقة ما جرى لعبد القادر .. فقلت : القسطل استعيدت بأجمعها أما أبو موسى فقد أصيب بجرح بليغ ... فقال : هل جرح أبو موسى أم استشهد ؟ فهزرت رأسي ودمعت عينايا .

فأطرق سماحته قليلا ثم قال : إن استعادة القسطل فوز عظيم ، واستشهاد ابي موسى خسارة لا تعوض .. ولكن لا تحزنوا بل ابتهجوا ، فإن هذا ما أراداه أبو موسى لنفسه ولوطنه ، وهذا اليوم يجب أن يكون يوم عز وفخر .. لا يوم حزن وبكاء .. ثم انتقل الى مكان آخر في الهيئة يقضي مصالح الناس .

ولما شعر الذين كانوا في الهيئة أن الزعيم قد بلغه الخبر ، تلاشت قواهم وانفجرت صدورهم بالتأوهات والزفرات ، وامتلات عيونهم بالدمع الغزير ، وكان سماحته يشجعهم ويدعوهم الى رباطة الجأش والسيطرة على الأعصاب ، وكانت دمشق قد سمعت نبأ الفاجعة ، فأغلق الناس حوانيتهم ورفعوا الأعلام السوداء ، وهرع زعماء العاصمة وأركان الدولة والشبان إلى دار الهيئة لتعزية الزعيم ، فكان سماحته يستقبلهم ببشاشته المعروفة ويطيب خاطرهم ، ويحاول التخفيف عنهم ... وقد ارتسمت على وجهه آيات العزم والثبات ،، وشعت من عينيه معاني العزة القومية قائلا :

(أيها الإخوان ... لدينا أخبار سارة عن معركة القسطل ، فقد انتهت بانتصار العرب والقضاء على افراد الهاغاناه في القرية العربية ، ولدينا خبر مؤلم وهو استشهاد عبد القادر . ويعود هذا الألم إلى الخسارة الجسيمة للقضية عامة ، وإلى الجهاد الذي تخوضه فلسطين خاصة ، على أنني أؤكد أن هذا الأمر على جلاله ، لا يفترض التعزية بل التهنتة ، ذلك أن الشهادة في سبيل الله والوطن والمبدأ أشرف ما أحل الحصول عليه ، وإن خسارة عبد القادر على عظمها وجللها ، لا تزيدني إلا إيمانا بالنصر النهائي للقضية العادلة ، التي استشهد أبو موسى من أجلها ، وهو يؤدي واجبه الأسمى فيها .. وإنني أؤمن أن هذه الامة لا تعرف العقم في الرجال ، وإنما بالأفذاذ لولودة)^(١) .

(١) جريدة الشرق - نيسان ١٩٤٨ م . دمشق

وفي تلك اللحظة الرهيبة وصل الشيخ حسن سلامة قائد منطقة اللد عائداً من الميدان
لامور عسكرية ، ولم يكن النبأ المفجع قد تسرب إليه ، فقال سماحة المفتي الأكبر : أعزيك
بأخيك عبد القادر .. وما كاد يسمع الخبر حتى انهارت قواه ، وجن جنونه للخسارة الفادحة ،
غصت قاعة الهيئة وغرفها وحديقتها بجمهور كبير من الناس جاؤا للتعزية وللتعبير عن
شعورهم ، فوقف سماحته بين عويل الشباب وبكاء الشيوخ وزفرات الفتيان ، ولم أره في حياتي
أثبت جنانا منه في تلك الساعة ، وتحدث إلى الجميع مبتسماً وقال :-

(إن هذا اليوم ليوم عظيم ، فقد استعاد المجاهدون القسطل ، وإننا نهنيء أنفسنا
اعتزازاً بميتة عبد القادر ، هذا القائد الباسل ، فما أقل الذين يرزقون الشهادة في ميدان
الجهاد ، لا ينبغي أن نحزن بل يحق لنا أن نهنيء أنفسنا ونفخر بهذا الشرف العظيم ... وإني
لأعزيكم جميعاً في البطل العربي) .

وأراد سماحته بذلك أن يشعرهم بأن الشهيد لا ينتمي إلى أسرة الحسيني فحسب ، بل
إلى أسرة العروبة ...

ثم توافدت على دار الهيئة رجال سوريا ، يتقدمهم فخامة رئيس الجمهورية ورئيس
الوزارة والوزراء والعلماء والنواب وممثلون عن الأحياء والنوادي والجمعيات ومختلف
الطبقات ، وكان سماحته يقابلهم بجنان ثابت ، وكان يرفه عن نفوسهم الحزينة بما كان يدلي به
من آيات وطنية بينات .

ولكن سماحته كان يخفي في صدره شعوره العظيم ، بفداحة المصاب وهول الخسارة ،
وكان ذلك الشعور يتغلب بين الفينة والفينة في صراعه ضد عوامل إخفائه ، وكان هذا التغلب
يحمل سماحته على التعبير عن شعوره ، ولكن بشكل رائع مدهش ، فقد قال في معرض تعزية
المعزين (صحيح إن المصيبة فادحة ... والله لم أحزن في حياتي كما حزنت يوم وفاة شقيقي
الوحيد (فخري) ولكني اليوم أشد حزناً) .

وقال في حديث آخر : (كانت مصيبتنا فادحة بالدكتور مصطفى الوكيل في برلين ، وكذلك
مصيبتنا بعبد القادر) . ولما رأى الشبان يبكون وينتحبون قال : (لا تزيدوا في لوعتنا ، والله لو
امكنتي أن افتدي عبد القادر بولدي الوحيد (صلاح) لفعلت ، فعبد القادر اليوم ألزم للأمة
من الجميع) .

وبعد منتصف الليل وقد خلت دار الهيئة من المعزين ، تقدمت إلى سماحته ورجوته أن
يصعد إلى غرفته للاستراحة . فالتفت الي معاتباً وقال : استراحة .. نوم ... فقلت : نعم ..
فإنك ملك للأمة لا لنفسك ، ويجب أن تستريح قال : استريح وعبد القادر يستشهد .. فقلت :
كنت إلى دقائق تلقي علينا الدروس في الصبر والشجاعة ... فقال : صحيح ... يجب أن نتحمل
هذه الكارثة بصبر واطمئنان ... سأذهب لغرفتي ، ولكن أمراً عظيماً يقلقني ويشغلني .. فمن
ذا الذي يمكنه أن يحل مكان عبد القادر ..

ودخل الزعيم غرفته ، وظن الجميع أنه دخلها لينام ، وفي الساعة الثالثة والنصف صباحا ، وكنا لا نزال نتصل بالقدس بشأن الجنازة ، وإعطاء أوامر الزعيم بدفن الشهيد الى جانب والده في جوار المسجد الاقصى ، دخلت غرفة الرئيس ، فإذا بي أجده جالسا وأمامه أوراقه وإضباطه ، فقد كان يدرس سجلات المجاهدين عله يجد من يخلف عبد القادر ... فرجوته بإلحاح أن يستريح .. فذهب إلى سريره .. وذهبت الى الفندق .

ولما عدت إلى الهيئة في الساعة الثامنة صباحا ، وجدت سماحته يستقبل الناس ويدعوهم إلى الصبر والجلد وتحمل هذه المصيبة الفادحة .

ولما بلغت مسامع الملك فاروق مصاب العروبة الأليم بفقد عبد القادر ، أصدر أوامره الى وزير مصر المفوض في دمشق بتعزية سماحته بفقيد فلسطين.

وبعد ذلك سافر سماحته الى القاهرة ، وما أن وصل حتى توجه الى قصر عابدين لتسجيل الشكر لجلالة الملك الذي أدى صلاة الجمعة يوم ١٦/٤/١٩٤٨ في المسجد الحسيني في القاهرة ، وبعد الصلاة أشار جلالته بقراءة الفاتحة على أرواح الشهداء ، وخاصة الشهيد عبد القادر ، فوقف الشيخ أحمد الصاوي شيخ الطريقة الصوفية وقال : بأمر من صاحب الجلالة أرجو أن تقرأوا الفاتحة على أرواح الشهداء في فلسطين ، وخاصة على روح الشهيد عبد القادر الحسيني فقرأها الجميع مترحمين ..

وقد شارك العالمان العربي والاسلامي أهل فلسطين في مصابهم العظيم ، بفقد قائدهم المجاهد الباسل ، فتلقى سماحة رئيس الهيئة العربية العليا سيلان من برقيات ورسائل التعزية من مختلف بلاد العرب وديار المسلمين ومن الذين أبرقوا معزين :-

فخامة الرئيس بشارة الخوري ، جلالة الملك عبد الله ، سمو الامير عبد الاله ، سمو الامير فيصل آل سعود ، سمو الأمير سيف الاسلام عبد الله ، والسادة :

عمرو ابراهيم ، مصطفى النحاس باشا ، علي ماهر باشا ، محمود فهمي النقراشي ، مكرم عبيد، عبد الرحمن عزام ، محمد صالح حرب ، شيخ الجامع الازهر ، رياض الصلح ، عبد المجيد ابراهيم صالح ، محمد علي علويه ، حمدي الباجه جي ، مزاحم الباجه جي ، محمد مهدي كبة ، اسماعيل الغانم ، سلطان باشا الأطرش ، ابراهيم هاشم ، الدكتور منصور فهمي ، فؤاد أباطة ، توفيق دوس ، فخري آل الجميل ، الأستاذ أحمد حسين ، رئيسة الاتحاد النسائي في مصر ، الشيخ حسن البنا ، إحسان الجابري ، كميل شمعون ، عبد الله اليافي هنري فرعون ، سامي الصلح ، صبري حمادة ، وعشرات غيرهم ..

هذا وقد آبن الفقيد الكريم المجلس النيابي السوري واللبناني والعراقي ، واقامت صلاة الغائب عن روحه في جميع المدن والقرى في العالمين العربي والاسلامي .

ومن برقيات التعزية^(١) :

رفعت جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية كتابا الى سماحة مفتي فلسطين الاكبر معزية باستشهاد القائد عبد القادر الحسيني وقد اجاب عليه وفيما يلي نص التعزية وجوابها :

(سماحة مفتي فلسطين الأكبر السيد أمين الحسيني أيده الله القاهرة . استشهاد عبد القادر الحسيني في ميدان الجهاد المقدس ، بطولة جديدة من بطولات هذه الامة تزيدنا إيماننا بالنصر وقوة في الكفاح ، وجودكم على رأس الرعيل المجاهد خير عزاء لفلسطين في مصابها بالقائد الشهيد...).

بغداد في ٤/٦/١٣٦٧هـ

السكرتير رئيس الجمعية

حضرة الكريم الفضال رئيس جمعية الخدمات الدينية والاجتماعية في العراق المحترم
جامع الأزبك - بغداد .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

فإنني أشكر لحضرتكم جزيل الشكر على ما جاء في كتابكم من عواطف كريمة ، بتعزيتكم بالفقيد الشهيد عبد القادر الحسيني ، سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يتغمده برحمته ويحقق آمال أمتنا الكريمة ، التي استشهاد في سبيلها ، وأن يحفظكم ويطول بقاءكم ..

حلمية الزيتون في ١٠/٦/١٣٦٧هـ

محمد أمين الحسيني

رئيس الهيئة العربية العليا

(١) جريدة الواجبات الدينية ١٢/٥/١٩٤٨ بغداد

صدى الاستشهاد في أمريكا :-

كان لنعي المغفور له الشهيد عبد القادر الحسيني ، وقع أليم في الدوائر العربية والرسمية ، وفي نفوس العرب المقيمين في نيويورك ، وكان السيد محمود فوزي والسيد فارس الخوري وسائر مندوبي العرب ، ممن عَزُوا السيد جمال الحسيني ، مندوب الهيئة العربية العليا في الامم المتحدة .

وقد تحدث السيد جمال الحسيني عن الفقيه فقال :-

« إن الأعمال الباهرة التي قام بها عبد القادر الحسيني وزملاؤه خلال الأشهر الأربعة الماضية ، قد أكسبتهم أعظم احترام وتقدير ، وهذه الأعمال الباهرة هي التي كشفت عن حقيقة الصهيونية ، وظهرت ان القوة التي طالما تبجحوا في المباهاة بها كانت هباء .

لقد قاتل عبد القادر الحسيني قوات صهيونية ، تفوق قواته عددا وعدة ، فدوخها وجلب عليها العار ، وترك سكان القدس من اليهود وعددهم مائة الف نسمة يتضورون جوعا ، وفي حالة يوشكون فيها أن يستسلموا ، وهكذا مهد سبيل النصر للعرب أجمعين .

إن التاريخ سيسجل اسمه بين أمجد أبطاله ، وإذا كانت خسارتنا بفقده عظيمة ، فقد ضرب من نفسه مثلا عاليا سيحتذيه الكثيرون ... وختم حديثه قائلا :-

« إن جميع العرب المقيمين في نيويورك يفكرون في زوجة الفقيه وأولاده الأربعة ، ويشعرون نحوهم بعطف عظيم »^(١) .

(١) حياة عبد القادر - مخطوط - نخبة من خلائه .

الباب السابع

رثاء الشهيد في الصحف

كتب السيد أكرم الخالدي في جريدة فلسطين تحت عنوان: (١)

(حطم القيد ومضى)

يرحمك الله «أبا موسى» فكلنا لها، هذه الشهادة التي خضنا غمار المعركة الكبرى،
مرحبين بها، لتحيا بلادنا عزيزة حرة سيّدة، أو نفنى دون ذلك راضين مرضيين.

لقد عرفتك يا أخي فتى الثورة والميدان، ورجل العقيدة والعنفوان، ونحن بعد في ريق
العمر على ضفاف النيل نندارس هناك ونتعاهد ناهلين معدّين، ولعلك تذكر يا أخي ذلك اليوم من
ذاك العام، عندما نلت شهادة الجامعة الأمريكية، وذهبنا الحفل معك، ثم إذا بك تقف وفتك
المشهوره في حرم الجامعة، فتمسك الشهادة في يد، وترفع يدك الأخرى في وجه الحفل الحاشد،
هاتفاً به ومحدّراً من أحد أوكار الاستعمار في القاهرة، وكانت بعد ذلك ثورة في الرأي العام، كنت
أنت فتاهاً المجليّ يا ابن الثورة البكر، وها أنت تمضي إلى جوار ربك اليوم بعد أن خضت الغمار
وحميت الذمار، معيدا لقومك الذكريات ومجددا منهم العزمات.... فيا مشارف القدس ويا
روابيها وحزونها، ويا جبال الخليل وبيت لحم، وأنت يا تلال القسطل وتربتها التي جبلت بالدم
الزكي المهرق، اذكرني كلما هبت نسائم الأصباح الندية عليك، بعد أن تحررت من الإسار،
اذكري محطم قيدك الباسل البازل نفسه في سبيل بلد أنت له ومنه، فيه ذؤابة المجد وآية النصر
المؤكد المخلد، اذكرني فتاك وبطلك الصنديد العنيد عبد القادر الحسيني، ثم اسكبي دمعة،
لتقومي من بعد إلى الميدان مشرقة باسمه، فشهيدك لا يجب الدموع، وهو يكره الخنوع
والقعود.... وإلى دار الخلد يا أخي... وثق إننا قائمون لهذا البلد قوامون عليه... وإن القافلة
لتسير.....)

في كلمة جريدة الدفاع: (٢)

(في لهفة ووجوم وحسرة، حرّت في النفوس حُزاً، تساءل القوم عن النبأ الفاجع، وتعددت
الاستفسارات، والقلوب واجفة، والمآقي تغمرها الدموع، وردّد الجميع في ألم وحسرة ومرارة،
هل استشهد البطل....؟ وتاهت النفوس وذهلت البصائر قبل الأبصار، وكيف لا يكون هذا

(١) جريدة فلسطين ١٠ نيسان ١٩٤٨

(٢) جريدة الدفاع ٩ نيسان ١٩٤٨

والمصيبة فادحة والخطب جلال، وكان بودّ كل امرئ أن ينفذ إلى قلب معركة القسطل، لمعرفة الحقيقة وإنها لساعة مفجعة رهيبة بلا ريب....

وظلت أجراس الهاتف في إدارة هذه الجريدة، تقرع باستمرار، مستفسرة ضارعة إلى الله أن تكون الرواية مجرد إشاعة، وأن يحرس بعنايته البطل الذي طوّح بقوات الأعداء في غير معركة، ولازمه النصر في كل موقعة.... وجاءت الأنباء - ويا ليتها لم تجيء - مؤكدة حقيقة الرزء، واستشهاد القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل، حيث كان في طليعة المجاهدين، لم يرتض بملاحظة سير القتال والإشراف عليه، كما هي عادة القوّاد، بل خاض الموقعة بنفسه، وتغلغل في صفوف الأعداء وأسقط عشرات منهم قبل أن يودّع هذه الدنيا، فضرب بذلك مثلاً أعلى في التضحية في سبيل الهدف الاسمي.

نعم... لقد قضى قائد منطقة القدس، ولكن في أشرف موقع وأخلده، فودع هذه الدنيا البالية في سبيل إسعاد أمته وبلادته وتحريرها من الطامعين.. وما نفع حياة عاقبتها زوال واندثار، وما قيمة المرء بل وما قيمة الأمم بدون أوطان...

لقد استشهد الذي دوّخ قوات العدو ولقنها درسا في الفروسية العربية، التي يعترفون بها ولا يجروون على إنكارها، بعد أن ذاقوا مرارتها، عندما جد الجدّ وحانت ساعة الخلاص.

قضى بطل شارع هاسوليل وبن يهوذا، وودّع الدنيا الذي نظم تحطيم دار الوكالة اليهودية بوق السوء ومبعث الغطرسة والفتنة، واستشهد الذي ضرب من فنون الحنكة العسكرية والبراعة الفائقة في فنون القتال، ما سجل له صفحة نقية لن تنسى على مر الزمن..

لقد قضى الفقيد الغالي ولقي وجه ربه راضيا مرضياً، في أشرف ساحة وأنبها ومات الميتة التي يبتغيها كل مؤمن بحقه وعدالة قضية بلاده، فترك ذكرى حافلة وما أعطرها، وسجل انتصارات ما أعظمها....

ولقد هجر الراحل الكريم المناصب وعاف المراكز وحياة الرفاهية، لأداء أسمى واجب كتب علينا جميعا، لكنه كان سابقا، لم تغره مباحج الدنيا ومتاعها واختار حياة الجبال والكفاح على ما عداها، وكان - يرحمه الله - مؤمنا بعدالة قضيتنا وقوتنا، ولم يهن يوما، ولم يستكن عن داعي الواجب، ومن ذا الذي يرى بلاده عرضة للفناء والدمار على أيدي مغتصبين ولا يعمل....

هنيئاً فلسطين... فلن يمسك سوء، وفيك أمثال الراحل الكريم، الذي أبى إلا أن يطهرّ القسطل ولو كلفه هذا الجهاد حياته، هنيئاً لأمة يعمر قلوب أبنائها حب الوطن، والذود عنه بالأرواح «في ذمة الله والوطن ابا موسى....»

وأسرة الدفاع تتقدم بالتعزية الى آل الفقيد الكرام، وللهيئة العربية العليا واللجنة العسكرية والأمة العربية جمعاء.....»

أما جريدة لواء الاستقلال العراقية، الناطقة باسم حزب الاستقلال في العراق، فقد نشرت في افتتاحيتها - بقلم السيد اسماعيل غانم المحامي - أحد اركان حزب الاستقلال ونائب بغداد في مجلس النواب العراقي بعنوان: (١)

(من أعراس الجهاد الدامي)

قضى الأمر، وضمت تربة المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله بين جوانحها، جثمان القائد البطل الشهيد عبد القادر الحسيني، ومشت مدينة بيت المقدس حاضرة الرسل والأنبياء، في موكب اختلط فيه الدمع المسكوب برائحة الدماء الزكية، والجموع تحمل على أعناقها نعشا بورك ما انضم إليه ذلك النعش، من بقايا الجسم الطاهر الذي مزقته شظايا القنابل وخرقت أديمه رصاصات الرشاش، يطلقه الجبناء المجرمون أوغاد صهيون، ومشى فيه العرب مسلمهم ومسيحيهم، يشيعون البطل المدافع عن مسجد الصخرة المباركة، من أن تدنسها ارجاس عبادة العجل، من حثالات الاقوام وطرداء الشعوب، واختلط النحيب.... نحيب الرجال المكتوم بزغاريد النساء العربيات، اللاتي هرعن يلقين النظرة الأخيرة على نعش القائد الشجاع المغوار، الذي ذاب عن أعراضهن وحمى كرامتهن أن تذلل، وخدورهن أن تستباح، وجعل مدينة القدس حصنا عربيا يشعر اليهودي الجبان فيه بالأسر والذل، ولقد كان العرب في شتى أقطارهم يعلقون على همّة (أبي موسى) وشجاعته وجراته المنقطعة النظير آمالهم، في إنقاذ البلد المقدس من دنس اليهود وجرائمهم فقد قوَّض في شهرين من جهاده الرائع حصونهم الهوائية ودك معقلهم وهدم بيوتهم على رؤوسهم في غير كلفة أو عناء أو خسارة تذكر، ولما استدعي إلى دمشق في مشاوراته في بعض الخطط الحربية، حتى انتهز الجبناء الآثمون الفرصة، فباغتوا قرية القسطل العربية واحتلوها بقصد حماية طرق إمداد يهود القدس، بالموونة والسلاح ومنعهم من الاستسلام للقوات العربية، والخضوع لحكمها، فعاد البطل مسرعا لاسترداد هذا الحصن تَوًّا، وباشر بالهجوم بذاته، مقتديا بسيرة أبطال قادة العرب الأشاوس.

وبالرغم من النصائح التي أسداها اليه محبّوه بالابتعاد عن حومات القتال، والاعتصام بمراكز القيادة المحصّنة، فقد أبت عليه سجايا العز وشجاعته الفذة وقوة جنانه، وإيمانه بالقضاء والقدر، وبحق أمته في العيش، وبقواعد دينه السمحة في الأمر بالفداء، والاتكال على الله، أبت عليه تلك السجايا إلا أن يشارك جنوده المجاهدين مصائرهم، وأن يساهم بنصيبه فيما يلقون من جهد وعناء، على أن ينال نصيبه من الشهادة في سبيل الله والوطن والكرامة، حتى كتب الله له الشهادة، وحشره بين المنعم عليهم من النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقا...

إن الرزء القادح الذي منيت به الأمة العربية، بفقد هذا القائد المقدم، والبطل الفذ والكارثة المؤلمة التي حلّت بحركة الجهاد العربي في فلسطين، يجدر بنا أن نتخذ منها حافزا لنا

(١) جريدة لواء الاستقلال ١١ نيسان ١٩٤٨م

نحن العرب على مضاعفة الجهد، وموالاته البذل وتقوية العزم، على الكسب النهائي لهذه المعركة المقدسة، وإن الأمة التي تضحي بقائد كبير من قادتها في سبيل استرداد معقل صغير من المعاقل التي فقدتها، حرية أن تكسب النصر المؤزر آخر الأمر، وأن يخرج رجالها الأحياء في نتيجة الصراع، مكللة رؤوسهم بالغار والفخار، ولن يفتر في عضدنا، ولن يوهن من قوانا فقدنا لقائد من قادتنا الشجعان المغاوير، كما لن يجدينا الأسى والأسف والتفجع في هذه الظروف نفعا.. أما وقد استراح البطل الصريح إلى جوار الأبطال والملوك في المسجد الأقصى، بعد أن أدى واجبه كخير ما يؤديه الجندي الباسل والوطني المجاهد، ولقي وجه ربه ناصع البياض وجبين وضاء بنور الايمان والرضوان، فعلى الأمة العربية أن تكفكف دموعها وأن تكبت عاطفتها وأن ينصرف الذين شيعوا جنازة البطل الشهيد بأسلحتهم إلى ميادين النضال القومي الشريف، كأن لم يقع شيء، وأن يكفّ الباكون عن بكائهم لأن الشهيد أحق بالزغاريد منه بالعويل، وليتخلقوا بخلق العرب الاصيل، حيث يقول قائلهم:

(يبكي علينا ولا نبكي على أحد لنحن اغلظ أكباداً من الإبل)

وكتب احد الزعماء العراقيين في جريدة لواء الاستقلال بتاريخ ١١ نيسان ١٩٤٨ راثيا الفقيه، ووصفا حياته في المعتقل ، نقتطف منها ما يلي :-

(لقد هوى يوم الخميس الماضي نجم تألق في ميدان الكفاح والنضال، فكان الفارس المعلم في كل الثورات التي قامت في فلسطين، دفاعا عن عروبته، ورداً لعادية الطامعين المستعمرين، وقد خرّ في حلبة النضال بطل من أبطاله المغاوير، لم يتطرق إلى قلبه الرعب، ولم تعرف نفسه الكبيرة الاستخذاء، فكان في الطليعة بين المناضلين المقاتلين، يحمل سلاحه كغيره من الجنود العرب وهو قائدهم، ليقاثل وإياهم صفا واحدا في الخط الأمامي وكان خير قدوة ومثال لأولئك الجنود الذين نذروا أنفسهم لأمتهم ووطنهم، واسترخصوا الموت في سبيل الدفاع عن حرمتهم ومقدساتهم....

لقد عرفت أبا موسى في المعتقل، وقضينا وإياه شطرا من العمر في مستنقعات العمارة وأحوالها وكان كل ما في ذلك المعتقل يدل على قسوة المناخ وسوء المعاملة والغذاء، ولكن أبا موسى لم يعرف الجزع في حياته وهو الذي كان يشكو آنذاك من علة مستعصية، يحتمل قسوة الحياة بين تلك الأسلاك الشوائك ومن وراء حسك الحديد، فلم يتبرّم ولم ينطق بالشكوى، بل كان مثال الصابر المحتسب..).

ومنها ايضا:

وكنا نشفق على هذا القائد الممتاز أن تتعرض حياته الغالية للمخاطر، لأننا عرفنا فيه المجازفة والمخاطرة التي عرف بها القادة الممتازون، وجاء رجل من القدس حيث حمي وطيس المعركة فيها، ونقل اليها أبناء الكفاح المشرف، الذي يقوده عبد القادر في تلك الميادين، وكان لا

يكتم مخاوفه من المجازفة التي اعتادها، وخشي أن يلحقه الشر من هذا الاندفاع، وما هي إلا أيام معدودات حتى وقعت الواقعة وخرّ البطل صريعا في حومة النضال.. واختتم الزعيم العراقي مقاله بما يلي: -

(وإذ خسرنا اليوم أبا موسى، وكان الصديق المحبب إلى كل نفس، فإنما رسم لنا بدمه الزكيّ، طريق الخلاص وإلى الأمة العربية سبيل الخلود....).

ومن كلمة للسيدة (فائزة عبد المجيد) أمينة سر الاتحاد النسائي بنابلس بعنوان: -
«شهيد القسطل»

«أبا موسى... ثرث ثورة الحق للحق، فأقبلت المواكب حول مثنوى العلى تطوف، شهدت فلسطين مثخنة بالجراح، فتسعّرت الحماسة وروحك، وفاض لها بالوفاء جنانك، وقادت لك الدار - دار أبيك - إلهامها... في ساحة الشرف والمنايا حائّمات، طاف نور الفداء في الكون يلقي وشاحه، ويجلجل صوت الحق في كل سماء، ذلك العلم الذي هوى في ميدان النصر، ذلك البطل الذي سال دمه في بطاح الموقعة، زانت صدره أوسمة الجهاد في فدائه، صكّ الحياة لأمة... لأجيال... وأقبلت المواكب حول مثنوى الحمى تطوف...»

أقبلت... في عبرات الفخر ترتل نشيد النصر: المجد للقائد الخالد... المجد للشهداء الإلهام لكل سائر... المجد لذكراهم... سناها الدائم ينير الاجيال...

وفي كلمة للاستاذ (حبيب جاماتي) بعنوان (فتى العروبة وزينة المجاهدين)^(١) القسطل قرية عربية على قمة جبل عرف في التاريخ باسم (مونت كاستل)، وسيذكر العرب هذا الاسم جيلا بعد جيل، ودموع الفخر تترقرق في عيونهم ممزوجة بدموع الأسى، على فقد زينة الأبطال وفتى المجاهدين عبد القادر الحسيني، والفخر لما أبداه العرب بهذه الموقعة الدموية من ضروب الشجاعة والاستبسال وما أحرزوه من نصر مبین.

ففي الأيام الأولى من شهر إبريل الحالي، عزم جيش الصهيونية المعروف بالهاغانا، على احتلال بلدة القسطل المشرفة على طرق المواصلات بين القدس والساحل، والتي يسيطر منها العرب على هذه الطرق، ويتحكمون في مصائر القوافل اليهودية، فيهاجمونها بقوة عظيمة، انتقلت البلدة مرة بعد مرة من أيدي المدافعين إلى أيدي المهاجمين وكان عبد القادر الحسيني في دمشق يفاوض قيادة جيش التحرير العليا في بعض الشؤون، ولما بلغت مسامعهُ أنباء الصراع حول البلدة الحصينة حتى خفّ مسرعا إلى ميدان المعركة، فتولى إدارة دفتها، ومشى في طليعة رجاله إلى النصر وإلى الموت.

(١) مجلة المصور المصرية ١٦ نيسان ١٩٤٨

سقط عبد القادر الحسيني في ميدان الشرف والسلاح بيده، في الثامن من هذا الشهر في (السادس والثلاثين) من العمر، وهي السن التي ينصرف فيها أقرانه إلى اللهو والتمتع بلذات الحياة، فاذكروا هذا أيها العرب، اذكروا أن فلسطين عربية لكم دون سواكم، ما دام فتیان العروبة يقدونها بالمهج والأرواح، واذكروا أن القسطل موقع أزهقت على جنباته تلك الأرواح والمهج العربية، منذ الحرب الصليبية حتى الآن، فشيّدوا على تلك القمة التاريخية نصبا تذكاريًا تحج الأجيال الآتية إليه، وترتوي فيه من مناهل المجد والبطولة....)

وفي كلمة للأستاذ سامي السراج وهي بعنوان (فقد العروبة سيد شهداء الشباب) (إيه أبا موسى... إطمئن في مثواك، ساكنا إلى ما عملت لدينك وأمتك وبلدك، فلتفرح روحك وأنت في عليين بمواكب القسام وأبي كمال والعاص ومريود وطلّيح، ومن اليهم من طوائف شهدائنا، الذين أبلوا مثلك أعظم بلاء، وتآلقوا تآلق الأضواء، وبتّوا في الأمة روح الفداء، لقد تعجلت المسير يا أبا موسى، فكنت ذؤابة شهداء هذه الفترة المباركة، التي احتدم فيها القتال بين أضرابك أعوان الخير، وأضراب الدخلاء أعوان الشرّ، فتخيّرت لنفسك مقام القائد الذي يحتل الطليعة أبدأ، فما يبالي أن يموت عربيًا موحّدًا شجاعًا، كيف كان في الله مصرعه، فأحسنّت التخيّر والاختيار، وسارعت إلى مكانك في صفوف الأخيار، فم في الثرى هانئًا مطمئنًا، ينضّر الله تربتك و يعلي ربتك وأنت المثل الرفيع لشباب هذا الجيل...)

ومن مقال الأستاذ الكاتب يوسف حنّا بعنوان (الشهيد ابن الشهيد)^(١) كان الشيخ في الخامسة والثمانين، وكان إيمانه في ربيع العمر الذي تتجدد فيه الحياة ولا تنفك تتجدد....

كان الشيخ في السن التي تلزم صاحبها، أن يكون قعيد الفراش، يتناول أسباب العيش بأيدي غيره من الناس، أما هو فقد آثر أن يتقدم وهو في تلك السن العالية أمتة التي أولته ثققتها وقيادتها...

ناضل الشيخ وناضل معه المليون عربي، ما تخاذل الشيخ ولا تأخرت أمتة، وفي خريف سنة ١٩٣٣ كان المال اليهودي قد خرج من الخزائن الحديدية، فاحتل خزائن الضمائر في (الهوايت هول) في لندن، وأبيحت فلسطين العربية لغزاة سلاحهم الذهب والبطش الانجليزي المأجور، وكانت الحجة الانسانية عند الانجليز، على ما يرتكبون من تقتيل وتدمير في فلسطين، أن اليهود يحملونهم جثث العرب ويقطعونهم أراضيمهم، هم من ضحايا الاضطهاد النازي في ألمانيا...

وتقدم الشيخ في خريف تلك السنة الشعب المتظاهر في يافا، وأبى (فرادي) (اسم ضابط انجليزي)، إلا أن يكون الأعلى بين طغاة الأمبراطورية، فأطلق النار، فكانت بداية المعركة وبالله

(١) جريدة المصري ١١ نيسان ١٩٤٨

أقسم لقد شاهدت بعينيّ الشعب الأعزل يترامى على الشيخ، ليحميه من النيران، وشاهدت الشيخ يدفع عنه الشعب ليتلقى عنهم الرصاص، وخرج الشيخ من المعركة وقد صبغت ثيابه بدماء أبنائه الذين استشهدوا في الدفاع عنه، ولم تطل الأيام به... فلقد تهدم الشيخ مما رأى وقضى بعد ذلك بقليل، لم يقتله رصاص الانجليز بل قتله ما هو أشدّ من رصاصهم.

واليوم يسقط ابن الشهيد... اليوم يسقط عبد القادر بك الحسيني سقوط أبيه موسى كاظم باشا الحسيني من قبل في الميدان...

كان الشيخ زعيما ملء الاسماع.. ملء الاعين... ملء القلوب، وكان الابن قائدا يأمر فيطاع، ولم يكن بهذا أو بذاك حاجة لأن يستهدفا لخطر أو يتعرضا لمكروه، فالحرص على الحياة طبيعة في المرء، إلا أنها من الطبائع التي لا تعلي مكانة الزعيم في أمته، ولا القائد بين جنده....

ولد عبد القادر وأبوه يشغل أعلى مناصب الحكم في الدولة العثمانية، وكان له في أيام نشأته الاولى من نفوذ أبيه ومجد عائلته، ما يمهد له أن يعيش في لين ويسر، إلا أن عبد القادر شغل عن هذا كله بقضية أمته، وكان يصارح وهو بعد صبي صغير، أن العقدة التي عقدها اليهود والانجليز والامريكان بفلسطين يحلها السلاح ولا تحلها السياسة، فلما تقدمته السنّ بعض التقدم، وشارف العشرين من عمره، كان الفتى عبد القادر من نخبة العصابة الممتازة بين المجاهدين، ولما أعلن الجهاد سنة ١٩٣٦ م، وكان عبد القادر قد بلغ الخامسة والعشرين، قام على قيادة هابها أصلب العسكريين عوداً وأنضجهم خبرة، وأتى في جهاده مع رفيقه البطل الشهيد سعيد العاص، بأروع ما عسى أن يصدر عن كبار المجاهدين، وقد قتل رفيقه البطل وأصيب عبد القادر بجروح خطيرة ألزمته الفراش زمناً....

وقضى الشهيد الغالي سنوات عشر أو تزيد مغترباً مطارداً، ثم عاد ليساهم في معركة فلسطين الحاضرة بعد أن اكتملت رجولته، ونمت خبرته، فدوى اسمه في الشرق والغرب وفضح دعايات اليهود والانجليز والامريكان وأكاذيبهم، من قوات الدفاع اليهودي، فأذلّ تلك القوات شراً إذلال، وسحق كبرياءها، ثم سقط في ميدان الشرف وهو في السادسة والثلاثين أوفر ما يكون صحة وعافية وأقوى ما يكون على صيانة حياته من أخطار المعارك، إلا أنه أبى إلا أن يعيش عزيزاً وأن يقضي عزيزاً شأن المجاهدين الأبرار... «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون»

وفي صدر صفحاتها الأولى نشرت جريدة الأهرام نبأ الاستشهاد بقولها^(١):

(استشهاد عبد القادر الحسيني إثر انتصار عظيم - العرب يستردون القسطل ويشنون أكبر هجوم في تاريخ فلسطين)

(١) جريدة الأهرام ٩ نيسان ١٩٤٨

كان لا بد للنصر العسكري في معركة فلسطين أن يكتمل بنصر معنوي ميدانه التضحية، وتوافرت ادلته بما ترامى إلينا على مر الأيام من أعمال البطولة في ساحة الوغى، وقد جاء استشهاد المرحوم عبد القادر الحسيني، قائد منطقة القدس في معركة القسطل، على ما فصلته البرقيات مثلاً رائعاً لبذل النفس يزهبه مجد العروبة، تغمد الله فقيدينا الأبى بواسع رحمته وألهم آله الكرام جميل العزاء....)

وعلقت جريدة المصري على النبأ بقولها^(١):

«إن تكن للمصري كلمة يتقدم بها إلى الأبطال العرب في فلسطين المجاهدة وشقيقاتها من البلدان العربية عقب استشهاد القائد العظيم، المرحوم عبد القادر الحسيني، فحسبه أن يجمع من نثار الدموع ومن أكاليل العزة ومن هتاف الأرواح المؤمنة، ما يودع به الفقيدي الشجاع، وحسب الشهيد من المجد أنه بنى صرحاً فارعاً من جهاده الفرد ظل قائماً في وجه العدوان، يذكر المتناسين بأن الهزيمة العربية تستهين بالموت في سبيل استرداد الحق المغصوب، وبأن البطولة العربية تجتاح في طريقها حتى المنون...»

حسب الشهيد من المجد أنه عاش بأسلا وكافح بأسلا ومات بأسلا... وأن نفسه العظيمة قد مثلت كرامة أمته العربية رفيعة شامخة، في كل وقت وكل مكان.... ألا أيها العرب البواسل: «اخفضوا الرؤوس وحيّوا الشهيد العظيم، مقدسين ذاته الفدائية الباهرة والتضحية بالنفس في سبيل الفكرة....»

وكتبت جريدة الأيام السودانية^(٢) تحت عنوان (مصرع بطل):

«كان لاستشهاد القائد العربي الشهيد السيد عبد القادر الحسيني، رنة أسمى في الشعوب العربية جميعاً.... ولا عجب فقد فقدت العروبة بمصرعه في معركة القسطل مكافحاً حُرّاً، من أشجع مكافحيها، وأصلبهم عوداً. وأعظمهم إصراراً، وقد سجل الفقيدي الكثير من صفحات المجد والبطولة في معارك فلسطين، التي خاضها ضد اليهود والانجليز، وتولى القيادة في منطقة القدس، حيث واجه قوات صهيونية تفوقه عدداً وعدة، فأنزل بها الكثير من الهزائم، وأحكم ضرب حصار على يهود القدس، حتى أوشكوا على الموت جوعاً وأخيراً سقط في ميدان الشرف...».

وقد كتب مراسل جريدة (الديلي ميل) البريطانية في القدس مقالاً في جريدته فقال^(٣) «إن خسارة معركة القسطل الأولى كانت صدمة للروح المعنوية عند العرب، حتى لقد تساعل قوم كثيرون... أين عبد القادر...؟ ولماذا لم يظهر في هذا الميدان...؟ فإذا بعبد القادر يهرع إلى

(١) جريدة المصري ١٠ نيسان ١٩٤٨

(٢) جريدة الأيام السودانية ١٥ نيسان ١٩٤٨

(٣) سيرة بطل - نبيل الاغا

الحومة وهو معتزم تنفيذ الأمر، بأن يسترد القسطل، وبينما كان على رأس جنوده وهم ييثون لغما تحت جدار دار تحتها الهاغنا... إذ انبعثت رصاصه من إحدى البنادق فأردته قتيلا... ولم يلبث اليهود أن انطلقوا سراعا من القسطل مولين الأدبار....»

كما كتبت (مسّ مارجریت بوب) مراسلة جريدة الأبرزيرفر البريطانية في القاهرة مقالا ترثي فيه الشهيد فقالت فيه^(١):

«أشعر بأن الواجب يحتم عليّ باعتباري المراسلة الوحيدة، التي استطاعت أن تجتمع بالشهيد عبد القادر الحسيني أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة، في فبراير الماضي، أن أعرب عن شعوري الخاص بالأسف والألم لاستشهاده في جبل القسطل يوم الخميس، وإن كان رحمه الله قد رفض عندما طلبت أول مرة أن اجتمع به، أن يسمح بهذه المقابلة بحجة أنه لا يحب الدعاية لنفسه، فقد قبل آخر الأمر أن يستقبلني في المنزل الذي كان يقيم فيه بالقاهرة، والذين كانوا لأسباب تتعلق بالأمن يصفونه بأنه (مكان ما بمدينة القاهرة) وكان ذلك يوم ٢١ فبراير ١٩٤٨ وكان الوقت بعد الظهر عندما رأيته لأول مرة... لم يكن في برّته العسكرية التي يرتديها في الميدان، وإنما كان يرتدي البنطلون الكاكي والصدريّة الصوفية وهو زي يرتديه في فترات الراحة بين معركة ومعركة...»

ولم يكن في زيّ الراحة هذا غير الحزام الجلدي والمسدس الذي يتدلى الى جانبه، ما يوحي إلى من يراه بأن هذا الشاب الذي يتكلم بهدوء وترتسم على وجهه ابتسامة خجول، (واحد من

أشجع زعماء المقاتلين في فلسطين وأكثرهم استهانة بالحياة)

وعندما أشرت إلى مسدسه ابتسم في حياء وقال: «إنني الآن لا أشعر بالراحة إلا إذا كان هذا المسدس في متناول يدي.... لقد أصبح جزءا مني.....»

ولقد أكبرت فيه بساطته العربية، وكراهيته للدعاية، ولا زلت أذكر قوله لي: (إننا في فلسطين نفضل الأسلحة على الدعاية... وأنت لا تستطيعين أن تتصورين القيمة العظيمة لعشر بنادق مثلا بالنسبة إلى قرية من قرى فلسطين....).

(١) المرجع نفسه

رثاء القافية

قد يضيق بنا المقام هنا ونحن نسجل ما قيل في تأبين وتمجيد الشهيد عبد القادر الحسيني .. لقد استل الشعراء اليراع وراحوا يسكبون من فيض خواطرهم .. ومن الشعراء الذين رثوا الشهيد :

صالح الريماوي ، محمد هارون الحلو ، احمد مخيمر ، محمد العدناني ، والشاعر الشهيد كمال ناصر ، وفتح الله السلواوي ، وهارون هاشم رشيد ، محمد احمد ابو غربية ، محمود نديم الافغاني ، محمد عز الدين المناصرة ، ناهض منير الرئيس وغيرهم العشرات .. ومن قصيدة (يا قائد القدس) للشاعر محمد هارون الحلو التي نشرت في جريدة المصري بتاريخ ١٠ نيسان ١٩٤٨ م .

حسام ثوى في غمده غير حافل
سمعنا به قرما عنيدا ممنعا
وفي كل يوم كان يطوي جحافلا
فيا قائد القدس المطهر روحه
تعطر ذكراك الكريمة رحمة
عليك سلام الله فارس أمة
ومن قصيدة للشاعر احمد مخيمر والتي نشرت في مجلة الرسالة ٣ ايار ١٩٤٨ م

نلت الشهادة فاهناً أيها البطل
أمامك الجنة الخضراء تفتحها
السابقون من الأبطال قد دخلوا
ودوا لحب الوغى لو أنهم رجعوا
يا ابن الحسين دموع الحزن جارية
على شبابك نبكي لوعة وأسى
شمس طوتها المنايا وهي مشرقة
على ابتسامتك الهيجاء عابسة
الى ان يقول :

يا حامي القدس من كيد يراد به
أغناك عزمك عن نظم وعن خطب
خلال العرين ومات الضيغم البطل
فلم تزل بلسان السيف ترتجل

وجاذبك اليه الحب والامل
يوما إلى مثله أبأوك الاول
إن الخلود جزاء أيها البطل

واهتفي بالنشيد تلو النشيد
يوقعن لحن الترحيب بابن الصيد
باندفاع اطار لب اليهود
عندما انقض قاصفا كالرعود
عبدته عزيمة الصنديد
ورأوه في البطش غير وحيد
والأقدام والبأس والجلاد شديد
كتلاشي الأحلام بعد الهجود
عنها الخريف ختم الهمود
بعد أن باد كل خصم مريد
في ظلال من قسطل وبنود
فتداعى كخصمنا المهودود
وهو ينقض في الوغى كالأسود
فوق خدي جاحما والجيد
بين صحو ينتابني ورقود
لا أزيل الدموع فوق الخدود
أن يومي ليوم عرس الشهيد
كندى الفجر فوق خد الورود
أمس يمناك في سجل الخلود
شاهدات على الفعال الحميد
مثل برج من الصخور مشيد
يا طفيلات أبطشوا بالقديد
واذبخوا الخود وافتكوا بالوليد
وابذلوا في الدمار كل الجهود
من مريض ومقعد مكدود
عن طريق الردى العبال الزنود
لأذاكم وغدركم من مزيد
جميعا والحرث دون ركود

غامرت في الشرف الأعلى ففزت به
ونلت في حومة الهيجاء ما طمحت
فانعم بخلدك في أبهائه فرحا
ومن قصيدة للشاعر محمد العدناني :-

زغردي اليوم يا جنان الخلود
واجعلي النيران في الأفق
أرخص الروح ذائدا عن حماه
حسبوا القرم ماردا من شهاب
شق للقسطل المنية دربا
كان بين العداة ليثا وحيدا
فهو في جحفل من العزم
قد تلاشى اليهود بين يديه
وتهاووا كأنهم ورقات فض
وقضى النحب مثنخنا بجراح
ليتنى مثله أموت شهيدا
فاجأ النعي يا حبيبي كياني
لم يدر لي موت الشجاع ببال
سبق الدمع خاطري فتهاوى
وإذا بي يصفاح السمع صوت
تلك روح الشهيد تهتف بي أن
ثم قالت والبشر ينفج منها
رحبت بي الفردوس والخور فيها
كيف ننسى مجدا لنا رفعته
بن يهوذا والبوست والمنففيوري
وبناء الوكالة المتسامي
يا حثالات يا أحط البرايا
أقتلوا الشيخ أمانا في حماه
وانهبوا يا ذئاب كل طعام
وانسفوا الدور واسحقوا كل حي
واضربوا العرب في الظهور وروعوا
واركبوا رأسكم فهل ياتعالي
سنريك في الحرب ما يهلك النسل

كعقاب طار ثم انحدر
قاصفا ما جال إلا انتصرا
قدر حير أقدار الورى
ذاب في الغمد نجيعاً احمر
واذكروه وهو ثاو في الثرى
مثله الدنيا وما أن قصرا
في حديث مسند عنه جرى
فروى لي في أساة خبرا
فعرى القسطل منه ما عرى
ومحاهم في حماهم زمرا
وهو نشوان يخوض المطرا
أدفع النكبة حتى احتضرا
انني ارثي الشهيد الاكبرا
فاستباح الحصن حتى ثار ا
غير أن تسقى الثرى أو تهدرا

ومن قصيدة (حزنت بعدك البنادق) للاستاذ صالح الريماوي

طاف بالأوكار ليلا وسرى
عاصفا ما ثار إلا زأرا
الحسيني الذي أعرفه
كان سيف الله في إقدامه
انثروا الزهر على تاريخه
علم الأجيال درسا لا تعي
مات موتا لم يمته خالد
جاءني مزجييه في أكفانه
قال لي : كر عليهم أسدا
سبق الموت إلى أوكارهم
ورصاص الموت يجري مطرا
وأنا عنه بكفي ويدي
يا حسيني وحسبي شرفا
مصطفى الجيار أدى حقنا
وسقاه من دماء ما لها

فالربى أوشكت بنا أن تميدا
المجد وقد جاوز السماء صعودا
فأراه مكفنا ملحودا
وفؤادا ممزقا مكمودا
ومصابي قد كان فيه شديدا

بطل خر في الجهاد شهيدا
قد هوى النسر وهو في ذروة
وابلائي أن لا أحيى حراكا
ولا تلوموا حزنا عميقا ودمعا
فمصاب البلاد فيه شديدا

أي شيء هذا الذي ملأ الدنيا
إذ غدا ربها الجريء بعيدا
قد فقدت المجاهد الصنديدا
بفؤاد البلاد سيرا وثيدا
وسعوا القبر واملأوه ورودا
مهيبا بين القبور عميدا
يا ويلنا مسجي وحيدا
إنما كنت للبلاد فقيدا
فاقتدوا بالفقيد في خدمة الأوطان حتى نبيد منها اليهودا

روعت بعده البنادق حزنا
يا فلسطين يا بلاد الضحايا
أيها السائرون بالنعش سيروا
إيه يا صحبة الكرام عزاء
إنه يا رفاق قبر أبي موسى
أيها القائد المجرب قد أصبحت يا
لم يكن فقدكم لأهل وصحب
فاقتدوا بالفقيد في خدمة الأوطان حتى نبيد منها اليهودا

ومن قصيدة للشاعر الجزائري (الربيع ابوشامة)^(١)

حي ذاك الصريع في الميدان
ليس هذا يوم البكا والمرائي
بطل القسطل الشهيد المفدى
إن تعاجلك في الجهاد المنايا
ليست العرب أمة الدمع لكن
سوف يبكيك بالسيوف رجال
يا فلسطين يا حمى الله صببرا
أه للعرب ما أعز حماهم
أين ذاك الجزائري المجلي
هل نسيت عهد الأخوة والقربى
كلكم إخوة كرام وأهل
فانهضوا للفدا ولبوا سراعا
باسم الثغر هادىء الوجدان
إنما اليوم يوم حرب عوان
حزت مجدا مخلدا في الزمان
قد بلغت المدى على الأقران
أمة الدفع والفدا والطعان
من بني العرب سادة الأعوان
للمقادير في ابنك المحسان
في الورى لو تعاونوا من زمان
في ميادين كل حرب عوان
وفضل التحرير والإحسان
لفلسطين غرة البلدان
داعي الله من سما الأكوان .

(١) جريدة السجل ٢٢/٦/١٩٤٨ عن مجلة البصائر الجزائرية

كما كتب الاستاذ صالح الريماوي قصيدة يرثي فيها الشهيد عبد القادر الحسيني ويقول :

وفارقت حسن الصبر والهدي والرشدا
تكايد نار الحزن بعدك والفقدا
فداك حياة أصبحت بعدكم جردا
بجنبك ذقت الموت والقبر واللحدا
جوارك يا رمز الفدا كان لي أجدى
ونحن أناس لا نخون لك العهدا
ونجعل لاستنقاذها جسما معدى
ونطرده من عاثوا بموطننا طردا
وأججت في قلب كثير الأسى وقدا
سيحصد أعداء الحمى المجتبي حصدا
وكيف تركت الجند والأهل والولدا
تعال انظر الشعب الذي لطم الخدا
تعال فهذي أمة حشدت حشدا
تعال انظر الفوضى التي اتسعت جدا
وكيف أبر المخلصين لنا ندا
وهيهات أن تلقى له أبدأ سدا
وقد فرط استشهادهم ذلك العقدا
أرى مارب الانقاذ إخضاعنا قصدا
لانكلترا .. تخفي معالمه عمدا
وفضح أساليب السياسة لا بدا
فداها بأغلى ما يقوم أو يهدى
لحرب ومن قاد الجحافل والجندا
فكنت بها نارا تأجج أو بردا
طهور زكي ينبت العز والمجدا
وقد روع الاسراع موطنك الفردا
مفجعة تكلل بها الحزن قد هدا
وأبقيت جوا في سماه قد اربدا
خلاصا لنا من مازق ذر واشتدا
بغاثا ضعيفا فارق الحول والأيدا
وشمر مغترا بغلوائه زندا
وخطة حرب سوف تغدو له ردا

بكيتك حتى لم أدع للبكا حدا
فداك الضيا من ناظري ومهجة
فداك دمي المسفوك من أجل موطني
فوا أسفي أن لا أكون مكفنا
ولو أنني استشهدت في ساحة الوغى
ولولا الذي عاهدتنا في جهادنا
بأنا نوالي في البلاد كفاحنا
ونحمل ما دام الذماء سلاحنا
لكنك أذبت النفس حزنا ولوعة
ألا أيها المنشي جهادا مقدسا
تعال انظر الأخوان كيف تركتهم
تعال انظر الأجداد كيف تفتت
تعال انظر الباكين حول ضريحكم
تعال انظر الذعر الذي مآل الحمى
تعال انظر الأنظار كيف تحولت
فراغا عظيما قد تركتم وراءكم
لقد شئت الشميل الذي قد جمعته
تغيرت الأحوال حتى كأنني
وإني أرى من خلف ذلك إصبعها
ولا بد للأيام من فتح مغلق
ألا أيها الجندي الأمين لأمة
أحلتك منها الصدر يا خير من مشى
كما أسكنتك القلب من كل مؤمن
ألا أيها الساقى بلادك من دم
رويدك قد أسرعتنا برحلة
حنانيك قد خلفت بعدك أمة
تركت غيوما في الحمى مكفهرة
قد استفحل الخطب الجسيم ولم نجد
كما استنسر القوم الذين تركتهم
إذ استبشر الخصم اللئيم بموتكم
فإن الذي خلفتم من يقينكم

وأن الذي أنشأتم من غراسكم
تركتم لانهاء المهم فوارسا
إذا زغرد البارود خفت جموعهم
لقد خسرت أوطاننا خير قائد
شجاع إذا احمر الحديد كأنما

سيثمر الاستقلال والنصر والسعدا
حياض الردى يستعذبون بها الورد
ترى الشيب في الهيجاء قد سبقوا المرء
وقد ذابت الويلات من بعد ما أودى
به قلبه من يابس الصخر قد قدا

بلاء وإقدام وحزم وجراءة
إذا اشتعلت نار المعارك عنوة
إلا أنه أمضى الحياة مجاهدا
هو المبدأ الأسمى قضى في اتباعه
غدا مضرب الأمثال في تضحياته
هوى في الوغى من بعد نصر مؤزر
لقد خر في ساح الجهاد بعيد أن
وغاب وقد أبقى له الذكر عاطرا
وقد كان في كل المعارك ظافرا
وبدد بالنيران في كل ساحة
سل القسطل السماء عن هول فعله
بها أنزلوا بند اليهود منكسا
وفيها أبو موسى أراق دمائه
سيبقى مدى الاجيال حرنجيعة
فيا رمز من ضحى ويا رمز من وفى
إذا كنت ملقى في الفراش مرزعا
وأملك إن عز الحسام يراعه
ولي خافق غل الأسى من جماعه
فتلك الاماني صوحت بعد نضرة
فله أيام قضينا بياضها

وهيهات أن تلقى له أبدا ندا
يدير الوغى في حنكة تذهل الأعدا
فدا وطن لم يدخر أبدا جهدا
وإنا لنحذو ما ترسم من مبدا
وإخلاصه فيما لموطنه أسدى
وعلمنا بالموت كيف الحمى يفدى
رسالته في حفظ موطنه أذى ..
يفوق الخزامي والقرنفل والندا
وقد ترك الأعداء في حالة سودا
جنود الأولى قد بيتوا للحمى كيدا
وكيف جموع الغاصبين بها أردى
وقد رفعوا للعرب من بعده بندا
وفيها غدا جوف الثرى عطرا يندى
يذود عن الأقصى كما يحرس المهدا
ويا رمز من حامى ويا رمز من جدا
جريحا فإني أملك القلب والوجد
تهز إذا سألت على طرسها العندا
وصيره في ماتم وهو لا يهدا
وأنت يد الاحداث عيشتها الرغدا
وأنت حفى تمنح الحب والودا

وتقضى الليالي راسما خطة الوغى
تدرب شبانا على صنعة الردى
مغاوير إن شنوا الاغارة يملأوا
وكالة صهيون تهاوى بناؤها
لقد كنت نبراس الجهاد ولم تنزل
إذا نحن قصرنا بحقك يا اخي

إذا اشتعلت سهلا أو التهبنت نجدا
إذا فجروا الغمام فاقنت الرعدا
من الرعب والإيهان أخصامنا اللدا
كما بن يهوذا مع بناياته هدا
تعاليمكم من نيرات الدجى اهدى
ولم نرسل الامداد او ننجز الوعدا

فيجزى بما أخفى ويجزى بما أبدى
بمقدمكم مزهوة تكثر الحمدا
ملائكة الرحمن تستقبل الوفدا
ومن بعد الاستشهاد أسكنتم الخلدا
كريما حباك الله من فضله الرفدا

هنالك عند الله لا يغبن امرؤ
وفدتم على دار الخلود فرحبت
قد استبشرت حور الجنان وهلت
لقد كنت في هذي الحياة مقدسا
فنم في جوار الأنبياء معززا

المستشفى الفرنسي / القدس

١٧/٤/١٩٤٨م

مجاهد كريم يصف الحادثة المروعة

حدثنا المجاهد (لافي محمد سعادة) من ترمسعيّا - قضاء رام الله في لقائنا معه في القدس في صيف ١٩٨٣م قال :-

(...وما أن سمعنا بالاستغاثة وطلب النجدة ، حتى هرع الجميع إلى ميدان المعركة وكنت أنا من بين الذين هبوا للنجدة ، وكان وصولي الى القسطل متأخرا ، بسبب صعوبة المواصلات في ذلك اليوم ، وكان المجاهدون قد أحاطوا بالقسطل من جميع الجهات ، وجاءت طريقي إلى شمال شرقي البلد ، فعرفت أن اليهود قد زرعوا هذا الجزء بالقنابل والالغام كما عرف الجميع ذلك ، فصرت أزحف على الارض ، ودخلت البلد من الجهة الشرقية ، بينما كانت المعركة على أشدها ، وكانت بعض الدبابات التابعة للمجاهد حسن سلامة قد دخلت القرية من الجهة الغربية وراحت تصلي اليهود برشاشاتها .. المهم ، وصلت حارة البلد وأنا لا اعرف مصير القائد عبد القادر ، وفجأة خرج اليهود من استحكاماتهم واصبحنا نحن وهم وجها لوجه ، فقامت معركة بالاسلح الابيض ، ولكننا بعون الله استطعنا ان نتغلب عليهم ، فهاموا على وجوههم ، ولم يجدوا الا الطريق المؤدية الى الناحية الشمالية الشرقية والتي زرعت بالالغام كما قلت ، فاتجهوا مسرعين اليها ، وفجأة وقعوا في حقل الالغام ، مما سبب في تفجير معظم الجنود اليهود الهاربين .

وانتهت المعركة وسكت الرصاص ، فذهبت أنا وجماعة الى بيت المختار (مطير) وكانت الساعة تشير إلى الرابعة بعد الظهر تقريبا ، نفتش عن القائد ، ووجدنا المستر (بيتر) - يقال أنه بريطاني أو الماني - فلما سألناه عن عبد القادر ، فاجأنا بالخبر المشؤم وقال : البيك استشهد ..

نزل علينا الخبر كالصاعقة وهرعنا باتجاه مكان استشهاده فلم نجد أحدا .. وعلمنا انه نقل الى القدس في دبابة من دبابات الشيخ حسن سلامة ، فعدنا مسرعين الى القدس .. وعلمنا انه اصيب بشظايا قنبلة (سلبند) في بطنه وأذنه ورقبته ، وأنه كان مستندا الى الجدار ويده على بطنه وقد اسلم الروح ، وكان سلاحه فاضي ولا رصاصه (...)

مجاهد كريم يصف معركة القسطل

شهد معركة القسطل المجاهد المصري (مصطفى الجيار) فنشر في جريدة الاهرام الصادرة يوم ١٥/٤/١٩٤٨م وصفا لمعركة القسطل الهائلة، نقتطف منها ما يلي :-

(.. ثم احتلنا المحاجر ، واخذنا مراكزنا على سفح الجبل المطل على القسطل وشرعنا نقذف اليهود بقنابل من مدافع الهاون ، وكنت أرى القائد الشهيد في أثناء ذلك يشير الينا محذرا لنا مواقع اليهود ، كيما نتمكن من تسديد ضرباتنا ، كما كان يوالي اطلاق النار عليهم في الوقت نفسه .

وما لبثنا أن استمعنا وسط صخب المعركة الى صوت عبد القادربك يهيب بنا ، أن تقدموا أيها الابطال الشجعان إلى الامام ، فسرت الحمية في نفوسنا ، واندفعنا الى الامام مقتحمين القسطل من نواحيها جميعا ، فكنا واليهود وجها لوجه .

حمي وطيس المعركة واشتد أوارها ، واتخذ القتال شكلا جديدا ، اختلط الطرفان فيه بعضهم ببعض ، واستخدم كافة ما يمكن استخدامه من الأسلحة ووسائل القتال ، فكنا نقاتل بالمسدسات والبنادق والقنابل اليدوية وكعوب البنادق والسونكي ، وكل ما يمكن ان يستخدم في معركة كهذه ، كانت تنتقل من شارع الى شارع ، ومن بيت الى بيت ومن حجرة الى حجرة ..)

الباب الثامن

المجاهدة الصابرة وجبهة الحسيني

لقد قيل: ان وراء كل عظيم امرأة، ووراء الشهيد الكبير عبد القادر الحسيني كانت وجبهة الحسيني^(١).

إن من يؤرخ سيرة عبد القادر ويتتبع العوامل التي اثرت في حياته، ووجهتها إلى هذه الوجهة الكريمة (الجهاد حتى النصر او الاستشهاد) لا يستطيع ان يغفل عنصرا هاما في حياة الشهيد، وركنا ركينا في هذه السيرة، كانت له اليد الطولى فيما بلغ اليه عبد القادر، ويعتقد انه لولا هذه الدعامة لنقص كثير من بهاء تلك الصورة، التي تبلور فيها عبد القادر مجاهدا ومستشهدا.

كان ذلك الركن الركين في حياة الخير لعبد القادر هو ذلك الملك الرحيم، الذي قيضه الله له فكان بلسما لجراحه وعونا له على بلوغ مقاصده وجنة معلقة في هذه الدنيا، يفيء الى ظلالها كلما كربه كرب أو غمّه غمّ، أو ضاقت عليه المسالك، تلك هي زوجته الكريمة التي كانت له نعم الزوج والرفيق والمواسي، في الأيام التي قضاهها كادحا لربه، ذاباً عن وطنه، ومنافحا عن قومه، هذا الملك الذي فاضت رحمته ووسعت مواساته كل أخ لعبد القادر، فما من رفيق من رفاق جهاده إلا ويذكر لتلك الزوجة والملك الرحيم، يداً بيضاء في أيامه السوداء، تلك الأيام التي كان أحدهم فيها يفتقد المعين ولا يجده إلا في تلك المجاهدة الصابرة، ويعوزه المواسي فيسرع اليه في صورة ذلك الملك الرحيم، ويفتقد الأهل فيهرع إلى تلك الأخت المشفقة، فكما كان عبد القادر خير أخ لصحبه المجاهدين كانت زوجه هؤلاء جميعا، بارّة بهم مواسية لهم، ولا تألوا جهدا في التخفيف عن ويلاتهم وبلاتهم بكل ما تملك من يد مال وراحة وتعرض للمخاطر، ولا عجب.... أن حفظ مجاهدو فلسطين جميعا لهذه الطيبة سليية الكرام أطيّب ذكرى في قلوبهم، وخصوها بأرفع درجات الاجلال والتكريم، عرفانا بالجميل وإكبارا للصبر والجهاد، إعجابا بعلو الهمة وسمو النفس.

هذه الزوجة هي ابنة عم الشهيد (وجبهة بنت موسى رضا بك الحسيني) والذي كان والدها علما من أعلام التقوى، وبحرا من بحار الكرم والجود لا يغيض فيضه، حتى لقد ضرب المثل بكرمه الحقيقي وعطفه على الفقراء (فكل أهل فلسطين يعلمون أنه لم يرد في حياته سائلا، ولم يمنع رفده عن محتاج، بل لقد بلغ من حبه للفقراء وحده عليهم أنه كثيرا ما خلع بعض

(١) عبير ومجد - اسمى طويبي

ملايسه وهو في الطريق على العرايا من الفقراء، فكان بذلك أعجوبة عصره، لم يرتفع إلى درجته كريم ولم يسم إلى منزلته ذوبن^(١).

في هذا البيت الطيب الكريم نشأت هذه الفتاة الطاهرة فورثت التقوى، وأشبعت بالكرم وملئت نفسها عطفًا على الفقراء وبرًا للمحتاجين.

توفي والدها بعد أن أحسن تربيته، وبعد أن شهدت بعينها في أبيها كمال الرجولة وحقيقة التقوى والمثل الأعلى للبر، فورثت عنه هذه الصفات، كما ورثت عن أبيها الماجد ثروة طائلة.

تقدم لخطبتها الكثير من أبناء عمها، وكان عبد القادر من بينهم فأثرته عليهم جميعًا لما توسمت فيه من علائم الرجولة، واستشرفت منه خصال الكرام وما شامت من ريح الجنة فكانت نعم الزوجة الطيبة لذلك الزوج الطيب، وتم قرانهما في ١٩٣٥/٥/٢٥ م.

(فأكرم بهما زوجين وأنعم بهما قرينين، والله يشهد على أن هذه الزوجة الطيبة كانت نعم عون وخير دافع لعبد القادر على الجهاد في سبيل الله وطلب الشهادة، تذكره إذا نسي وتدفعه إذا توقف وتواسيه يوم البأس بروحها ومالها)^(٢).

لقد شجعته على الجهاد في سبيل الله، وزودته بالتأييد المعنوي وبالمساعدة المادية، فكانت تتبع أراضيها قطعة قطعة وتمد زوجها بالمال والسلاح والعتاد وتقول:

«من باع نفسه لله فآله ناصره ومؤيده»^(٣).

لم يكد عبد القادر ينوي على الإنخراط في عمل من أعمال الجهاد إلا شجعته، وعرضت عليه كل ما تملك في سبيل الله، ولما قرر الإستقالة من وظيفته في نيسان ١٩٣٦ (حين بدأ اضطراب فلسطين) حتى سارعت إلى الثناء على تلك الخطوة مباركة ومشجعة، وقدمت إليه كل ما لديها من نقود مصاغ لينفقها في سبيل الله، وإطعام إخوانه وتسليحهم، - بعد أن انفق عبد القادر كل ما يملك - وكان بيتهما في ذلك الحين مثابة للوفود من جميع أنحاء فلسطين، يعجّ بالغادين والرائحين من ضيوف القائد، فكانت (أم موسى) نعم المضييفة.

وبعد أيام من إعلان عبد القادر الجهاد، وفي ١٢ تشرين اول ١٩٣٦ سمعت أنه أصيب بجراح بليغة، وأن صاحبه سعيد العاص قد استشهد، فلم تجزع بشأن بقية الأهل والأصدقاء بل قالت:

«إنما نذر نفسه للموت في سبيل الله، فلن يكون غريبًا عليّ أن يستشهد في أي وقت، وكل ما

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٣) من رسالة السيد مصطفى الطاهر الى الدكتور موسى الحسيني

أدعو الله له هو، أن يمدَّ الله في حياته قليلا أو كثيرا، حتى يرى النصر أو يوادره على الأقل، فيقرَّ عينا بالنصر قبل الشهادة)

وبادرت بالذهاب الى غرفة السجن في مستشفى الحكومة حتى تراه وتعرف منه ما يريد، فما أن رآها حتى هبَّ قائما في سريريه بالرغم من بلاغة جراحه وقال لها:

(لا تيأسى ولا تحزني وقرّبي عينا إن الله معنا)، فقالت: أنعم بالله مولى وأكرم به نصيرا، وسمح لها السجن بالدنو من القضبان فأخذا يتحدثان همسا من وراء القضبان، وإذا به يوصيها بوجوب إسعاف الجرحى من إخوانه، وأخذ الحيطه كي لا يعرف الجيش مكان وجودهم، ويطلب اليها إخفاء الأسلحة التي سيحضرها إليها جنوده في مكان أمين، وتعهدها بالتنظيف من وقت لآخر، وقد أسر اليها حديثا (عرف فيما بعد) أنه طلب اليها أن يأمر معاونه بوجوب شنّ هجوم قوي على دار المندوب السامي في تلك الليلة ولقد كان...^(١)).

فقد أبلغت معاون عبد القادر أوامر القائد المطاع، فما أن جنَّ الليل حتى تحوّلت منطقة دار المندوب السامي إلى ساحة حرب، وقد عرف الانجليز أن ذلك ما كان إلا انتقاما لموقف الانجليز من عبد القادر، وتصرفاتهم القاسية في المستشفى، فأحسنوا معاملته قليلا وخففوا من الحراسة عليه، حتى تمكن من السفر الى سوريا ليعالج جراحه. حيث لحقت به زوجته وأخذت تشرف على تمريره.

كتب الدكتور قاسم الريماوي يقول:

(حدثني بعض إخوان عبد القادر، الذين كانوا بصحبته هناك قال: كانت زوجة عبد القادر تلحّ دائما عليه بالعودة إلى الجهاد، وتتحرق شوقا إلى ذلك اليوم الذي تراه فيه في الميدان، يقاتل أعداء الله والوطن، بل لقد حدث ذات مرة أن اشترى عبد القادر شيئا اعتبرته (أم موسى) من الكماليات، فثارت لذلك وقالت: كان يمكننا يا عبد القادر أن نشترى بثمن هذا (الشيء) مائة طلقة توجهها إلى صدور الأعداء، فحرام علينا التمتع بالراحة والطمأنينة حتى تستقل بلادنا، وتتحرر من ظلم الطغاة والجبابة «ولقد كان لهذا الكلام الرائع أثره في نفس عبد القادر المتوثبة، فرجع إلى فلسطين في الحال، ولما تنته مدة نقاهته بعد)^(٢).

وفي اثناء المعارك كان يسقط عشرات الجرحى من المجاهدين العرب، وكان القبض على اقدمهم ليس معناه العلاج والشفاء (وإنما كان الانجليز المهذبون يعملون بالقضاء على مثل هذا النوع من المجاهدين، إذا ما ظفروا بهم بحقنة سامة أو بعد تعذيب شديد)^(٣).

ولذلك كان على كل هؤلاء أن يجدوا ملجأ آمينا وعناية تامة ورعاية صادقة حتى يتمثلوا للشفاء، ويجتازوا مرحلة الخطر، وكان هذا الملجأ هو بيت عبد القادر الذي تحول الى مستشفى

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢ + ٣) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

كان مديره والمشرف على أموره (أم موسى)، التي لم تكن تنام الليل او ترتاح النهار، في سبيل خدمة هؤلاء الجرحى وعلاجهم، فكانت تحضر لهم الأطباء، وتمدهم بخير أنواع الغذاء وتغسل لهم ملابسهم وتنظف لهم جروحهم وتضمدها بنفسها.

(حدثني أحد هؤلاء الجرحى قال: حملت وأنا بين الحياة والموت بعد معركة بني نعيم في تشرين ثان ١٩٣٦ م - حيث لا يمكنني الذهاب الى المستشفى - إلى بيت عبد القادر مع من حملوا، وهناك استقبلتني سيدة شعرت منها بحنان الأم الرؤوم، وعطف الشقيقة الوفية، فأحضرت لي الطبيب وأخذت تشرف بنفسها على علاجي وتمريضي، وأخذت ملابسني - وكلها أوحال ودماء - فغسلتها بنفسها، وراحت تحضر لي ما أحتاج اليه من دواء، وتمدني بخير أنواع الغذاء وتسهر عليّ وعلى إخوتي في الليل، وما كنت أتصور أن أرى في حياتي مثل هذه المرأة الصابرة المجاهدة وبالحق... فإنني وإخواني مدينون بالحياة بعد الله لها، فكيف لا أفندي بيتا رسخ أصله وزكا فرعه وطاب عمله. بنفسني، إني إذن لكنود للنعمة ناكر للجميل)^(١).

وعندما عاد عبد القادر إلى فلسطين في ربيع ١٩٣٩، حيث استأنف القتال وجد زوجته المجاهدة قد حفظت له السلاح وأشرفت بنفسها على تنظيفه، فوجده لذلك بحالة جيدة صالح للعمل ولما غادر فلسطين في خريف ١٩٣٩ م إلى العراق في سبيل الله لحقت به أم موسى، حيث استأجر بيتا كبيرا في (الكرادة الشرقية) ولم يخل يوما واحدا من الضيوف، وكان قد منّ الله عليه بفيصل وغازي في بغداد، كما منّ عليه بهيفاء وموسى، ففي بغداد كانت زوجته تقدم اليه كل ما يطلبه من مال، بعد أن ينفق جميع مخصصاته وراتبه الذي كان يتقاضاه، من المدرسة العسكرية، التي كان يدرس فيها على جنوده وأصدقائه.

ولما انتهت ثورة الكيلاني ١٩٤١ م وأخذت السلطات تتعقب الفلسطينيين وتطاردهم التجأ (٣٩) مجاهدا إلى بيت عبد القادر، حيث اختفوا فيه وكان عبد القادر آنذاك يحاول مغادرة العراق عن طريق إيران الى تركيا هو وواعوانه، فلم ينجح فعاد إلى بغداد.

وتوالى وصول المجاهدين إلى بيت عبد القادر في الكرادة الشرقية، فاستقبلتهم المجاهدة بالبشر والترحاب، وبقيت هذه المجموعة مختبئة أكثر من شهر، كانت أم موسى تقوم بخدمتهم جميعا، وتقدم لهم الاكل والشرب وتغسل ملابسهم، وكانت تعمل ذلك بتكتم شديد خشية أن يعرف رجال الحكم أمرهم فيعتقلوهم.

وقد صرفت نتيجة ذلك جميع ما لديها من نقود وحلي (وأخذت تباع أثاث البيت حتى نفذ جميعه ولم يبق منه إلا ما هو ضروري، ولم يبق من حليها إلا إسورة واحدة كانت تحتفظ بها

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

وتقدسها، لأنها خير هدية من والدتها فقالت له: «لم يبق إلا هذه فخذها وارهنها، لنصرف من ثمنها» فسرَّ عبد القادر سرورا عظيما وأخذها حيث رهنها بمبلغ (٣٠) دينارا، وراح يصرف من المبلغ عليه وعلى المجاهدين الذين بلغ عددهم (٥٥) مجاهدا^(١).

إلا أن أمر اختفاء عبد القادر وجنوده لم يبق أمرا مكتوما فقد تمكن أحد الوشاة والجواسيس من معرفته، فحاولت الحكومة إلقاء القبض عليهم، إلا أنهم احتموا بالدار حاملين أسلحتهم وقرروا مقاومة أي اعتداء أو اقتحام، وأخيرا اتصل بهم مدير الأمن العام وعرض عليهم أن ينقلوا إلى منفى زاخو في شمال العراق، وتعهد بعدم التعرض لهم، فوافق عبد القادر على ذلك، وانتقل هو وصحبه إلى منفى زاخو.

وبعد رحيله مثلت المجاهدة الصابرة أمام المحكمة بتهمة مساعدتها وإيوائها للثوار وتحريضهم على القتال، حيث حكمت عليها بالإقامة الجبرية في بيتها، وقد أمضت فترة من الزمن تحت المراقبة ثم عادت إلى القدس خلال إقامة عبد القادر في المنفى.

وما لبثت السلطات أن ألقت القبض على عبد القادر، وإعادته مكبلا بالحديد إلى معتقل العمارة على أثر مقتل فخري النشاشيبي في بغداد.

عادت المجاهدة إلى العراق لتشهد محاكمة زوجها، ولما أدخل عبد القادر مكبلا بالاغلال وقفت المجاهدة وقالت: لقد حضرت لأشهد محاكمة زوجي عبد القادر، فهل هو متهم أم شاهد في قضية اغتيال النشاشيبي...؟ وهنا ضجت المحكمة، ورد عليها رئيس المحكمة قائلاً:

«لقد أحضرناه ليشهد فقط. فتبسمت المجاهدة وقالت: إذن في أي عرف بل أية قوانين تجيز إحضار الشاهد مكبلا...؟ فضجت المحكمة ثانية واعترى أعضاؤها الذهول، وفكت قيوده. وراحت المجاهدة تتردد عليه في المعتقل، وكانت حالتها المادية قد تحرجت كثيرا فأخذت تطلب النقود من الوكيل على أملاتها في فلسطين، لتنفق على زوجها، ولتساعد أخوانه ولما تأخر الوكيل في إرسال النقود اكفهرت الدنيا في وجهها وبلغ الضيق بها حدا لا مزيد عليه، ومما زاد الأمر سوءا (أنها بينما كانت تسير في شارع الرشيد ببغداد في طريقها إلى السجن، لزيارة عبد القادر، إذ بسيارة مسرعة تصدمها وتصيبها في ساقها إصابات اليمية زادت من حراجة موقفها)^(٢).

إلا أنه بعد فترة وجيزة وصلتها النقود من فلسطين، فأخذت تمد زوجها في السجن بما يحتاجه. وكتب الدكتور قاسم الريماوي في مخطوطه يقول:

(حدثني ابن عمي السيد عاهد الريماوي - الذي التحق هو وأخي أديب الريماوي مع سماحة المفتي إلى إيران - قال:

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

«اعتقلتني السلطات وقررت إبعادي من العراق الى فلسطين، ولما وصلت بغداد وكنت في حراسة البوليس والحديد في يدي، إذ بامرأة محجبة تقترب مني وتوقفني قائلة للبوليس: «إن هذا اخي، أريد أن أحدثه» فعرفتھا وقلت لها: كيف حال أبي موسى.. قالت: إنه بخير. ثم فتحت محافظتها وأخرجت جميع ما فيها من نقود وقالت: خذ هذه النقود فلعلك بحاجة اليها. فقلت لها: يا سيدتي أنا لست بحاجة إلى شيء، إنما أريد الاطمئنان على أخي عبد القادر: فقالت إنه بخير وسأحاول الاتصال بمن يكفلك للبقاء لفترة في بغداد لتسترد صحتك قال: وتركتني وذهبت إلى بعض اصدقائنا التجار، حيث حضر بعضهم وقدم كفالة مالية، كي أستطيع البقاء في بغداد بضعة أيام للاستشفاء. قال: لقد أكبرت هذه الروح، ولن تغيب عن بالي هذه الشهامة طيلة حياتي، وأنا أعرف أنها كانت بحاجة ماسة إلى كل قرش تقدمه).

ولما اشتد المرض على القائد، صممت المجاهدة على مقابلة (نوري السعيد) الذي كان لا يقبل الوساطة إطلاقاً، شخصياً وبدون إذن مسبق، وفعلاً استطاعت مقابلته في مجلس رئاسة الوزراء حيث كان مجتمعاً مع وزرائه، ولما دخلت وقف الجميع مبهورين متسائلين عن سبب وجود هذه المرأة .

عرّفت المجاهدة نفسها ثم قالت :

«أنتم تعرفون جميعاً أن عبد القادر بريء من كل ما نسب اليه، ومع ذلك فقد وضعتموه في المعتقل رغم اعتلال صحته، فهل تمانعون يا سيادة الرئيس في خروجه من العراق.... فردّ نوري السعيد مبهوراً وبلهجته العراقية:

- لا ماكو مانع... ولكن أين سيذهب...؟

فردت عليه المجاهدة قائلة: إذا وافقتم على خروج عبد القادر سأكتب للملك عبد العزيز ولا أريد أن أكذب على شخصية مثل شخصية الملك عبد العزيز. فقال نوري السعيد: لا... خير ماكو مانع ماكو مانع ماكو مانع^(١).

وانتقلت المجاهدة الصابرة إلى الحجاز، وهناك أقامت مع زوجها حوالي عامين حجت فيهما، ثم رحلت معه الى القاهرة.

ولم تكد قدما عبد القادر تطأ أرض مصر، حتى هرع اليه أحبأؤه للسلام عليه وللعمل تحت إمرته، فكان يستقبلهم في بيته ويكرم وفادتهم، أما أم موسى فقد قدمت لزوجها كل ما وصل اليها من ريع أملاكها، فاشترى كل ما وصلت اليه يده من أسلحة، وخرننها في بيته، وكانت تقوم بتنظيف الأسلحة وخرننها بنفسها، وكانت تعرف جميع أنواع السلاح وتتقن استعمالها.

(١) من احاديث المجاهدة الصابرة وجبهة الحسيني

وعندما قرر عبد القادر مغادرة مصر متجها الى فلسطين بعد قرار التقسيم - وكان ترافقه زمرة من إخوانه المجاهدين - راحت ام موسى تودعهم واحدا واحدا، وتشد على أيديهم ثم توجهت إليهم بكلمة خالدة:

(أنا لا أمانع في ذهاب عبد القادر للقتال، ولكن أوصيكم أن لا تضنوا عليه بالسلاح)^(١).

ودع عبد القادر أهله واولاده، ويعلم الله أنهم كانوا مسرورين فرحين، لأن والدهم سيعود الى الجبهة حيث الجهاد ومقارعة الأعداء، ولما وصل البلاد كانت الرسائل ترد اليه من زوجته وأولاده، وكلها تشجيع وحث على الاستمرار في الجهاد.

كما أرسلت لجنوده العديد من الهدايا (من ملابس وأحذية وغيرها). وقد كانوا في حاجة ماسة اليها، وزار مصر بعد التحاقه بالمجاهدين مرتين، وكان فيهما لا يزور اهله الا قليلا ولم يمض بينهم الا بضعة ايام.

كانت المجاهدة تشعر بضيق حالة زوجها المادية، بعد أن صرف جميع ما يملك وتملك حتى رهنت بعض أملاكها، وأخيرا أرسلت اليه تفويضا ليرهن او يبيع جميع املاكها وإنفاق ثمنها في سبيل الله والجهاد.

وبعد معركة القسطل، اتصلت الهيئة العربية العليا بالمجاهدة الصابرة وابلغتها أن زوجها قد جرح فقالت: ليست هذه أول مرة يجرح فيها عبد القادر، فهناك أوسمة شرف كثيرة من هذا النوع في جسمه... إن جسمه لا يخلو من محطكف إلا وفيه اثر لجرح أو طعنة، وشعرت السيدة بأن العائلة كلها قد التقت حولها فقالت: خبروني ولا تخفوا عني شيئا هل مات عبد القادر...؟ وسمعت الرد الخافت من أفواه الموجودين: نعم.. لقد استشهد فقالت: ولم تخفون الخبر عني... فما ذهب زوجي إلى الميدان إلا ليستشهد، كما استشهد أبوه وألوف من العرب قبله، إن هذه الميتة هي التي طلبها طائعا مختارا، فشرفه الله بها وشرفنا باستشهاده... إنه لشرف عظيم له وللعروبة ولأبنائه... ولكن رجائي أن أسافر إلى القدس لألقي النظرة الأخيرة (عليه).

ولكن ظروف المواصلات لم تمكنها من السفر في الوقت المناسب لتحقيق رغبتها، وأخفي الخبر عن أبناء الفقيد مدة ثلاثة أيام وأخيرا تمكنت (هيفاء) كريمة الفقيد وعمرها (١٢) عاما من الاطلاع على الصحف وعلمت بالنبا المؤلم، وذهبت الى أمها وهي تقول:

«إننا على استعداد أن نحل محل والدنا في الميدان يا أماه» ومن هيفاء عرف أشقاؤها الخبر.

(١) سيرة بطل - خالد الاغا ص ١٥٥

خطاب عبد القادر الاخير الى قرينته

كان الشهيد عبد القادر في دمشق عندما نشبت معركة القسطل بفلسطين، وإليك ما كتبه من دمشق الى رفيقة حياته وهي في مصر، ففي كل سطر من هذه الرسالة درس وعبرة،

«... أكتب إليك من دمشق، ولا أدري كيف أصف شعوري وما يجول في نفسي، وما يخفق به فؤادي وهذه فترة قصيرة أنا فيها بعيد عن مشاغل القتال، وما ذلك رغبة مني ولكن الظروف هي أوجدتني في دمشق بعيداً عن رائحة البارود وعبير الجنة وخوض المعارك الى جانب إخواني الأبطال الذين يقومون بتحرير وطنهم، نصرهم الله وأيدهم بقوة من عنده.

لقد كانت الفترة الماضية مليئة بالانتصارات الباهرة والأعمال المجيدة التي بهرت العالم وحطمت العدو، لقد سطرنا صفحات مجد لا تنسى في التاريخ، ولكن هذا لم يأت عفواً ولا سهلاً، وانما بالتضحيات العظيمة والجهود المتواصلة ليلاً ونهاراً، وهو عمل نسي كل واحد منا خلاله نفسه وأهله وأولاده وطعامه ونومه، وكل ما في الدنيا، خلا الرغبة في النصر، وسحق العدو الكبير في عدده والقوى في عدده، بما لدينا من السلاح القليل، ولقد قدرنا الله على ذلك وكافأنا على جَدْنَا بالنصر المين، لكننا ما زلنا في أول الطريق، وعلينا أن نضاعف الجهود، ونصل الليل بالنهار حتى نصل إلى النصر النهائي، وإني أبشرك من الآن بأننا سنصل اليه إن شاء الله
صحتي جيدة، كيف صحتك، وصحة الأولاد قبليهم جميعاً وبلغهم رضائي.

المخلص الى الابد عبد القادر الحسيني

وقد كتبت جريدة اليوم البيروتية بتاريخ ١١ نيسان ١٩٤٨ م تحت عنوان:

(ما يجله الكثيرون عن حياة الفقيه) ومما قالتها في صدد زوجة الشهيد ما يلي:
أما صاحبة العصمة زوج الراحل العظيم ، فهي لا تقل عنه في هذا المضمار ، فكانت تسعف المحتاجين ، وتقدم المساعدة لمن هو في حاجة اليها ، وتحثهم على الجهاد في حماس بالغ

وكتب الاستاذ (حبيب جاماتي)^(١)

(١) مجلة المصور المصرية ١٦ نيسان ١٩٤٨ م

«.... وانكروا زوجة الشهيد ورفيقة حياته التي كانت بحبها وشجاعتها وعنايتها، تزيده قوة على قوة، وعزما على عزم، وإيمانا على إيمان... وانكروا الأشبال الاربعة الذين تركهم هذا الأسد الذي صرعه الرصاص وهو يملا بزئيره جبال فلسطين ووديانها:

هيفاء ((سمية الفارسة السورية التي قادت كتيبة من رجال البادية في عهد صلاح الدين، وسقطت على مقربة من جبل القسطل ذاته، وموسى سمى جدّه البطل الخالد والزعيم المطاع، موسى كاظم باشا الحسيني، وفيصل سمى أبي الفوارس وقائد الثورة العربية الكبرى في الميدان الشمالي (فيصل بن الحسين)، وغازي سمى الملك العربي الأبّي الذي لوبقي على قيد الحياة لما أبقى إلى الآن على قيد من قيود التبعية السياسية والعسكرية في العراق...))

وبدأ الأشبال الثلاثة يسيرون على غرار والدهم الشهيد العظيم، وكانت والدتهم المصونة قد جعلت لكل واحد من أبنائها صندوقا يوفر فيه بعض النقود لينفقها عندما يصبح شابا في سبيل الدفاع عن بلاده، ولما بدأت الحملة في مصر لجمع التبرعات لصالح الجيش المصري، الذي كان يحارب في فلسطين، شعر أبناء الشهيد (موسى وفيصل وغازي) بواجب المساهمة في التبرع لهذا المشروع الجليل، ولما لم يكن لديهم غير ما وفروه في صناديق التوفير، (٢٠) جنيتها، طلبوا إلى والدتهم أن تسمح لهم بتقديم ذلك المال إلى وزارة الدفاع فرحت الوالدة بطلب أشبالها، وأكبرت فيهم هذه الروح العظيمة.

وذهب الأشبال الثلاثة يحمل كل منهم صندوقه إلى وزارة الدفاع، حيث استقبلهم معالي (محمد حيدر باشا) وزير الدفاع، وتقبل منهم تبرعهم، مكبرا فيهم روحهم العظيمة، مسترحما على والدهم البطل الشهيد، وقدم الوزير لكل واحد منهم هدية (عبارة عن مصحف وقلم حبر ثمين)^(١).

واصلت المجاهدة الصابرة الجهاد بالرغم من المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقها لتربية أشبالها الأربعة والعناية بهم، لتقدم لعدد غير قليل من اللاجئين والمنكوبين المساعدات المالية، ومن ثمّ البحث عن أعمال لهم هنا وهناك ليعيشوا منها، وقد نجحت في إيجاد العديد من الأعمال النافعة لكثير من اللاجئين.

وظلت تجاهد إلى أن توفاهها الله يوم الاثنين (١٨ شعبان ١٤٠٣ هجرية الموافق ٣٠/٥/١٩٨٣ م)

رحم الله المجاهدة الصابرة وأسكنها فسيح جناته....

(رضوان هتيء للوجيهة مقعدا
عند المليك هناك أصدق منزل
في جنة الرحمن جمع شملها
بابن الشهيد شهيد أرض القسطل)^(٢)

(١) جريدة السجل المصرية ١١ حزيران ١٩٤٨

(٢) من شعر المؤلف

الباب التاسع

عبد القادر الانسان

ما كان ابو موسى شابا كسائر الشباب ، ولا رجلا كسائر الرجال ، وإنما كان مجموعة من المثل العليا ، انصهرت في بوتقة نفسه ، فخرجت للناس في شخصيته مثلاً اعلى ، ونموذجاً حياً لجميع صفات الرجولة والنيوغ - لقد كان رحمه الله - مثلاً اعلى لإنكار الذات وحب التضحية ومثلاً اعلى للجرأة والإقدام ، ومثلاً اعلى للشهامة والاباء ومثلاً اعلى للصبر والايمان^(١)

كان في صغره طفلاً شهماً ذكي الفؤاد ، يأبى الضيم ويعاف الذل ، وله مستقبل باهر وأمر خطير^(٢) . كان ميالاً للكسل مع ذكاء شديد ، وكان مهملاً بكل ما يتعلق بشخصيته وهندامه وملابسه^(٣) ، كما كان في صغره مشاكساً قوي النفس جريئاً مندفعاً سريع التأثر طموحاً الى العلا والمجد ، محباً للعروبة مجنوناً بحبها^(٤) .

وكان يقنتي المسدسات التي يشتريها من مصروفه الخاص ليشارك في المظاهرات والاضطرابات التي كانت تجتاح البلاد في المناسبات الخاصة ، كذكرى وعد بلفور ، أو قدوم أحد اساطين الاستعمار كالسير هيربرت صموئيل واللورد بلفور وخلافهما^(٥) .

كان منذ شبابه شديد الوعي على قوميته عظيم التقدير لها ، لما يصبه الاستعمار من مصائب ونكبات ، وكان من نشاطه القومي وهو في المدرسة ، الدأب على بث روح الوطنية والتمرد بين زملائه ، وكثيراً ما كانت له اليد الطولى في إضراب الطلاب ومظاهراتهم ، مما أدى الى فصله من الجامعة الامريكية في بيروت (لأنه وطني متطرف في رأيها)^(٦) وسبب له متاعب جمة في حياته الدراسية .

شاب ربع القامة ، جميل الطلعة ، جذاب الملامح ، ربي شاربيه على الطريقة الأمريكية ، يرتدي ثياباً بسيطة رخيصة أقرب إلى ملابس العمال ، نظيفة وعادية ، لم يراع هندامها أو كيتها ، صوته نابع من صوت الإيमान صادر من أعماق القلب^(٧) .

(١) كلمة تأبين السيد طالب مشتاق بغداد ١٩٤٨/٦/٢٦

(٢) من رسالة سامي الحسيني ١٩٦١/١/٢٦

(٣) من رسالة علي الحسيني ١٩٦١/٢/٢٧

(٤) حياة عبد القادر/ مخطوط/ نخبة من اصفياه

(٥) من رسالة علي الحسيني ١٩٦١/٢/٢٧

(٦) جريدة الشرق اللبنانية/ بيروت

(٧) جريدة الشرق السورية ١٩٤٨/٢/٢٢

عرفت أبا موسى في المعتقل وقضينا وإياه شطرا من العمر في مستنقعات العمارة وأحوالها ، وكان كل ذلك المعتقل يدل على قسوة المناخ وسوء المعاملة والغذاء ، لكن أبا موسى لم يعرف الفزع في حياته ، هو الذي كان يشكو آنذاك من علة مستعصية ، يحتمل قسوة الحياة بين تلك الأسلاك الشوائك ومن وراء حسك الحديد ، فلم يتبرم ولم ينطق بالشكوى بل كان مثال الصابر المحتسب^(١) ، فما رأيته يتأفف وما شاهدته يتذمر^(٢) .

كان - رحمه الله - حيا متواضعا لا يكاد يحدث حتى يبتسم ، يؤثر الناس على نفسه ولا يحب الظهور إطلاقا ، ويكره الدعاية لنفسه ، قليل التحدث عنها أو الاشادة بأعماله ، ولا يتبجح بأعظم الأعمال إن أتمها ، بل يعد كل تضحية ونقطة دم نزفت من جسمه واجب يجب ألا يشكر عليه ، أو يمتدحه إنسان به ، أبعد الناس بالتظاهر بالعظمة ، لشخصيته نكهة محببة متواضعة زاهد في مطعمه ومظهره شريف عفيف في مسلكه ، وإضافة الى كل هذا ، فلم تكن عنده نزعة اعتداد بالأصل مع أن والده العظيم كان زعيم البلاد برمتها ، ولم أذكر يوما أن ذكره بوصف الزعامة ، ونتيجة لكل ذلك لم يكن من الصعب أن يدرك المرء بأن وراء كل هذه الصفات شخصية عظيمة تنبئك عن عبقرية خفية^(٣) .

كان يؤثر العمل الصامت ، والابتعاد عن كل مظاهر النفاق والتبجح ، فكان أحب الناس اليه وأقربهم إلى قلبه الرجال العاملون ، يفضلهم على آله وذويه ولا يهتم بقربى الدم وأواصر القرابة ، بل يقرب الروح والأخلاق والأعمال الصادقة ، وكان لا يزدري العمل إطلاقا ، فكان يحمل بنفسه الذخيرة والسلاح ويحضر لها ، ويبنى المخازن وينقلها من مكان إلى آخر ، ولم يكن متعصبا في رأيه إلا مع الحق ويأخذ النصيحة من أي جندي أو شخص يرى فيه الصدق والوفاء^(٤) . روحه ممراحة ساعة المرح عنيفة صادقة في الحق ، يشعر أنه جندي مستنفر من جنود الوطن^(٥) .

كان متمسكا بدينه حافظا مبتعدا عن كل ما يريب أو يشين ، ويبتعد عن الدنيا كل الابتعاد ، ولا يصاحب من كانت هذه صفاته ، كانت عقيدته الدينية قوية جدا وصفاته الخلقية يندرجونها بين الشباب خاصة ، وأنه اندمج بأوساط المدنية الحديثة^(٦) وكان مهتما بالناحية الدينية كثيرا ، وله في ذلك دراسات ، وكان ينمي الروح الدينية فينا منذ صغرنا^(٧) .

لا يجب ارتياد المقاهي العامة ، بل كان يقضي معظم أوقاته في بيته حيث زواره وأصدقائه ، وإذا أراد التنزه ، ففي الحدائق والخلاء بصحبة أصدقائه ، حيث يحلوه البحث

(١) جريدة لواء الاستقلال بغداد ١١ نيسان ١٩٤٨

(٢) من كلمة تأبين طالب مشتاق ١٩٤٨/٦/٢٦

(٣ + ٥) محمد اللبابيدي - مقابلة مع نبيل الاغا في مصر الجديدة ١٩٦٨

(٤ + ٦) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٧) من احاديث الدكتور موسى الحسيني

والمجادلة معهم في المبادئ العامة والأسس الصحيحة ، كان - رحمه الله - إذا أعياه التعب وكثرة المراجعين الذي كثيرا ما كان ينسيه نفسه فلا يتناول فطوره إلا بعد العشاء - كان يركب سيارته ويأخذني بجانبه ونتجه إلى حيث لا أدري ، وأخيرا ينتهي بنا المطاف إما تحت شجرة في بستان صهره السيد (خليل الداودي) على بعد بضعة كيلومترات عن أريحا ، أو في حرش من الاحراش النائية حيث جمال الطبيعة وهدوء الحياة ، أو يتجه إلى بيت صديق حيث لا يعرف أحد ، وإنني أؤكد أنه ما كانت تضي فترة وجيزة من الزمن في خلوتنا هذه ، حتى تسري الأخبار إلى المراجعين من الأهلين وقادة المجاهدين ، فيهرعون إليه حيث المشاكل الناشئة عن قلة المال والسلاح (١)

كان رحمه الله مثال الأمانة الصادقة لوجه الله (وقد حدث أن راجعه بعض أقربائه مرة وهو (جواد الحسيني) للحصول على بندقية ولو بثمن من بنادق الامة ، التي كانت بحياته لحراسة مزرعته ، التي يملك عبد القادر نصفها ، فرفض طلبه باشمئزاز ، ولما ألح عليه وبخه توبيخا لا مثيل له قائلا : إن هذه البنادق ليست لحراسة الأملاك الخاصة ، بل للدفاع عن البلاد ، ثم أمر عددا من جنوده بالتوجه إلى داره في المزرعة في الحال ونسفها ، وقد كان جادا في ذلك بسبب ما لحق به من الغيظ لهذا الطلب .

عرفته صديقا وفيا وإنسانا هيباً ، يصغي كثيرا ولا يتكلم إلا بمقدار ، حينما يرى ضرورة للكلام ، وإذا ما دار نقاش عن المؤامرات الصهيونية وما تبنت من شر للعرب ، يحاول أن يقنع جلساءه بهدوئه المعروف وحججه المدعمة بالبراهين ، بأن الاستعمار لا يمكن أن ينثني عما دبره في الظلام إلا بالقوة وتوحيد الصف ، وكان طيلة حياته ، ومنذ نشأته حتى يوم استشهاده يعمل لتحقيق هذين الهدفين ، ولكن ظروف المنطقة لم تمكنه من تحقيق هذه الآمال (٢) .

كان معروفا بالميل إلى الجدل والكفاح ، يكون رأيه ثم يقف عنده في صلابة وعناد ومع هذا فقد كان لطيف العشرة خفيف الظل والروح ، متواضعا بعيدا عن الادعاء والغرور قريبا إلى قلوب زملائه وأصدقائه (٣) .

كان الشهيد المجاهد يحتل مركزا مرموقا في حكومة فلسطين زمن الانتداب البريطاني وكان يعيش عيشة رتيبة مترفا منعماً (عز وجاه وثروة وغنى وسيارة خاصة) . في الوقت الذي لم يكن يقنتي فيه السيارات إلا ذو النعمة واليسر « وفي ظهيرة أحد الايام زرت بيت المرحوم (موسى كاظم باشا ، رئيس اللجنة التنفيذية التي كانت تقود الحركة القومية العربية في فلسطين ووالد الشهيد) وإذا بسيارة خاصة - من نوع ويلز - رابضة تحت شجرة كبيرة حزينة كاسفة اللون يعلوها الغبار ، فسألت : لمن هذه السيارة .. فقالوا لعبد القادر فقلت :

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) جريدة الصحفي الاردنية - جميل بركات ١٤ نيسان ١٩٦٤ عدد ٨

(٣) نظرات الشورى - محمد علي الطاهر - القاهرة ١٩٣٢م

وأين عبد القادر ؟ فقالوا : لقد تطوع في سبيل الله ، والتحق بالمجاهد سعيد العاص في جبال القدس وبيت لحم . فقلت وما جرى بوظيفته ؟ فقالوا : اعتبرها عارة مستردة ، فردها للحكومة والتحق بوظيفة الخالدين . فقلت : وزوجته واولاده ؟ فقالوا : تركهم لعناية الذي لا يغفل ولا ينام فقلت : ما سمعنا بهذا من قبل . فقالوا : لقد هجر الدنيا ونعيمها إلى الآخرة وثوابها ، وباع نفسه وولده وجاهه لله في سبيل تخليص الوطن وإنقاذه من الاستعمار البريطاني والدنس اليهودي ، فقلت وما صنعت زوجته ؟ فقالوا : لقد شجعت على الجهاد في سبيل الله وزودته بالتأييد المعنوي وبالمساعدة المادية ، فكانت تباع أراضيها قطعة قطعة وتمد زوجها بالمال والسلاح والعتاد وتقول : من باع نفسه لله فإله ناصره ومؤيده (١) .

وطنية

من عرف عبد القادر أيام شبابه ، كان يدرك أنه ظاهرة وطنية عظيمة ، لا بد أن تكون خاتمتها الاستشهاد في سبيل الله ، فقد كان يتحلى بمزايا نبيلة جعلته رمزا للشباب العربي ، كان صادقا في زمن استشرى فيه داء الكذب ، وكان كريما في زمن اشتد فيه البخل ، شجاعا في زمن عم فيه الجبن (٢) .

كان رحمه الله وطنيا لا غبار على وطنيته وكان يخلص كل الإخلاص لأمته وبلاده ، طاهر اليد والقلب واللسان ، بعيدا عن النعرات العائلية الحزبية ، وكان فقيرا انفق كل ما ملكت يداه من أجل السلاح الذي اشتراه وحارب به ، ولما مات لم يكن في جيبه فلس واحد ، لا بل أنه مات مدينا وبلغت ديونه (١٦) ألف جنيه ، أنفقتها في سبيل الحركة الوطنية (٣) .

كان بإمكان الحسيني أن يحيا حياة رافهة في برج يتألق بإسبال الستائر ، ويبدع في ابتكار أسباب الترف ، ويتربع على كرسى الحكم ، إذ أنه من بيت رفيع العماد ، ولكنه سما أن يكون حاكما وأراد أن يكون بطالا (٤) .

اتصلت بالفقيد في بغداد عام ١٩٤٠م اتصال الطالب بأستاذه عندما كان يدرس الكيمياء في مدرسة التقيص ، فرأيت في نفسه جوانب الإنسانية ، وكان من أشد الناس تأثرا بمظاهر البؤس والحرمان ، وقد غرس في نفوسنا قبسا من شعاع وطنيته (٥) .

رجل جاد بنفسه في سبيل أمته وبلاده طائعا مختارا ، لما حيل بينه وبين النصر ، فهل يعلو على هذا الجود عال ، وهل يضاهيه كرم أو تضحية ، ولكن من عرف عبد القادر الحسيني

(١) من رسالة السيد مصطفى الطاهر الى الدكتور موسى الحسيني

(٢) المرحوم عبد الله التل مجلة فلسطين العدد ١٤٦ ايار ١٩٧٣

(٣) حدثني من اثق بصحة كلامه ، ان ديونه قد بلغت (١٤) الف جنيه مصري ، غير الديون التي سددتها الهيئة العربية العليا .

(٤) عارف العارف - شيخ مؤرخي فلسطين

(٥) جريدة الجمهورية - بغداد نيسان ١٩٦٨ العدد ١٠٤

وعرف خصائصه وكرم محتده وطيب عنصره ، فإنه يسهل عليه معرفة سهولة التضحية عنده ، وبذل النفس والنفيس في سبيل الله ، لقد كان - رحمه الله - وجود بكل ما وصلت اليه يده ونفسه للآخرين ، وكان يؤثر الناس على نفسه (كان في كثير من الأوقات يعطي جميع ما يملك من دراهم إلى بعض زملائه الذين تكون قد ضاقت بهم الحياة ، ونضب ما معهم من دراهم ، ويبقى صفر اليدين ، وعندما يقول له زميله المذكور ماذا أبقيت لالكك واحتياجاتك ؟ كان يجيب : (يرزقني علام الغيوب)^(١) . وكثيرا ما كان يخلع بعض ملابسها ليعطيها لسائل أو محتاج ، وكان بيته بمثابة دار ضيافة ، وديوان يتردد عليه أصدقاؤه وجنوده ، وكثير غيرهم ممن لا يعرفهم ، فيجدون فيه الراحة والبذل عن نفس صادقة وشعور تام ، وكان يحب للجميع ما يحبه لنفسه ، بل إنه ليؤثر صديقه على نفسه ، وهذا ما قربه إلى نفوس الشعب فأثروه على ذويهم وتعرضوا للمهالك وخاضوا غمار الحرب بجانبه ، حيا فيه وطاعة لأوامره وإيمانا بأهدافه وأفكاره ، وذلك ناتج عن تقديرهم لصدق اندفاعه وحقيقة نواياه وخلوصها لله وحده ، لهذا انقاد له الشعب ، وأقبل على الموت طائعا مختارا في سبيل الله والحق .

وبهذه الروح تقدم ما يربو عن الخمسمائة شهيد ليعلقوا على أعواد المشانق لاندفاعهم في أعمال الثورة والجهاد ، كما استشهد منهم المئات الآخرون في المعارك المختلفة ، وعلى ضوء هذه التضحية والإيمان انتقل من نصر الى نصر ، وقاوم أكبر قوى الشر ، بقليل من العدة والعدد ، مقدما دمه قبل دمهم ، وما يملكه وتملكه زوجته في سبيل هذا الهدف^(٢) .

وبقدر ما كان عبد القادر حريصا على خدمة الناس متفانيا في سبيل بني قومه ، كان بارا بزوجه وأولاده يحنو عليهم ، ولا ينقطع عن تشجيعهم ومواساتهم ، في زمن كان هو أحوج فيه إلى التشجيع والمواساة .

كان ينصرف في حياته البيئية إلى تربية أولاده تربية خلقية دينية علمية صحيحة وينتهج تلك التربية بعد أن سبق له أن جربها بنفسه ، وكان يترك الولد ليتعلم بنفسه ومن محض تجاربه ، مع تنمية ثقته بمعرفته وبشخصيته ، فكان مثال الأب الكريم يحب ابنته هيفاء حبا شديدا ، ممزوجا بالعطف والحنان ، وكان يشرف على تلقينهم الدروس^(٣) وكان يرى أن غازي هو رجل الميدان العسكري ، كما كانت تعجبه حيوية فيصل ونشاطه ، أما موسى فقد كان يرى فيه رجل معرفة وعلم ، وكان يعاملهم على أساس بناء ، حسب التخصص في نفوسهم ، ويعلمهم الادب العربي ، ويسرد لهم قصص الأبطال والقادة العرب ، كما علمهم على استعمال جميع انواع الاسلحة والرشاشات وسمح لهم بإجراء تجارب عديدة لاطلاقها وتحليلها وتركيبها ، وكان يحاول إيجاد ألفة صادقة بينهم وبين أصدقائه وأعوانه ، والحقيقة أن عبد القادر كان

(١) من رسالة السيد علي الحسيني

(٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٣) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

يتمتع بحياة بيتية على غاية كبيرة من الاطمئنان والسعادة ، وقد زينها وجود أولاد انكباء يبشرون بمستقبل باهر (فإنه وان مات بجسمه ، إلا أنه ما زال حيا بروحه وبذرائيه ، وقد غرس فيهم حب الوطن وعلمهم دروب الشجاعة والاقدام)^(١) .

كان - رحمه الله - يلح دائما بوجوب التخصص في الاعمال ، فالسياسة للسياسيين والمال للماليين والشؤون العسكرية للمجاهدين ، ولما عهد اليه التنظيم العسكري ، لم يتدخل إلا في الشؤون العسكرية ، وترك الأمور الأخرى لبيت المال واللجان القومية والهيئة العربية العليا . ومع أنه كان باستطاعته عمل ما يريد ، حينما سلمت اليه البلاد زمام القيادة ، الا أنه لم يحاول التدخل في الأمور الادارية أو المالية (وأذكر أنه زار أحد الوجهاء في قضاء جنين وكان لا يملك أجرة السيارة التي تنقل جنوده ، فقدم إليه الوجيه المذكور مبلغا من المال فرفض عبد القادر استلامه وقال له : « إذا اردت ان تدفع .. يمكنك أن تدفع المساعدة إلى بيت المال العربي (مع أنه كان بحاجة إلى كل جنيه منها) .

وكان رحمه الله لا يحب ان يتدخل في صلاحيات الغير إطلاقا ولا يقبل التوسط ، وقد حدث ان قضت المحكمة القضائية التابعة للجنة القومية برام الله بتغريم أحد الاشخاص بتهمة تزيف العملة (وهو دكتور) ، بمبلغ من المال ، يدفعه لصندوق اللجنة ، وقد حاول الدكتور المذكور التوسط لدى عبد القادر بشتى الوسائط - حتى أن أحد رؤساء الوزارات في البلاد العربية المجاورة - ، وزعيما كبيرا كلما عبد القادر لتخفيض الحكم ، إلا أنه رفض التدخل قائلا : « إن هذا ليس من اختصاصي » لأن التدخل في جميع الامور يفسدها ، ويضيع الفائدة المرجوة منها ، وكثيرا ما تعرض لنقمة بعض الأشخاص بسبب إنتقاداته المرة لهم ، هذا وقد فرض نظام التخصص هذا على جميع القادة الذين كان يوكل اليهم تنظيم القوى الشعبية ، واليك صورة اعتماد هؤلاء القادة :

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد عينت السيد قائدا مسؤولا عن قرى لتنظيم المسلحين فيها وشؤون الدفاع والهجوم ، ، وتنحصر مسؤوليته هذه في الشؤون العسكرية فقط ، فلا يحق له التدخل في شؤون هذه القرى الإدارية أو السياسية ، وهو مسؤول تجاهنا فقط .

والله من وراء القصد

عبد القادر الحسيني

القيادة العامة للجهاد المقدس

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

عبد القادر الاديب

علمه وادبه

عندما انهى عبد القادر تعليمه الثانوي بنجاح ، والتحق بالجامعة ، انصرف بكليته الى علمه الذي جاء ليتخصص فيه وهو الكيمياء ، راجيا بذلك أن يأتي اليوم الذي يحيل فيه هذه النظريات العلمية إلى حقائق واقعة وأرقام ناطقة .. إلى الغام يركبها بيديه الكريمتين ، لينسف بها أعداء وطنه ، ولهذا فإن استفادته من هذه المرحلة من حياته التخصصية في الكيمياء ، مضاف إليها بعثته الى المانيا عام ١٩٣٩م ، الذي تخصص فيها بصنع المتفجرات ثم معمله التجريبي ، الذي كان يتنقل به أيان حل وأينما توجه ، كل ذلك مهد السبيل لهذا الرجل العبقري أن يعمد الى قلب اسرائيل فيدكه على رؤوس أهله ، مغلوبين في العلم الذين تخصصوا فيه في كل النواحي ، وما سلسلة النسف التي تلاحقت في شارع بن يهوذا والبالستين بوست والوكالة اليهودية والمنتفوري وغيرها إلا ثمرة هذا العلم .

كان عبد القادر اثناء الدراسة التي قضاها في الجامعة الامريكية موضع اعجاب رفاقه لما امتاز به من روح التعاون ، وقد كان اهم ما يستهويه من الدروس الرياضيات والدين والتاريخ العربي والاسلامي ، كما كان حبه للمناقشة الحية سببا لكسب الشهرة بين الطلبة^(١) .

كان رحمه الله ذا ميل شديد إلى الكيمياء ، حتى أنه كان لا يهبط بيتا ، إلا وأعد فيه مختبرا لتجاربه الكيميائية ، وقد تمكن بفضل تجاربه العديدة من تحضير متفجرات متنوعة الاشكال ، كما تمكن في الآونة الاخيرة من استحضار مركب ذي مفعول قوي جدا ، لا يزيد حجمه عن ١٠٠ سم^٣ ، ولكنه إذا وضع مع لغم كبير ، فإنه يزيد من قوته مئة ضعف ، وقد كان أثر هذا المركب قويا وناجحا في الانفجارات وحوادث النسف التي قذف بها ضد اليهود ، ويذكر أن بعض الخبراء الاجانب الذين اشتركوا في معارك فلسطين ، وكانوا من ذوي الرتب العالية والتخصص في المتفجرات في الحرب الاخيرة ، قد اعياهم نسف مركز (حزيون) في يافا ، فحضروا اليه في رام الله فركب لهم المركب الكيميائي ، ورسم لهم خطة النسف ، وقد كانت بالطبع ناجحة فدمرت من أساسه وقد اندهش جميع الخبراء البريطانيين واليهود من قوة الانفجارات التي ألحقها بهم في القدس ، وحاولت الاستخبارات البريطانية معرفة نسبة المواد والمواد الداخلة في هذا المركب ، ودفعت مبلغا من المال ، فرفض اطلاعهم على سرها ، وهكذا بقيت أمرا مكتوما .

(١) مخطوط قاسم الريماوي .

وقد كان بيته بمثابة مختبر كيميائي يدرس فيه جميع أصدقائه ورجاله ، فهو بالرغم من تخصصه الجامعي في الكيمياء ، ورحلته التخصصية الى المانيا ، فقد استفاد من تجاربه العملية التي اجراها بنفسه . وكان عنده عشرات المؤلفات من هذه الكتب التي تبحث في المتفجرات ، وقد رأيت مرة يتجول في شارع فؤاد في القاهرة فيدخل في مكتبة ويخرج من أخرى ، يسأل عن كتاب عسكري ، فيجاب بأن هذا الكتاب لا يسمح ببيعه إلا للعسكريين البريطانيين ، عدا أنه غير موجود في جميع المكاتب ، وأخيرا علم أنه يوجد في مكتبة يهودية فأرسل من يطلبه منها ، فأنكر صاحب المكتبة عليه ذلك ، وإذا به ذات يوم يصطحب احد معارفه - وله ملامح اليهود - عدا انه يتقن اللغة العبرية - طالبا الكتاب الذي يحتوي بين صفحاته على تجارب عملية ووصفا تماما لجميع أنواع المتفجرات التي ظهرت في الحرب الاخيرة ، فما كان من صاحب المكتبة إلا أن قدمه اليه ، وقد درسه - رحمه الله - وأجرى جميع تجاربه . (١)

حدثني أحد أصدقائه من الأطباء وهو الدكتور (سليمان سليم) قال :

طلب إلي عبد القادر مرافقته إلى غرفته في بير زيت ، فلما وصلت الغرفة واذا به يقوم بتجربة صعبة ويريد مساعدتي في إجرائها ، فدهشت من قوة معرفته وسعة إطلاعه وقلت له : إن هذا فوق معرفتي يا صاحبي ، وما زال يمزج المواد ويركبها ، حتى تمكن من تحضير مركب قوي وضعه في زجاجة وقال :

« أتريد معرفة قوة فاعليته » قلت : نعم ... فإذا به يلقي الزجاجة خارج الدار فتحدث صوتا أشبه بصوت الرعد وتتصاعد منها سحب من الدخان تخفي جميع تلك الناحية وتتحرق جميع ما وقعت عليه . قال : هذا هو المركب يا دكتور ، وله عدة فوائد ستسمع عنها عند هجومنا على مدينة القدس . قال الدكتور : حقا .. لقد استكبرت هذه المعرفة وهذا الاطلاع الواسع وأيقنت ان امثال هذا الشاب ويمثل علمه تبني الأمم ويؤخذ الاستقلال (٢) .

ولما وصل عبد القادر الى بغداد ، عمل أستاذا للرياضيات والعلوم (في مدرسة التقيض الاهلية) ولكي يساير الشهيد تطور العلوم الحربية ، التحق بدورة ضباط في الكلية العسكرية بمعسكر الرشيد في نيسان ١٩٤٠ ، لدراسة الفنون العسكرية ، فكان في تدريبه مثال الجندي المطيع يقدر المسؤولية التي يلقيها الجهاد على كاهله ، وبعد ستة اشهر تخرج برتبة ضابط ، وكان في مقدمة الخريجين في حسن تدريب وحسن استعداد وعلو روح ، ونظرا لتفوقه الباهر (حيث حصل على المرتبة الاولى) ، عين مدرسا في نفس الكلية العسكرية ، بالإضافة الى تدريسه في مدرسة التقيض المذكورة ، وكان ينتهز فرصة الدروس ليدير طلابه على صنع القنابل والألغام

(١ + ٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

والديناميت والمتفجرات ، مما كان له أكبر الأثر في توجيه أنظار الشباب العسكري في العراق الى قضية فلسطين .

وفي معتقل العمارة كانت غرفته داخل المعتقل تضم مكتبة قيمة ، فيها أنواع مختلفة من الكتب ، حيث خصص القسم الأعظم من وقته لتدريس بعض الشباب المتعطش إلى العلم ، فكان يدرس هذا الطبيعيات ويدرس ذاك الرياضيات ، وهكذا كان المرحوم أستاذ المعتقل وإمامه ، يتدفق منه العلم ويشع منه الإخلاص وتنبثق منه الجرأة والإقدام^(١) .

كان - رحمه الله - محبا للأدب والأدباء ، واقفا على قدر كبير من المعرفة فيه ، سواء اكان الأدب المعاصر او الأدب القديم ، وكانت جلساته مع أصدقائه المثقفين عبارة عن أحاديث ومناقشات أدبية متنوعة تدوم ساعات ، وكلما طال البحث جادت قريحته بالأراء الحكيمة ، صافي الطباع يميز الغث من السمين ، وكان يعتقد أن الأدب العربي مملوء بالدس حيث أصبح بشكله الحاضر ، مغائرا لحقيقته الاولى ، وكان يؤمن بالعروبة والجنس العربي إيمانا ما بعده إيمان ، ويعتقد أن للعربي خصائص لا تفوقها أو تقاربها خصائص أي شعب آخر ، وكثيرا ما كان يحتدم الجدل بينه وبين اصدقائه ، فبعضهم - مع إيمانه القوي بامتياز مثالية العرب الاولى - إلا أنه لا يؤمن بالماضي ولا يتشائم من الحاضر ، وهذه النظرة كانت مثار مجادلات عنيفة تمتد لساعات طويلة بينه وبين الطرف الاخر (فيقول له هؤلاء : إنك ستقف أخيرا لوحدك وسيجرد عنك هؤلاء الناس الذين لا يستحقون ثقتك بهم .. فيقول : نعم .. ومع ذلك فإن هذا لم ولن يمنعني من القيام بواجبي حتى النهاية ولو منفردا^(٢) .

معرفته بالاديان وعلم اللاهوت :

تمكن عبد القادر بفضل جهوده في المدارس التبشيرية من الاطلاع على جميع الأديان ، فكان إذا ناقش فيها يناقش عن علم وروية ، ويورد شواهد مؤيدة من القرآن والانجيل ، وكان كثيرا ما يناقش في حقيقة المعتقدات وأثرها في الحياة ، ولعل مواقفه التي مر ذكرها من تلك المدارس ومن حكومة الانتداب ، يعد من الوعي المبكر الصحيح والصادق ، في مثل هذه السن في ذلك الوقت . وقد وضع الشهيد مقدمة لكتاب يبحث في حقيقة المعتقدات والأديان وعلاقتها وأثرها وللأسف الشديد لقد ضاع الكتاب .

بلاغته :

كان اسلوبه في الكتابة ينم عن عقيدة راسخة وإيمان لا يتزعزع ، فالحكمة تغلب عليه ، ومع أنه كان حيبا متواضعا لا يحب الظهور إلا أنه كان وقت الضرورة خطيبا مصقعا مؤثرا .

(١) من كلمة تأيبن السيد طالب مشتاق ٢٦/٦/١٩٤٨م بغداد

(٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

ففي الحفلة السنوية التي كانت تقيمها الجامعة الامريكية في القاهرة عادة بمناسبة تسليم الشهادات للخريجين ، وبعد أن تسلم الشهادة طلب أن يؤذن له فيتكلم فأذن له .

فوقف ذلك الفتى الحيي الخجول أمام ذلك الحفل الحاشد خطيبا مصقعا ، رافع الرأس غير هياب ولا وجل ، واندفع يلقي خطابا مطولا مفصلا ، بين فيه حقيقة أمر هذه الجامعة التبشيرية ، حيث قوبل خطابه بعاصفة من التصفيق الحاد بعد أن الهب حماس الشباب المتعطشين للحرية .

(لقد شاهده وهو يخطب عدة مرات في جماهير الناس الذين استقبلوه استقبالات شعبية منقطعة النظير ، إثر وصوله الى رام الله وجنين وطولكرم ونابلس ، وتجواله في تلك المناطق ، فقد ألقى من شرفة اللجنة القومية بجنين خطابا مؤثرا قويا ، نال استحسان الجميع ، كما ألقى في طولكرم وعزون وقلنسوة والطيرة خطابات رائعة ألهمت الجماهير ، وكانت كلها قوة وحث على التسليح والدفاع والتنظيم ، وكان كلامه يؤثر جدا في الجماهير التي تؤمن بأهدافه وبما يقول ، لأنه ما كان ليطلب من أحد أن يعمل شيئا إلا ويكون قد بدأه بنفسه ، فإن طلب إلى الشعب حمل السلاح فإنه حمله قبلهم ، وأن طلب اليهم الجهاد بالنفس والمال والهجرة في سبيل الله وترك الأهل والولد ، فقد كان أسبق الناس إلى ذلك ، لقد كان لكلامه وقعه فما يغادر القرية إلا وبيع معظم شيوخها وشبانها أغلى ما عندهم ليشتروا السلاح ، وقبل خروجه كان يجمع المسلحين فينظمهم ، وينصب عليهم قائدا منهم ويأمر بإقامة الاستحكامات للدفاع ويزور جميع مناطق الدفاع في القرية ويزور جميع حمائلها وعائلاتها^(١) .

شعر عبد القادر

قليلون هم الذين يعرفون أن المجاهد الشهيد عبد القادر كان ينظم الشعر ويقرضه وقد ظلت أشعاره التي ندونها هنا في كتابنا طي النسيان ، إلى أن قبض الله لها الدكتور (موسى عبد القادر الحسيني) الذي تفضل مشكورا بجمعها حتى تظهر إلى حيز الوجود ولتأخذ مكانها في هذا الكتاب .

لا شك .. أن أول ما يلفت نظرنا هو قلة شعر الشهيد ، ومن المؤكد أن كثيرا من شعره قد فقد ، وذلك أثناء تنقلاته وعدم استقراره .

لقد ارتقى عبد القادر الحسيني سلم الشهادة ، وبيده بندقيته الأمانة متوجا بأكاليل الغار بعد أن سلم روحه الخالدة إلى خالق أعد له جنات ونعيما ، لقد قضى عبد القادر معظم حياته مطاردا ، فتارة يرقد على فراش المرض إثر أوسمة الجهاد ، وأخرى رهن الاعتقال والسجن ، وثالثة يعد العدة لخوض غمار حرب مقدسة ، وفي خلال هذه التحولات في مجرى حياته ، فقد استل يراعه وخط سجل جهاده المقدس ما جادت به قريحته الوقادة .

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

كان عبد القادر يملك قلبا يعشق فلسطين حتى العبادة ، وإحساسا صادقا مرهفا ، وعاطفة جياشه تفيض حنانا ، وشاعرية تنبع من أعماق الروح التي تدفقت بالعطاء .

لقد راح عبد القادر يستلهم تجسيد الحنين والشوق والتضحية والحماس في أشعاره التي تدفقت من ذوب قلبه ، ولو أمهلته الشهادة لجادت عبقريته الفذة بمعين لن ينضب من الفداء والعطاء ، ولأثرى القضية بمنهل عذب من جواهر الكلم والشعر الوطني والقومي المتدفق .

لا شك أن العاطفة مظهر من مظاهر الوجدان تصدر عن احساس صادق ، وتنبعث من قلب - كقلب الشهيد - المترع بالحنان والشجي والإباء ، كان يرقد على فراش المرض في معتقل العمارة ببغداد ، بعيدا عن أحبته وصحبه وتراب بلده ، ولطالما حن اليه ، وجاءته رفيقة الدرب وجيهة الصابرة ، ومعها كريمته هيفاء لزيارته - وكان عمرها خمس سنوات تقريبا - وما أن رآته حتى تعلقت به ، ولا تريد الابتعاد عنه وبعد أن انتهت الزيارة المحددة ، حتى اختبأت تحت سريره في السجن ، فحملتها أم موسى بينما راحت هيفاء تبكي بحرارة وكأنها تقول :

- دعوني عند أبي .. لا تبعدونني عنه .. لماذا أنتم تسجنونه ؟ وما الجرم الذي اقترفه أيها السجانون ..؟ وخرجت هيفاء باكية حزينة .

وما أن غادرت المعتقل حتى تفجرت عاطفة الأب الحنون بأبيات يتدفق منها ينبوع الألم الظاهر ، والأسى الذي يلفح أبيات قصيدته التي جاءت بعنوان (صوني دموعك) ومع ذلك لم ينس القائد أن يخاطب رفيقة دربه وجهاده مواسيا في الوقت الذي كان هو أحوج بالمواساة ، فجاءت تعابيره سلسلة محببة ، محاولا نقل انفعاله إلى نفوس الآخرين في حسن صياغة ، دون تكلف مع وضوح وسلامة الفكرة وصدق في الاثارة العاطفة .

وفي قصيدته هذه لم ينس عبد القادر ثقته وإيمانه الراسخ بقضاء الله وقدره ، حينما راح يخاطب زوجته في آخر أبياته مواسيا ومشجعا ، وإن هجرته هي هجرة إلى الله سبحانه وتعالى وليست الى غيره .

أما قصيدته (حنين) فقد جاءت معبرة صادقة بكل إحساس الشاعر المرهف الذي ألمه البعد وصدع وجدانه الفراق ، فراق القدس التي ربتة وجعلت منه فارسا .. لقد بث الشاعر حنينه وشكواه حينما تذكر (فراخه الزغب) ولا غرو .. فهم فلذة كبده المتعطشة إلى لقياهم رغم رسومهم وصورهم الموجودة عنده في بلاد الغربية ، وهم أقباس أنوار خبت ونجوم أقلت من جور الزمن الذي منعهم من الورود إلى حياض والدهم الحنون ذي القلب المترع بالمحبة الصادقة .

لقد طرق عبد القادر في شعره - رغم قلته - معظم أغراض الشعر من حنين وشوق الى الفخر والمدح وإلى اسداء النصح والحكمة وبعث الهمم لاستنهاض الرجال للذود عن حياض

الثرى الفلسطيني ، الذي لوحته خطط المعتدي ، كما في قصيدته (ناوليني السيف) وباقي قصائده التي رصعها بدرر ما زالت تلمع في سجل تاريخه الجهادي الخالد .

كما طرق باب المدح كما نرى في قصيدتيه اللتين يمدح فيهما (رشيد عالي الكيلاني) والملك (عبد العزيز آل سعود) فجاءت معبرة صادقة .

كما طرق الاسلوب التمثيلي في أغراضه (كما في قصيدة فلسطين وفتاها) فجاءت مثلاً صادقا ودقة رائعة في التصوير ودقة التعبير في أسلوب سهل محبب إلى النفوس المتعطشة الى التفاني وتلبية نداء الوطن .

فليرحمك الله يا ابا موسى ، وليتغمد روحك جنة الخلد ، لقد حاربت بالبندقية الصادقة وأردت أن تجالذ بالقلم ، ولكن الشهادة أحرمتنا من يانع عطائك ، وصدق عاطفتك وسمو احساسك وروعة نداءك ونبل ذاتك .

١ | ناوليني السيف

واسمعيني خبراً لا تكتميني
حدثيني كيف داسوا في حماها
 حدثيني
 بلادي

واصدقيني خبراً عما دهاها
هل غدت موطىء أقدام اليهود
 امي
 ناوليني

ورويانا عنك أخبار الجهاد
قد رضعناه لبانا ورويانا
 امي
 ناوليني

وبلادي قد غدت نهب الاعادي
مذ دعاني هاتف صوب بلادي
 امي
 ناوليني

ما عنى غيري ولكن قد عناني
وانا الآن جدير بالقتال
 امي
 ناوليني

ما خلقنا حشوة الثوب الحرير
والمعالي نهش أطراف العوالي
 امي
 ناوليني

حدثيني عن بلادي حدثيني
خبريني كيف سادتها عداها
 حدثيني
 عن

حدثيني كيف خلقت رباها
مرتفع الأسد وأحداث الجدود
 ناوليني
 السيف

كم سمعنا منك أوصاف الطراد
ما لغير المجد أمي قد ربينا
 ناوليني
 السيف

كيف التذ بنومي أو رقادي
شبت النيران واجتاحت فؤادي
 ناوليني
 السيف

هاتف المجد إلى الحرب دعاني
إن لي زندا شديدا كالجبال
 ناوليني
 السيف

ما خلقنا توأم الفرش الوثير
قد خلقنا وعنيننا بالمعالي
 ناوليني
 السيف

٢ | صوني دموعك

كفّي البكا نفسي تراق فداك
هيفاء قد هدّ البكاء أباك
ذوب الفؤاد ذرفته ببكاك
أشفقت أن لا أحتيي لأراك
الله والوطن العزيز عناك
وغرقت بين دمائها وشقاك
عيشا وبين طريدة لعداك
دامي الجوانب أو معلل شاكي
أم فيه أنفاس بهن رجاك
من كل جرح في دمائه باكي
ما نالها رجل القتال الشاكي
وعلى النجوم يطول أفق سماك
إلا ورب البيت منه حماك
أنّى رحلت يطوف حول حماك
والله يرعى ما حييت خطاك

رقراق دموعك هزّ قلبي الباكي
هيفاء لا تبك بحق أبوتّي
صوني دموعك إنها من مهجتي
إن عادني ترجاج صوتك باكيا
يا أم هيفاء اصبري وتجلّدي
الناس تنعم بالرجال بعولة
ما بين آسية الجروح قضيته
ما جئت بيتك غير منتجع شفا
لا تعلمين أميّت بدمائه
أسمى وأثوب دمع عينك سائلا
قد نلت من شرف الجهاد مراتبا
أعلاك صبرك فوق كل جليلة
سيرري وربك لا يريد بنا اذى
سيرري فقلبي يا وجيهة سائر
والله يعلم أن هجرتنا له

٢ | بين فلسطين وفتاها

فلسطين: لون الزهور القاني شقائق
 من حمرة الدماء تروى بها كالماء
 من أنفاس الاطياب

الطلّ من دموعي يذوب في الربيع
 يجري على الورود كالدمع في الخدود
 ندبا على الشباب

أبكي بنيّ الصيدا والبطل الشهيد
 أبكي وما من عار أبكي حماة الدار
 أبكي ليوث الغاب

فتاها: لا تحزني بلادي صبرا على العوادي
 فالدهر فينا قلب لا ينثني يقبّ
 وجهين للنفاق

إن نابت النوائب أو عمّت المصائب
 ألفيتنا الأماجد نعدو على الشدائد
 بالببيض والرقاق

نحميك بالمرهوف والضرب بالسيف
 نشقّ هام العادي لا تحزني بلادي
 لا تدمعي المآقي

فلسطين: قد دنّسوا ربوعي فجدت بالدموع
 إن تطلبوا رضائي فاسعوا إلى علائي
 وطهروا أحضانني

بنيّ لا تهونوا أو للعدا تلينوا
 أرضعتكم لباني أوهبتكم حناني
 فاحموا حمي اوطاني

فتاها: لبيك لن نهونا لبيك لن نلينا
 لبيك بالنفوس بالغالي والنفيس
 بالروح والضلوع

لا عشت يا بلادي إن عاشت الاعادي
 ترتاد في ربوعك أقلّ من دموعك

٤ . الطود الأشم

ما	أفتر	الخطب	الجلل	عزمي	ولا	همي	ثلم
سود	الوقائع	ألفتي	عوّدتها	بعد	النعم		
ما	كنت	أجهل	مرّها	حتى	يعاودني	الندم	
إنني	الصبور	على	البلى	وكأنني	الطود	الأشم	
هوج	الرياح	تحطمت	والطود	ثابت	لم	يضم	
تزداد	نفسى	منعة	ما	حلّ	خطب	وادلهم	
يبلى	الجديدان	ولا	تبلى	العزائم	والهمم		

٥ . نصيحة والد

بنيّ خذوا مني نصيحة والد
كما الدهر عبد للجلود فإنه
لئيم إذا جسّ الطباع ضعيفه
سلاح الفتى طيب الخصال وعزه
وخير سلاح للمصائب سمعة
بنيّ كرام الناس بالشرّ تنقد
بنيّ أقلوا ما استطعتم عثاركم
أقلوا كرام الناس من عثراتهم
ولا ترجعوا صفر اليدين مؤملا

عركت نواحي الدهر والدهر قلبُ
وإن جمع الويلات بالحزم يغلب
كريم إذا يلقاه ناب ومخلب
عفاف وبأس في الشدائد يرهب
تفوح جليل الذكر أيان يذهب
مآثرها تنسى ويذهب مثلب
فرب عثار للمكارم يسلب
فذاك إلى خطب المودة أقرب
صنيع الفتى يبقى إذا المال ينضب

٦ - نشيد العلي

نحن	في	العلا	دوننا	الملا
ما		لغيرنا	المجد	حلا
من		سيوفنا	تقطر	الدماء
من		أكفنا	الجود	والندى
		اللازمة		
وسعوا		الخطى	وامتطوا	العلا
وارفعوا		على	أوجها	سما
		اللازمة		
خيرة		البلاد	مهبط	الرشاد
أرض		يعرب	جنّة	العباد
		اللازمة		
سهلها		الجميل	وعرها	الجليل
مائها		الفرات	بلسم	العليل
		اللازمة		
نحن		نبتها	نحن	جندها
في	لظى	الوغي	نحن	أسدها
		اللازمة		
أخطأ		الهدى	بأدىء	العدا
جاء		موردا	منهل	الردى
		اللازمة		
دأبنا		السلام	ما	بدا
أو	عدا	غشوم	حدّه	الحسام
		اللازمة		
بأسنا		حديد	مجدنا	عتيد
نحن		أمة	للعلا	نشيد
		اللازمة		

٧ . صلاية الاقدام

أنا لا أرهب الحدثان إني
 لقد أعددت للحدثان سيفاً
 وإن أبدت لي الايام عندا
 تريني مخلباً وتريني ناباً
 ولي من قوة الأيمان عزم
 ولم أستجد من دهري حظوظاً
 فتى أمضى من الحدثان حدا
 ولم أجعل لهذا السيف غمدا
 تراني للجلاد أشدّ عندا
 فتلقى معلماً وأشدّ زنداً
 أقاتل فيه دون الخلق فرداً
 ولم أطلب بغير الجهد سعداً

٨ . حنين

نسيم	الغرب	أشجانى	وأجرى	دمع	تحناني
وذكرني	ربوع	القدس	أوطاني	وخلاني	
وأياماً	غدت	حلماً	بأفراح	وأحزان	
ترأت	خلف	رقراق	همى من بين	أجفاني	
دموع	الشوق	أجريها	وفي الهيجا دمي	القاني	
وما بي	غربة	شقت	فأرض	العرب	أوطاني
ولى في	القدس	أتراب	وفي	بغداد	إخواني
ولى في	القدس	أكباد	فدا	الأكباد	إنساني
فراخي	الزغب	كم حنت	إليهم	نفس	ولهان.....
فكم	قبّلت	من شوق	رسوماً	فوق	كتّان
لعل	الرسم	يغنيني	فزاد	الرسم	نيراني
هم	الأولاد	أكباد	غدوا	والروح	سيان
هم	ترداد	أجيال	غدت	طيّاً	لنسيان
وخلد	قد بدا	حلماً	تراه	عين	يقظان
هم	أقباس	أنوار	خبث	من جور	أزمان

٩ - رحلة في قطار

ركبت قطارا سار بنا إلى بغداد وقد بعدت
طوال الليل يهز بنا وينفث نيرانا دخنت
بصوت أثير في أذني يملّ النفس وقد سئمت
يطقطع طقطقة فتقت قروح القلب وقد رتقت
يشق طريقا قد خلقت مشاغل في نفس علقت
وعند وصوله قد هدأت وشمس الصبح لنا بزغت
أزالت من نفسي تعباً فخلت بأن الروح سرت

١٠ - قال يمدح رشيد عالي الكيلاني

رشيد العروبة عالي الهمم سموت بقومك فوق الأمم
فذكراك في كل قلب غدا يثير النفوس ويحيي الهمم
فأنت الرشيد مهاب الجناح وأنت الكريم سليل الكرم
يحييك أسد العراق ومن وراء العراق وخلف الهرم
رعاك الإله ليوم أغرّ ليوم العروبة يوم الشمم
ليوم تدفق فيه الدما تهون النفوس فداء العلم
ليوم السيوف ويوم القنا ليوم تبدد فيه الظلم
رعاك الاله وهان عداك وعشنا نفاخر فيك الامم

١١ - وقال يمدح الملك عبد العزيز آل سعود

المجد من عاد بدا والسعد في ال السعود
إرث توارثه البنون عن الخضارمة الجدود
وبنوا على مجد الأوائل صرح مجدهم التليد
فغدوا كأنهم الثواقب زينت برج الخلود
وهم الملاذ لمن يضيق بوجههم رحب الوجود
وإذا أجار رضيعهم ونزيلهم فجوار صيد
لا يخفرون ولا تنال جوارهم عثر الجدود

حي المليك وقل له يا ليث خفاق البنود
القدس أولى القبلتين عدا بها • سبط اليهود
ما أن تجفّ بها الدما حتى تفجر من جديد
مزجت دموع اليتيم في محرابها بدم الشهيد
يا حامي الحرمين ثالثها غدا رهن الوعود
فاحذر - فديتك أن يؤول ترابه يوما لهود
فنعود نبكي ثالث الحرمين زال من الوجود
كبكائهم خلف البراق ولطمهم فوق الخدود
يا وارثا عرش الرسول اضرب بسيف ابن الوليد
وارفع دعامة جلق وانهض باعباء الرشيد
فلك العروبة تائه قده - بربك - نحو جودي
نبه بحزمك هجدا أودى بهم طول الهجود
أذن بهم فجر الحياة وقل مضى زمن الرقود
يا أمة العرب انهضي سيرى لمجدك أو تبيدي
عودي فإن المجد لا يحلو لغيري أن تعودي
المجد نسج نضالنا عيدي نسائجها وزيدي
أم طاب يا قوم الكرى بين القبور وفي اللحد
إن كان هذا فالفظي يا أرض موتانا وبيدي
يا سحب لا تروى لنا قبرا ولا يوما تجودي
عبد العزيز فداك نفسي فزت بالعمر المديد
الخطب إن يفدح فليس لنا سوى الملك الرشيد
القدس جيد كياننا هان المصاب بغير جيد
إن ديس مسجدنا نداس بكل واد أو صعيد
أرض العروبة كالهشيم تذوب في لهب الوقود
أو كالتهامة نجدها عرم تقوض بالسدود
والسيل إن بلغ انحدا را لا يقيد بالحدود
فانهض فأنت لمثلها بالحزم.. بالرأي السديد
أسرع خطاك فلم يعد في الكون من مشي وتيد
فالمسجد الاقصى علا محرابه دنس اليهود
أهلوك يا عبد العزيز وليس بالنسب البعيد
فالعرض عرضك والنسا ورجالها ودم الشهيد

شخصية عبد القادر العسكرية

كان عبد القادر ذا منصب كبير فتخلى عنه ليمضي إلى الجهاد ، وكان ذا ثروة كبيرة فبذلها في سبيل الجهاد ، وكان ذا دم حار وشباب ريان ، فأراقهما في ساحة الجهاد ، فكان جهاده صفحة مشرقة من المجد ، ودرس بليغ في البطولة ، وقصته من أروع قصص التضحية والبسالة والإقدام^(١) .

فحسبه من المجد أنه عاش باسلا وكافح باسلا ومات باسلا ، وأن نفسه العظيمة قد مثلت كرامة أمته العربية رفيعة شامخة^(٢)

كان عبد القادر المحارب والبطل والفدائي والشهيد ، كان المعنى والمثل ، وكان الغاية والطريق ، كانت عزمته أشد من الظروف والأوضاع والأحوال السائدة حوله وفي وطنه وكانت حدوده أبعد من قيود مجتمعه ، كان يعلم أنه يواجه العدو الكاسر المسلح ، فلما عز عنه سلاح قومه وهو في أتون المعركة ، سما على العجز والضعف والعوز ، فدفع روحه الطاهرة لتكون ثمنا لشرف اللقاء ووفاء للعقيدة والمبدأ ، ومنازا للصدق والإيمان ، وحديث الأجيال للأجيال ، وليس هم الشهيد أن يكسب لنفسه وقعة أو يحرز نصرا ، أو يسجل تقدما منظورا ، ذلك هو هم الشعب وشأن الدولة وواجب الجيش ، إنما همه أن يفجر المعنى الذي يهز ضمير الإنسان ويوقظ العزم وينهض الحياة في الكائنات^(٣) .

وحينما تقرأ الأجيال القادمة تاريخ عبد القادر سيظهر لها أنه بطل شجاع ، كان يطلب الموت ليهب بلاده الحياة ، ما عرف الخوف ولم تأخذه في الحق لومة لائم ، فهو ابن فلسطين البار ما نل ولا استكان ، ولا لانت له عزيمة في مقارعة أبشع استعمار دبر منذ البداية المؤامرات لتمزيق الوعود التي قطعها على نفسه للشريف حسين^(٤) .

ولهذا نفخ هذا الصقر عن جناحيه ذل الاستخذاء ، وغبار المساومة وذاتية المنفعة ، فحلق في سماء المجد والخلود ، لأنه كان يرى الدفاع عن الوطن واجبا مقدسا لا يجوز أن يأخذ عليه أجرا لذلك ما كان ليستبيح لنفسه أن يتقاضى مرتبا إلا إذا أناخ عليه الفقر وقسا عليه الدهر وقد ضرب بذلك أروع الامثلة في العفة والنزاهة واحتقار المادة ، ونعى على الذين يتخذون

(١) مجلة العربي العدد ٢٩ ابريل ١٩٦١ قدرى قلعجي

(٢) جريدة المصري ١٠ نيسان ١٩٤٨ م

(٣) عبد المنعم الرفاعي مجلة فلسطين العدد ١٢٠ مايو ١٩٧٥

(٤) جريدة الصحفي الاردنية ١٤ نيسان ١٩٦٤ العدد ٨

الوطنية شعارا لجمع الاموال بطرق ملتوية وسبل معوجة^(١) وأي تواضع بل أية إنسانية يتخلق بها هذا القائد العربي ، حين كتب الى سماحة المفتي يقول :

« وأنا شخصيا أشعر بالخل الشديد ، كلما قست صغرا قمت به من جهود ، بعظيم ما قام به أمثالي من شباب الأمم الاخرى ، الذين لا ارى بهم ما يميزهم عن اي شاب عربي ، وستجدونني دائما ذلك الجندي الذي يموت في سبيل امته ومبادئه ، دون أن يكلف الناس بسماع أنات نزاعه ، وكذلك زوجتي ، وسوف يكون كذلك اولادي إن شاء الله تعالى^(٢) .
حدثني السيد أكرم عبد السلام الحسيني قال :

كنت ذات مرة برفقة كمال الحسيني في الشام ، واشترى المذكور بذلة عسكرية ذات رتب من سوق الحميدية ، ولما رجعنا إلى فلسطين ووصلنا عين سينيا ، التقينا بالمجاهد البطل عبد القادر ، وما أن رأى كمالا بنياشينه ونجومه المثبتة على كتفيه ، حتى غضب واغتاظ وصاح قائلاً : تعال يا كمال .. وبحركة عصبية خلع النجوم من على كتفيه ورماها على الأرض وداسها برجله وقال :

إياك إياك أن أرى شيئاً من هذه على كتفيك وإلا الويل لك .. جهادك بفعلك لا بالنياشين والنجوم . وبعدها لم أر شيئاً من هذا القبيل على بذلة كمال^(٣) .

شجاعته :

إن من رافق عبد القادر ، ولو كان من أعتى العتاة وأشجع الشجعان في معاركه ضد الانجليز ودباباتهم وطائراتهم ، ليشهد له بندرة الشجاعة الخارقة ، ويعترف بالتسليم له بالقيادة (فما كان يتقدمه أحد في معركة ، وكثيرا ما ألقى بنفسه الى الموت ، لينقذ نفسه وجنوده ، وخلق من الهزيمة نصرا ، وكثيرا ما شق طريق السلامة لجنوده بفعل جرأته النادرة ، فقد حدث ذات مرة أن أحاط مئات الجنود البريطانيين بعشرات المجاهدين الذين كان يقودهم عبد القادر في جبال القدس ، وبعد أن تم تطويق الجبال والقرى المحيطة به وبقنوده حتى امتد الطوق الى ٥٠ كم ، ثم أخذوا يضيقون الخناق عليه وعلى من معه ، فارتاب بعض جنوده واحترأوا في أمرهم ، ولكنه بقي رابط الجنان لم يعبأ بجنودهم ، فوزع عددا من القنابل على حرسه وأستل مسدسه بعد أن وزع رجاله بشكل عسكري رائع ، ولما اقترب من الطوق اندفع كالأسد التأثر نحو الجنود البريطانيين الذين كانوا يسيرون واحدا وراء الآخر ، لا يرفعون رؤوسهم ولا ينظرون إلا أمامهم كقطع الخنازير .. لقد قفز عبد القادر ، وأخذ يلقي قنابله ونيران مسدسه عليهم ، فتفرقوا شذر مذر ، وأذهلتهم المفاجأة ولولا الأديار بغير نظام كقطع من الغنم ، تمكن من شق

(١) جريدة الجمهورية العراقية ٨ نيسان ١٩٦٨ العدد ١٠٤

(٢) من رسالة الشهيد عبد القادر الى سماحة المفتي ١٤ ربيع الاول ١٣٦٥ هـ

(٣) مقابلة شخصية مع السيد أكرم الحسيني ١٩٨٣ .

طريق النجاة له ولجنوده ، بعد ان قتل من قتل وشتت رجال الطوق ، وعند الجنرال (وايفل) الذي كان يقود حركة التطويق بنفسه ، الخبر اليقين^(١) .

وفي جميع المعارك التي خاضها براهين قاطعة تشهد بمثالية جراته وشجاعته ، ويشهد له كل من رافقه في معاركه المظفرة .

(التقى عبد القادر بقافلة بريطانية مزودة بأسلحة سريعة ومدفعية ، وكان المجاهدون مستحكيين خلف الصخور ، وأما القائد اليباسل فلم يرض أن يختبئ بل وقف على قدميه وصار يطلق النار على البريطانيين فأصيب بقنبلة من مدافع أعدائه أخذت الجنادات عن صدره وجرح ، ومع هذا فقد ظل يقاوم حتى انهزم العدو وهو يصيح : أنا عبد القادر الحسيني^(٢) .

وفي معركة (بيت فيجان .. فقد بقي يتقدم إلى ان وصل على مقربة من إحدى الفصائل الانجليزية فسدد إليها نيرانه ، وقذفها بالقنابل اليدوية إلى أن قضى على أفراد هذا الفصيل ، وعند انتهاء المعركة أخذ يتجول بين هاتيك الجبال فاذا بسبعة من الانجليز يهيمون بركوب سياراتهم المصفحة وبينهم شاب مجاهد قد أخذوه اسيرا ، فحاول بعض من معه من هيئة اركان حربه إطلاق النار عليهم فمنعهم خشية ان يصاب هذا العربي المسكين برصاصهم الطائش ، وأخذ هو المهمة على عاتقه ، فوجه رصاصه اليهم واحدة تلو الاخر فقضى عليهم جميعا دون أن يصاب ذلك الأسير بأذى ، ثم أمر رجاله بالذهاب الى القتلى ليأتي بالعربي الاسير وبأسلحة الصرعى^(٣) .

وفي معركة حوسان رأى قائدنا بعين الحكمة أن يتراجع فريق منا إلى الخط الخلفي ، فأصدر أوامره إلينا بالتراجع ، إلا مناضلا أبى وقال : لن أترجع ما دام الجيش امامي فتقدم اليه القائد ليفهمه أن التراجع خطة حربية ليتوغل العدو في خطوطنا ، ويتعذر عليه حينذاك أن يسلم من الدمار ، وبينما هو يحدثه إذا بقنبلة من مدافع ثقيل تأخذ معها مسدس القائد وتحرق بدلتة وقميصه الداخلي وتصلي لحمه صليا خفيفا ، ثم يرتفع الى اعلى وينزل من جراء ضغط الهواء الذي احدثته القنبلة ، ولكنه والحمد لله لم يصب بسوء أما صاحبنا المناضل الآخر فقد أخذت هذه القنبلة نصفه العلوي حيث اختفى ولم يبين له اثر^(٤) .

وقد غير عبد القادر بفضل جراته هذه مجرى الحرب في ثورات فلسطين ، فأصبح المجاهدون يكمنون للأعداء على مسافة قريبة من خط سيرهم ، بعد أن كانوا يكمنون في رؤوس الجبال ، أما عبد القادر فقد أبى الا أن يحاربهم وجها لوجه ، وعلى مسافة بضعة امتار ،

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) من رسالة مجاهد كريم الى الدكتور موسى الحسيني

(٣) من رسالة مجاهد اخر كريم الى الدكتور موسى الحسيني

(٤) نفس المصدر

واضعاً نفسه في المقدمة ، وقد يستغرب القارئ إذا علم أن الخسائر كانت بفضل هذه الطريقة دائماً طفيفة ، وأقل بكثير عن سابقتها ، ولعل الشجاعة الخارقة التي أظهرها هو وستة عشر مجاهداً في معركة صدر أبي غريب في العراق ، لتبرهن على شجاعته النادرة وقدرته العسكرية الخارقة حتى أصبحت مضرب المثل واستحقت مجموعته لقب (دبابات الجيش العراقي) أو (الفرسان الستة عشر) .

عبد القادر بين جنوده

كان عبد القادر يعيش بين الجبال عيشة الشظف والتقشف ، فيرفض الجلوس على الفراش في القرى التي يزورها مستنهدا للجهاد ، ويرفض الطعام الدسم الذي كان يحاول اهل القرى تقديمه لابن العز والجاه ، تخفيفا عنهم وتوفيرا لحالهم وزادهم إلى يوم موعود ، وكان يأبى إلا أن ينام مع رفاقه في الجبال وفي المغاور ، وعلى رجوم الحجارة ، يحتضنون سلاحهم استعدادا لكل طارئ ، فكانت تغفو عيونهم وتحسوا قلوبهم ، وكانت حياته أمثلة حية للمجاهد الصابر ، فكانت تسري هذه الروح في نفوس اهل القرى التي يمر بها ، فتلهب النفوس وتثير الحماسة فينضم الشباب القادرون على القتال الى صفوف المجاهدين ، ويزيدون حركة الجهاد أوارا ، ويمدونها بكل غال وثمان ، ويفتحون صدورهم وخزائنها وقلوبهم لعبد القادر ولرجالها ، وبقيت هذه الروح عالية الى ان اختاره الله الى جواره^(١) .

كان يؤثر رفاق السلاح على نفسه في كل شيء حتى في الطعام فاذا لاحظ ان كميته محدودة تظاهر بالشبع ، فاذا انتهوا منه وظلت منه بقية أتم وجبته^(٢) .

ولا يأكل إلا بعد أن يأكلوا ولا ينام حتى يطمئن أنهم ناموا جميعا ، وإذا نقص غطاء أعطى غطاءه للمحتاج ونام في العراء ولا يقبل غير ذلك .

زرنا احدى القرى في قضاء طولكرم بدعوة من أهلها ، فاحضروا له ولعاونه أكلا خاصا ، وألحوا عليه بوجوب تناول الطعام على انفراد ، إلا أنه أبى الا أن يأكل مع الجنود ومثلما يأكلون ، وحدث في إحدى الليالي بينما كنا في إحدى القرى ، أن نقص غطاء واحد من المرافقين في ليلة برد قارس ، فأعطاه الغطاء الذي يلتحف به ، وأبى إلا النوم بلا غطاء ، فأشفقت عليه وحاولت اقناعه أن يأخذ غطائي فرفض ، ولكنه لما استغرق في النوم وضعت الغطاء عليه ولم استطع النوم من شدة البرد الا ساعة واحدة^(٣) .

كان يلبس كما يلبسون ويرفض أن يضع الرتب مثل القادة المغرورين بالنياشين ، كان يسير مشيا على الأقدام من قرية إلى قرية ومن جبل الى جبل ، وفي بعض الاحيان كان يسير حافي القدمين مكشوف الرأس وقد اهدى له ذات مرة زميله ورفيقه (الشيخ حسن سلامة) قائد المجاهدين في منطقة يافا واللد - فرساً شامخة في ثورة ١٩٣٩م ولكنه ما كاد يعتلي صهوتها ، ويسير قليلا حتى ترجل عنها ورفض ركوبها مرة أخرى ، وأمر بإعادتها ولما سئل عن السبب

(١ + ٢ + ٣) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

قال : لقد شعرت بتيه وكبير ، واخذ الغرور يدخل الى نفسي ، انني أوثر ان امشي حينما تمشون وأن أركب حينما تركبون ، فأكبر الجميع هذا التواضع منه^(١) .

وأذكر انني زرتة في مصر في بيت متواضع وتواعدنا على اللقاء ، فأخل بوعده على غير عادته وحضر بعد ساعتين ، سألته عن سبب تأخره قال : « وجدت قميصي بحاجة الى غسيل ، ولا أملك غيره فغسلته ونشفتة وكويته ، وحضرت اليك أسفا على التأخير قال ذلك ببساطة متناهية مبتسما ، لم يخجل لان فقره كان في سبيل الله ، ولم يخجل من عريه لأن عريه كان في سبيل الجهاد في الوقت الذي كان فيه أشباه الزعماء يرفلون بالدمقس والحريير ، ولو اراد الشهيد الدنيا لبقى موظفا كبيرا ، ولو أراد الحياة الدنية لانصبت عليه الأموال من جيوب الأندال والعملاء^(٢) .

كان لباسه البنطلون الكاكي والصديرية الصوفية ، وهوزي يرتديه في فترات الراحة بين معركة ومعركة ، ويتمنطق بحزام جلدي يتدلى الى جانبه مسدس ، وعندما أشرت الى مسدسه ابتسم في حياء وقال « إنني الآن أشعر بالراحة إلا إذا كان هذا المسدس في متناول يدي لقد اصبح جزءا مني » ولقد اكبرت فيه بساطته الغربية وكراهيته للدعاية ، ولا زلت أذكر قوله لي : « اننا في فلسطين نفضل الأسلحة على الدعاية ، وأنت لا تستطيعين أن تتصورى القيمة العظيمة لعشر بنادق مثلا ، بالنسبة الى قرية من قرى فلسطين^(٣) .

كان عبد القادر يتمتع بهيبة لا مثيل لها بين جنوده ، فيحدثونه بغير تكلف ويطيعون اوامره حتى الموت بلا تردد كان يلاطفهم وقت الفراغ ويحاسنهم ، ويتساهل معهم تساهلا كثيرا ، الا انه وقت احتدام المعركة كان قويا صارما لا يعرف للتهاون أو اللين معنى ، ولا يتردد لحظة واحدة في اطلاق النار على من يخالف اوامره ، او يفر من وجه العدو ، حيث ينقلب هدوءه الى حركة ونشاط خلال المعركة ، فهو أثناء القتال كالنمر يقفز هنا وهناك ويصدر اوامره وجنوده يمتثلون بكل هدوء وتؤدة ، وبعد كل معركة كان يشرف بنفسه على اسعاف الجرحى ويشارك في نقلهم كبقية الجنود ، ولا يقبل لنفسه المعاملة الخاصة الممتازة ، وكان اذا أدلهم خطر يتقدم بنفسه لشق طريق السلامة له ولجنوده ، وكان لا يضع نفسه في المؤخرة اثناء القتال بل في

الاستحكام الأول ، ولعل البعض يعتقد انها مجازفة أو مخاطرة لا يجوز لقائد الإقدام عليها ولكن سر نجاحه كان نتيجة ذلك ، فإن جنوده كانوا يستميتون بجانبه ، ويلتفون حوله الالتفاف السوار بالمعصم ، فتتقلب الهزيمة نصرا ، وقد يعتقد البعض انه تهور في هجومه وفي حياته وفي حياة جنوده ، والحقيقة أنه كان يعز عليه كل قطرة دم من دماء جنوده ، فكان قبل خوض المعركة يعمل كل ما في وسعه من تنظيم وإقامة استحکامات وخطوط قتال وتوجيه ، لتلافي

(١) جريدة الدستور الاردنية ٨/٤/١٩٧٠ العدد ١٠٧٥

(٢) من رسالة مصطفى الطاهر الى الدكتور موسى

(٣) مقابلة شخصية اجرتها (مس مارجريت بوب) مراسلة جريدة الازيرفر البريطانية / القاهرة

إصابة اي جندي من جنوده وبالفعل كانت خسائره في أقى المعارك وأكثرها هولاً ، لا تكاد تذكر ، وكأنها معجزة أو أسطورة ، فكان قبل نشوب المعركة يختار المكان الاستراتيجي المناسب لها ، ويعد العدة الكاملة من الرجال والعتاد ووسائل النقل والاسعاف ، وينظمها تنظيماً عسكرياً مما يجعل النصر أكيدا سألته احد أعوانه فقال :

« لماذا تعرض نفسك للمهالك وأنت القائد ؟ قال : وهل معنى ذلك أن أبقى بعيداً عن الميدان وعنكم ..؟ ألا تعلم أن محمداً سيد المخلوقات وأحكم القادة كان بنفسه يدخل المعركة ، وقد أصيب في أحد كما تعرف ، وأنت تعرف الفارق .. فلو توفي محمد ﷺ في ذلك الوقت لكانت الطامة الكبرى ، أما أنا فإنني سأفوز بالشهادة أو النصر ، وهما مطلبان وقفت نفسي عليهما . والحق أنه كان لوجوده في المعركة أثر كبير على نفسية جنوده وكان لإقدامه دائماً أكبر فضل في النصر (وعند وايفل ودل) وهيئة اركان الجيش البريطاني الخبر اليقين^(١) .

فقد كانوا لا يخرجون من المعركة إلا بخسائر تربو عشرات أضعاف الخسائر التي تلحق بالمجاهدين ، بالرغم من تفوق الجيش البريطاني في المعدات والعدد ، وفي معارك باب الواد وبني نعيم في فلسطين وفي صدر ابي غريب ارقام ناطقة تشهد له بحسن القيادة والمقدرة والشجاعة ، أما معاركه ضد اليهود فإن معارك بيت سوريك وباب الواد وصوريف ورام الله وشعفاط وكفار عسيون والقدس تنطق بمئات الشواهد على عظم الفارق ، بالرغم من تفوق العدو في العتاد الحديث ووفرة العدد والتموين ووسائل النقل (فقد كانت الخسائر لا تصدق اذ لم تبلغ ١٠٠٠)^(٢)

عبد القادر في الميدان

كان الشهيد لا يهاب الموت ويقول : اطلب الموت توهب لك الحياة . فكان يتصدر الهجوم ويتعرض للمخاطر ويجابه رصاص الأعداء ، وكان يطلب منه رجاله أن يكتفي بتوجيههم وتوزيعهم وأن يبقى في الصفوف الخلفية ، يدير المعارك ويضع الخطط ، حفاظاً على حياته ، فكان يرفض ويصر على تقدم الصفوف ليعطي المجاهدين من رفاقه درسا في البطولة والتضحية ، لهذا قدم نفسه قربانا في سبيل الله والوطن .

ولهذا (فقد بدا العرب في نهاية شهر فبراير في وضع عسكري أفضل من وضع اليهود ، كان العرب يهاجمون المستعمرتين اليهوديتين الواقعتين الى الشمال والجنوب من مدينة القدس ، وبالرغم من أن العرب لم يحتلوا أحدهما ، إلا أن الهجوم الذي قام به عبد القادر الحسيني على المستعمرة الجنوبية المسماة (كفار عسيون) أدى الى إبادة جميع القوة

(١) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

(٢) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي / حياة عبد القادر الحسيني

الضاربة اليهودية (البالمخ) التي أرسلت لنجدها ، ويقول (كمشي) إن هذه الكارثة قد أثرت تأثيراً نفسياً سيئاً على يهود فلسطين^(١) .

يقول الكاتب (ليون لويس) : وقد استطاع عبد القادر في منطقة القدس أن يرسم خطة كاملة على أساس دحض الحقيقة ، التي تقول بأن عرب فلسطين والمحاربين غير النظاميين ، لم يكونوا منظمين ، وليست لهم مهارة كافية ، ليقوموا بعمليات هجومية منظمة ، وكذلك أدرك عبد القادر أن اليهود سوف يتشبثون بكل مستعمرة ، وسوف يقاوم العرب بشكل عنيف ، وقد يحتاج الى انتصارات سريعة ليشجع قومه ، فاستقر رأيه على ناحيتين :

الأولى : أنه سوف يعزل المستعمرات اليهودية ويجوعها .

الثانية : أنه سوف يقوم بعمليات (إضرب واهرب) على النقليات وطرق المواصلات ، فقد أثبتت استراتيجية عبد القادر كفاءتها ، فقد كان للعرب حرية الحركة بينما أجبر اليهود على أن يظلوا في مواقع ثابتة^(٢) .

ولهذا كان عبد القادر يدير المعركة برباطة جأش وروية ، وكثيراً ما كان يصاب أعز أصدقائه وجنوده أمامه وبجانبه ، فما كانت نفسيته تتغير ، وما كان يجزع ، بل كان يزداد شدة وحبا بالانتقام وأخذ الثأر ، فلقد هان على عبد القادر استقبال الموت وترك البيت والولد ، كما هان عليه من قبل استشهاد أعز جنوده وأقرب أقربائه إلى نفسه ، ففي معركة بني نعيم فقد ابن عمه المهندس الشهيد علي حسين الحسيني ، رفيق صباه وصديقه الوفي الأمين ، وفي المعركة الأخيرة فقد ابن عمه وتلميذه في الجهاد ، وابنه الذي احتضنه هو وزوجه الكريمة الشهيد (محمود جميل الحسيني) .

أذكر انني كنت بصحبته في بيت أحد الزملاء في بيرزيت ، وقد ورد نبأ استشهاد ابن عمه محمود فشاهد أهل البيت والحضور يتهايمسون ، وأخيراً علم النبأ ، فلم يجزع له بل قال :

« إنني أنا كذلك سأستشهد ، وهذه خير مية يمكن أن يموتها رجل شريف » وأخذ يعزي الحاضرين ويسرد لهم مزايا الاستشهاد وطلب الموت لنصرة الدين والحق ، وقد استكبر الجميع هذه الروح واندھشوا لعدم ظهور علامات التأثر على وجهه بل بقي هادئاً مطمئناً ، كما استقبل هو الموت بنفس هادئة مطمئنة^(٣) .

رحم الله عبد القادر فقد عاش أبي النفس ، ومات عزيز الروح .. فألف سلام له في جنات

الخلد .

(١) مفترق الطرق الى اسرائيل - كريستوفر سايكس / تعريب خيرى حماد

(٢) قضية فلسطين في سيرة بطل نبيل الاغا ص ٩١ بيروت ١٩٨٠م

(٣) من مخطوط الدكتور قاسم الريماوي

الباب العاشر

الملاحق

النص الحرفي لرسالة الشهيد عبد القادر الحسيني التي بعث بها الى سماحة المفتي
الاكبر الحاج محمد امين الحسيني .

سيدي سماحة العم المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبعد :-

فقد سررت برسالتكم أعظم سرور ، وكانت لي أعظم مشجع ، تذكرون تقديركم لتحملنا
مشاق الغربية والسجون ، وهذا التقدير هو وسام عظيم الشأن أناله من زعمي وقائدي ، إلا
أنني أشعر تمام الشعور أنه أكثر مما أستحق ، وأنا شخصيا اشعر بالخجل الشديد كلما قست
صغرا قمت به من جهود بعظيم ما قام به أمثالي من شباب الأمم الأخرى ، الذين لا أرى بهم
ما يميزهم عن أي شاب عربي ، ولكنني لا أزال كبير الأمل بأن تتاح لي الفرصة لأداء واجبي
الوطني بكل ما أستطيع من جهود بفضل قيادتكم وتوجيهكم ولا يدخل لقلبي اليأس إخفاقي
بنيل ثقتكم فيما مضى ، وإني على يقين بأنني سوف أنتزعها انتزاعا رغم كل العقبات .

تطلبون مني أن أكتب إليكم بما أود أن أقول ، وليس لي ما أقوله ، إلا أنني بانتظار
أوامركم ، وستجدونني دائما ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته ومبادئه دون أن يكلف
الناس بسماع أنات نزاعه ، وكذلك زوجتي وسوف يكون كذلك اولادي إن شاء الله تعالى .

سلامي للسيد إسحق أفندي درويش والسيد راسم أفندي الخالدي .

١٤ ربيع الاول ١٣٦٥هـ

توقيع

عبد القادر الحسيني

(النص الحرفي لجواب سماحة المفتي الحاج امين الحسيني)

ايها الشهم المجاهد الباسل :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

فقد وصلني كتابك المؤرخ ١٤ ربيع الاول ١٣٦٥هـ فسررت به كثيرا ، وحمدت الله على
وصولك والعائلة الكريمة بالصحة والعافية إلى مصر ، وأرجو أن تعنى بصحتك ، وأن تعالج ما
ألم بك ، شفاك الله وعافاك .

ولقد أثر بي كتابك على إيجازه ، كلمات هن آيات بينات في الإيمان والإخلاص ، فهذا الإيمان العميق والإخلاص المتين والتضحية العظيمة ، التي تأكدتها فيك في كل موقف كانت سبب الثقة التامة فيك منذ القديم ، ثقة لم تتزعزع في أي وقت من الأوقات ، فكيف يخطر على بالك غير ذلك كما ورد في كتابك ولا يدخل لقلبي اليأس إخفاقي في نيل ثقتكم فيما مضى ، وإني على يقين بأنني سوف انتزعها انتزاعا رغم كل العقبات .

فانني أوكد لك بأنك لم تخفق فيما مضى ، ونلت الثقة التامة وفوق الثقة ، ومن يستحق الثقة كلها إن لم تستحقها أنت ، بعد طول جهادك وبسالتك وتفانيك في سبيل بلادك ، ولست في حاجة لانتزاعها ، فإله يعلم بما لك في قرارة نفسي من ثقة كافية ومحبة عظيمة .

ولا أدري ما الذي يجعلك تظن أنك أخفقت في نيل الثقة في الماضي ، ولعل ذلك حين كنت ترى تريثي أحيانا في تلبية بعض رغباتك في الإقدام والتضحية ، إن ذلك التريث ، وكل ما رأيت نحوه لم يكن لضعف ثقة ، وإنما كان لأنني كنت ولا أزال جد ضنين بك ، أعرف قيمتك ولا أود أن أفرط بك بسهولة ، كما يضمن الجوهري الخبير بالثمين من درره النادرة ، وكنت ولا أزال أرى من مصلحة القضية التي وقفنا جميعا حياتنا عليها ، أن اكبح بقدر الإمكان من جماح الجواد الكريم وأنهنه من اندفاع المقدام المستميت ، مدخرا إياه لموقف أكبر ، ولمأزق أخرج ، ولغاية أسمى لمصلحة القضية نفسها ، وسوف تثبت لك الايام أن ثقتي فيك كانت منذ القديم ثقة تامة وافية ، وإني كنت على حق في الضن بك وادخارك .

إنك مثل ابني أو أخي الصغير ، واعتقد أنك تشعر ما لك في قلبي من مكانة ، ولذلك تأكد أنني لا أكتب اليك بشكل (مراسم) ولكنها الحقيقة الخالصة والثقة الكاملة ، وأما قولك في كتابك ستجدونني دائما ذلك الجندي الذي يموت في سبيل أمته ومبادئه ، دون أن يكلف الناس سماع أنات نزاعه ، وكذلك زوجتي ، وسوف يكون كذلك اولادي فقد هزني هذا ودخلت صميم قلبي ، لأنها كلمة صادرة من قلب مؤمن مجاهد صادق . حفظك الله وصانك وزوجتك الباسلة وأولادك ، وجعل منك ومن آك قدوة سالحة ، وجمع شملنا بك قريبا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محمد امين الحسيني

٢٨ جمادى اولى سنة ١٣٦٥هـ

بعض الرسائل والخطابات العائلية

الرسالة الاولى من الشهيد الى زوجته بتاريخ ٢٧/١٢/١٩٤٧م

حبيبتى وجيهة

حبا خالصا وشوقا ابثه إليك وإلى الاولاد . أنا الآن بقرية صوريق وقربي مستعمرة اسمها كفر عتسيون ، وقد جن جنون اليهود لما علموا أن أتيت الى قريتها ، فأرسلوا لمستعمرتهم نجدة مكونة من ثمان وثلاثين سيارة كبيرة (تراك)، وثمانين سيارات صغيرة ، كلها رجال وعتاد وأسلحة ، وهم خائفون ومرتعبون ، سأنتقل غدا من هذه القرية لأقوم ببعض أعمال والله الموفق .

صحتي جيدة جدا والحمد لله ، وسلاحي كثير ، ورجالي اكثر ، وعتادي طيب ، كيف صحتك وصحة الاولاد ، سلامي لكم جميعا .

التوقيع

الرسالة الثانية بتاريخ ٤/١/١٩٤٨م

عزيزتي ، حبا وشوقا وبعد :- فأنا بصحة جيدة واعمالى سائرة على أحسن ما يمكن وأظنكم تقرؤون الأخبار بالجراند ، لقد أصبحت القدس الآن الجبهة الأولى ، شباب حي الشيخ جراح أسود . وكذلك شباب كل القدس ، بارك الله فيهم ، سنبدأ هجومنا الحقيقي بعد عشرة أيام على أكثر تقدير ، وربما بدأنا قبل ذلك إذا وصلتنا الذخائر .

كيف حالك واحوال الاولاد . أفضل لو تستطيعين إرجاع فيصل إلى بستان الاطفال أو إخراجه من المدرسة لأن ذلك أفضل حتى لا يضغط على عقله قبلاتي لك وللاولاد .

المحب المشتاق

توقيع

ذهبت قبل عدة أيام إلى عين سينيا وبقيت هناك ساعة . الكل يسلم عليك . هذا تاج الدين إلى جانبي يسلم عليك .

توقيع

يوجد بعض الذخيرة عندك في البيت الرجاء إرسالها مع عبد الله .

توقيع

الرسالة الثالثة : بتاريخ ١٢/٢/١٩٤٨

عزيزتي وجيهة

اكتب اليك وأنا متعب جدا ولكن الكتابة لك تمنعني وتحيني ، جئت من سوريا بعد أن تمت اجتماعات اللجنة العسكرية ، وقد كانت هذه الاجتماعات متعبة مضنية ولكنها كانت بصالحنا .. كل ما تسمعيه من أخبار سيئة عني كلها كذب فلا تصدقي ، حراستي قوية ولا أتجول إلا مع الحرس على أن المنطقة التي أتجول فيها هي داخل منطقة الحراسة . حراسنا في الشيخ جراح الان يحتلون سان هدريا وبيت اسرائيل .

اعمالنا الحربية أثرت في اليهود أثرا عميقا ، كما أنها قوت معنويات العرب . هذه الليلة سنقوم بعمل باهر وإن شاء الله ينجح ، وسيكون له أثر عميق . كنت مريضا بالانفلونزا اما الآن فصحتي جيدة والحمد لله .

سلامنا لجميع اخواننا الفلسطينيين . أقبل وجنات الأولاد وسأكتب لهم الحالة عندنا طيبة جدا سأكلمك بالتليفون والسلام .

التوقيع

الرسالة الرابعة ١٤/٣/١٩٤٨

عزيزتي ام موسى :

اكتب اليك بعد يوم متعب كله عمل متصل من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة التاسعة والنصف مساء وأظنه سيستمر الى ما بعد الواحدة .

انني اشتغل الليل والنهار ، ففي النهار أقوم بالأعمال الإدارية وأثناء الليل أقوم بترتيب الخطط العسكرية . هذا ودسائس بعض الذين يسمون أنفسهم مجاهدين تأخذ من وقتي قسطا وافرا ورغم هذا كله ، فإن الله سبحانه وتعالى يوفقني وينصرني وينصر إخواني المجاهدين كنت بالأمس وقبل الامس في الخليل ، وتوفقت بهذه الزيارة بشكل لم يكن احد ينتظره وهذا كله لصفاء النية وحسن القصد .

لقد كان هذا الشهر مليئا بالانتصارات والحوادث الجسام وأرجو من الله أن تستمر إلى أن ننال النصر الأخير الحاسم ، ونرفع عرق الزيتون الأخضر الذي رأيت بالنام .

وختاماً أهديك أشواقي وتحياتي وأقبل وجنات الأولاد وسلامي للجميع -

المخلص : توقيع

الرسالة الاخيرة مؤرخة في ٢ / ٤ / ١٩٤٨ اي قبيل استشهاده بستة ايام

اعزائي هيفاء وموسى وفيصل وغازي

قبلات حارة لكم جميعا كيف أحوالكم . لماذا لا تكتبون لي . أرجو ان تكونوا متحابين
وأولادا طيبين . لا تعذبوا أمكم . كما اني أرجو ان تكونوا مجتهدين بدروسكم وإذا نجحتم
بالمدرسة فسأشتري لكم بنادق ومسدسات حقيقية لتقتلوا بها اليهود وسأشتري لهيفاء ادوات
اسعاف لتضمد جراح المجاهدين سوف أراكم قريبا .. الله يرضى عليكم . عمو قاسم الريماوي
بسلم عليكم .

ابوكم المحب

التوقيع

بعض الرسائل العسكرية

الرسالة الاولى بعث بها الشهيد الى المفتي محمد أمين الحسيني وهي مؤرخة بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٤ ومما جاء فيها :-

- (وصلت البلاد منذ يومين وبدأت اتصالاتي وقيمت بما يأتي :
- ١ - ترتيب حرس قوي للقيادة .
 - ٢ - ترتيب قناصة حول المستعمرات .
 - ٣ - تنظيم الدفاع في القدس والقرى وترتيب الحرس الليلي .

الرسالة الثانية وتاريخها ١/١/١٩٤٨ قال فيها :

تسلمنا خطابكم الاخير وسنعمل حسب توصياتكم القيمة .

ثم اوجز الاعمال التي قام بها فقال :-

- ١ - أصبح دفاع القدس حسنا ، وقد تحول في بعض الأحيان إلى هجوم قوي معاكس .
- ٢ - رأينا أن الهجوم من داخل القدس لا بد منه ، لتقوية المعنويات ولإزالة بعض النقاط الخطرة ، مثل مستشفى الأمراض العقلية في الشيخ جراح ومستشفى هداسا والجامعة العبرية ، إذ يكمن الخطر فيها على الاتصال بالمدينة من الشمال والشرق .
- ٣ - سنقوم بهجوم هائل لا بد منه ، حالما تصلنا الذخائر والمتفجرات ، وستنخذ قضاء رام الله مركزا للحشد وعمليات الهجوم وقد انتقلنا اليه بالفعل .
- ٤ - نحن على اتصال بجميع المناطق ومع الاخ ابو علي (حسن سلامة) ونتخذ الاجراءات السريعة ، لتقوية الأسس التي أوجدناها في مختلف الأنحاء .
- ٥ - المعنويات قوية جدا ، وخاصة في المناطق التي حدثت فيها اشتباكات بين العرب واليهود .

الرسالة الثالثة مؤرخة في ١/٤/١٩٤٨

...إن اليهود ينقلون قواتهم من كل مكان الى القدس وان خسائر الهاجاناه جسيمة جدا ونحن نحاول قطع جميع طرق المواصلات اليهودية المؤدية إلى القدس ، وننتقل من مكان إلى آخر حسب الظروف ، ونتصل بالرجال المسؤولين . الإعداد نظام ثابت . وتركيز المسؤوليات في

مختلف المناطق وما زال هجومنا دفاعيا ، ارفع المعنويات وإزالة بعض نقاط يهودية خطيرة ، لا بد من إزالتها لتسهيل مهمة الدفاع ...)

الرسالة الرابعة ردا على رسالة من سماحة المفتي :- ومما جاء فيها :-
...قد أكملنا الأسس اللازمة لتنظيم قرية لفتا والقرى المجاورة لها ، وقد عينا السيد يحيى حمودة مسؤولا عنها .

٢ - نحن مهتمون جدا بمنطقة عين كارم وسننتقل إليها في القريب العاجل .

٣ - إن مسألة تأمين ا لدفاع عن القدس والقرى المحيطة بها هي شغلنا الشاغل وقد قطعنا شوطا في هذا السبيل .

٤ - نحن يقظون وحذرون ونحاول الاستفادة من مجهود كل فرد في سبيل المصلحة العامة .

٥ - نحتاج الى ميزانية لا تقل عن أربعة آلاف جنيه شهريا . فالرجاء تزويدنا بها

٦ - وصلنا عريف اللاسلكي وسيبدأ اعماله .

الرسالة الخامسة وتاريخها ١٢/١/١٩٤٨ ومما جاء فيها :-

١ - أنا مهتم جدا بدفاع القدس ، وقد أصبح قويا والقدس الآن ساحة حربية ، وأرفق لكم ما كتبته الصحف اليوم ، لتروا مقدار قوتنا الدفاعية والهجومية في حي الشيخ جراح وبيت صفافا وغيرها

٢ - أرسلوا لنا ما لا يقل عن ستة آلاف جنيه شهريا ، لنقوم بجميع الاعمال في القدس وغيرها ما عدا الشمال .

٣ - نحن بحاجة ماسة الى السلاح واكثر حاجة الى الذخائر .

تقرير عبد القادر الى اللواء اسماعيل صفوت في ٥/٤/١٩٤٨

سعادة القائد العام

تحية العروبة والجهاد وبعد :-

نرفق اليكم طيه البيانات التالية كي تشملوها بعين الرعاية والانتباه :

١ - كشف بأسماء ورتب الجنود النظاميين

٢ - بيان عن حالة منطقة القدس الحربية

٣ - ميزانية شهرية لنفقات كل سرية على حدة وميزانية شهرية عامة للمنطقة .

٤ - قائمة بما نحتاجه من أعتدة ومهمات حربية .

هذا ويسرني أن أعلمكم بأنني قد أدرجت في هذه القوائم المجاهدين المنخرطين في السرايا النظامية فقط وعددها تسع سرايا ، مع العلم بأن بعضها لم يتم بعد ، طبقاً للأصول لعجز الميزانية ولكن حالما يتسنى لنا التوسع في التنظيم ، فإن هذه السرايا وغيرها ستكون كاملة من جميع النواحي ، وإنني أبلغكم بأنه يوجد تحت إمرتي مسلحون في قرى لواء القدس المختلفة لا يقل عددهم عن ثلاثة آلاف مسلح لم أسجل أسماءهم في القوائم المرفقة ، إلا أنني أستخدمهم للنجادات والمرابطة كلما قضت الضرورة بذلك فأرجو ان تخصصوا شيئاً من النفقات لهم ..)

وتانق وصور

1-1

Ce laissez passer
contient 16 Pages.

يشتمل هذا الجواز على
١٦ صفحة

LAISSER - PASSER

جواز المرور

ROYAUME D'IRAK

المملكة العراقية

٧٥ - ٧٥

رقم الجواز
No. du
laissez-Passer

عبد القادر باقر الحسيني
ABDUL QADER QADHUM AL-

اسم حامله
Nom du
porteur

HUSAINI

اسم زوجته
Nom de sa
femme

عدد الاولاد
Nombre
d'enfants

فلسطينية
Palestinièe

الجنسية التي يدعي
بها حامله
Nationalité
déclarée

Valable pour un seul voyage نافذة لسفرة واحدة فقط خلال سنة واحدة
pendant la durée d'une année

صور عن صفحات جوازات السفر التي كان يتنقل بها الشهيد

التصوير الشخصي — PHOTOGRAPHIE

فممة وزومنة حامل الجواز PORTEUR



توقيع حامله أو بصمة إبهامه الأيمن
Signature du porteur ou
son empreinte digitale.



اوصاف — SIGNALEMENT

فممة وزومنة حامل الجواز PORTEUR

المهنة: موظف حكومي في وزارة الداخلية Profession

محل الولادة وتاريخ الميلاد: فلسطين 1927 Lieu et date de naissance

على الإقامة الدائمة في القدس Domicile

الطول: 1.65 m / 5'5" Taille

لون العينين: بني Couleur des yeux

لون الشعر: بني Couleur des cheveux

الملاحظات الخاصة: لا توجد ملحوظات Particularités

الأولاد: لا يوجد Enfants

الجنس: ذكر Sexe

العمر: 35 Age

الاسم: فوزان Nom

- 1
- 2
- 3
- 4
- 5

2

DESCRIPTION.
أوصاف حامل البصيرة
SIGNALEMENT.

There is no uniform stamp and no official stamp issued in any school in Palestine

فلسطين

No. 18

اللازمية
محتاج البصيرة

File
No. 18
18/18

18/18
18/18
18/18

Profession }
Student
Profession }
العلمية

Place and date of birth }
Jerusalem 1903
القدس 1903

Entry of date of admission }
1903
1903

Demerits }
Jerusalem
القدس

Height }
167 cm
167 سم

Colour of eye }
Brown
بني

Colour of hair }
Black
أسود

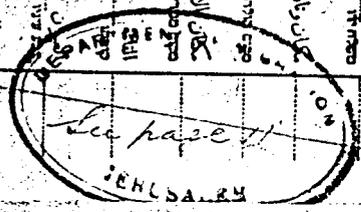
Special peculiarities }
None
لا يوجد

Name
Non-CM
الاسم
Non CM

Age
Apr 25
العمر
Apr 25

Issue
1927
صدر
1927

CHILDREN
الأولاد
ENFANTS



PHOTOGRAPH OF BEARER



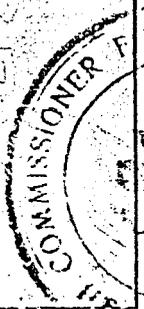
صورة حامل البصيرة

PALESTINE

WIFE
FEMME
الزوجة
نساء

EXEMPTED FROM PHOTOGRAPH

(photo)
على حامل البصيرة
تصويره



JERUSALEM

VISAS

CONSULAT ROYAL D'EGYPTE
à Jerusalem

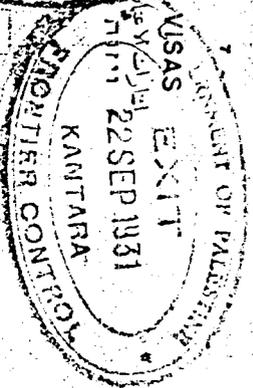
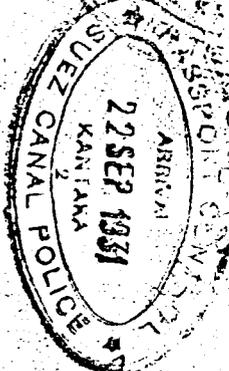
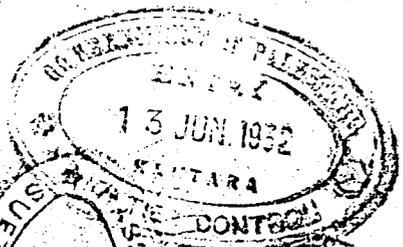
Visa d'entrée
N° 3495 Date 21 SEP. 1931

Durée de validité trois mois

Validité pour tous les voyages effectués pendant la durée de la validité

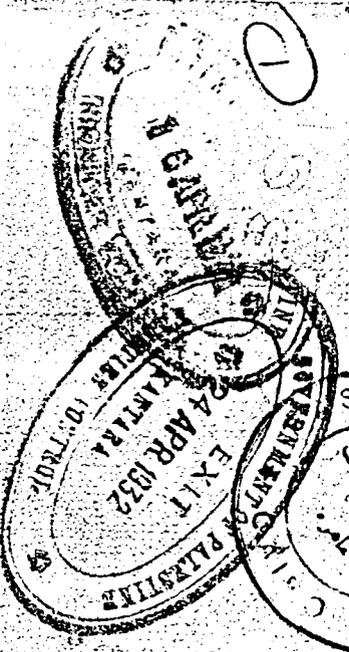
Droits perçus 400 Mils

Le Consul
[Signature]



Reported

vises 229.32



NAK
 Contrôle des Passagers
 29 JAN 1932
 ARRIVE

REPUBLIC OF PALESTINE
 ENTRY
 24 APR 1932
 KANTARA
 PASSPORT CONTROL
 CANAL POLICE

DEPART
 3 FEB 1932
 ARRIVE

M. Abdul Kader Kozani
 Amman

VISAS

258

V. d. C. DEPART. Consulat de France
 à Jérusalem. Bon pour sa rentrée

en France

V. S. V. d. C. JERUSALEM

Quit. N. 63108

At. 29 03 35

FRANC-OR

PARQUE: *[Signature]*

Jerusalem, le 10 Mars 1932

Pr. le Consul Général de France



VISAS
البيانات
مصر

VISAS
سجور اوتوريسد
مصر
Egypte

limite à mois

ROYAUME ROYAL D'EGYPTE
à Jérusalem

Visa d'entrée
de transit 8033

Date 3 DEC 1935

Durée de validité mois

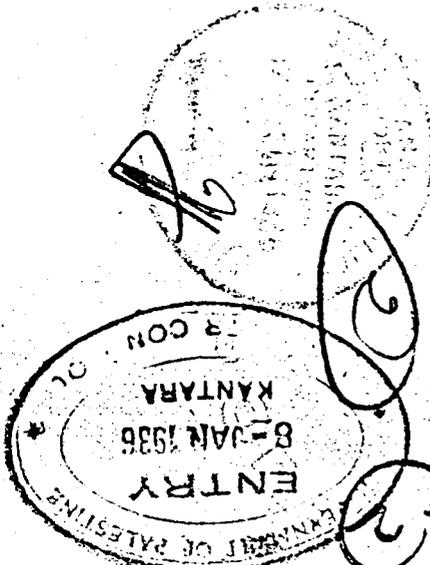
pour un seul voyage

Validité pour tous les voyages effectués pendant la durée de la validité

Droits perçus

Le Consul

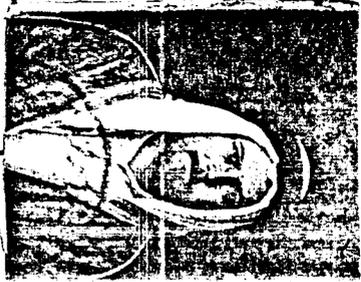
[Signature]



مكتب التسجيل
بمبنى السفارة
بجدة

١٤٩٦٥٧

الرقم ٦
هو تذكرة سفر واحدة بقيمة ٣٠ قرصاً سعودياً



OFFICE OF THE
SECRETARY
GENERAL
OF THE
ROYAL
AIR FORCE

الرقم	١٤٩٦٥٧	اللقب	عبد العزيز بن عبد الرحمن
الاسم	عبد العزيز	الكنية	بن عبد الرحمن
الجنسية	السعودية	الديانة	الإسلام
اللون	اللون	لون العين	اللون
العلامات الفارقة	العلامات الفارقة	الاصناف	الاصناف

قد ترخص له السفر الى مصر ^{بمصر} طال من جميع
البلدات المختصة في البلاد الاخرى أن يذبحوا حرية المرور

مأمور فرم الجوازات بمده

Handwritten signature

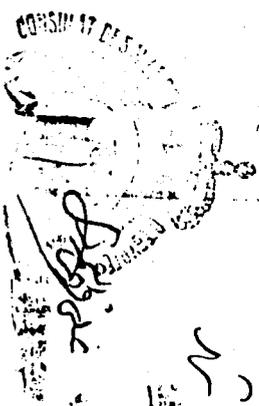
PORT CONTROL OFFICE
SUHAYB
25 FEB. 1946
SENGHUN VISA
to be used for Egypt before
D.O.

ان حصول هذه التذكرة من الشبية
موظفي المملكة العربية السعودية كما أنها تزج من الس
طلبه اللذ كوزع اجراء كل التسهيلات الممكنة لسفرو

PORT CONTROL OFFICE
SUHAYB
25 FEB. 1946

صدرت في هجرتهم

Handwritten notes and signatures



Handwritten signatures and notes

١٤١١ هـ
١١/١١/١٤١١

Handwritten signature

نظير الدين الأودي
١٤١١ هـ
١١/١١/١٤١١

Handwritten signature

١٤١١ هـ

١١-١١-٤٦

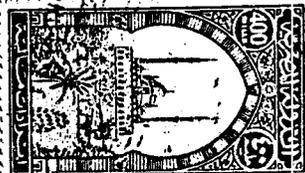
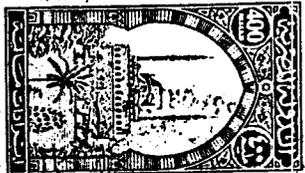
١١/١١/٤٦

Handwritten signature

٢٣-١١-٤٦

١١-١١-٤٦

Handwritten signature



R-24617

رسول كمال بنجلون صرة واحدة

بنجلون كريمة الله في الدنيا

1947/10

مستطاب

ج. 24617

وزارة الداخلية

إدارة الجزائر والخطوط

في الجزائر

1947 M/10

1947/10/10

مستطاب وبنجلون كريمة الله في الدنيا

مستطاب

بنجلون كريمة الله في الدنيا

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

1947/10/10
مستطاب
بنجلون كريمة الله في الدنيا

1947



التوضيحات اللبنانية

في ممر :
سنة ١٩٦٤

رقم ٦٧٥

تروء هذا الجواز واذا لساخه

بالعزل الك ايطال

بيل بيهه السنة المدة ١٩٦٧
الاطمينة في ١٧ أكتوبر ١٩٦٧
على الوزير اللوزة



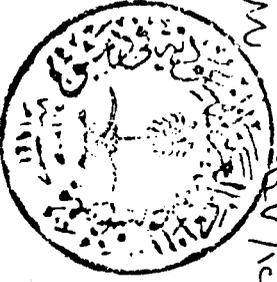
8

الجمهورية اللبنانية
 REPUBLIC OF LEBANON
 وزارة الخارجية
 Le Ministère des Affaires
 étrangères
 بيروت - لبنان
 Beirut - Lebanon

مخبرية المحكمة الدستورية في سورية
التعبئة التمهيلية

رقم ٢٧/١١

المراسلة رقم ١٤٧/١٤١
بالتفصيل للمهام



رقم ٢٧/١١
المراسلة رقم ١٤٧/١٤١

الجمهورية اللبنانية
REPUBLIQUE LIBANAISE
Sûreté Générale
de Beyrouth
الأمين العام
مدير
تمديد لائحة

Beirouth, le 11/11/1943
Le Chef des Services

التفصيلية الملكية العمومية العامة بدوخت

رقم: ٧٠٧ / ١٤٠٧ / ١٤٠٧

موضوع: رزقها ٧٠٧ / ١٤٠٧ / ١٤٠٧

المصنف: السيد محمد بن عبد الله

المصنف: السيد محمد بن عبد الله

عدد الاجل: ١ سنة

رقم العمل: ١٤٠٧ / ٧٠٧

التوقيع: محمد بن عبد الله



Handwritten signature or stamp at the bottom right.

Handwritten signature or stamp at the bottom right.

SECRET

Handwritten signature or stamp at the bottom right.

Handwritten signature or stamp at the bottom right.

Le Chef du Service

Handwritten signature or stamp at the bottom left.

Handwritten signature or stamp at the bottom left.

PHOTOGRAPH OF LICENSEE
TO BE SECURELY PASTED
HERE

3548 عبد الحسين الفهدى



Signature of Licensee

L. 71

GOVERNMENT OF PALESTINE.

حكومة فلسطين

DRIVER'S LICENCE PRIVATE/
MOTOR CAR.

رخصة سائق سيارة شخصية

Received from **ABDUL B. 2628**

استلم من **ABDUL B. 2628**

A. HUSSEIN SURVEY. DEPT. TAHERA.

the sum of **750** mils/دولار

for the period **25.9.56**

مبلغ **750** دولار

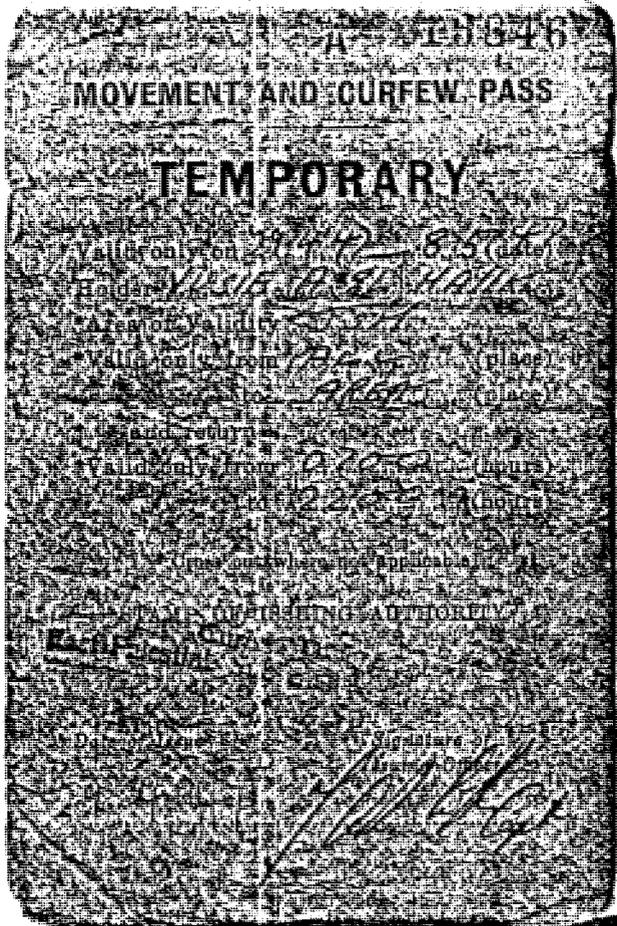
Original / Renewal of license S. No. **11980**

office date stamp



Signature of Issuing Officer
Sub-Accountant
Expired on 25.9.56 collected

رخصة سوق حصل عليها الشهيد من حكومة فلسطين



Rec. No. 14

Reg. No. 220

This is to Certify that

GOOD FOR
Abdul Dir Husayni
20 JAN 1927

having duly registered is hereby admitted as an inside student without board
SECOND TERM inside student with board

in the Lib. Freshman School,

Date 1928 AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
BEIRUT, SYRIA.

ظريافية هوانك (بي) موصلح
١٥٤١
(الترتيب رقم ٢ وخيارات ١٠٠٠٠)

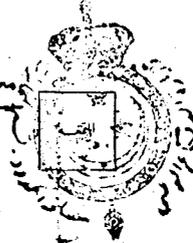
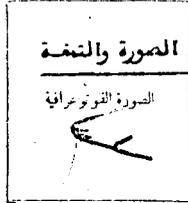
وزارة الدفاع الوطني

سلاح الحدود الملكي

قسم المخابرات

رقم الملف ١١/٢٩

رقم التصريح ٤٨٨٧



تصريح لزيارة المنطقة المنوعة

الاسم بالكامل حضرة عبدالقادر سليم ومعه اربعة اشخاص اخرين

العنوان

الجنسية

السن

الصناعة أو المهنة

المحلات المرعوب في زيارتها

تاريخ الزيارة من تاريخ

مدة الزيارة اسبوعان

الغرض من الزيارة مطلوسون لمقابلة صاحب المصنعة محافظ سيناء بالعريش

رقم جواز السفر (اذا وجد)

طراز ورقم السيارة المسبارة رقم ١٥٤٤ قلمية بك اب

ملاحظات :

امضاء
مدير عام سلاح الحدود الملكي

الجهة كبرى القبة
التاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٠

تصريح مرور لمقابلة محافظ سيناء بالعريش

مسيبي و صبري

مباخلة و حقاً دينة بالبر و لانه الأوداد . أنا الأوداد

بقراء صورته و قرني مسخرة بحدود اسها كقرت مسخرة
و قد منه صورة انهدد لانا انا اتي أنتت ايجها راك شربها
فأرسلوا لسفرهم نجدة مأدقة مع نهانية و ملائمة بيارة
كبيرة "أزال" و لها سياراة صغيرة كل ريان و حناد
و أسامة . و هم فائقه و مرفوعة . أنتتلا رامة
حمة البرة لا تقوم بيقية أنبال و باله ندر نصه .
صميا هبة جدا و الحمد لله و سمدى كثير و رجالي
الشر و حناد . طلب . كيف صمكلا و صورة الأوداد
سلايم لكم بيهما ،

١٩٤٧ / ١٠ / ٢٧

عبدالله

١٩٤٧ / ١١ / ١٧

غزوي و صبري

استلمت قبل ربيع اية رسالتك الأقيمة و هي
خالدة التاريخ نقرمت بها جدا . لقد لبنت لك الأوداد
الرسالة تنافر و الطرحة و ستصلا و ريبها . لقد سررت
بها بأخبار الاطلاق كما أنتي سررت بأخبار هبة من
كمال فاني أحبهم الا أحب الأوداد . لانا لم تكتب
فيها لي . كنت أود أن يستريح في السعد
بذلك . لانه و الله بولهاى البر و امره ما به بتدل
و رسالتك الأقيمة أنبلد نبات الصغار و أودادهم

من رسائل الشهيد الى عائلته

١١٤٨/٤/١٦

عزیزو نمازی

کین مالک و اموال اکمل و رفعتک اینه
شاد و نگو تو به بنیر میلای کله و یلاضرتک
و دم لایک اکمل

عزیزو

١١٤٨/٤/١٦

عزیزو مویه

کین مالک ائت و لافنتک . ارمو آه تکر ترا
بمعا یه مویه و آه تطییر اناکم و بجهته و ایا لسه
آبک و بناتک و آرمی کملک

ایول اکمل

عزیزو

عمر زكي أم موسى

أكتب إليك بعد يوم منبغلة عمل متصل - الساعة الثامنة
سبباً ما زال الساعة التاسعة والنصف ماء وأقله سيستمرك إلى ما بعد
العامدة.
وتنني أشغل الليل والنهار - ففي النهار أقدم بالأعمال الإدارية
وآثناء الليل أقدم بتزيين الأطلال العنبرية هذا ودساشي بعني،
الذي سمعته أنفسهم بما حديته تأمدهم وقتي فطناً وقرأ ورغم
هذا أكله ما - الله سبحانه وتعالى يوفقني وينصرني وينصر أمتي
المجاوية.
كنت بالأمر وميل الأمر في الليل وتوفقت بهته الزيارة
بشكل لم يكن أمه ينتظره. وهذا كله لصفاً النبي وصحة العقيدة.
لقد كان هذا الشهر هجلاً بالانتصارات والكوارث الجسام و
أرجوه الله أنه يستمر إلى أنه تنال النصر الأثير الحاسم
وترفع عرشه الزينة الأوفر الذور آتية بالتمام.
وفشاً ما أحمد لك أسوأ أي صفيان وأقبل وحيات
الاولاد وسلاماً للجميع

المخلص،
١٩٤٨/٤/١٤
ع

سبى الجماعه العم المصترم

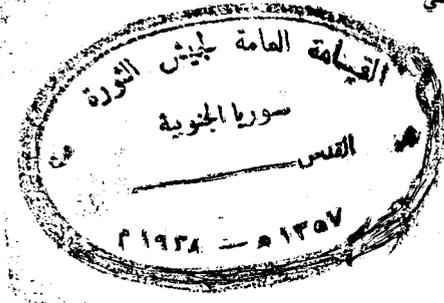
السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد سررت
 برسالتكم اعظم سرور وكانت لي اعظم متبوع . تذكره
 بتدبيركم لتصلنا مشافه الغزبة والسجود وهذا التقدير
 هو وسام عظيم الشان اناله من زعميس وقاصدي رلا
 اني اشعر تام الشعور انه اثر ما اسمه وانا
 شخصيا اشعر بالحمد الله على ما فعلت ~~ه~~ صغرا ما
 فعلت في ديد عظيم ما قام به انما في - شباب الازم الاوى
 الذي لا اى هم ما سيزهم عمه اى شانه عدي . ولكني
 لا ازال فخير الامل بان تنال لي العرض يداد واجبي
 الوطن بكل ما استطع من جهود بفضل قيادتكم وتوجهكم
 ولا يد على قلبى الياس افعالي بسبل تعلم فيما مضى
 و اننى على يقين بانى سوف انجزها انزاعا رغم كل العقبات
 المطلوبة من ا. التيب نام يا ادد ا. امد
 وليس لي ما اقوله الا انى بانتظار اوامركم وسجودى
 دائما ذالك الجندى الذي يموت في سبيل امته ومبادئه
 دونه انه يكلن الناس بساع امانت مزاعه وكذلك
 نردبني وسوف يكونه كذلك ادلاى انشا الله تعالى
 سيدى سيد احمد اهدى دروشر واسيد ~~الاسلمى~~
 سيد محمد

صورة زنكوغرافية لرسالة القائد الشهيد عبدالقادر الحسيني الى السيد محمد امين الحسيني

ايها الشهم ايها الهاديا
 اسلمكم عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد وصلني كتابك الموعود (البرهان الموعود)
 فسرته بكثرة . وحدثت به عن وصلك والعلامة الكبرى بآية الله والعلامة المظهر
 واربعون سنة بعدك . وان تطالع ما كان الم ملك . شكرا لله وانا لك .
 ولقد اترقي في كتابك عن ايجازة كلمات هذه آيات بيانات الايمان والوفاء
 فبدا الايمان المسمى ، والاعتماد المسمى ، والتسمية العظيمة التي تارة تاتي في كل وقت
 كانت صفة الشفة العانة فيك منذ القديم ، ثقة لم تترزع في وقت بل اوقات
 فكيف تغير على ما كان فيك بغير ذلك كما ورد في كتابك : (ولا يدخل عليه الياس اضافة
 تيلي تتكلم فيما مضى ، وان من يدين بانى سرف لتزولا انترما رحم كوالعقبات)
 قافله وكرمت بانها لم تكلم فيما مضى ، وعند الشفة العانة وفوق الشفة ، وفي التسمية
 كما ان لم تستعمل انت ، بعد طرس جهارك ، رس نك ، ونباهة في سبل يدرك ،
 ولست في حارة لا تراها ، فانه يعلم بان في قرارة نفسى من ثقة واقية ، وفي خطبة
 وروايتي ما انى يجبك نظر انك حديث في الشفة في ارضي . ولعل ذلك حديثك
 ترجمناه حيث سلب وجاهة في اوقاتك ^{التي} . ان ذلك الترتيب ، وكل ما وجد في قوله
 بين نصف ثقة ، وما كان لاني كنت ولا انزال جده حين بك . اعرف فيك
 ولما ورد ان اقول بك بسرك ، كما في الجوهري وغيره ، بالعين من ورد في اشارة
 وكنت ولا زال اريد به صفة الثقة التي وقفنا فيها ميانا مبالا . ان ايج نبذ الاكلان
 من جوامع الجواهر الجرم ، وانته من اذراع القدم الميت ، مدحرا اياه . فوفقا كبره وانته
 اخرج ، ولغاية اسر لهنا ثقة شرا . ولعل في ذلك ايام . ان تفتي فيك كانت
 منذ القديم ثقة تامة واقية . وان كنت عن عهد الفتن بك ^{في}
 انه تولى ، او ارضي المبرك ، وانما فيك ثقة تامة من ايامه في قلبه من ايامه ، ولقد
 نال في ذلك اية شكل يراسم ، وكما في حيفه القاصد ، ولست في العانة .
 وان قومت في كتابك لا تتعدى وانما ذلك الذي الذي كبرت وسيلته وبادنه ووزن
 ان كلفنا ان سراج امانات شام ، ولقد في حزين ، وسرف يكون كذبت اهلدي . فقد هزمتي
 هرا وفتت حيرتي لوما كلمة صادرة من قلبك من هذا صوره . صلف الله وجاهه
 وزوجك العانة والابدوك . ومن يله وبعث ادم فدره حافة ، ومن تناسلت
 قريبا ، واسلمكم بعت ورحمتك .

صورة زكوغرافية للرسالة الجوابية للسيد محمد امين الحسيني عن رسالة القائد الشهيد عبدالقادر الحسيني

الخاتم الذي استعملته قيادة الشهيد عبدالقادر الحسيني



القيادة العامة لجيش الثورة

سوريا الجنوبية

القدس

١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م

منظمة الجهاد المتمس

القيادة العامة

القدس

التقط في ٦/٤/٤٨ ٩

مذكره

الميدانية العام بجامعة الدول العربية
القاهرة

اني احملكم المسؤولية بعد ان
تركتم جنودك في اوج انتصاراتهم بدون
عون او سلاح
محمد القادر الحسيني

المذكرة التي ارسلها الشهيد الى الجامعة العربية يوم ٦ نيسان ١٩٤٨



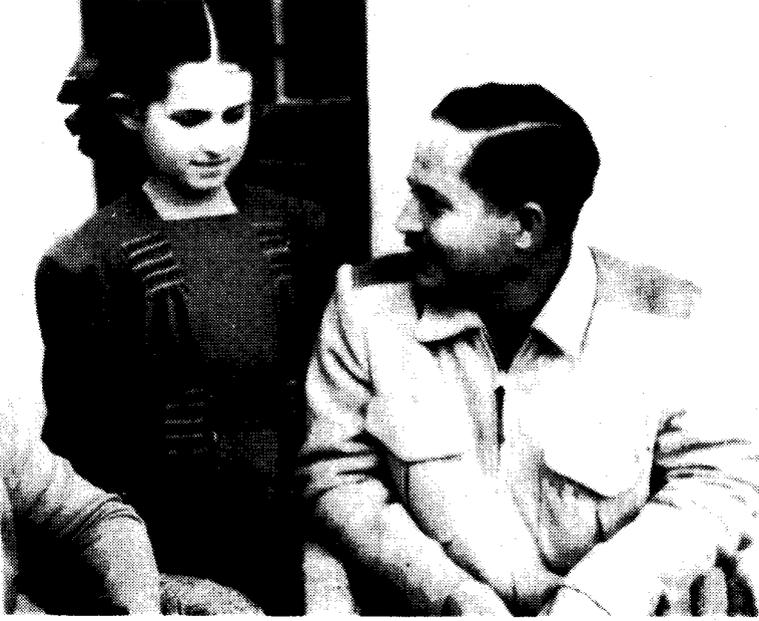
القائد الشهيد عبدالقادر الحسيني



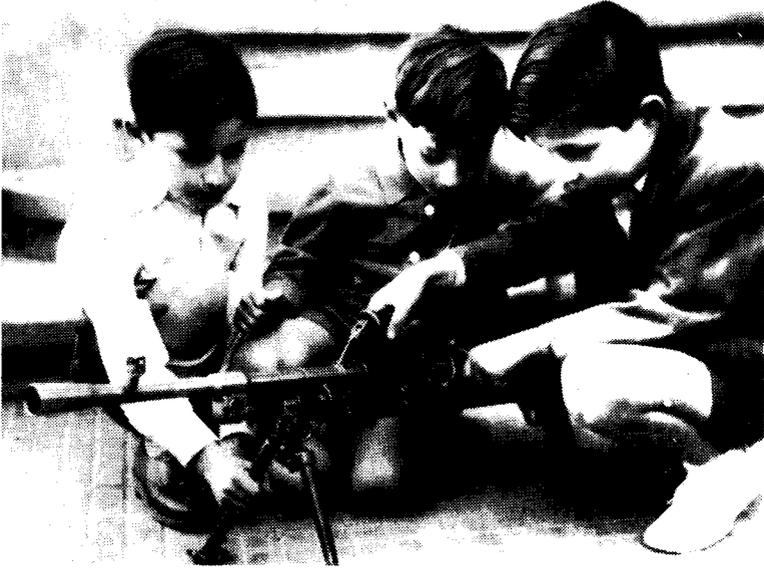
الشهيد
عبد القادر الحسيني
في عنفوان شبابه



صورة تذكارية
للشهيد وعروسه
يوم زفافه



صورة نادرة للشهيد عبدالقادر الحسيني مع ابنته هيفاء



ابناء الشهيد: موسى وفيصل وغازي يتدربون على استعمال السلاح



الشهيد الى اليسار ومعه المرحوم قاسم الريماوي و ابو علي خليل وآخرون



عبدالقادر مع احد المجاهدين في جبال الخليل



القائد الشهيد مع المجاهدين عام ١٩٣٦



القائد في اريحا والى جانبه احد المجاهدين



القائد والنوار
في البراري والقفار
عام ١٩٣٦



محاكمة ميدانية
لأحد
الجواسيس



الشهيد عبد القادر الحسيني على سرير الشفاء بعد اصابته في معركة الخضر



داخل المعتقل في العراق (العمارة) سنة ١٩٤١



عبد القادر وراء القضبان
في المعتقل ببغداد



عبد القادر داخل المعتقل في العراق بعد ثورة رشيد عالي الكيلاني



صورة للشهيد قبل استشهاده بفترة قصيرة

عبد القادر الحسيني في ذمة الله



شيد فلسطين والمسلم العربي المغفور له عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس ، وهو الظاهر في وسط الصورة بلباس المهاد

اذاع راديو القدس في نشرته مساء أمس النبأ الايم التالي :

نمت الهيئة الرئيسية في القدس اليوم المهاد العربي الفلسطيني عبد القادر الحسيني الذي استشهد اليوم متأزماً من جراح أصيب بها وهو يقوم بتأدية واجبه المقدس على آتم مايقوم به المهاد المخلص البار . وقد أحضر جثمان انقيد الى القدس وستشيع جنازته عند الساعة العاشرة والنصف قبل ظهر غد (الجمعة) من بيت شقيقه في باب الساهرة ويدفن الجثمان بالمحرم الشريف بالقرب من المغفور له والده موسى كاظم باشا الحسيني . رحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته مع الابرار الشهداء الصالحين .

عدد ١٠٠٠٠
العدد ١٠٠٠٠
العدد ١٠٠٠٠
العدد ١٠٠٠٠

الفتوحات

الجمعة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

تخلوا عن الصهيونية أو تحفكم محققا
صدت لوزي القاوقجي مع رسائل بريكاف

استمراد القائد عبد القادر الحسيني في معركة القسطل اس

المرتب دون القسطل ضد معركة كبرى بالبلاح الابيض - مدام عيار ٧٥ تقصف تحصينات اليهود
شروط القاوقجي القاوقجي بوشوم اليهودي مستمرة - مشارها حركت - بريطانيا تطلب المزال دون نسب العرب له فلسطين

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

تدهور قنصل المالك في اليونان

تجاه ملك اليونان من المرات بالهجرة
احتطاط ٣٠ وانا واعدام ثلاثة

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

القائد عبد القادر الحسيني مع جنوده في معركة القسطل

الهيئة العربية تمني القتل الفعالي

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

في ذمة الله
القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

القصف على اللاجئين زعميا في البحر

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

لماذا تهملون اسبانيا في التيلي؟

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

اتجاه الانتخبات في ايطاليا

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

حفلة كبرى بمناسبة اعياد اليهود

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

فواصرونا

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠

مكافأة الفود الشيوعي في اوروم

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠



القراع جديد ترميم وزارة الاعمال

القدس المحتلة
١٩٤٤
٣٠ مايو ١٩٤٤
عدد ١٠٠٠٠





رفاق السلاح يشيعون
جنازة الشهيد في حمى المقدسات



جنازة الشهيد وجموع المشيعين

الخاتمة

وبعد :-

ها قد انتهت هذه السيرة العطرة ، سيرة القائد العربي الشهيد عبد القادر الحسيني وما زالت روحه ترفرف حول الأقصى وتطوف بالصخرة المشرفة ، وما زال دمه الزكي يسيل في بطاح القسطل وشعابها هاتفا :-

« يا من يحطم أغلال الأقصى ويمسح الحزن من على مآذن ومساجد وكنائس حاضرة الانبياء
يا من يحرر فلسطين الأم .

يا من يزرع الراية العربية فوق قمة جبل القسطل
يا من يعيد البسمة إلى ثغور الأطفال ويبعث الفرحة في قلوب الثكالى
يا من يضمد الجراح التي ما زالت تنزدهما يعربيا »

حسبك من المجد أيها القائد ...

فقد عشت مؤمنا مخلصا وفيا ،

وجاهدت عربيا حرا أيبا ،

واستشهدت قائدا مغوارا ،

فانعم في جنة الفردوس بصحبة الأنبياء والصديقين .

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يزرقون)

ولا يسعني إلا أن أقدم الثناء الجميل ومزيد التقدير والعرفان ، لكل من ساهم في تدوين هذه السيرة العطرة ، وأخص بالذكر اخي الدكتور موسى عبد القادر الحسيني الذي كانت له اليد الطولى في المساهمة ..

عيسى محسن

مراجع البحث

المراجع العربية

- احمد طرين - الوحدة العربية / القاهرة
احمد طرين - محاضرات في تاريخ فلسطين القاهرة ١٩٥٨م
احمد فراج طايح - صفحات مطوية عن فلسطين
اسمى طوبي - عبير ومجد
اكرم زعيتر - القضية الفلسطينية - دار المعارف بمصر
اميل توما - جذور القضية الفلسطينية / الناصرة
اميل توما - ستون عاما على الحركة القومية العربية / عكا ١٩٨٣
اميل الغوري - اظهار حقائق وتفنيذ اباطيل / عمان ١٩٧٤
امين سعيد - الدولة العربية المتحدة
امين ابو الشعر - مجاهد من ابوديس عمان ١٩٧٥
بسام ابو غزالة - الجذور الارهابية لحزب حيروت - مركز الابحاث
بهجت صبري / فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى
توفيق علي البرو - العرب والترك في عهد الدستور العثماني
حمدان بدر - تاريخ منظمة الهاغاناه في فلسطين - بيروت
خليل البديري - ستون عاما مع الحركة الوطنية منشورات صلاح الدين / القدس ١٩٨٢م
د. زاهية قدوره / تاريخ العرب الحديث / دار النهضة العربية / بيروت ١٩٧٥م
زكريا هاشم - اميركا تتخلص من اليهود / القاهرة ١٩٧٥
شفيق ارشيدات - فلسطين تاريخا وعبرة ومصيرا ١٩٦٢
صالح بو يصير - جهاد شعب فلسطين / دار الفتح - بيروت ١٩٦٨
صالح صائب الجبوري - لجنة فلسطين واسرارها العسكرية
صبري جريس - تاريخ الصهيونية بيروت ١٩٧٧م
صبحي ياسين - الثورة العربية الكبرى
عارف العارف - النكبة
عبدالله التل - كارثة فلسطين
عبد الوهاب الكياي - تاريخ فلسطين الحديث بيروت - ١٩٧٠
عز الدين فودة - الصراع الدولي حول فلسطين / مجلة معهد
البحوث والدراسات العربية ١٩٦٩م
د. عمر عبدالعزيز - تاريخ العرب الحديث والمعاصر

- عيسى السفري - فلسطين بين الانتداب والصهيونية القدس ١٩٣٧
- قاسم الريماوي - مخطوط حياة عبد القادر الحسيني ١٩٥٠
- كامل محمود خلة - فلسطين والانتداب البريطاني مركز الابحاث ١٩٧٤
- محمد عزة دروزة - القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها صيدا ١٩٥٩ م
- محمد عزة دروزة - حول الحركة العربية الحديثة
- محمد عزة دروزة - فلسطين وجهاد شعب فلسطين
- محمد علي الطاهر - نظرات الشورى ١٩٣٢ القاهرة
- محمد علي الطاهر - اوراق مجموعة - القاهرة
- محمد علي الطاهر - ها كسبت القاهرة ١٩٤٩ م
- محمد مهدي - محاضرات في الدراسات الفلسطينية / منشورات البيادر - القدس
- محمد حسين هيكل - القضية الفلسطينية / نقد وتحليل
- الحاج محمد امين الحسيني - حقائق عن فلسطين - تصريحات واحاديث القاهرة ١٩٥٧
- محمد الشاعر - الحرب الفدائية في فلسطين بيروت
- محمد فايز القصرى - حرب فلسطين دمشق ١٩٦٢ م
- مهدي عبدالهادي - المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية المكتبة العصرية - صيدا
- ناجي علوش - المقاومة الفلسطينية في مختلف مراحلها بيروت ١٩٧٠
- ناصر الدين النشاشيبي - تذكرة عودة
- ناصر الدين النشاشيبي - ماذا جرى في الشرق الاوسط
- نبيل خالد الاغا - قضية فلسطين في سيرة بطل
- وديع البستاني - الانتداب باطل ومحال
- يوسف هيكل - القضية الفلسطينية
- يوسف الخطيب - المذكرة الفلسطينية ١٩٧٦
- د. يوسف عمرو - محاضرة / جامعة الخليل - ١٩٧٩ م
- ابطال العرب رقم ١٠ - دار العودة - بيروت
- القدس تاريخ وصور - مطابع الكرمل - بيروت
- حياة عبد القادر الحسيني - مخطوط - نخبة من المخلصين لمبادئه.
- كتيب مأساة فلسطين - بيروت
- رسالة سامي الحسيني
- رسالة علي الحسيني
- رسالة عبدالله يوسف عمر
- رسالة صالح الريماوي
- رسالة مصطفى الطاهر

رسائل من مجاهدين كرام

جريدة الاهرام - اول ١٩٤٨، ١٦/٢/١٩٤٨، ٩ نيسان ١٩٤٨، ٢٣/٢/١٩٤٨.

جريدة البلاد - تشرين ثان ١٩٤٧

جريدة الاساس - ١٨/٢/١٩٤٨، ٢٣/٣/١٩٤٨

جريدة الايام السودانية - ١٥ نيسان ١٩٤٨

جريدة الجمهورية - بغداد ٨ نيسان ١٩٤٨ العدد ١٠٤

جريدة الدفاع الاردنية - كانون ثان ١٩٤٨ العدد ٣٨٥٩، ٩ نيسان ١٩٤٨

جريدة الدستور الاردنية - ٨/٤/١٩٧٠ العدد ١٠٧٥

جريدة الزمان - ٢٤/٢/١٩٤٨

جريدة السجل المصرية - ١١ حزيران ١٩٤٨

جريدة الشرق اللبنانية

جريدة الشرق السورية ٢٢/٢/١٩٤٨، نيسان ١٩٤٨، ١٠/٣/١٩٤٨، ٢٣/٣/١٩٤٨

جريدة الصحفي الاردنية - ١٤ نيسان ١٩٦٤ العدد ٨

جريدة العرب - ايار ١٩٤٨

جريدة فلسطين - ٦ حزيران ١٩١٧، ١٠ نيسان ١٩٤٨

جريدة الكرمل - ٢٥ تموز ١٩١٣، ١٢ حزيران ١٩١٤م

جريدة لواء الاستقلال - بغداد - ١٠ نيسان ١٩٤٨

جريدة المصري - ١٠ نيسان ٤٨، ١١ نيسان ٤٨، ٢٥/٢/١٩٤٨، ٢٢/٢/١٩٤٨

جريدة مصر الفتاة - ١٧/٥/١٩٤٨ العدد ١٥٩

جريدة المقطم - ١/١/١٩٤٨

جريدة النداء المصرية - ١٦/١/١٩٤٨

جريدة الواجبات الدينية بغداد - ١٢/٥/١٩٤٨

شؤون فلسطينية - ٢٠ نيسان ١٩٧٣، ٢٣ تموز ١٩٧٣، ٢١ ايار ١٩٧٣.

نشرة فلسطين - ١٩٧٤ العدد ٦٤

تقرير طه الهاشمي تموز ١٩٤٨ رقم ٥١٠٧

تقرير اللجنة الملكية سنة ١٩٣٧ و ١٩٣٨

تقرير الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٥

مجلة تاريخ العرب والعالم - د. العقيد ياسين سويد

مجلة الحوادث اللبنانية - ١٩٧٢ العدد ٨٧

مجلة الدعوة - شباط ١٩٨٢ العدد ٨٣٢

مجلة العربي - ١٩٨٣ العدد ٢٩٠، كانون ثان ١٩٨٢ العدد ٢٨٧، كانون ثان ١٩٨٣ العدد

٢٩٠، يناير ١٩٨٢ عدد ممتاز، ابريل ١٩٦١ العدد ٢٩

مجلة فلسطين - نيسان ١٩٦٣ العدد ٢٦، ايار ١٩٧٣ العدد ١٤٦
ايلول ١٩٧٣ عن صحيفة الجامعة العربية ١٩٢٧ القدس تشرين ثان ١٩٧٣، ايار ١٩٧٥
العدد ١٢٠
مجلة المصور المصرية - ١٦ نيسان ١٩٤٨
مجلة النصر آب ١٩٦٨ العدد ٣٥٤

المراجع الأجنبية

مترجمة

- أ.س. والدشتين - فلسطين العصرية
اسحق بن تسفى - الحارس تل ابيب ١٩٥٧
اسحق تساديه - ماذا جدد البالمخ - تل ابيب
اريه الياف - اهداف اسرائيلية جديدة
افرايم ديكل - قضايا المخابرات تل ابيب ١٩٧٢
اورى بيرنو - البالمخ .. مقاتلوه وعملياته تل ابيب ١٩٦٨
اورى ميلشتاين - بالدم والنار يهوذا تل ابيب ١٩٧٢
اليميلخ افنير - الهاغاناه تل ابيب ١٩٥٦
بيرتس ميرجاب - الحركة العمالية في فلسطين
برخا حفسا - كتاب الهجرة الثانية تل ابيب ١٩٤٧
ب. بن ابراهام - النضال من اجل جيش عبري تل ابيب ١٩٤٦
برنارد لويس - العرب في التاريخ
جورج انطونوس - يقظة العرب تعريب علي حيدر الركابي
جوزيف شختمان - متمرّد وسياسي
جيمس واربورغ - تيارات متصلة في الشرق الاوسط
جابوتنسكي - مؤلفات جابوتنسكي تل ابيب ١٩٥٢
حاييم وايزمن - التجربة والخطأ
دافيد بن غوريون - دولة اسرائيل تل ابيب ١٩٦٩
دافيد بن غوريون - ولادة اسرائيل مجددا ومصيرها ١٩٥٤
دومنيك روبير ولاري كولينز - ايه يا قدس
دينور بن تسيون - الهاغاناه تل ابيب ١٩٥٤ (٨ اجزاء)
دافيد نيف - معارك المنظمة العسكرية القومية تل ابيب ١٩٦٥
ريتشارد بورثون - اليهود الثوار والاسلام
روبرت سانتجون - كتاب بن غوريون
زوربال جلعاد - كتاب البالمخ تل ابيب ١٩٥٦ (جزءان)
س. ليفنبرغ - اليهود في فلسطين
شمعون يفتئيلى - فترة هوى صهيون القدس ١٩٦١
شلوموليف عامي - في النضال والثورة تل ابيب - وزارة الدفاع
عرشون ريفلين - تاريخ جيش الخفر تل ابيب ١٩٦٢

- عيفر هداني - شعب في معركة تل ابيب ١٩٤٨
 فيليب حتي - تاريخ سوريا
 كريستوفر سايكس - اسرائيل على مفترق الطرق / تعريب خيرى حماد
 ليحي - لجنة اصدار مؤلفات ليحي ١٩٥٩
 ميلر بورز - فلسطين شغلنا الشاغل
 مناحيم بيجن - الثورة / ترجمة سمير صنبر
 مناحيم بيجن - في الحركة السرية تل ابيب ١٩٥٩ (٤) اجزاء
 مناحيم تلمي - المحاربون من اجل حرية اسرائيل تل ابيب ١٩٥٥
 موشي بيرلمان - بن غوريون ينظر الى الوراء
 مورناتان بلين - المحاربون من اجل حرية اسرائيل تل ابيب ١٩٧٤
 ميخائيل آساف - العلاقات بين العرب واليهود في ارض اسرائيل تل ابيب ١٩٧٠
 ميخائيل زوهر - حياة بن غوريون (النبي المسلح)
 ن. كسنلسون - فصول في تاريخ الحركة العمالية تل ابيب ١٩٥٥
 ناحوم سوكلوف - تاريخ الصهيونية
 هيربت موريسون - مجموعة خطابات
 هوراس ماير كالن - الصهيونية والسياسة الدولية
 هارولد ويلسون - عربة اسرائيل عرض وتحليل مازن حمادة مجلة العربي يناير ١٩٨٢
 ولتر لاكير - مجموعة وثائق
 ولتر بريوس - حركة العمال في اسرائيل
 وليم هل - سقوط اسرائيل ونهوضها
 يسرائيل كلوينز - الحركة الصهيونية في روسيا القدس ١٩٥٨
 يعقوب غيل - الفرقة اليهودية تل ابيب ١٩٥٠
 يغنال الون - معارك البالماخ تل ابيب ١٩٦٦
 يغنال عيلام الطريق الصهيوني الى القوة تل ابيب ١٩٧٩
 جريدة هاآرتس ١٠/٢٨/١٩٣٦
 جريدة معاريف نيسان ١٩٦٤
 جريدة الابزيرفر شباط ١٩٤٨
 جريدة الديلي ميل نيسان ١٩٤٨.

المحتويات

٩	الباب الاول:
١١	الفصل الاول: نشوء العقدة الفلسطينية
٢٩	اليهودية العالمية واهدافها
٥٧	التساوق الصهيوني البريطاني
٦٦	بريطانيا صاحبة وعد بلفور
٧٨	الفصل الثاني: الحركة القومية العربية
٨٢	موسى كاظم باشا الحسيني
٩٠	نظام الانتداب
٩٢	حوادث عام ١٩٢٩ الدامية
٩٦	الفصل الثالث: الكتاب الابيض عام ١٩٣٠
٩٩	هبة عام ١٩٣٣
١٠٥	الباب الثاني:
١٠٧	الفصل الاول: صورة الوضع في فلسطين بعد رحيل الزعيم
١١٢	لجنة بيل الملكية
١١٨	الفصل الثاني: الكتاب الابيض ١٩٣٩
١٢٣	قرار تقسيم فلسطين
١٢٦	سياسة الحركة القومية العربية ازاء هذه التطورات
١٣٣	الباب الثالث:
١٣٥	الفصل الاول: بطل القسطل الشهيد عبد القادر موسى الحسيني
١٤٥	الفصل الثاني: عبد القادر في معتك الحياة العملية
١٤٩	عبد القادر في دائرة تسوية الاراضي
١٥٧	الفصل الثالث: اضراب فلسطين العام واحداث عام ١٩٣٦

١٦٣	عبدالقادر يقود الثورة الاولى
١٧٣	معركة حوسان - الخضر
١٧٧	عبدالقادر في المانيا
١٨٠	معركة عرتوف الكبرى
١٩٠	معركة بني نعيم الكبرى
١٩٥	الفصل الرابع: عبدالقادر الحسيني في العراق
١٩٧	ثورة رشيد عالي الكيلاني
٢٠٠	الخروج الى ايران
٢٠٥	الباب الرابع:
٢٠٧	الفصل الاول: عبدالقادر في الحجاز
٢٠٨	عبدالقادر الحسيني في مصر
٢١٥	التنظيم في فلسطين قبل اعلان الجهاد المقدس
٢٢٠	صورة الوضع بعد قرار التقسيم
٢٢٧	الفصل الثاني: عبدالقادر الحسيني في فلسطين
٢٣٤	الدفاع عن مدينة القدس وما دار حولها من معارك
٢٤٧	الباب الخامس:
٢٤٩	الفصل الاول: الهستدروت والوكالة اليهودية
٢٥٣	قوة العصابات الصهيونية من ١٩٠٧ - ١٩٤٨ م
٢٩٩	قوة جيش الجهاد المقدس
٣٠٧	الفصل الثاني: الاعمال العسكرية التي تمت على يد عبدالقادر الحسيني
٣١٢	معركة صوريف
٣١٣	معركة بيت سوريك
٣١٧	معركة رام الله - اللطرون
٣١٩	معركة النبي صموئيل
٣٢٢	معركة شعفاط والهجوم على مستعمرة النيفي يعقوب
٣٢٥	معركة بيت لحم الكبرى - الدهيشة ٢٧/٣/١٩٤٨ م
٣٢٧	معركة الشيخ جراح (معركة العلماء)

٣٢٩	الفصل الثالث: غدر اليهود ونذ التهم والرد عليهم
٣٣١	عمليات النسف المذهلة
٣٤٧	الباب السادس:
٣٤٩	الفصل الاول: عبد القادر الحسيني يبحث عن السلاح
٣٥٥	الفصل الثاني: صورة الوضع في باب الواد
٣٥٩	خطة نخشون
٣٦٢	عبد القادر الحسيني في دمشق
٣٧٢	العودة الى فلسطين
٣٧٣	معركة القسطل واستشهاد القائد
٣٧٨	كيف قوبل نعي البطل
٣٨٨	كيف استقبل سماحة المفتي الاكبر نعي الشهيد
٣٩٥	الباب السابع:
٣٩٧	رثاء الشهيد في الصحف
٤١٥	الباب الثامن:
٤١٧	المجاهدة الصابرة وجبهة الحسيني
٤٢٧	الباب التاسع:
٤٢٩	عبد القادر الانسان
٤٣٥	عبد القادر الاديب علمه وادبه
٤٤٩	شخصية عبد القادر العسكرية
٤٥٧	الباب العاشر:
٤٥٩	الملاحق
٤٦١	بعض الرسائل والخطابات العائلية
٤٦٤	بعض الرسائل العسكرية
٤٦٧	وثائق وصور
٧٠٧	الخاتمة
٥٠٩	مراجع البحث

●● الكتب الصادرة عن دار الجليل ●●

- ١ - عمود النار، الاسطورة التي قامت عليها اسرائيل
ترجمة غازي السعدي (صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)
- ٢ - الاستيطان، التطبيق العملي للصهيونية
المهندس الزراعي عبدالرحمن ابو عرفه
طبعة جديدة
«مزيدة ومنقحة»
- ٣ - حرب الجليل، الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية، تموز ١٩٨١
بدر عبدالحق وغازي السعدي (صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)
- ٤ - الكتاب السنوي ١٩٨١
توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة
هيئة الرصد والتحرير:
غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)
- ٥ - الكتاب السنوي ١٩٨٢
توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة
هيئة الرصد والتحرير:
غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال
- ٦ - الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (١)
شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو
بدر عبدالحق وغازي السعدي
- ٧ - الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٢)
مايكل جانسن
ترجمة محمود برهوم
- ٨ - الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٣)
وثيقة جرم وادانة
غازي السعدي
- ٩ - الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان
اهداف ... لم تتحقق
غازي السعدي
- ١٠ - الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٥)
معتقل انصار - وصراع الارادات
سليم الجنيدي
- ١١ - الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٦)
الحرب المضللة
زييف شيف وايهود يعاري
ترجمة: غازي السعدي
- ١٢ - الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٧)
فضائع الحرب اللبنانية
ترجمة: زكي درويش

- ١٢- الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٨١)
لبنان هزيمة المنتصرين وانتصار القضية
اللجنة ضد الحرب في لبنان
- ١٤- الحرب الفلسطينية - الاسرائيلية في لبنان (٩)
الأسرى اليهود وصفقات المبادلة
إعداد: غازي السعدي
- ١٥- رسائل من قلب الحصار
من ابو عمار الى الجميع
- ١٦- يوميات من سجون الاحتلال (١)
زنزانة رقم (٧)
فاضل يونس
- ١٧- المثلث الايراني: العلاقات السرية
الاسرائيلية الامريكية الايرانية في عهد الشاه
الصحفي شموئيل سيچف
ترجمة: غازي السعدي
- ١٨- هل يوجد حل للقضية الفلسطينية؟
مواقف اسرائيلية
ألوف هار ابن
ترجمة: غازي السعدي
- ١٩- عملية الدبوا كما يرويها منفذوها
المحامي درويش ناصر
- ٢٠- مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣ - ١٩٨٣
ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل
للدكتور نظام بركات
- ٢١- مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية
١٩٤٧-١٩٨٢
منير الهور وطارق الموسى
- ٢٢- غوش امونيم
الوجه الحقيقي للصهيونية
داني روبنشتاين
ترجمة: غازي السعدي
- ٢٣- عش العصفور
قصة للاطفال
منير الهور
- ٢٤- رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات
تأليف: د. احمد صبحي الدجاني
- ٢٥- ايام دامية في المسجد الاقصى المبارك
الدكتور احمد العلمي
- ٢٦- حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير
المصير
يوسف قراعين
- ٢٧- الاحد الاسود
تصوّر امريكي صهيوني للعمل الفدائي
الفلسطيني
ترجمة: حسن اسماعيل مشعل
- ٢٨- خارطة فلسطين
وهي خارطة تمثّل سهول وهضاب وجبال
ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملوثة)
- ٢٩- بروتوكولات حكماء صهيون
المجلد الاول - عجاج نويهض
- ٣٠- بروتوكولات حكماء صهيون
المجلد الثاني - عجاج نويهض
- ٣١- الاردن وفلسطين
وجهة نظر عربية
د. سعيد التل

٣٢- الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام
للدكتور فؤاد حمدي بسيسو

٣٣- الاستعمار وفلسطين
رفيق شاكر النتشه

٣٤- الحرب من اجل السلام
عيزروايزمن - ترجمة غازي السعدي

٣٥- الموساد، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري
دنيس اينبرغ، ايلى لاندو، اوري دان

٣٦- التوازن العسكري في الشرق الاوسط
اعداد مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل ابيب
ترجمة: نبيه الجزائري

٣٧- بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)
اعداد: د. كامل قعبر

٣٨- بطاقات فنية (مجموعة)
بطاقات على شكل دفتر الشيكات
اعداد: د. كامل قعبر

٣٩- الكتاب الاسود
عن يوم الارض ٣٠ آذار ١٩٧٦

٤٠- في سَرَبِيَّة الصّحراء
سميح القاسم

٤١- الخيار النووي الاسرائيلي
شاي فيلدمان
ترجمة: غازي السعدي

٤٢- انتهاك حقوق الانسان في الاراضي المحتلة
شهادات مشفوعة بالقسم
ترجمة: سليم راغب ابو غوش

٤٣- نقاط فوق الحروف
مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الامير فهد وبريجنيف
خالد الحسن

٤٤- قراءة سياسية في مبادرة ريغان
خالد الحسن

٤٥- فلسطينيات
خالد الحسن

٤٦- الاتفاق الاردني - الفلسطيني
للتحرك المشترك
خالد الحسن

٤٧- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١)
جرائم الارغون وليحي ١٩٣٧ - ١٩٤٨
يعقوب الياب - ترجمة غازي السعدي

٤٨- من ملفات الارهاب الصهيوني في اسرائيل (٢)
مجازر وممارسات ١٩٣٦ - ١٩٨٣
اعداد: غازي السعدي

٤٩- من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣)
دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل
د. حمدان بدر

٥٠- ملصق يوم الارض
بريشة سليمان منصور

٥١- ملصق جمل المحامل
بريشة سليمان منصور

- ٥٢- ملصق قبة الصخرة
صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في
القدس
-
- ٥٣- فلسطين تاريخاً ونضالاً
نجيب الأحمد
-
- ٥٤- فلسطينيات في سجن النساء
الاسرائيلي
طيور نفي ترتسا
وليد الفاهوم
-
- ٥٥- المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة
الضوء
اسرائيل عسكر وسلاح (١)
اعداد: بشير البرغوثي
-
- ٥٦- اتفاقيات السلم المصرية - الاسرائيلية في
نظر القانون الدولي
محمد الرفاعي
-
- ٥٧- الجذور
فتحي فوراني
-
- ٥٨- فلسطين ... الارض والوطن (١)
قرية الدوايمة
موسى عبد السلام هديب
-
- ٥٩- خط الدفاع في الضفة الغربية
وجهة نظر اسرائيلية
اربه شليف
ترجمة: غازي السعدي
-
- ٦٠- تشريفة بني مازن
د. عبد اللطيف عقل
-
- ٦١- القمع والتنكيل في سجن الفارعة
اعداد: لجنة الحقوقيين الدولية
القانون من اجل الانسان
-
- ٦٢- صورة العربي في الادب اليهودي
الدكتورة ريزا دومب
ترجمة: عارف عطاري
-
- ٦٣- فلسطين ارض وتاريخ
د. محمد النحال
-
- ٦٤- القدس ماضيها، حاضرها، مستقبلها
فايز فهد جابر
-
- ٦٥- القضية الفلسطينية في القانون الدولي..
والوضع الراهن
د. جابر الراوي
-
- ٦٦- شوكة في عيونكم
مئير كهانا
ترجمة: غازي السعدي
-
- ٦٧- حرب الاستنزاف
د. محمد حمزة
-
- ٦٨- القرار
الفان وأثنا عشر يوماً في سجون الاحتلال
رشاد أحمد الصغير
-
- ٦٩- المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين
والدول العربية المجاورة
بشير شريف البرغوثي
-
- ٧٠- أزمة الاستخبارات الاسرائيلية
تسفي لنير
قسم الدراسات

٧٥- الشخصية العربية (٢)
في الادب العبري الحديث
١٩٤٨ - ١٩٨٥
غانم مزعل

٧٦- القضية الفلسطينية
أكرم زعيتر

٧٧- فلسطين الام وابنها البار
«عبدالقادر الحسيني»
عيسى خليل محسن

٧١- اسرائيل عام ٢٠٠٠
(تصورات اسرائيلية)

٧٢- دعوى نزع الملكية
الاستيطان اليهودي والعرب
في الفترة ١٨٧٨ / ١٩٤٨
ترجمة: بشير الدرغوثي

٧٣- ندوة مشاكل التعليم الجامعي
في الوطن المحتل والروح الجامعية

٧٤- شخصيات صهيونية (١)
مذكرات الجنرال رفائيل ايتان
ترجمة: غازي السعدي

رقم الاجازة المتسلسل م / ٩٦ / ١١ / ١٩٨٥
رقم الايداع لدى مديريةية المكتبات والوثائق الوطنية ١٩٨٥ / ١١ / ٥٠٦

